موسوعة الشهيد الثاني

الجزء الثاني

الرّسائل / ١

المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية
مركز إحياء التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الشهيد الثاني

الجزء الثاني

الرسائل / ١

المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة
مركز إحياء التراث الإسلامي

المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة

موسوعة الشهيد الثاني

الجزء الثاني (الرسائل / ١)

الناشر: المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة
التحقيق: غلام حسين قيصريه‌ها و عباس محمّدي
الإعداد والإشراف: مركز إحياء التراث الإسلامي
الطباعة: مطبعة الباقري
الطبعة الأولى ١٤٣٤ق / ٢٠١٣م
الكمّيّة: ١٠٠٠ نسخة
العنوان: ١٤٣ ؛ التسلسل: ٢٣٥

حقوق الطبع محفوظة للناشر

العنوان: قم، شارع الشهداء (صفائية)، زقاق آمار، الرقم ٤٢
التلفون والفاكس: ٧٨٣٢٨٣٣، **التوزيع:** قم ٧٨٣٢٨٣٤؛ طهران ٦٦٩٥١٥٣٤
ص. ب: ٣٧١٨٥/٣٨٥٨، **الرمز البريدي:** ١٦٤٣٩ ـ ٣٧١٥٦
وب سايت: www.pub.isca.ac.ir **البريد الالكتروني:** nashr@isca.ac.ir

شهيد ثانى، زين الدين بن على، ٩١١ ـ ٩٦٥ق.
موسوعة الشهيد الثاني / التحقيق: غلام حسين قيصريه‌ها و عباس محمّدي، الإعداد والإشراف مركز إحياء التراث الإسلامي، المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.
٣٠ج.

ISBN 978-600-5570-74-8 ـ. (دوره)
ISBN 978-600-5570-77-9 ـ. (ج ٢)

فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه.
مندرجات: ج ٢. الرسائل / ١. ـ
١. اسلام ـ مجموعه‌ها. ٢. دانش و دانش‌اندوزى ـ جنبه‌هاى مذهبى ـ اسلام. ٣. اسلام و آموزش و پرورش. ٤. اخلاق اسلامى. الف. پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامى. مركز احياى آثار اسلامى. ب. عنوان.
BP٤/٦/ ٨ م ٩٢ش
٢٩٧/٠٨

دليل
موسوعة الشهيد الثاني

المدخل = الشهيد الثاني حياته وآثاره

الجزء الأوّل = (١) منية المريد

الجزء الثاني = (٢ ـ ٦) الرسائل/١ : ٢. كشف الريبة ؛ ٣. التنبيهات العليّة؛ ٤. مسكّن الفؤاد؛ ٥. البداية؛ ٦. الرعاية لحال البداية في علم الدراية.

الجزء الثالث = (٧ ـ ٣٠) الرسائل/٢ : ٧. تخفيف العباد في بيان أحوال الاجتهاد؛ ٨. تقليد الميّت؛ ٩. العدالة؛ ١٠. ماء البئر؛ ١١. تيقّن الطهارة والحدث والشكّ في السابق منهما؛ ١٢. الحدث الأصغر أثناء غسل الجنابة ؛ ١٣. النيّة؛ ١٤. صلاة الجمعة؛ ١٥. الحثّ على صلاة الجمعة؛ ١٦. خصائص يوم الجمعة؛ ١٧. نتائج الأفكار في بيان حكم المقيمين في الأسفار؛ ١٨. أقلّ ما يجب معرفته من أحكام الحجّ والعمرة؛ ١٩. نيّات الحجّ والعمرة؛ ٢٠. مناسك الحجّ والعمرة؛ ٢١. طلاق الغائب؛ ٢٢. ميراث الزوجة؛ ٢٣. الحبوة؛ ٢٤. أجوبة مسائل شكر بن حمدان؛ ٢٥. أجوبة مسائل السيّد ابن طرّاد الحسيني؛ ٢٦. أجوبة مسائل زين الدين بن إدريس؛ ٢٧. أجوبة مسائل الشيخ حسين بن زمعة المدني؛ ٢٨. أجوبة مسائل الشيخ أحمد المازحي؛ ٢٩. أجوبة مسائل السيّد شرف الدين السمّاكي؛ ٣٠. أجوبة المسائل النجفيّة.

الجزء الرابع = (٣١ ـ ٤٣) الرسائل/٣ : ٣١. تفسير آية البسمَلَة؛ ٣٢. الإسطنبوليّة في الواجبات العينيّة؛ ٣٣. الاقتصاد والإرشاد إلى طريق الاجتهاد؛ ٣٤. وصيّةٌ نافعةٌ؛ ٣٥. شرح حديث «الدنيا مزرعة الآخرة»؛ ٣٦. تحقيق الإجماع في زمن الغَيْبَة؛ ٣٧. مخالفة الشيخ الطوسي (رحمه الله) لإجماعات نفسه؛ ٣٨. ترجمة الشهيد بقلمه الشريف؛ ٣٩. حاشية «خلاصة الأقوال»؛ ٤٠. حاشية «رجال ابن داود»؛ ٤١. الإجازات؛ ٤٢. الإنهاءات والبلاغات؛ ٤٣. الفوائد.

الجزء الخامس = (٤٤) تمهيد القواعد

الجزء السادس ـ الجزء التاسع = (٤٥) الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة

الجزء العاشر والجزء الحادي عشر = (٤٦) روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان

الجزء الثاني عشر = (٤٧ ـ ٤٩) المقاصد العليّة وحاشيتا الألفيّة

الجزء الثالث عشر = (٥٠) الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفليّة

الجزء الرابع عشر = (٥١ و٥٢) حاشية شرائع الإسلام وحاشية المختصر النافع

الجزء الخامس عشر = (٥٣) حاشية القواعد (فوائد القواعد)

الجزء السادس عشر = (٥٤) حاشية إرشاد الأذهان

الجزء السابع عشر ـ الجزء الثامن والعشرون = (٥٥) مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام

الجزء التاسع والعشرون = الفهارس

فهرس الموضوعات

تصدير ٢٥

٢) كشف الريبة عن أحكام الغيبة

مقدّمة التحقيق ٥

صور بعض المخطوطات ٧

خطبة الكتاب ٩

المقدّمة ١١

تعريف الغيبة ١١

تحريم الغيبة وجملة من الترهيب منها ١٢

الفصل الأوّل في أقسام الغيبة ١٩

أخبث أنواع الغيبة ٢١

الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجّب ٢٢

حرمة سوء الظنّ ٢٤

حكم الخواطر وحديث النفس ٢٤

طريق معرفة ما يخطر في القلب هل هو ظنّ سوء أو اختلاج وشكّ ٢٥

من ثمرات سوء الظنّ التجسّس ٢٦
معنى التجسّس ٢٦

الفصل الثاني في العلاج الذي يمنع الإنسان عن الغيبة ٢٧
الطريق في علاج كفّ اللسان عن الغيبة مجملة ٢٧
الطريق في علاج كفّ اللسان عن الغيبة مفصّلة ٢٧

الفصل الثالث في الأعذار المرخّصة في الغيبة ٣٤
١ ـ التظلّم ٣٤
٢ ـ الاستعانة على تغيير المنكر ٣٥
٣ ـ الاستفتاء ٣٥
٤ ـ تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشرّ ٣٥
٥ ـ الجرح والتعديل للشاهد والراوي ٣٦
٦ ـ أن يكون المقول فيه مستحقّاً لذلك ٣٦
٧ ـ أن يكون الإنسان معروفاً باسم يُعرب عن عيبه ٣٧
٨ ـ لو اطّلع العدد الذين يثبت بهم الحدّ أو التعزير على فاحشة جاز ذكرها عند الحاكم ... ٣٧
٩ ـ إذا علم اثنان من رجل معصيةً شاهداها، فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز ٣٧
١٠ ـ إذا سمع أحدٌ مغتاباً لآخر وهو لا يعلم استحقاق المقول عنه ٣٧

الفصل الرابع فيما يلتحق بالغيبة عند التدبّر ٣٩
١ ـ النميمة وما ورد من النهي فيها ٤٠
تعريف النميمة بالمعنى الأعمّ ٤٣
السبب الباعث على النميمة ٤٣

وظيفة من حملت إليه النميمة ستّة أُمور ٤٤
٢ ـ كلام ذي اللسانين وما ورد من النهي فيه ٤٧
يتحقّق كون الإنسان ذا لسانين بأُمور أربعة ٤٨
٣ ـ الحسد وما ورد من النهي فيه ٥٠
الحسد يهيّج أربعة أشياء ٥٢
حقيقة الحسد ٥٢
مراتب الحسد ٥٥
الأسباب المثيرة للحسد ٥٦
الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب ٥٩

الفصل الخامس في كفّارة الغيبة ٦٥
ورد في كفّارة الغيبة حديثان ٦٥
الخاتمة في أحاديث تناسب المقام ٦٨
الحديث الأوّل: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً ٦٩
الحديث الثاني: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ٧٠
الحديث الثالث: إنّ رجلاً زار أخاً له في قرية أُخرى ٧١
الحديث الرابع: لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ٧١
الحديث الخامس: من ألطف مؤمناً، أو قام له بحاجة ٧٢
الحديث السادس: لقد وصفه الله بخلق عظيم في المداعبة ٧٢
الحديث السابع: سبع حقوق واجبات ما منها حقّ إلّا ٧٣
الحديث الثامن: إذا مشى الرجل في حاجة أخيه المؤمن ٧٤
الحديث التاسع: من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه ٧٤
الحديث العاشر: بسم الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه ٧٥
الحديث الحادي عشر: يا خيثمة أبلغ من ترى من موالينا السلام ٨١

الحديث الثاني عشر: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظّموا أصحابكم ٨٢

٣) التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبيّة

مقدّمة التحقيق ٨٥
صور بعض المخطوطات ٩٠

خطبة الكتاب ٩٣
المقدّمة ٩٦
المطلب الأوّل في تحقيق معنى القلب ٩٦
المطلب الثاني في إحضار القلب حال العبادة خصوصاً في الصلاة ١٠١
الآيات الواردة في هذا الباب ١٠١
الروايات الواردة في هذا الباب ١٠١
المطلب الثالث في بيان الدواء النافع في حضور القلب ١٠٦

الفصل الأوّل في مقدّمات الصلاة ١١١
أسرار الطهارة ١١١
أسرار إزالة النجاسة ١١٤
أسرار ستر العورة ١١٦
أسرار المكان ١١٧
أسرار الوقت ١١٨
أسرار استقبال القبلة ١٢١

الفصل الثاني في مقارنات الصلاة ١٢٤
أسرار القيام ١٢٤

أسرار النيّة ١٢٧
أسرار تكبيرة الإحرام ١٢٨
دعاء التوجّه ١٢٩
أسرار القراءة ١٣٠
في ترجمة سورة الحمد وأسرارها ١٣٢
فيما يتعلّق بقراءة القرآن ١٣٣
أسرار الركوع ١٣٥
أسرار السجود ١٣٦
أسرار التشهّد ١٣٨
أسرار التسليم ١٣٩
تتمّة الفصل ١٤١
في التعقيب ١٤١
في آداب قراءة القرآن وكيفيّتها ١٤٣
في سجدة الشكر ١٥٠

الفصل الثالث في منافيات الصلاة ١٥١
ذمّ الرياء والعجب ١٥٢
وجوه الرياء ١٥٥
وأمّا العجب ١٦٣

الخاتمة وفيها بحثان: ١٦٥
البحث الأوّل في جبر الخلل الواقع في الصلاة ١٦٥
الدواء العملي للخلل ١٧١
البحث الثاني في خصوصيّات باقي الصلوات ١٧٨

الأُولى: صلاة الجمعة ١٧٨
الثانية: صلاة العيد ١٨٢
الثالثة: صلاة الآيات ١٨٣
الرابعة: صلاة الطواف ١٨٤
الخامسة: صلاة الجنازة ١٨٤
السادسة: صلاة النذر ١٨٥

٤) مُسَكِّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد

مقدّمة التحقيق ١٨٩
صور بعض المخطوطات ١٩٤

خطبة الكتاب ١٩٧
المقدّمة ١٩٩
موجبات الرضى بقضاء الله أُمور: ١٩٩
الأوّل: التوجّه إلى عدل الله وحكمته ١٩٩
الثاني: تصديق الرسل ٢٠٠
الثالث: التوجّه إلى أنّ منفعة الولد ليس في البقاء فقط ٢٠٢
الرابع في الجزع على فوت الولد انحطاط عظيم ٢٠٤
الخامس: الدنيا قد طبعت على الكدر والعناء ٢٠٥
ما سبب الخلقة؟ ٢٠٧
روايات أخلاقيّة مفيدة ٢٠٨

الباب الأوّل في بيان الأعواض الحاصلة من موت الأولاد ٢١١
ذكر أخبار الباب ٢١١

روايات وحكايات ومنامات في ثواب موت الأولاد ٢١٢

الباب الثاني في الصبر وما يلحق به ٢٢٨

صبر العوامّ ٢٢٨

صبر الزهّاد ٢٢٨

صبر العارفين ٢٢٨

أوصاف الصابرين ٢٢٩

أجر الصابرين ٢٣١

منزلة الصبر في الروايات ٢٣٢

الصبر وأقسامه ٢٣٥

فصل في ما يوجب الأجر أو الحبط عند المصيبة ٢٣٦

في الاسترجاع ٢٣٨

فصل في أثر الصلاة في تهوين المصائب ٢٣٨

فصل في محاسن البلاء ٢٤٠

فصل: الصبر والجزع كاشفان عن بواطن الناس ٢٤١

فصل: نبذ من أحوال السلف عند موت أبنائهم وأحبّائهم ٢٤٢

فصل في ذكر جماعة من النساء نقل العلماء صبرهنّ ٢٥١

حكاية عن أبي قدامة الشامي ٢٥٨

الباب الثالث في الرضى ٢٦٥

الرضى دليل الإيمان ٢٦٦

مقام الراضين في القيامة ٢٦٨

فصل في مرتبة الرضى ٢٧١

فصل في درجات الرضى ٢٧٢

فصل في جماعة نقل العلماء رضاهم بالقضاء ٢٧٤
فصل في الدعاء ووظائف الداعي ٢٧٨
هل الدعاء لرفع البلاء ينافي الرضى؟ ٢٧٨

الباب الرابع في البكاء ٢٨٠
بكاء زين العابدين عليه السلام ٢٨٠
بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٨١
موت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٨٢
بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على أُمّه وبعض أصحابه ٢٨٤
بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله في شهادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام ٢٨٤
فصل ما يحبط الأجر عند المصيبة ٢٨٤
فصل في استحباب الاسترجاع عند المصيبة ٢٨٩
فصل في النوح ٢٩٠

الخاتمة في فوائد مهمّة ٢٩٣
استحباب تعزية أهل الميّت ٢٩٣
ثواب من عزّى مصاباً ٢٩٤
ثواب عيادة المريض ٢٩٥
ثواب البكاء من خشية الله ٢٩٥
فصل فيما تعزّى بها أهل المصيبة ٢٩٦
ذكر مصيبة النبيّ يهوّن المصائب ٢٩٨
أشدّ الناس بلاءً أهل الخير ٣٠١
كتاب أبي عبد الله عليه السلام لجماعة من بني عمّه ٣٠٤

٥) البداية

٦) الرعاية لحال البداية في علم الدراية

مقدّمة التحقيق ٣١١
علم الدراية و نشأتها ٣١١
الشهيد الثاني و علم الدراية ٣١٤
مؤلّفاته في علم الدراية ٣١٥
نماذج مصوّرة من المخطوطات ٣٢١

البداية في علم الدراية

خطبة الكتاب ٣٢٧
المقدّمة في بيان أُصول علم الدراية واصطلاحاته ٣٢٨
معنى الخبر والحديث والأثر والمتن والسند والإسناد ٣٢٨
انحصار الخبر في الصدق والكذب ٣٢٨
تعريف المتواتر ٣٢٨
تعريف الآحاد والمستفيض والغريب ٣٢٩

الباب الأوّل في أقسام الحديث ٣٣٠
الأوّل: الصحيح ٣٣٠
الثاني: الحسن ٣٣٠
الثالث: الموثّق ٣٣٠
الرابع: الضعيف ٣٣٠
مصطلحات علماء الحديث غير ما مرّ في الأقسام الأربعة ٣٣١

أحدها: المسند ٣٣١
ثانيها: المتّصل ٣٣١
ثالثها: المرفوع ٣٣١
رابعها: المعنعن ٣٣٢
خامسها: المعلّق ٣٣٢
سادسها: المفرد ٣٣٢
سابعها: المُدرَج ٣٣٢
ثامنها: المشهور ٣٣٢
تاسعها: الغريب ٣٣٢
عاشرها: المصحّف ٣٣٢
حادي عشرها: العالي سنداً ٣٣٢
ثاني عشرها: الشاذّ ٣٣٣
ثالث عشرها: المسلسل ٣٣٣
رابع عشرها: المزيد ٣٣٣
خامس عشرها: المختلف ٣٣٤
سادس عشرها: الناسخ و المنسوخ ٣٣٤
سابع عشرها: الغريب لفظاً ٣٣٤
ثامن عشرها: المقبول ٣٣٤
ما يختصّ بالحديث الضعيف ٣٣٤
الأوّل: الموقوف ٣٣٤
الثاني: المقطوع ٣٣٥
الثالث: المرسل ٣٣٥
الرابع: المعلّل ٣٣٥
الخامس: المدلّس ٣٣٦

السادس: المضطرب ٣٣٦
السابع: المقلوب ٣٣٦
الثامن: الموضوع ٣٣٦

الباب الثاني في من تقبل روايته ومن تردّ ٣٣٧
المسألة الأُولى في شرائط الراوي ٣٣٧
المسألة الثانية في طريق معرفة العدالة والضبط في الراوي ٣٣٨
المسألة الثالثة في قبول التعديل من غير ذكر السبب بخلاف الجرح ٣٣٨
المسألة الرابعة في ثبوت الجرح والتعديل بواحد ٣٣٨
المسألة الخامسة: رواية الثقة عن رجل لم تكن توثيقاً له ٣٣٩
المسألة السادسة في ألفاظ الجرح والتعديل ٣٣٩
المسألة السابعة في رواية من خلّط ٣٣٩
المسألة الثامنة في ما إذا روى ثقة عن ثقة فنفاه المرويّ عنه ٣٣٩

الباب الثالث في تحمّل الحديث وطرق نقله ٣٤٠
الفصل الأوّل في أهليّة التحمّل ٣٤٠
الفصل الثاني في طرق التحمّل ٣٤٠
أوّلها: السماع من لفظ الشيخ ٣٤٠
ثانيها: القراءة على الشيخ ٣٤١
ثالثها: الإجازة ٣٤٢
رابعها: المناولة ٣٤٢
خامسها: الكتابة ٣٤٣
سادسها: الإعلام ٣٤٣
سابعها: الوجادة ٣٤٤

الفصل الثالث في كيفيّة رواية الحديث ٣٤٤
رواية الضرير ٣٤٤
الرواية بالمعنى ٣٤٥
تقطيع الحديث ٣٤٥

الباب الرابع في أسماء الرجال وطبقاتهم ٣٤٦
الصحابي ٣٤٦
التابعي ٣٤٦
رواية الأقران ٣٤٦
المدبّج ٣٤٦
رواية الأكابر عن الأصاغر ٣٤٦
السابق واللاحق ٣٤٦
المتّفق والمفترق ٣٤٧
المؤتلف والمختلف ٣٤٧
المتشابه ٣٤٧

الرعاية لحال البداية في علم الدراية

خطبة الكتاب ٣٥١
تعريف علم الدراية و موضوعه و غايته ومسائله ٣٥١
المقدّمة في بيان أُصول علم الدراية واصطلاحاته الخبر والحديث ٣٥٣
الأثر والمتن ٣٥٣
السند والإسناد ٣٥٤
انحصار الخبر في الصدق و الكذب ٣٥٦
قول الجاحظ في الخبر ٣٥٦

قول النظام في الخبر ٣٥٧
العلم بصدق الخبر وكذبه قد يكون ضروريّاً وقد يكون نظرياً ٣٥٧
ما علم صدقه نظراً ٣٥٩
ما علم كذبه نظراً ٣٥٩
ما علم صدقه ضرورة ٣٥٩
انقسام الخبر إلى المتواتر والآحاد ٣٦٠
لاينحصر التواتر في عدد خاصّ ٣٦١
شرط حصول العلم بالخبر المتواتر ٣٦١
التواتر متحقّق في أُصول الشرائع ٣٦٢
تواتر حديث «من كذب عليّ متعمّداً ...» ٣٦٣
أقسام خبر الواحد ٣٦٥
المستفيض والمشهور ٣٦٥
الغريب ٣٦٥
العزيز ٣٦٥
المقبول ٣٦٥
المردود ٣٦٥
المشتبه ٣٦٧
عدم انحصار الأخبار في عدد معيّن ٣٦٧
الكتب الأربعة الحديثيّة ٣٦٧
ما له دخل في اعتبار الحديث ٣٦٨

الباب الأوّل في أقسام الحديث ٣٧٠
الصحيح ٣٧٠
الحسن ٣٧٤

الموثّق أو القويّ ٣٧٦
الضعيف ٣٧٧
العمل بخبر الواحد ٣٧٨
العمل بالخبر الحسن ٣٧٩
العمل بالخبر الموثّق ٣٨٠
العمل بالخبر الضعيف ٣٨١
العمل بالخبر الضعيف في نحو القصص والمواعظ ٣٨٣
مصطلحات علماء الحديث غير ما مرّ في الأقسام الأربعة ٣٨٤
أحدها: المسند ٣٨٤
ثانيها: المتّصل أو الموصول ٣٨٥
ثالثها: المرفوع ٣٨٥
رابعها: المعنعن ٣٨٦
خامسها: المعلّق ٣٨٧
سادسها: المفرد ٣٨٨
سابعها: المدرج ٣٨٨
ثامنها: المشهور ٣٨٩
تاسعها: الغريب ٣٩٠
عاشرها: المصحّف ٣٩١
حادي عشرها: العالي سنداً ٣٩٣
ثاني عشرها: الشاذّ ٣٩٥
ثالث عشرها: المسلسل ٣٩٦
رابع عشرها: المزيد ٣٩٨
خامس عشرها: المختلف ٣٩٩
سادس عشرها: الناسخ والمنسوخ ٤٠١

سابع عشرها: الغريب لفظاً ٤٠٣
ثامن عشرها: المقبول ٤٠٣
ما يختصّ بالحديث الضعيف ٤٠٥
الأوّل: الموقوف ٤٠٥
الثاني: المقطوع ٤٠٧
الثالث: المرسل ٤٠٨
عدم حجيّة المرسل ٤٠٩
ما يعلم به الإرسال ٤١١
الرابع: المعلّل ٤١١
الخامس: المدلّس ٤١٣
السادس: المضطرب ٤١٦
الاضطراب في السند ٤١٧
الاضطراب في المتن ٤١٨
السابع: المقلوب ٤١٩
الثامن: الموضوع ٤٢٠
طريق معرفة الموضوع ٤٢١
أصناف الواضعين ٤٢١

الباب الثاني في من تقبل روايته ومن تردّ ٤٢٨
المسألة الأُولى: اشتراط إسلام الراوي و بلوغه و عقله و عدالته ٤٣٠
تعريف العدالة ٤٣١
اشتراط الضبط و الحفظ في الراوي ٤٣٢
عدم اشتراط الذكورة في الراوي ٤٣٢
عدم اشتراط الحريّة والعلم بالفقه والعربيّة والبصر والعدد في الراوي ٤٣٢

اشتراط الإيمان في الراوي ٤٣٣
المسألة الثانية: طريق معرفة العدالة و الضبط في الراوي ٤٣٥
المسألة الثالثة: التعديل مقبول من غير ذكر سببه ٤٣٦
لايقبل الجرح إلّا مفسّراً ٤٣٦
المسألة الرابعة: يثبت الجرح في الرواة بقول واحدٍ ٤٣٨
تقدّم الجرح على التعديل ٤٣٩
المسألة الخامسة في قول الثقة: حدّثني ثقة ٤٣٩
المسألة السادسة في ألفاظ الجرح و التعديل ٤٤١
ألفاظ التعديل ٤٤١
ألفاظ الجرح ٤٤٥
المسألة السابعة في من خلّط بخُرق أو فسق ٤٤٦
المسألة الثامنة: إذا روى ثقة عن ثقة حديثاً فنفاه المرويّ عنه ٤٤٦

الباب الثالث في تحمّل الحديث وطرق نقله ٤٤٨
الفصل الأوّل في أهليّة التحمّل ٤٤٨
عدم اشتراط البلوغ في تحمّل الحديث ٤٤٩
لايشترط في المرويّ عنه أن يكون أكبر من الراوي ٤٥٠
الفصل الثاني في طرق التحمّل للحديث ٤٥٠
أوّلها: السماع من لفظ الشيخ ٤٥٠
ثانيها: القراءة على الشيخ ٤٥٣
العبارة عن هذه الطريق ٤٥٤
في رواية المستملي عن المملي ٤٥٩
لايشترط في صحّة الرواية بالسماع و القراءة الترائي ٤٥٩
لايشترط علم المحدّث بالسامعين ٤٦٠

ثالثها: الإجازة ٤٦٠
ترجيح السماع على الإجازة ٤٦٢
أنواع الإجازة ٤٦٣
لا تصحّ الإجازة للمعدوم ٤٦٤
الإجازة لغير المميّز ٤٦٥
الإجازة للحمل ٤٦٥
الإجازة للكافر ٤٦٥
لاتجوز الإجازة بما لم يتحمّله المجيز ٤٦٦
تصحّ للمجاز له إجازة المجاز لغير ٤٦٦
رابعها: المناولة ٤٦٧
المناولة المقرونة بالإجازة ٤٦٧
المناولة المجرّدةعن الإجازة ٤٧٠
خامسها: الكتابة ٤٧١
الكتابة المقرونة بالإجازة ٤٧١
الكتابة المجرّدة عن الإجازة ٤٧١
سادسها: الإعلام ٤٧٣
حكم الرواية بالإعلام ٤٧٤
سابعها: الوجادة ٤٧٤
في جواز العمل بالوجادة ٤٧٦
الفصل الثالث في كيفيّة رواية الحديث ٤٧٧
كيفيّة رواية الضرير ٤٧٨
حكم رواية الحديث بالمعنى ٤٧٩
حكم تقطيع الحديث و اختصاره ٤٨١
ما ينبغي للمحدّث تعلّمه قبل الشروع في الحديث ٤٨٢

في إصلاح المصحّف والملحون ٤٨٢
من روى حديثاً بإسنادٍ ثمّ أتبعه إسناداً وحذف متنه ٤٨٥
إذا سمع بعض حديث عن شيخه و بعضه عن آخر ٤٨٦

الباب الرابع في أسماء الرجال وطبقاتهم ٤٨٧
تعريف الصحابي ٤٨٧
تعريف التابعي ٤٨٩
تعريف المخضرمون ٤٩٠
أقسام الحديث باعتبار الراوي والمرويّ عنه ٤٩٠
١. رواية الأقران ٤٩٠
٢. رواية المدبّج ٤٩٠
٣. رواية الأكابر عن الأصاغر ٤٩١
رواية الآباء عن الأبناء ٤٩١
رواية الأحاديث المسلسلة بالآباء ٤٩٥
٤. السابق واللاحق ٤٩٥
٥. المتّفق والمفترق ٤٩٨
٦. المؤتلف والمختلف ٥٠١
٧. المتشابه ٥٠١
في معرفة طبقات الرواة ٥٠١
في معنى الطبقة ٥٠٢
في معرفة الموالي ٥٠٢
في معرفة الإخوة والأخوات ٥٠٣
في معرفة أوطان الرواة وبلدانهم ٥٠٥

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

يحتوي هذا الجزء من الموسوعة على خمسة مصنَّفات للشهيد الثاني (رحمه الله)، وقد حازت هذه المصنَّفات الخمسة أهمّيّة عند العلماء والمحقّقين والفقهاء، حالها حال بقيّة مصنَّفاته من حيث القيمة والجودة والشهرة والاعتبار، وهي:

١. كشف الريبة عن أحكام الغيبة، في تعريف الغيبة وذكر أقسامها وأحكامها، حقَّق فيه الأحاديث الدالّة على تحريم الغيبة، ويعدّ الكتاب من أهمّ المصنَّفات في موضوعه، وقد كان منذ زمن مرجعاً للعلماء والمحدّثين والفقهاء وغيرهم، وقد استند إليه الشيخ الأعظم الأنصاري في بحث الغيبة من كتاب المكاسب المحرّمة.

٢. التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبية المعروف بـ«أسرار الصلاة»، ذكر فيه نبذة من أسرار الصلاة وآدابها، وبحث فيه أحكام الصلاة المعنويّة كالقربة والالتفات والحضور وغيرها، وأكثر ما جاء فيه فقد وردت فيه النصوص عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

٣. مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، وسبب تأليفه ـ على ما ذكر ـ هو كثرة ما توفّي له من الأولاد الذكور، فألّفه تسليةً، وبياناً لما أعدَّ الله سبحانه من جزيل الثواب لمن صبر عند مفارقة الأحبّة والأولاد، وقد جمع فيه جملة من الآثار النبويّة وأحوال أهل الكمالات المعنويّة.

٤ و ٥. البداية في علم الدراية، و شرحها الرعاية لحال البداية في علم الدراية، والمشهور أنّ أوّل من ألّف في علم الدراية من علماء الشيعة هو الشهيد الثاني، حيث كتب في علم الدراية مؤلّفات ثلاثة: أوّلها: غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدّثين، وهو أكبرها. ثانيها: البداية في علم الدراية وهو أصغرها. ثالثها: الرعاية لحال البداية في علم الدراية ؛ وهو شرح مزجي لرسالة البداية. ومن المؤسف أنّ الأوّل قد فقد ولم يصل إلينا.

وقد طبعت المصنّفات الثلاثة الأُولى محقّقة في سنة ١٤٢٢هـ ضمن المصنّفات الأربعة من قِبل مؤسّسة بوستان كتاب (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي). كما أنّ الرابعة والخامسة طبعتا معاً في سنة ١٤٢٣هـ في تلك المؤسّسة.

وقد عمدنا لإعادة النظر في تحقيق هذه المصنَّفات مجدّداً، وإصلاح ما زاغ عنه البصر في الطبعة الأُولى لأجل طباعتها ضمن موسوعة مصنَّفات الشهيد الثاني.

وإذ نثمّن جهود جميع الإخوة الأفاضل الذين قاموا بإنجاز هذا العمل بدقّة، ولم يألوا جهداً في ذلك، نسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّقنا إلى تقديم الأجود والأفضل لطلبة هذا العلم الشريف خدمةً للمذهب، وإعلاءً لراية مكتبة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

والحمد للّه أوّلاً وآخراً.

مركز إحياء التراث الإسلامي

الرسائل / ١

٢. كشف الريبة عن أحكام الغيبة

٣. التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبيّة

٤. مُسَكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد

٥. البداية في علم الدراية

٦. الرعاية لحال البداية في علم الدراية

(٢)

كشف الريبة عن أحكام الغيبة

تحقيق

غلامحسين قيصريه‌ها

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

يعدّ هذا الكتاب ـ الذي بين يديك ـ هو من أهمّ الكتب في موضوعه، إذ كان مرجعاً للفقهاء والمحدّثين وغيرهم، بل هو من أهمّ مصادر العلّامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار، المجلّد ٧٢، من كتاب العشرة، باب الغيبة، وكذلك الشيخ الأعظم الأنصاري في المكاسب المحرّمة.

وقد طبع الكتاب لأكثر من طبعة، أشهرها:

١ ـ طبع في عام ١٣٠٥ طبعة حجريّة بطهران بمعيّة كشف الفوائد وتفسير سورة الأعلى لملّا صدرا.

٢ ـ طبع في عام ١٣١٢ طبعة حجريّة بطهران.

٣ ـ طبع في عام ١٣١٣ طبعة حجريّة بطهران ضمن مجموعة الإفادات.

٤ ـ طبع في عام ١٣٢٠ طبعة حجريّة بطهران بمعيّة محاسبة النفس.

٥ ـ طبع في عام ١٣٨٢ طبعة حجريّة بالنجف الأشرف.

وكان منهجنا في تحقيق هذا المصنّف:

الأوّل: اعتمدنا في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ:

أ) مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة. وهي بخطّ المؤلّف الشهيد (قدّس الله نفسه الزكيّة) وهذه هي نسخة الأصل في تحقيق الكتاب.

جاء في آخرها:

أفردها من مواضع متعدّدة، وأماكن متبدّدة العبد الفقير إلى الله تعالى زين الدين بن عليّ بن أحمد بن تقيّ الدين صالح بن مشرف العاملي (تجاوز الله تعالى عن سيّئاته، ووفّقه لمرضاته) وفرغ من تسويدها يوم الخميس ثالث عشرين شهر صفر ختم بالخير سنة تسع وأربعين وتسعمائة من الهجرة الطاهرة، حامداً مصلّياً مسلّماً. وفرغ من هذه النسخة ١٠ ربيع الأوّل سنة ٩٤٨.

ب) مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة أيضاً.

جاء في آخرها:

قد فرغ من تسويدها يوم الخميس السادس من شهر شوّال سنة ألف وثمان على يد أقلّ عباد الله وأحوجهم إلى رحمة ربّه الغنيّ محمّد بن فتح الله بن المصطفى (عفي عنهما) بقرية آشتيان من قرى دار السلطنة قزوين.

ج) النسخة المطبوعة ضمن مجموعة تحتوي على عشر رسائل من رسائل الشهيد الثاني. طبعت على الحجر، من منشورات مكتبة بصيرتي.

واستفدنا أيضاً من النسخة المطبوعة بتحقيق السيّد عليّ الخراساني الكاظمي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٨هـ وإن كانت لا تخلو من أخطاء ربما هي مطبعيّة.

الثاني: بذلنا وسعنا لتخريج الأحاديث والروايات والآراء من مصادرها الأصليّة والإرجاع إليها. ثمّ إن لم نجد المصدر الأصلي أو لم يكن موجوداً أرجعناه إلى المصادر التي نقلت عنه مع رعاية تقدّمه على الشهيد الثاني.

نسأل الله أن يوفّقنا لطاعته، وتقديم الأفضل والأجود من علوم آل محمّدﷺ إلى شيعتهم ومحبّيهم وجميع الناس.

والحمد لله أوّلاً وأخيراً.

قم المقدّسة ـ غلام حسين قيصريه‌ها

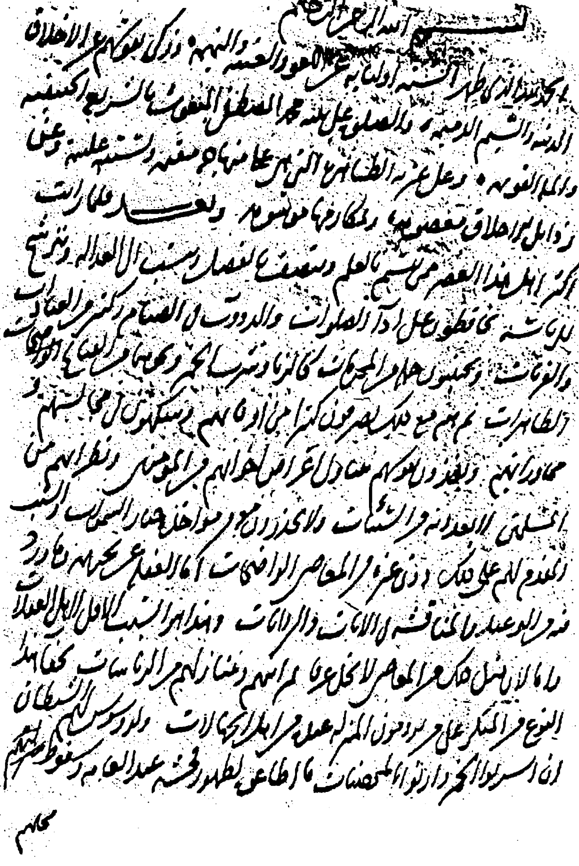
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي طهر ألسنة أوليائه عن اللغو والغيبة والنميمة وزكى نفوسهم عن الأخلاق
الدنية والشيم الردية، والصلاة على نبيه محمد المصطفى المبعوث بالشريعة [illegible]
والملة القويمة، وعلى عترته الطاهرين الذين [illegible]
وبعد فلما رأيت [illegible]
أكثر أهل هذا العصر ممن يتسم بالعلم ويتصف بالفضل وينسب إلى العدالة [illegible]

صورة الصفحة الأُولى من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة

لامرنا رحم الله عبدا احيا امرنا يا خيثمة ابلغ موالينا انا لا نغني عنهم من الله
شيئا الا بالعمل وانهم لن ينالوا ولايتنا الا بالورع وان اشد الناس حسرة يوم القيمة
من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره اكتفينا على عشر من الاسناد
عنه رضي الله عنه عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن العلاء
بن الفضيل عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان ابو جعفر عليه السلام يقول عظموا اصحابكم
ووقروهم ولا يتجهم بعضكم بعضا ولا تضاروا ولا تحاسدوا واياكم والبخل
كونوا عباد الله المخلصين وبهذا نختم الرسالة راجيا ان يتقبل
الله عز وجل بفضله العميم وكرمه [illegible] وصلى الله على محمد واله عليهم افضل الصلاة
والتسليم ان يرزقنا العمل بما اشتملت عليه من الكمال وان لا يجعل حظنا منها مجرد
المقال [illegible] انه ارحم الراحمين
واكرم الاكرمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي طهّر ألسنة أوليائه عن اللغو والغيبة والنميمة، وزكّى نفوسهم عن الأخلاق الدنيئة والشِيَم[1] الذميمة، والصلاة على نبيّه محمّد المصطفى المبعوث بالشريعة الحنيفيّة[2] والملّة القويمة، وعلى عترته الطاهرة التي هي على منهاجه مقيمة، وبسنّته عليمة، وعن رذائل الأخلاق معصومة، وبمكارمها موسومة.

وبعد، فلمّا رأيت أكثر أهل هذا العصر ممّن يتّسم[3] بالعلم، ويتّصف بالفضل، وينسب إلى العدالة، ويترشّح للرئاسة، يحافظون على أداء الصلوات، والدؤوب[4] في الصيام وكثير من العبادات والقُربات، ويجتنبون جملةً من المحرّمات كالزنى وشرب الخمر ونحوهما من القبائح الظاهرات. ثمّ هم ـ مع ذلك ـ يصرفون كثيراً من أوقاتهم، ويتفكّهون في مجالسهم ومحاوراتهم، ويغذون نفوسهم بتناول أعراض إخوانهم من

---

١. الشيمة: هي الغريزة والطبيعة والجبلّة، وهي التي خلق الإنسان عليها، والجمع الشِيَم. المصباح المنير، ص ٣٢٩، «شيم».

٢. الحنيف كأمير: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، وقال الراغب: المائل إلى الاستقامة. تاج العروس، ج ١٢، ص ١٥١، «حنف».

٣. اتّسم الرجل: إذا جعل لنفسه سمةً يعرف بها. لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٣٥، «وسم».

٤. الدأب: الجدّ والتعب والشأن والملازمة للشيء. والدؤوب: المبالغة في السير. لسان العرب، ج ١، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩، «دأب».

المؤمنين، ونُظرائهم من المسلمين، ولا يعدّونه من السيّئات، ولا يحذرون معه من مؤاخذة جبّار السماوات.

والسبب المقدم لهم على ذلك دون غيره من المعاصي الواضحات: إمّا الغفلة عن تحريمه وما ورد فيه من الوعيد، والمناقشة في الآيات والروايات، وهذا هو السبب الأقلّ لأهل الغَفَلات. وإمّا لأنّ مثل ذلك من المعاصي لا يخلّ عرفاً بمراتبهم ومنازلهم من الرئاسات؛ لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من أهل الجهالات. ولو وسوس لهم الشيطان أن اشربوا الخمر وازنوا بالمحصنات ما أطاعوه؛ لظهور فُحشه عند العامّة، وسقوط محلِّهم به لديهم، بل عند متعاطي الرذائل الفاضحات.

ولو راجعوا عقولهم، واستضاؤوا بأنوار بصائرهم لوجدوا بين المعصيتين فرقاً بعيداً وتفاوتاً شديداً، بل لا نسبة بين المستلزمة للإخلال بحقّ الله سبحانه على الخصوص، وبين ما يتعلّق مع ذلك بحقّ العبيد خصوصاً أعراضَهم، فإنّها أجلّ من أموالهم وأشرف. ومتى شرف الشيء عظم الذنبُ في انتهاكه، مع ما يستلزمه من الفساد الكلّي، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

أحببتُ[1] أن أضع في هذه الرسالة جملة من الكلام على الغيبة، وما ورد فيها من النهي في الكتاب والسنّة والأثر، ودلالة العقل عليه. وسمّيتها كشف الريبة عن أحكام الغيبة. وأتبعتها بما يليق بها من النميمة، وبعض أحكام الحسد. وختمتها بالحثّ على التواصل والتحابب والمراحمة. ورتّبتها على مقدّمةٍ وفصولٍ وخاتمةٍ:

---

١. جواب «لمّا» في قوله: «وبعد، فَلمّا رأيتُ أكثر ...».

أمّا المقَدِّمة

ففي تعريفها وجملةٍ من الترهيب منها

فنقول: الغِيبة ـ بكسر الغين، فسكون الياء المثنّاة التحتانيّة، ففتح الباء الموحّدة ـ اسم لقولك: «اغتاب فلان فلاناً» إذا وقع فيه في غَيْبَتِه، والمصدر: الاغتياب، يقال: «اغتابه اغتياباً»، والاسم: الغيبة[1].

هذا بحسب المعنى اللغوي، وأمّا في الاصطلاح فلها تعريفان:

أحدهما: مشهوري وهو ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه ممّا يعدّ نقصاناً في العرف بقصد الانتقاص والذمّ.

واحترز بالقيد الأخير ـ وهو قصد الانتقاص ـ عن ذكر العيب للطبيب مثلاً، أو لاستدعاء الرحمة من السلطان في حقّ الزَمِن والأعمى مثلاً بذكر نقصانهما. ويمكن الغناء عنه بقيد كراهية نسبته إليه.

والثاني: التنبيه على ما يكره نسبته إليه. إلى آخره، وهو أعمّ من الأوّل؛ لشمول مورده اللسان والإشارة والحكاية وغيرها، وهو أولى؛ لما سيأتي من عدم قصر الغِيبة على اللسان.

---

١. لسان العرب، ج ١، ص ٦٥٦؛ تاج العروس، ج ٣، ص ٥٠٠، «غيب».

وقد جاء على المشهور، قول النبيّ ﷺ: «هل تدرون ما الغيبة؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فقد بَهَتَّهُ»[1].

وذكر عنده ﷺ رجل فقالوا: ما أعجزَه، فقال ﷺ: «اغتبتم صاحبكم فقالوا: يا رسول الله، قلنا ما فيه، قال: إن قلتم ما ليس فيه فقد بَهَتُّمُوه»[2].

وتحريم الغيبة في الجملة إجماعي، بل هي كبيرةٌ موبقةٌ؛ للتصريح بالتوعّد عليها بالخصوص في الكتاب والسنّة، وقد نصّ الله تعالى على ذمّها في كتابه وشبّه صاحبها بآكل لحم الميتة، فقال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3].

وقال النبيّ ﷺ: «كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[4].

والغيبة تناول العِرض. وقد جمع ﷺ بينه وبين الدم والمال.

وقال: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، وكونوا عباد الله إخواناً»[5].

وعن جابر وأبي سعيد الخدري قالا: قال ﷺ: «إيّاكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزنى، إنّ الرجل قد يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه»[6].

---

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٨؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٤؛ ورواه باختلاف يسيرٍ في اللفظ في صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٠١، ح ٢٥٨٩/٧٠؛ وسنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٩، ح ٤٨٧٤.

٢. مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٩٤؛ المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ٣٩، ح ٥٧؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٥، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٤.

٣. الحجرات (٤٩): ١٢.

٤. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٥؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٦٨، ح ٢٥٦٤/٣٢؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٨٨٢؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٢٩٨، ح ٣٩٣٣؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤١.

٥ و٦. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٥؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٢٩، باب ٣٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤١.

وفي خبر معاذ الطويل المشهور عن النبيّ ﷺ: «أنّ الحفظة تصعد بعمل العبد وله نور كشعاع الشمس، حتّى إذا بلغ السماء الدنيا، والحفظة تستكثر عمله وتزكّيه، فإذا انتهى إلى الباب قال الملك الموكَّل بالباب: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربّي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى ربّي»[١].

وعن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم»[٢].

وقال البراء: خَطَبَنا رسول الله ﷺ حتّى أسمع العواتق في بيوتهن، فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عورة أخيه تتّبع الله عورته، ومن تتّبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»[٣].

وقال سليم[٤] بن جابر: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علِّمني خيراً انتفع به، قال: «لا تحقِّرنّ من المعروف شيئاً، ولو أن تصبّ من دلوك في إناء المستقي، وأن تلقى أخاك بِبِشْرٍ حَسَن، وإن أدبر فلا تغتابه»[٥].

وعن أنس قال: خَطَبَنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظّم شأنه، فقال: «إنّ الدرهم يصيبه الرجلُ من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زَنْيَةً يزنيها الرجل،

---

١. فلاح السائل، ص ١٢٣؛ عدّة الداعي، ص ٢٢٨؛ الترغيب والترهيب، ج ١، ص ٧٤، ح ٣٢ مع تفاوتٍ فيما بينها في الألفاظ.

٢. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٥؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٢٩ باب ٣٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤١.

٣. شعب الإيمان، ج ٧، ص ٥٢١، ح ١١١٩٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢؛ ورواه بسندٍ أُخر واختلاف في الألفاظ في الكافي، ج ٢، ص ٣٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم، ح ٢؛ والمحاسن، ج ١، ص ١٨٩، ح ٣١٥؛ وسنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٧٠، ح ٤٨٨٠؛ ومرسلاً في الاختصاص، ص ٢٢٥.

٤. في الأصل: سليمان، والمثبت هو الصحيح كما في الإحياء وتنبيه الخواطر.

٥. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٥٥؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

وأربى الربا عِرضُ الرجل المسلم»[١].

وقال جابر: كنّا مع رسول اللهﷺ فأتى على قبرين يعذّب صاحبهما، فقال: «إنّهما لا يعذّبان في كبيرة: أمّا أحدهما فكان يغتاب الناس، وأمّا الآخر فكان لا يتنزّه من بوله». ودعا بجريدةٍ رَطْبَةٍ أو جريدتين فكسرهما، ثمّ أمر بكلّ كسرة فغُرست على قبرٍ، وقالﷺ: «أمّا أنّه سيهوّن من عذابهما ما كانتا رَطْبتين. أو ما لم ييبسا»[٢].

وقال أنس: أمر رسول اللهﷺ الناس بصوم يوم وقال: «لا يفطرنّ أحد حتّى آذن له»، فصام الناس حتّى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فأذن لي لأفطر فيأذن له، والرجل والرجل حتّى جاء رجل فقال: يا رسول الله، فتاتان من أهلك ظلّتا صائمتين وإنّهما تستحيان أن تأتياك، فأذن لهما أن تفطرا، فأعرض عنه، ثمّ عاوده، فقال: «إنّهما لم تصوما، وكيف يصوم من ظلّ نهاره يأكل لحم الناس؟! اذهب فمُرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا»، فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا، فقاءت كلّ واحدة منهما علقة من دمٍ، فرجع إلى النبيّﷺ فأخبره، فقالﷺ: «والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار»[٣].

وفي رواية: أنّه لمّا أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول، إنّهما والله قد ماتتا، أو كادتا أن تموتا، فقالﷺ: «ائتوني بهما»، فجاءتا، فدعا بعُسّ[٤] أو قدح فقال لإحداهما: «قيئي»، فقاءت من قيح ودم وصديد حتّى ملأت القدح، وقال للأُخرى: «قيئي»، فقاءت كذلك، فقال: «إنّ هاتين صامتا عمّا أحلّ الله لهما، وأفطرتا على ما

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥٠٣، ح ٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢.
٢. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢.
٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٤، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥٠٧، ح ١٥.
٤. العُس: القدح الكبير. المعجم الوسيط، ص ٦٠٠، «عسس».

حرّم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأُخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»[١].

وروي مرفوعاً: «من أكل لحم أخيه في الدنيا قرّب إليه لحمُه في الآخرة فقيل له: كلْه ميّتاً كما أكلتَه حيّاً، فيأكله ويَضِجُّ ويكلَح[٢]»[٣].

ولمّا رجم رسول الله ﷺ ماعزاً في الزنى، قال رجل لصاحبه: هذا أقعص[٤] كما يقعص الكلب، فمرّ النبيّ ﷺ معهما بجيفة، فقال: «انهشا منها»، فقالا: يا رسول الله، ننهش جيفة؟ فقال ﷺ: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»[٥].

وقال الصادق عليه السلام: «الغيبة حرام على كلّ مسلمٍ، وإنّها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٦].

وروى الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال، قال رسول الله ﷺ: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم في الجحيم، ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة يؤذوننا على ما بنا من الأذى؟! فرجل معلّق عليه تابوت من جمر، ورجل تجرّ أمعاؤه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه.

فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، لم يجد لها في نفسه أداءً ولا وفاءً.

ثمّ يقال للّذي تجرّ أمعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٢، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩).

٢. الكُلوح والكُلاح، بدوّ الأسنان عند العبُوس. لسان العرب، ج ٢، ص ٥٧٤، «كلح».

٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٢، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٣؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩، ح ١٧.

٤. القَعص: أن يضرب الإنسان فيموت مكانه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٨٨، «قعص».

٥. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

٦. مصباح الشريعة، ص ٣٠٩.

الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده.

ثمّ يقال للّذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكي، ينظر إلى كلّ كلمةٍ خبيثةٍ فيسندها ويحاكي بها.

ثمّ يقال للّذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة، ويمشي بالنميمة»[١].

وبإسناده عن النبيّ ﷺ: «من مشى في غيبة أخيه، وكشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنّم، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق[٢].

ومن اغتاب مسلماً بطل صومه، ونقض وضؤوه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلّ لما حرّم الله»[٣].

وعن أبي عبد الله ؑ قال: «قال رسول الله ﷺ: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه»[٤].

قال: «وقال رسول الله ﷺ: الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله، وما يحدث؟ قال: الاغتياب»[٥].

وروى ابن أبي عمير، عن أبي عبد الله ؑ قال: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»[٦].

---

١. الأمالي، الصدوق، ص ٤٦٥، المجلس ٨٥، ح ٢٠؛ عقاب الأعمال، ص ٢٩٥، عقاب من مات وفي عنقه أموال الناس و...؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨، ح ١٥.

٢. عقاب الأعمال، ص ٣٤٠، باب يجمع عقوبات الأعمال.

٣. عقاب الأعمال، ص ٣٣٥، باب يجمع عقوبات الأعمال.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧، باب الغيبة والبهت، ح ١.

٥. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، باب الغيبة والبهت، ذيل الحديث ١؛ الأمالي، الصدوق، ص ٣٤٢، المجلس ٦٥، ح ١١.

٦. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، باب الغيبة والبهت، ح ٢؛ الأمالي، الصدوق، ص ٢٧٦، المجلس ٥٤، ح ١٦؛ والآية في النور (٢٤): ١٩.

وعن المفضّل بن عمر قال، قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شَيْنه، وهدم مروّته؛ ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[١].

وأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران: «من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنّة، ومن مات مصرّاً عليها فهو أوّل من يدخل النار»[٢].

وروي: «أنّ عيسى عليه السلام مرّ والحواريون على جيفةِ كلبٍ، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا! فقال عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه!»[٣].

كأنّه ينهاهم عن غيبة الكلب، وينبّههم على أنّه لا يذكر من خلق الله إلّا أحسنه.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٤]، الهمزة: الطعّان في الناس، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس[٥].

(وقال الحسن: والله، للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الآكلة في جسده[٦])[٧].

وقال بعضهم:

أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم، ولا في الصلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض الناس[٨].

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٨، باب الرواية على المؤمن، ح ١؛ الأمالي، الصدوق، ص ٣٩٣، المجلس ٧٣، ح ١٧؛ عقاب الأعمال، ص ٢٨٧، ح ١.
٢. مصباح الشريعة، ص ٣٠٩؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٢.
٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٧؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٣.
٤. الهمزة (١٠٤): ١.
٥. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٣؛ الدرّ المنثور، ج ٨، ص ٦٢٤، ذيل الآية ١ من الهمزة (١٠٤).
٦. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٣.
٧. ما بين القوسين زيادة من غير «أ».
٨. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٣؛ وقريب منه في تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٦.

واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمر الغيبة، وجعلها أكبر من كثير من المعاصي الكبيرة، هو اشتمالها على المفاسد الكلّيّة المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقي المعاصي فإنّها مستلزمة لمفاسد جزئيّة.

بيان ذلك: أنّ المقاصد المهمّة للشارع اجتماع النفوس على همّ واحد وطريقة واحدة، وهي سلوك سبيل الله تعالى بسائر وجوه الأوامر والنواهي، ولا يتمّ ذلك إلّا بالتعاون والتعاضد بين أبناء النوع الإنساني، وذلك يتوقّف على اجتماع هممهم، وتصافي بواطنهم، واجتماعهم على الأُلفة والمحبّة حتّى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه، ولن يتمّ ذلك إلّا بنفي الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه. وكانت الغيبة من كلّ منهم لأخيه مثيرةً لِضغْنه، ومستدعية منه بمثلها في حقّه، لا جرم كانت ضد المقصود الكلّي للشارع، فكانت مفسدة كلّيّة؛ فلذلك أكثر الله و رسولهُ من النهي عنها، والوعيد عليها، وبالله التوفيق.

وحيث أتينا على ما يحتاج إليه من المقدّمة، فلنشرع في الفصول:

الفصل الأوّل

في أقسامها

لمّا عرفت أنّ المراد منها ذكر أخيك بما يكرهه لو بلغه، أو الإعلام به، أو التنبيه عليه؛ كان ذلك شاملاً لما يتعلّق بنقصان في بدنه، أو نَسَبه، أو خُلقه، أو فعله، أو قوله، أو دينه، أو دنياه حتّى في ثوبه وداره ودابّته. وقد أشار الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله: «وجوه الغيبة تقع بذكر عيب في الخلق، والفعل، والمعاملة، والمذهب، والجهل، وأشباهه»[1]. فالبدن، كذكرك فيه العَمَش[2]، والحَوَل، والعور، والقَرَع، والقصر، والطول، والسواد، والصُفرة، وجميع ما يتصوّر أن يوصف به ممّا يكرهه.

وأمّا النسب، فأن تقول: أبوه فاسق، أو خبيث، أو خسيس، أو إسكاف، أو حائك، أو نحو ذلك ممّا يكرهه كيف كان.

وأمّا الخُلق، بأن تقول: إنّه سيّء الخُلق، بخيل، متكبّر، مراءٍ، شديد الغضب، جبان، ضعيف القلب، ونحو ذلك.

---

١. مصباح الشريعة، ص ٣٠٩، باب الغيبة. لفظ الحديث في المصدر هكذا: «ووجوه الغيبة تقع بذكر عيبٍ في الخَلْق والخُلق، والفعل و...».

٢. عَمِشَتِ العين عَمَشاً، من باب تَعِبَ: سال دمعها في أكثر الأوقات مع ضعف البصر، فالرجل أعمش، والأُنثى عمشاء. المصباح المنير، ص ٤٢٩، «عمش».

وأمّا في أفعاله المتعلّقة بالدين، كقولك: سارق، كذّاب، شارب الخمر، خائن، ظالم، متهاون بالصلاة، لا يحسن الركوع والسجود، لا يحترز من النجاسات، ليس بارّاً بوالديه، لا يحرس نفسه من الغيبة والتعرّض لأعراض الناس.

وأمّا فعله المتعلّق بالدنيا، كقولك: قليل الأدب، متهاون بالناس، لا يرى لأحدٍ عليه حقّاً، كثير الكلام، كثير الأكل، نؤوم، يجلس في غير موضعه، ونحو ذلك.

وأمّا في ثوبه، كقولك: إنّه واسع الكُمّ، طويل الذيل، وَسِخ الثياب، ونحو ذلك.

واعلم أنّ ذلك لا يقصر على اللسان، بل التلفّظ به إنّما حرّم؛ لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك، وتعريفه بما يكرهه، فالتعريضُ به كالتصريح، والفعل فيه كالقول والإشارة والرمز والإيماء والغمز[1] واللمز[2] والكَتْبة والحركة، وكلّ ما يُفهِم المقصود داخل في الغِيبة، مساوٍ للّسان في المعنى الذي حرّم التلفّظ به لأجله.

ومن ذلك: ما روي عن عائشة، أنّها قالت: دخلت علينا امرأة فلمّا ولّت أومأتُ بيدي، أي قصيرة، فقالﷺ: «اغتبتها»[3].

ومن ذلك: المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي، فهو غيبة، بل أشدّ من الغيبة؛ لأنّه أعظم في التصوير والتفهيم، وكذلك الغِيبة بالكتاب، فإنّ الكتاب ـ كما قيل ـ أحد اللسانين.

ومن ذلك: ذكر المصنّف شخصاً معيّناً، وتهجين كلامه في الكتاب، إلّا أن يقترن به شيءٌ من الأعذار المُحوِجة إلى ذكره كمسائل الاجتهاد التي لا يتمّ الغرض من الفتوى وإقامة الدليل على المطلوب إلّا بتزييف كلام الغير، ونحو ذلك. ويجب الاقتصار على ما تندفع به الحاجة في ذلك.

---

١. الغمز: الإشارة بالعين والحاجب والجفن. لسان العرب، ج ٥، ص ٣٨٨، «غمز».

٢. اللمز: العيب في الوجه. وقال الفرّاء: الهَمْزُ واللَّمْزُ والمَرْزُ واللَّقسُ والنَّقْسُ: العيب. وأصله الإشارة بالعين ونحوها، كالرأس والشفة مع كلام خفيّ. تاج العروس، ج ١٥، ص ٣٢١، «لمز».

٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٨؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٥، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩).

وليس منه قوله: «قال قوم كذا» ما لم يصرّح بشخص معيّن.

ومنها: أن يقول الإنسان: «بعض من مرّ بنا اليوم» أو «بعض من رأيناه حاله كذا» إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيّناً؛ لأنّ المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم، فأمّا إذا لم يفهم عنه جاز. كان رسول اللهﷺ إذا كره من إنسان شيئاً، قال: «ما بال أقوامٍ يفعلون كذا وكذا!»[1] ولا يعيّن.

ومن أخبث أنواع الغيبة غيبة المتّسمين بالفهم والعلم المرائين، فإنّهم يُفْهِمون المقصود على أهل الصلاح والتقوى؛ ليُظهروا من أنفسهم التعفّف عن الغيبة، ويفهمون المقصودَ، ولا يدرون ـ لجهلهم ـ أنّهم جمعوا بين فاحشتين: الرياء، والغيبة.

وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان، فيقول: «الحمد للّه الذي لم يبتلنا بحبّ الرئاسة، أو بحبّ الدنيا، أو بالتكيّف بالكيفيّة الفلانيّة»، أو يقول: «نعوذ بالله من قلّة الحياء، أو سوء التوفيق، أو نسأل الله أن يعصمنا من كذا»، بل مجرّد الحمد على شيء إذا علم منه اتّصاف المحدّث عنه بما ينافيه ونحو ذلك؛ فإنّه يغتابه بلفظ الدعاء، وسِمَةِ أهل الصلاح، وإنّما قصده أن يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء، ودعوى الخلاص من الرذائل، وهو عنوان الوقوع فيها، بل في أفحشها.

ومن ذلك أنّه قد يقدِّم مدحَ من يريد غيبته، فيقول: «ما أحسن أحوال فلان! ما كان يقصر في العبادات، ولكن قد اعتراه فتور، وابتلى بما يبتلى به كُلّنا، وهو قلّة الصبر»، فيذكر نفسه بالذمّ، ومقصوده أن يذمّ غيره وأن يمدح نفسه بالتشبّه بالصالحين في ذمّ أنفسهم، فيكون مغتاباً، مرائياً، مزكّياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش، وهو يظنّ بجهالته أنّه من الصالحين المتعفّفين عن الغيبة.

هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعلم أو العمل من غير أن يتقنوا

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٥؛ وقريب منه في سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٥٠، ح ٤٧٨٨.

الطريق، فيتعبهم، ويحبط بمكائده عملهم، ويضحك عليهم، ويسخر بهم.

ومن ذلك أن يذكر ذاكر عيب إنسان، فلا ينتبه له بعض الحاضرين، فيقول: «سبحان الله ما أعجب هذا!» حتّى يصغي الغافل إلى المغتاب، ويعلم ما يقول، فيذكر الله سبحانه، ويستعمل اسمه في تحقيق خبثه وباطله، وهو يمنّ على الله بذكره جهلاً وغروراً.

ومن ذلك أن يقول: «جرى من فلان كذا»، أو «ابتلي بكذا»، بل يقول: «جرى لصاحبنا ـ أو صديقنا ـ كذا تاب الله علينا وعليه»، يظهر الدعاء له، والتألّم والصداقة والصحبة، والله مطّلع على خبث سريرته وفساد ضميره، وهو بجهله لا يدري أنّه قد تعرّض لمقتٍ أعظم ممّا يتعرّض له الجُهّال إذا جاهروا بالغيبة.

ومن أقسامها الخفيّة الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجّب، فإنّه إنّما يُظهر التعجّب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيزيد فيها، فكأنّه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق، فيقول: «عجبت ممّا ذكرته، ما كنت أعلم بذلك إلى الآن، ما كنت أعرف من فلان ذلك»، يريد بذلك تصديق المغتاب واستدعاء الزيادة منه باللطف، والتصديق بها غيبة، بل الإصغاء إليها، بل السكوت عند سماعها.

قال رسول الله ﷺ: «المستمع أحد المغتابين»[1]. وقال عليّ ؑ: «السامع للغيبة أحد المغتابين»[2]. ومراده ؑ السامع على قصد الرضى والإيثار لا على وجه الاتّفاق، أو مع القدرة على الإنكار ولم يفعل.

ووجه كون المستمع والسامع على ذلك الوجه مغتابين، مشاركتهما للمغتاب في الرضى، وتكيّف ذهنهما بالتصوّرات المذمومة التي لا تنبغي، وإن اختلفا في أنّ أحدهما قائل والآخر قابل، لكن كلّ واحد منهما صاحب آلة. أمّا أحدهما، فذو لسان يعبّر عن

---

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٦.

٢. شرح غرر الحكم، ج ٢، ص ١٢، ح ١٦٠٧.

نفس قد تنجّست بتصور الكذب والحرام والعزم عليه، وأمّا الآخر فذو سمع تقبل عنه النفس تلك الآثار عن إيثارٍ وسوء اختيار تتألّفها وتعتادها، فيتمكّن من جوهرها سموم عقارب الباطل، ومن ذلك قيل: السامع شريك القائل[١].

وقد تقدّم في الخبر السالف ما يدلّ عليه حيث قالﷺ للرجلين اللذين قال أحدهما: أقعص كما يقعص الكلب: «انهشا من هذه الجيفة». فجمع بينهما، مع أنّ أحدهما قائل والآخر سامع، فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلّا بأن يُنكر بلسانه، فإن خاف فبقلبه. وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه. ولو قال بلسانه: «اسكت» وهو يشتهي ذلك بقلبه فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة لا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه.

وقد روي عن النبيّﷺ، أنّه قال: «من أُذلّ عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره، أذلّه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»[٢].

وعن أبي الدرداء قال، قال رسول اللهﷺ: «من ردّ عن عِرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله تعالى أن يردّ عن عِرضه يوم القيامة»[٣].

وقال أيضاً: «من ردّ عن عِرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يعتقه من النار»[٤].

وروى الصدوق بإسناده إلى رسول اللهﷺ أنّه قال: «من تطوّل على أخيه في غيبة سمعها منه في مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا والآخرة، وإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوِزر من اغتابه سبعين مرّة»[٥].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٥ ـ ١٤٦؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٩: «والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب».
٢. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٦.
٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٦.
٤. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١١٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٦؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥١٦ ـ ٥١٧، ح ٣٦.
٥. الفقيه، ج ٤، ص ١٥، ح ٤٩٧١؛ الأمالي، الصدوق، ص ٣٥٠، المجلس ٦٦، ح ١.

وبإسناده إلى الباقر عليه السلام أنّه قال: «من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه خفضه الله في الدنيا والآخرة»[١].

واعلم أنّه كما يحرم على الإنسان سوء القول في المؤمن، وأن يحدّث غيره بلسانه بمساوئ الغير، كذلك يحرم عليه سوء الظن، وأن يحدّث نفسه بذلك. والمراد بسوء الظنّ المحرّم: عقد القلب، وحكمه عليه بالسوء من غير يقين به.

فأمّا الخواطر وحديث النفس فهو معفوّ عنه، كما أنّ الشكّ أيضاً معفوّ عنه. قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢]. فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً، إلّا إذا انكشف لك بعَيانٍ لا يحتمل التأويل، وما لم تعلمه ثمّ وقع في قلبك فالشيطان يُلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه، فإنّه أفسق الفسّاق، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾[٣]. فلا يجوز تصديق إبليس.

ومن هنا جاء في الشرع: أنّ من علمت في فيه رائحة الخمر لا يجوز أن تحكم عليه بشربها، ولا تحدّه عليه؛ لإمكان أن يكون تمضمض به ومجّه، أو حمل عليه قهراً، وذلك أمر ممكن، فلا يجوز إساءة الظنّ بالمسلم، وقد قال صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالى حرّم من المسلم دمه، وماله، وأن يظنّ به ظنّ السوء»[٤].

فلا يستباح ظنّ السوء إلّا بما يستباح به الدم والمال، وهو تيقّن مشاهدة، أو بيّنة عادلة، أو ما جرى مجراهما من الأُمور المفيدة لليقين، أو الثبوت الشرعي.

---

١. ثواب الأعمال، ص ١٧٧ ـ ١٧٨، ح ٢؛ عقاب الأعمال، ص ٢٩٩، ح ١.

٢. الحجرات (٤٩): ١٢.

٣. الحجرات (٤٩): ٦.

٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥١؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٥٢.

وعن أبي عبد الله ﷺ: «إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه، كما ينماث الملح في الماء»[١].

وعنه ﷺ: «من اتّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما»[٢].

وعنه ﷺ قال: «قال أمير المؤمنين ﷺ في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»[٣].

وطريق معرفة ما يخطر في القلب من ذلك ـ هل هو ظنّ سوء، أو اختلاج وشكّ ـ أن تختبر نفسك، فإن كانت قد تغيّرت، ونفر قلبك عنه نفوراً واستثقله، وفتر عن مراعاته، وتفقّدِه، وإكرامه، والاهتمام بحاله، والاغتمام بسببه غير ما كان أوّلاً، فهو أمارة عقد الظنّ. وقد قال ﷺ: «ثلاثة في المؤمن له منهنّ مخرج، فمخرجه من سوء الظنّ أن لا يحقّقه»[٤].

أي لا يحقّق في نفسه بعقد ولا فعل، لا في القلب ولا في الجوارح، أمّا في القلب فبتغيّره إلى النفرة والكراهة، وفي الجوارح بالعمل بموجبه.

والذي ينبغي فعله عند خطور خاطر سوء على مؤمن، أن يزيد في مراعاته ويدعو له بالخير؛ فإنّ ذلك يقنط الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك بعد ذلك خاطر سوء خيفةً من اشتغالك بالدعاء والمراعاة، وهو ضدّ مقصوده.

ومهما عرفت هفوة من مؤمن فانصحه في السرّ، ولا يخدعنّك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه. وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطّلاعك على نقصه؛ لينظر إليك بعين

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٦١، باب التهمة وسوء الظنّ، ح ١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٣٦١، باب التهمة وسوء الظنّ، ح ٢.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٦٢، باب التهمة وسوء الظنّ، ح ٣.

٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥١.

التعظيم، وتنظر إليه بعين الاستصغار، وترتفع عنه بدالّة[1] الوعظ، بل يكن قصدك تخليصه من الإثم، وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان، وينبغي أن تخطر بقلبك أنّ تركه ذلك من غير نصيحتك أحبّ إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ، وأجر الغمّ بمصيبته، وأجر الإعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظنّ التجسّس، فإنّ القلب لا يقنع بالظنّ ويطلب التحقيق، فيشتغل بالتجسّس، وهو أيضاً منهيّ عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[2]، وقد نهى الله سبحانه في هذه الآية الواحدة عن الغيبة وسوء الظنّ والتجسّس.

ومعنى التجسّس: أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله تعالى، فتتوصّل إلى الاطّلاع وهتك الستر حتّى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان أسلم لقلبك ولدينك، فتدبّر ذلك راشداً، وبالله التوفيق.

١. يقال هي تَدِلُّ أي تجترئ عليه. لسان العرب، ج ١١، ص ٢٤٧، «دلل».
٢. الحجرات (٤٩): ١٢.

الفصل الثاني

في العلاج الذي يمنع الإنسان عن الغيبَة

اعلم أنّ مساوئ الأخلاق كلّها، إنّما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنّما تعالج كلّ علّة بمضادّ سببها؛ فلنبحث عن سبب الغيبة أوّلاً، ثمّ نذكر علاج كفّ اللسان عنها على وجه يناسب علاج تلك الأسباب، فنقول:

جملة ما ذكروه من الأسباب الباعثة على الغيبة عشرة أشياء، قد نبّه الصادق عليها إجمالاً بقوله: «أصل الغيبة يتنوّع بعشرة أنواع: شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشفه، وتهمة، وسوء ظنّ، وحسد، وسُخرية، وتعجّب، وتبرّم، وتزيّن»[1].

ونحن نشير إليها مفصّلة:

الأوّل: تشفّي الغيظ، وذلك إذا جرى سببٌ غضب به عليه، فإذا هاج غضبه تشفّى بذكر مساوئه، وسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن دين وازع[2]. وقد يمتنع من تشفّي الغيظ عند الغضب، فيحتقن الغضب في الباطن، ويصير حقداً ثابتاً، ويكون سبباً دائماً لذكر المساوئ، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

---

١. مصباح الشريعة، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠. في المصدر: «ومساءة قوم» بدل «ومساعدة قوم».

٢. وزع الإنسانَ وغيره: كفّه ومنعه وحبسه وزجره ونهاه. المعجم الوسيط، ص ١٠٢٨، «وزع».

الثاني: موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء، ومساعدتهم على الكلام، فإنّهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض، فيرى أنّه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة، ويظنّ أنّه مجاملة في الصحبة. وقد يغضب رفقاؤه، فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السرّاء والضرّاء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوئ.

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده، ويطول لسانه فيه، ويقبّح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة، فيبادره قبل ذلك ويطعن فيه؛ ليسقط أثر شهادته وفعله. أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً؛ ليكذب عليه بعده، فيروّج كذبه بالصدق الأوّل، ويستشهد به، ويقول: «ما من عادتي الكذب، فإنّي أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت».

الرابع: أن يُنسبَ إلى شيء فيريد أن يتبرّأ منه، فيذكر الذي فعله، وكان من حقّه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله، ولا ينسب غيره إليه، أو يذكر غيره بأنّه كان مشاركاً له في الفعل؛ ليمهّد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنّع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: «فلان جاهل، وفهمه ركيك، وكلامه ضعيف»، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه، ويريهم أنّه أفضل منه، أو يحذر أن يعظّم مثل تعظيمه، فيقدح فيه لذلك.

السادس: الحسد، وهو أنّه ربما يحسد من يثني الناس عليه، يحبّونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه، ولا يجد سبيلاً إليه إلّا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتّى يكفّوا عن إكرامه والثناء عليه؛ لأنّه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له، وهذا هو الحسد، وهو عين الغضب والحقد. والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة، وتزجية الوقت بالضحك، فيذكر غيره بما يضحك

الناس على سبيل المحاكاة والتعجّب والتعجيب.

الثامن: السخريّة والاستهزاء استحقاراً له، فإنّ ذلك قد يجري في الحضور، فيجري أيضاً في الغيبة. ومنشؤه التكبّر، واستصغار المستهزأ به.

التاسع: وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواصّ وأهل الحذر من مزالّ اللسان، وهو أن يغتمّ بسبب ما يُبتَلَى به أحد، فيقول: «يا مسكين فلان قد غمّني أمره، وما ابتُلِي به»، ويذكر سبب الغمّ، فيكون صادقاً في اغتمامه، ويلهيه الغمّ عن الحذر عن ذكر اسمه، فيذكره بما يكرهه، فيصير به مغتاباً، فيكون غمّه ورحمته خيراً، ولكنّه ساقه إلى شرّ من حيث لا يدري. والترحّم والتغمّم ممكن من دون ذكر اسمه ونسبته إلى ما يكره، فيهيّجه الشيطان على ذكر اسمه؛ ليبطل به ثواب اغتمامه وترحّمه.

العاشر: الغضب للّه تعالى، فإنّه قد يغضب على منكر قارفه إنسان، فيظهر غضبه ويذكر اسمه على غير وجه النهي عن المنكر، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه على ذلك الوجه خاصّة. وهذا ممّا يقع فيه الخواصّ أيضاً، فإنّهم يظنّون أنّ الغضب إذا كان للّه تعالى كان عذراً كيف كان، وليس كذلك.

إذا عرفت هذه الوجوه التي هي أسباب الغيبة، فاعلم أنّ الطريق في علاج كفّ اللسان عن الغيبة يقع على وجهين: أحدهما: على الجملة، والآخر: على التفصيل.

أمّا على الجملة: فهو أن يعلم تعرّضَه لسخط الله تعالى بغيبته، كما قد سمعته في الأخبار المتقدّمة. وأن يعلم أنّها تحبط حسناته، فإنّها تنقل في القيامة حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما أخذ من عِرضه، فإن لم يكن له حسنات نقل إليه من سيّئاته، وهو مع ذلك متعرّض لمقت الله تعالى، ومشبّه عنده بآكل الميتة. وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ما النار في اليَبْس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد»[١].

وروي أنّ رجلاً قال لبعض الفضلاء: «بلغني أنّك تغتابني ـ فقال: ـ ما بلغ من قدرك

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٨.

عندي أن أُحكِّمك في حسناتي»[1].

فمهما آمن العبد بما وردت به الأخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة، خوفاً من ذلك.

وينفعه أيضاً أن يتدبّر في نفسه، فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه، وذكر قوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[2].

ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويذمّ غيره، بل ينبغي أن يعلم أنّ عجز غيره عن نفسه في التنزّه عن ذلك العيب، كعجزه إن كان ذلك عيباً يتعلّق بفعله واختياره، وإن كان أمراً خلقياً فالذمّ له ذمّ للخالق، فإنّ من ذمّ صنعة فقد ذمّ الصانع. قال رجل لبعض الحكماء: «يا قبيح الوجه ـ فقال: ـ ما كان خلق وجهي إليّ فأُحسِّنه»[3].

وإن لم يجد عيباً في نفسه فليشكر الله، ولا يلوثنّ نفسه بأعظم العيوب، فإنّ ثَلْبَ الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب، فيصير حينئذٍ ذا عيوب، بل لو أنصف من نفسه لعلم أنّ ظنّه بنفسه أنّه بريء من كلّ عيب جهل بنفسه، وهو من أعظم العيوب.

وينفعه أن يعلم أنّ تألّم غيره بغيبته كتألّمه بغيبة غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه، فهذه معالجات جُمليّة.

فأمّا التفصيل: فهو أن ينظر إلى السبب الباعث له على الغيبة ويعالجه، فإنّ علاج العلّة بقطع سببها. وقد عرفت الأسباب الباعثة:

أمّا الغضب: فتعالجه بأن تقول: إن أمضيت غضبي عليه لعلّ الله يمضي غضبه عليّ بسبب الغيبة؛ إذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره. وقد قال ﷺ: «إنّ

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٨.

٢. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢٠؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٣٠، الباب ٣٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٨؛ وعن عليّ ؑ في نهج البلاغة، ص ٣٤٠، الخطبة ١٧٦.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٨.

لجهنّم باباً لا يدخلها إلّا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى»[١].

وقال ﷺ: «من اتّقى ربّه كَلَّ لسانه، ولم يشف غيظه»[٢].

وقال ﷺ: «من كظم غيظاً، وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتّى يخيّره في أيّ الحور شاء»[٣].

وفي بعض كتب الله تعالى: «يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق»[٤].

وأمّا الموافقة: فبأن تعلم أنّ الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين، فكيف ترضى لنفسك أن توقّر غيرك وتحقّر مولاك، فتترك رضاه لرضاهم، إلّا أن يكون غضبك للّه تعالى؟ وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء، بل ينبغي أن تغضب للّه أيضاً على رفقائك إذ ذكروه بالسوء، فإنّهم عصوا ربّك بأفحش الذنوب، وهو الغيبة.

وأمّا تنزيه النفس ـ بنسبة الخيانة إلى الغير حيث يُستغنى عن ذكر الغير ـ: فتعالجه بأن تعرف أنّ التعرّض لمقت الخالق أشدّ من التعرّض لمقت الخلق، وأنت بالغيبة متعرّض لسخط الله تعالى يقيناً، ولا تدري أنّك تتخلّص من سخط الناس أم لا، فتخلّص نفسك في الدنيا بالتوهّم، وتهلك في الآخرة، أو تخسر حسناتك بالحقيقة، وتحصّل ذمّ الله تعالى لك نقداً، وتنتظر دفع ذمّ الخلق نسيئةً، وهذا غاية الجهل والخذلان.

وأمّا عذرك ـ كقولك: «إنّي إن أكلت الحرام ففلان يأكل، وإن فعلت كذا ففلان

---

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢١؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٣٠، الباب ٣٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٩.
٢. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢١؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٩.
٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢١؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٣٧٢، ح ٢٠٢١؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٤٨، ح ٤٧٧٧؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٤٠٠، ح ٤١٨٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٩.
٤. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢١؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٣١، الباب ٣٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٤٩.

يفعل، وإن قصّرت في كذا من الطاعة ففلان مقصّر» ونحو ذلك ـ: فهذا جهل؛ لأنّك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، فإنّه من خالف أمر الله لا يُقتدى به، كائناً من كان. ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه، ولو وافقته سفه عقلك. فما ذكرته غيبة وزيادة معصيةٍ أضفتها إلى ما اعتذرت عنه، وسجّلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك، وكنت كالشاة تنظر إلى العنز تردّي نفسها من الجبل، فهي أيضاً تردّي نفسها، ولو كان لها لسان وصرحتْ بالعذر، وقالت: «العنز أكيس مني، وقد أهلك نفسه فكذلك أفعل» لكنت تضحك من جهلها، وحالك مثل حالها، ثمّ لا تتعجّب ولا تضحك من نفسك.

وأمّا قصدك المباهاة ـ وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك ـ: فينبغي أن تعلم أنّك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى، وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر. وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثَلْب الناس، فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوق وهماً، ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً.

وأمّا الغيبة للحسد: فهو جمع بين عذابين؛ لأنّك حسدته على نعمة الدنيا، وكنت معذّباً بالحسد، فما قنعت بذلك حتّى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً في الدنيا، فجعلت نفسك خاسرة في الآخرة؛ لتجمع بين النكالين، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك، وأهديت إليه حسنتك، فإذن أنت صديقه، وعدوّ نفسك؛ إذ لا تضرّه غيبتك، وتضرّك وتنفعه؛ إذ تنقل إليه حسنتك أو تنقل إليك سيّئته ولا ينفعك، فقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة. وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك، فقد قيل:

وإذا أراد اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ[١]

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٠.

وأمّا الاستهزاء: فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة، فلو تفكّرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيّئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منه، فأنت سخرت به عند نفر قليل، وعرّضت نفسك لأن يأخذ بيدك في القيامة على ملإ من الناس، ويسوقك تحت سيّئاته ـ كما يساق الحمار ـ إلى النار، مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك، ومسروراً بنصرة الله تعالى إيّاه وتسليطه على الانتقام.

وأمّا الرحمة له على إثمه: فهو حسن، ولكن حسدك إبليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جبراً لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً، وتنقلب أنت مستحقّاً لأن تكون مرحوماً؛ إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك.

وكذلك **الغضب للّه تعالى** لا يوجب الغيبة، فإنّما حبّب الشيطان إليك الغيبة؛ ليحبط أجر غضبك، وتصير معرضاً لغضب الله تعالى بالغيبة.

وبالجملة، فعلاج جميع ذلك المعرفة، والتحقّق بهذه الأُمور التي هي من أبواب الإيمان، فمن قوّى إيمانه بجميع ذلك انكفّ عن الغيبة لا محالة.

الفصل الثالث

في الأعذار المرخّصة في الغيبة

اعلم أنّ المرخّص في ذكر مساءة الغير، هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصّل إليه إلّا به، فيدفع ذلك إثم الغيبة. وقد حصروها في عشرة:

الأوّل: التظلّم، فإنّ من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً، أمّا المظلوم من جهة القاضي، فله أن يتظلّم إلى من يرجو منه إزالة ظلمه، وينسب القاضي إلى الظلم؛ إذ لا يمكنه استيفاء حقّه إلّا به. وقد قال ﷺ: «لصاحب الحقّ مقال»[1].

وقال ﷺ: «مطْل الغنيّ ظلم»[2].

وقال ﷺ: «مَطْل الواجد يُحلُّ عِرضَه وعقوبتَه»[3].

---

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٠٩، ح ٢١٨٣؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٦٠٨، ح ١٣١٧؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٢.

٢. الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٠، ح ٥٨٢٢؛ صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٩٩، ح ٢١٦٦ و٢١٦٧ وص ٨٤٥، ح ٢٢٧٠؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٨٠٣، ح ٢٤٠٣ و٢٤٠٤؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٦٠٠ ـ ٦٠١، ح ١٣٠٨ و١٣٠٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٢.

٣. الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٢٠، المجلس ١٨، ح ١١٤٦/٥٣؛ صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٤٥، ذيل الحديث ٢٢٧٠؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٨١١، ح ٢٤٢٧؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٢. في جميع المصادر: «لَيُّ الواجد» بدل «مطْل الواجد».

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى منهج الصلاح. ومرجع الأمر في هذا إلى القصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء، كما تقول للمفتي: «قد ظلمني أبي أو أخي، فكيف طريقي في الخلاص؟». والأسلم هنا التعريض بأن يقول: «ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه؟». وقد روي أنّ هنداً قالت للنبيّﷺ: إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، أفآخذ من غير علمه؟ فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[١]، فذكرت الشحَّ والظلم لها وولدها، ولم يزجرها رسول اللهﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشرّ، ونُصْح المستشير، فإذا رأيت متفقّهاً يتلبّس بما ليس من أهله فلك أن تُنبّه الناس على نقصه، وقصوره عمّا يؤهّل نفسه له، وتُنبّههم على الخطر اللاحق لهم بالانقياد إليه.

وكذلك إذا رأيت رجلاً يتردّد إلى فاسق يخفي أمره، وخفتَ عليه من الوقوع بسبب الصحبة فيما لا يوافق الشرع، فلك أن تُنبّهه على فسقه مهما كان الباعث لك الخوف على إفشاء البدعة، وسراية الفسق، وذلك موضع الغرور، والخديعة من الشيطان؛ إذ قد يكون الباعث لك على ذلك هو الحسد له على تلك المنزلة، فيلْبس عليك الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق.

وكذلك إذا رأيت رجلاً يشتري مملوكاً، وقد عرفت المملوك بعيوب منقصة فلك أن تذكرها للمشتري، فإنّ في سكوتك ضرراً للمشتري، وفي ذكرك ضرراً للعبد، لكن المشتري أولى بالمراعاة. ولتقتصر علىالعيب المنوط به ذلك الأمر، فلاتذكر في عيب التزويج ما يخلّ بالشركة أو المضاربة أو السفر مثلاً، بل تذكر في كلّ أمر ما يتعلّق بذلك الأمر ولا تجاوزه قاصداً نُصْح المستشير لا الوقيعة. ولو عُلم أنّه يترك التزويج

---

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٦٩ ـ ٧٧٠، ح ٢٠٩٧؛ وج ٦، ص ٢٦٢٦ ح ٦٧٥٨؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٧٦٩، ح ٢٢٩٣؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٢.

بمجرد قوله: «لا يصلح لك» فهو الواجب، فإن علم أنّه لا ينزجر إلّا بالتصريح بعيبه فله أن يصرّح به. قال النبيّ ﷺ: «أترعون عن ذكر الفاجر حتّى يعرفه الناس؟ اذكروه بما فيه يحذره[١] الناس»[٢].

وقال ﷺ لفاطمة بنت قيس لمّا شاورته في خُطّابها: «أمّا معاوية فرجل صُعْلُوك[٣] لا مال له، وأمّا أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه»[٤].

الخامس: الجرح والتعديل للشاهد والراوي، ومن ثَمَّ وضع العلماء كتب الرجال، وقسّموهم إلى الثقات والمجروحين، وذكروا أسباب الجرح غالباً. ويشترط إخلاص النصيحة في ذلك كما مرّ، بأن يقصد في ذلك حفظ أموال المسلمين، وضبط السنّة، وحمايتها عن الكذب، ولا يكون حامله العداوة والتعصّب، وليس له إلّا ذكر ما يخلّ بالشهادة والرواية منه، ولا يتعرّض لغير ذلك، مثل كونه ابن ملاعنة، أو شبهة، اللهمّ إلّا أن يكون متظاهراً بالمعصية، كما سيأتي.

السادس: أن يكون المقول فيه مستحقّاً لذلك؛ لتظاهره بسببه كالفاسق المتظاهر بفسقه، بحيث لا يستنكف من أن يذكر بذلك الفعل الذي يرتكبه، فيذكر بما هو فيه، لا بغيره. قال رسول الله ﷺ: «من ألقى جِلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له»[٥].

وظاهر الخبر جواز غيبته وإن استنكف من ذكر ذلك الذنب.

وفي جواز اغتياب مطلق الفاسق، احتمال ناشئ من قوله ﷺ: «لا غيبة لفاسق»[٦].

---

١. في الأصل: «يعرفه» والمثبت مطابق للمصادر.

٢. الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٧، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٣.

٣. الصُعْلُوك: الفقير. المعجم الوسيط، ص ٥١٥، «صعلك».

٤. صحيح مسلم، ج ٢، ص ١١١٤، ح ٣٦/١٤٨٠؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١، ح ١١٣٤.

٥. مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١٢٩، ذيل الحديث ٣، نقلاً عن لبّ اللباب للقطب الراوندي؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٣؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٥٧٧، ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ ورواه الشيخ المفيد عن الرضا ﷺ في الاختصاص، ص ٢٤٢.

٦. شرح غرر الحكم، ج ١، ص ٢٥١، ح ١٠١٣؛ وقريب منه في الأمالي، الصدوق، ص ٤٢، المجلس ١٠، ح ٧.

وردّ بمنع أصل الحديث[١]، أو بحمله على فاسق خاصّ، أو على النـهي وإن كـان بصورة الخبر[٢]. وهذا هو الأجود، إلّا أن يتعلّق بذلك غرض ديني، ومقصد صحيح يعود على المغتاب، بأن يرجو ارتداعه عن معصيته بذلك، فيلحق بباب النهي عن المنكر.

السابع: أن يكون الإنسان معروفاً باسم يُعْرب عن عيبه، كالأعرج والأعمش، فلا إثم على من يقول ذلك، فقد فعله العلماء لضرورة التعريف؛ ولأنّه صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به.

والحقّ أنّ ما ذكره العلماء المعتمدون من ذلك يجوز التعويل فيه على حكـايتهم. وأمّا ذكره عن الأحياء فمشروط بعلم رضى المنسوب إليه به؛ لعموم النهي، وحـينئذٍ يخرج عن كونه غيبة. وكيف كان، فلو وجد عنه معدلاً، وأمكنه التعريف بعبارة أُخرى فهو أولى.

الثامن: لو اطّلع العدد الذين يثبت بهم الحدّ أو التعزير على فاحشة جاز ذكرها عند الحاكم بصورة الشهادة في حضرة الفاعل وغيبته، ولا يجوز التعرّض إليها في غير ذلك إلّا أن يتّجه فيه أحد الوجوه الأُخرى.

التاسع: قيل: إذا علم اثنان من رجل معصيةً شاهداها، فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز؛ لأنّه لا يؤثّر عند السامع شيئاً وإن كان الأولى تنزيه النـفس واللسان عن ذلك لغير غرض من الأغراض المذكورة، خصوصاً مع احـتمال نسـيان المقول له لتلك المعصية، أو خوف اشتهارها عنهما[٣].

العاشر: إذا سمع أَحَدٌ مغتاباً لآخر وهو لا يعلم استحقاق المقول عـنه للـغيبة ولا

---

١. شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٠٩، باب في الستر على أصحاب الفروق؛ تهذيب الفـروق ـ المـطبوع فـي هـامش الفروق ـ ج ٤، ص ٢٣١.

٢. الحامل على النهي هو الشهيد الأوّل في القواعد والفوائد، ص ٣٥٥ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٥).

٣. الفروق، ج ٤، ص ٢٠٨؛ ونسبه الشهيد الأوّل إلى قائلٍ في القواعد والفوائد، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ (ضمن مـوسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٥).

عدمه، قيل: لا يجب نهي القائل؛ لإمكان استحقاق المقول عنه، فيحمل فعل القائل على الصحّة ما لم يعلم فساده؛ لأنّ ردعه يستلزم انتهاك حرمته، وهو أحد المحرّمين. والأولى التنبيه على ذلك إلى أن يتحقّق المخرج منه؛ لعموم الأدلّة، وترك الاستفصال فيها، وهو دليل إرادة العموم، حذراً من الإغراء بالجهل؛ ولأنّ ذلك لو تمّ لتمشّى فيمن يعلم عدم استحقاق المقول عنه بالنسبة إلى السامع؛ لاحتمال اطّلاع القائل على ما يوجب تسويغ مقاله، وهو يهدم قاعدة النهيّ عن الغيبة، وهذا الفرد مستثنى من جهة سماع الغيبة، وقد تقدّم أنّه إحدى الغيبتين.

وبالجملة: فالتحرّز عنها من دون وجه راجح في فعلها فضلاً عن الإباحة أولى؛ لتتّسم النفس بالأخلاق الفاضلة. ويؤيّده إطلاق النهي فيما تقدّم[1] كقولهﷺ: «هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره».

وأمّا مع رجحانها كردّ المبتدعة، وإخزاء الفسقة، والتنفير منهم، والتحذير من اتّباعهم، فذلك يوصف بالوجوب مع إمكانه فضلاً عن غيره. والمعتمد في ذلك كلّه على المقاصد، فلا يغفل المستيقظ عن ملاحظة مقصده وإصلاحه، والله الموفّق.

---

١. تقدّم في ص ١٢.

الفصل الرابع

فيما يلتحق بالغيبة عند التدبّر

وله اسم خاصّ، وقد تعلّق به نهي خاصّ.

لمّا عرفت أنّ الغيبة تطلق على ذكر ما يسوء الغير ذكره ويكرهه ولا يؤثره، وعلى التنبيه عليه بكتابة وإشارة وغيرهما، وعلى حديث النفس به وعقد القلب عليه وإن لم يذكره. دخل في هذا التعريف أفراد أُخر من المواضع المحرّمة على الخصوص، وهي أُمورٌ:

أحدها: النميمة، وهي نقل قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان تكلّم فيك بكذا وكذا. سواء كان نقل ذلك بالقول، أم بالكتابة، أم بالإشارة والرمز؛ وكان ذلك النقل كثيراً مّا يكون متعلّقه نقصاناً، أو عيباً في المحكيّ عنه موجباً لكراهته، أو إعراضه عنه، كان ذلك راجعاً إلى الغيبة أيضاً، فجمع بين معصية الغيبة والنميمة. فلا جرم حسن في هذه الرسالة التنبيه على النميمة، وما ورد فيها من النهي على الخصوص، فإنّها إحدى المعاصي الكبائر كما ستسمعه.

وثانيها: كلام ذي اللسانين الذي يتردّد بين المتخاصمين ونحوهما، ويُكلّم كلّ واحد منهما بكلام يُوافقه، فإنّ ذلك مع ما ورد فيه من النهيّ الخاصّ، يرجع إلى الغيبة بوجهٍ مّا، وإلى النميمة بوجه آخر، بل هو شرّ أقسام النميمة كما سيأتي من قول النبيّ ﷺ: «تجدون

شرّ عباد الله يوم القيامة، من يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء، وهؤلاء بحديث هؤلاء»[١].

فإنّه كلام يكرهه كلّ أحد منهما لو بلغه. فإنّ الإنسان لا يحبّ من يكلّم خصَمه بما يرضيه، ولا من يؤثر معه ما يبغيه، بل هو معدود من جملة الأعداء، فتتعلّق الكراهة لذلك الكلام بكلّ منهما. فلنتكلّم فيه أيضاً على وجه الإيجاز، ونذكر ما ورد فيه من النهي.

وثالثها: الحسد، وهو كراهة النعمة على الغير، ومحبّة زوالها عن المنعَم عليه، وهو مع كونه أيضاً من المحرّمات الخاصّة والمعاصي الكبيرة، يرجع إلى الغيبة القلبية بوجه؛ لأنّه حكم على القلب بشيء يتعلّق بالغير، يكرهه لو سمعه أشدّ كراهة وأبلغها، فيجمع بين معصيتين الحسد والغيبة.

فلنذكر جملة من الكلام فيه، وما ورد فيه من النهي، بل هو أولى الثلاثة بالذكر؛ لكثرة وقوعه في هذا العصر، وابتلاء الخواصّ به، بل هو داؤهم ليس لهم عنه مناص، وأولى ما يهتمّ العاقل به دواء المرض الحاضر.

فيقع الكلام هنا في مقامات ثلاثة:

[المقام] الأوّل: [النميمة]

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٢]، وقال: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٣]، قال بعض العلماء: دلّت هذه الآية على أنّ من لم يكتم الحديث، ومشى بالنميمة ولد زنى؛ لأنّ الزنيم هو الدعي[٤].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨؛ وقريب منه في صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٥١، ح ٥٧١١؛ وج ٦، ص ٢٦٢٦، ح ٦٧٥٧؛ وسنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٨٧٢؛ والجامع الصحيح، ج ٤، ص ٣٧٤، ح ٢٠٢٥.

٢. القلم (٦٨): ١١.

٣. القلم (٦٨): ١٣.

٤. القائل هو عبد الله بن المبارك، حكى عنه هذا القول الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٤.

وقال الله تعالى: ﴿وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾[١]، قيل: هو النمّام[٢].

وقال تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيئاً وَقيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ﴾[٣].

قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان، وامرأة نوح تخبر بأنّه مجنون[٤].

وقال النبيّ ﷺ: «لا يدخل الجنّة نمّام»[٥].

وفي حديث آخر: «لا يدخل الجنة قتّات والقتّات: هو النمّام»[٦].

وقال ﷺ: «أحبّكم إلى الله تعالى أحسنكم أخلاقاً، الموطّؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون؛ وإنّ أبغضكم إلى الله تعالى المشّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الإخوان، الملتمسون للبرآء العثرات»[٧].

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم»؟ قالوا بلى، قال: «المشّاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبّة، الباغون للبُرَآء العيب»[٨].

وقال أبوذرّ: قال رسول الله ﷺ: «من أشاد[٩] على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حقّ

---

١. الهمزة (١٠٤): ١.

٢. القائل هو ابن عبّاس كما في تفسير الفخر الرازي، ج ١٦، ص ٩٣، ذيل الآية ١ من الهمزة (١٠٤)؛ وراجع إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٤.

٣. التحريم (٦٦): ١٠.

٤. القائل هو ابن عبّاس كما في مجمع البيان، ج ٥، ص ٣١٩، ذيل الآية ١٠ من التحريم (٦٦)؛ وراجع إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٥. الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٤٥٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٦. الأمالي، الصدوق، ص ٣٣٠، المجلس ٦٣، ح ٥؛ الأمالي، الطوسي، ص ٥٣٧، المجلس ١٩، ح ١١٦٢؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٨٧١؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٥٠، ح ٥٧٠٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٧. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٨. الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، باب النميمة، ح ١؛ الفقيه، ج ٤، ص ٣٧٥، ح ٥٧٦٥؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٩. يقال: أشاده وأشاد به: إذا أشاعه ورفع ذكره. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٥١٧، «شيد».

شانه الله تعالى في النار يوم القيامة»[١].

وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: «أيّما رجل أشاع على رجل كلمة، وهو منها بريء؛ ليشينه بها في الدنيا كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يذيبه بها يوم القيامة في النار»[٢].

وعنه ﷺ: «إنّ الله تعالى لمّا خلق الجنّة قال لها: تكلّمي، قالت: سعد من دخلني، قال الجبّار جلّ جلاله: وعزّتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكن فيك مدمن خمر، ولا مصرّ على الزنى، ولا قتّات ـ وهو النمّام ـ ولا ديّوث، ولا الشرطي، ولا المخنّث، ولا قاطع رحم، ولا الذي يقول: عليّ عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثمّ لم يف به»[٣].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «الجنّة محرّمة على القتّاتين المشّائين بالنميمة»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: شراركم المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، المبتغون للبُرَآء المعايب»[٥].

وروي: «أنّ موسى عليه السلام، استسقى لبني إسرائيل حين أصابهم قحط، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام قد أصرّ على النميمة، فقال موسى عليه السلام: مَنْ هو يا ربّ حتّى نُخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً؟! فتابوا بأجمعهم، فسُقوْا»[٦].

وروي: «أنّ رجلاً اتّبع حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلمّا قدم عليه قال:

---

١. شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٠٧، ح ٩٦٥٨؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٢ و٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، باب النميمة، ح ٢.

٥. الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، باب النميمة، ح ٣.

٦. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥.

إنّي جئتك للّذي آتاك الله تعالى من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الحجارة وما أقسى منها، وعن النار وما أحرّ منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذلّ منه؟ فقال الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السماوات، والحقّ أوسع من الأرضين، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرّ من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمّام إذا بان أمره أذلّ من اليتيم»[١].

واعلم أنّ النميمة تطلق في الأكثر على من ينمّ قول الغير إلى المقول فيه، كما يقول: «فلان كان يتكلّم فيك بكذا وكذا»، وليست مخصوصة به، بل تطلق على ما هو أعمّ من القول كما مرّ في الغيبة.

وحدّها بالمعنى الأعمّ: كشف ما يكره كشفه، سواء أكرهه المنقول عنه أم المنقول إليه أم كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أم بالكتبة أم الرمز أم الايماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أم من الأقوال، وسواء أكان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أم لم يكن، بل حقيقة النميمة: إفشاء السرّ وهتك السّتر عمّا يكره كشفه، بل كلّما رآه الانسان من أحوال الإنسان؛ فينبغي أن يسكت عنه إلّا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحقّ المشهود عليه، وأمّا إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسرّ، فإن كان ما ينمّ به نقصاناً أو عيباً في المحكيّ عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة.

والسبب الباعث على النميمة: إمّا إرادة السوء بالمحكيّ عنه ، أو إظهار الحبّ للمحكيّ له، أو التفرّج بالحديث، أو الخوض في الفضول.

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٥ـ١٥٦.

وكلّ من حملت إليه النميمة، وقيل له: إنّ فلاناً قال فيك كذا وكذا أو فعل فيك كذا وكذا أو هو يدبّر في إفساد أمرك أو في ممالأَةِ عدوّك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه، فعليه ستّة أُمور:

الأوّل: أن لا يصدّقه؛ لأنّ النمّام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى: ﴿إنْ جائَكُم فاسِقٌ بِنَبَاءٍ فتبيّنوا أن تُصيبُوا قَوماً بجَهٰالَةٍ﴾[1].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، ويَنصحُه ويُقبّح له فعله. قال الله تعالى: ﴿وَأمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ﴾[2].

الثالث: أن يُبغضه في الله تعالى، فإنّه بَغيض عند الله، ويجب بغض من يُبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظنّ بأخيك السوء بمجرد قوله؛ لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظنّ﴾[3]، بل تتثبّت حتّى يتحقّق الحال.

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسّس والبحث ليتحقّق؛ لقوله تعالى: ﴿ولا تجسّسوا﴾.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمّام عنه، فلا تحكي نميمته فتقول: «فلان قد حكى كذا وكذا»، فتكون به نمّاماً ومغتاباً، وتكون قد أتيت بما عنه نهيت.

وقد روي عن عليّ عليه السلام: «أنّ رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال: يا هذا، نحن نسأل عمّا قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نُقيلك أقلناك قال: أقلني يا أمير المؤمنين»[4].

---

١. الحجرات (٤٩): ٦.
٢. لقمان (٣١): ١٧.
٣. الحجرات (٤٩): ١٢.
٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٧؛ ونحوه في الاختصاص، ص ١٤٢.

وقد تبعه في ذلك عمر بن عبد العزيز، فقد روي أنّه دخل إليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً، فقال عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[١]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٢]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً[٣].

وقد روي: «أنّ حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه، وأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وجئتني بثلاث جنايات: بغّضت إليّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتّهمت نفسك الأمينة»[٤].

وروي: أنّ بعض الخلفاء[٥] قال لرجل: بلغني أنّك قلت فيّ كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت، فقال: إنّ الذي أخبرني صادق، فقال الزهري وكان جالساً: لا يكون النمّام صادقاً، فقال: صدقت، اذهب بسلامة[٦].

وقال الحسن: «من نمّ إليك نمّ عليك»، وهذه إشارة إلى أنّ النمّام ينبغي أن يُبغَض، ولا يوثق بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفكّ من الكذب والغيبة والغَدر والخيانة والغلّ والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهو ممّن قد سعى في قطع ما أمر الله تعالى به أن يوصل، قال الله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٨]، والنمّام منهم.

---

١. الحجرات (٤٩): ٦.
٢. القلم (٦٨): ١١.
٣ و ٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٦.
٥. هو سليمان بن عبد الملك.
٦. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٦.
٧. البقرة (٢): ٢٧.
٨. الشورى (٤٢): ٤٢.

وقال ﷺ: «إنّ من شرّ الناس من اتّقاه الناس لشرّه»[١].

والنمّام منهم.

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنّة قاطع»[٢].

قيل: قاطع بين الناس، وهو النمّام، وقيل: قاطع الرحم[٣].

وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بنيّ، أوصيك بخِلال إن تمسّكت بهنّ لم تزل سيّداً: أبسط خُلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك، وَصِل أقاربك، وآمنهم من قبول ساع أو سماع باغ يريد إفسادك ويروم خداعك، وليكن إخوانك مَنْ إذا فارقتهم وفارقوك لم تغتبهم ولم يغتابوك»[٤].

وقال بعضهم:

لو صحّ ما نقله النمّام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك، والمنقول عنه أولى بحلمك؛ لأنّه لم يقابلك بشتمك[٥].

وبالجملة: فشرّ النمّام عظيم، ينبغي أن يتوقّى.

قيل:

باع بعضهم عبداً وقال للمشتري: ما فيه عيب إلّا النميمة، قال: رضيت، فاشتراه فمكث الغلام أيّاماً. ثمّ قال لزوجة مولاه: إنّ زوجكِ لا يحبّكِ، وهو يريد أن يتسرّى عليكِ، فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات حتّى أسحر عليها

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٦ ـ ١٥٧؛ وقريب منه في الكافي، ج ٢، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧، باب من يتّقى شرّه، ح ١ و ٢ و ٤؛ والفقيه، ج ٤، ص ٣٥٣، ح ٥٧٦٥.

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٣١، ح ٥٦٣٨؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٨١، ح ٢٥٥٦/١٨؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٧.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٧.

٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

٥. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

فيحبّكِ. ثمّ قال للزوج: إنّ امرأتك اتّخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتّى تعرف، فتناوم فجاءت بالموسى، فظنّ أنّها تقتله، فقام وقتلها، فجاء أهل المرأة وقتلوا الرجل، فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر[١].

المقام الثاني: كلام ذي اللسانين

الذي يتردّد بين اثنين، سيّما المتعاديين ويكلّم كلّ واحد منهما مايوافقه، وقلّما يخلو عنه من يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق، وهو من المعاصي الكبائر المتوعّد عليه بخصوصه.

وروى عمّار بن ياسر عن النبيّﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نارٍ يوم القيامة»[٢].

وعنهﷺ: «تجدون من شرّ عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء، وهؤلاء بحديث هؤلاء»[٣].

وفي حديث آخر: «الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[٤].

وقيل مكتوب في التوراة: «بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين، يهلك الله يوم القيامة كلّ شفتين مختلفتين»[٥].

وقالﷺ: «أبغض خليقة الله تعالى إليه يوم القيامة، الكذّابون، والمستكبرون، والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تخلّقوا لهم، والذين إذا دعوا إلى الله

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

٢. الخصال، ص ٣٨، ح ١٨؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٨٧٣؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

٤. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٥١، ح ٥٧١١؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٨٧٢؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٣٧٤، ح ٢٠٢٥؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

٥. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

ورسوله كانوا بطاء، وإذا دُعوا إلى الشيطان وأمرِه كانوا سراعاً»[١].

وروى الصدوق بإسناده إلى عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يجيء يوم القيامة ذوالوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قُدّامه، يلتهبان ناراً حتّى يلهبان جسده، ثمّ يقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة»[٢].

وبالإسناد إلى الباقر عليه السلام قال: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أُعطي حَسَده وإن ابتلي خَذَله»[٣].

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «بئس العبد عبد هُمَزَة لُمزَة، يقبل بوجه، ويُدْبر بآخر»[٤].

وبالإسناد قال: «قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى، ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إنّي أُحذّرك نفسك وكفى بك خبيراً؛ لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سَيْفان في غِمْد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان»[٥].

واعلم أنّ الإنسان يتحقّق كونه ذا لسانين بأُمور:

منها: أن ينقل كلام كلّ واحد إلى الآخر وهو مع ذلك نميمة وزيادة؛ فإنّ النميمة تتحقّق بالنقل من أحد الجانبين فقط.

ومنها: أن يُحسّن لكلّ واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه وإن لم ينقل بينهما كلاماً.

ومنها: أن يَعد كلّ واحد منهما بأن ينصره ويساعده.

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٨.

٢. الخصال، ص ٣٧ ـ ٣٨، ح ١٦؛ عقاب الأعمال، ص ٢٣١٩، ح ٢.

٣. الأمالي، الصدوق، ص ٢٧٧، المجلس ٥٤، ح ١٨؛ معاني الأخبار، ص ١٨٥، ح ١؛ الخصال، ص ٣٨، ح ٢٠؛ ورواه أيضاً الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٣٤٣، باب ذي اللسانين، ح ٢.

٤. عقاب الأعمال، ص ٣١٩، ح ٤.

٥. عقاب الأعمال، ص ٣١٩، ح ٥؛ ورواه أيضاً الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٣٤٣، باب ذي اللسانين، ح ٣.

ومنها: أنْ يُثْني على كلّ واحد منهما في معاداته، وأولى منه أن يُثْني عليه في وجهه، وإذا خرج من عنده ذمّه. والذي ينبغي، أن يسكت أو يُثني على المحقّ منهما في حضوره وغيبته وبين يدي عدوّه.

ولا يتحقّق اللسانان بالدخول على المتعاديين، ومجاملة كلّ واحد منهما مع صدقه في المجاملة، فإنّ الواحد قد يصادق متعاديين، ولكن صداقة ضعيفة لا تصل إلى حد الأُخوّة؛ إذ لو تحقّقت الصداقة لاقتضت معاداة العدوّ كما هو المشهور من أنّ: «الأصدقاء ثلاثة: الصديق، وصديق الصديق، وعدوّ العدوّ. والأعداء ثلاثة: العدوّ، وعدوّ الصديق، وصديق العدوّ»[1].

فإن قيل: كثيراً مّا يتّفق اختلاف اللسان مع الأُمراء وأعداء الدين، فهل يكون ذلك داخلاً في النهي والنفاق، كما ورد من أنّه سئل بعض الصحابة: إنّا ندخل على أُمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره[2].

قلنا: إن كان القائل مستغنياً عن الدخول على الأمير، وعن مخالطة العدوّ الديني، واختار الاجتماع معه والصحبة له اختياراً؛ طلباً للجاه والمال زيادة على القدر الضروري فهو ذو لسانين ومنافق كما ذكره الصحابيّ، وعليه يحمل الخبر؛ وقد قال ﷺ: «حبّ الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[3].

وإن كان محتاجاً إلى ذلك اتّقاء ضرورة فهو معذور لا حرج عليه فيه، فإنّ اتّقاء الشرّ جائز، قال أبو الدرداء: «إنّا لنكشر[4] في وجوه أقوام وإنّ قلوبنا لتبغضهم»[5].

---

١. اقتباس من كلام أمير المؤمنين ﷺ المرويّ في نهج البلاغة، ص ٧١٨، الحكمة ٢٩٥.

٢. قال الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٩: قيل لابن عمر: إنّا ندخل على أُمرائنا فنقول القول، فإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنّا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٩.

٤. أي نَبْسِمُ في وجوههم. لسان العرب، ج ٥، ص ١٤٢، «كشر».

٥. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٩.

وروي أنّه مرّ رجل على النبيّ فقالﷺ: «بئس رجل العشيرة، فلمّا دخل عليه أقبل عليه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ شرّ الناس الذي يكرم اتّقاء شرّه»[١].

المقام الثالث: الحسد

وهو من أعضل الأدواء وأكبر المعاصي، وأشرّها وأفسدها للقلب، وهي أوّل خطيئة وقعت في الأرض؛ لمّا حسد إبليس آدم فحمله على المعصية، فكانت البليّة من ذلك إلى الأبد، وقد أمر الله تعالى نبيّه بالاستعاذة من شرّه، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٢] بعد أن استعاذ من الشيطان والساحر، وأنزله منزلتهما، والأخبار النبويّة فيه لا تحصى كثرةً.

قال رسول اللهﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٣].

وقالﷺ: «ستّة يدخلون النار قبل الحساب بستّة: الأُمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين[٤] بالكبر، والتجّار بالخيانة، وأهل الرستاق[٥] بالجهالة، والعلماء بالحسد»[٦].

---

١. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٤٤، ح ٥٦٨٥. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٩؛ وقريب منه في الكافي، ج ٢، ص ٣٢٦، باب من يتّقى شرّه، ح ١.

٢. الفلق (١١٣): ٥.

٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢٦؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٧٦، ح ٤٩٠٣؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٤٠٨، ح ٤٢١٠؛ وفي رواياتنا بلفظ: «الحسد يأكل الإيمان ...» كما في الكافي، ج ٢، ص ٢٠٦، باب الحسد، ح ١ و٢؛ ونهج البلاغة، ص ١٣٨، ذيل الخطبة ٨٦.

٤. الدهقان ـ بالكسر والضم ـ : القويّ على التصرّف مع حِدّة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، معرّبٌ. جمعه دهاقنة ودهاقين. القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٢٦، «دهقن».

٥. الرستاق: الرُزداق. الرُزداق بالضم: السواد والقُرى، معرّب رُستا. القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٤٣، «رستق» و«رزدق».

٦. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢٧؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٨٨؛ وقريب منه عن أمير المؤمنينؑ في الخصال، ص ٣٢٥، ح ١٤.

وقالﷺ: «دبّ إليكم داء الأُمم قبلكم، الحسد والبغضاء، والبغضة: هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين، والذي نفس محمّد بيده، لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتّى تحابّوا، ألا أنبّئكم بما يثبّت ذلك [لكم] أفشوا السلام بينكم»[١].

وفي خبر معاذ عنهﷺ: «أنّ الحفظة تصعد بعمل العبد يزفّ كما تزفّ العروس إلى أهلها، حتّى إذا انتهوا إلى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحجّ، له ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: أنا الملك صاحب الحسد، إنّه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ويسخط ما رضي الله، أمرني ربيّ أن لا أدَعَ عمله يتجاوزني إلى غيري»[٢].

وقال الصادقؑ: «الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدمؑ الاجتباءَ والهدى، والرفع إلى محلّ حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً؛ فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد؟ وماذا يضرّ المحسود الحسد؟ والحسد أصله من عمل[٣] القلب، وجحود فضل الله، وهما جناحان للكفر، بالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مَهْلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد؛ لأنّه مستمرّ عليه، معتقد به، مطبوع فيه، يبدو بلا معارض به ولا سبب؛ والطبع لا يتغيّر عن الأصل وإن عولج»[٤].

وكفى بالحسد داءاً إبلاغه العلماء النار كما ورد في الحديث السابق.

---

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٢٧؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٨٧؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٦٦٤، ح ٢٥١٠.
٢. لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ ولكن قريب منه في فلاح السائل، ص ١٢٣؛ وعدّة الداعي، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩؛ والترغيب والترهيب، ج ١، ص ٧٥.
٣. كذا في المخطوطتين وفي المصدر: «من عمى القلب».
٤. مصباح الشريعة، ص ٣٢١.

واعلم أنّ الحسد يهيّج أربعة[١] أشياء:

أحدها: إفساد الطاعات، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٢].

والثاني: فعل المعاصي والشرور، وقد قال بعض الفضلاء: «للحاسد ثلاث علامات: يتملّق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة»[٣]. وحسبك أنّ الله أمر بالاستعاذة من شرّه، وقرنه بالشيطانِ والساحرِ النافثِ في العقد[٤]، كما تقدّم.

والثالث: التعب والغمّ من غير فائدة، بل مع كلّ وِزْرٍ ومعصيةٍ. قال بعضهم: «لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد: نفس دائم، وعقل هائم، وغمّ لازم»[٥].

والرابع: الحِرمان والخِذلان، فلا يكاد يظفر بمراد، ولا ينصر على عدوّ، وقد قيل: الحاسد غير منصورٍ، وكيف يظفر بمراده، ومراده زوال نعم الله تعالى عن عباده؟ وكيف ينصر على أعدائه، وهم عباد الله الذين نظر الله إليهم، وأسبغ نِعَمه عليهم، سيّما إذا كانت النعمة نعمة العلم؟

والكلام في الحسد طويل؛ لاعتناء علماء القلوب به، وبحثهم عنه، وقوّة دائه في قلوب الخاصّة والعامّة، ولنقتصر هنا على البحث في مواضعَ:

الأوّل في حقيقة الحسد، وحكمه، ومراتبه، وأقسامه

فحقيقته انبعاث القوّة الشهويّة الى تمنّي مال الغير، أو الحالة التي هو عليها وزوالها

---

١. في نسخة الأصل التي بخطّ المؤلّف وغيرها من النسخ التي بأيدينا: «خمسة» ولكن الصحيح ما أثبتناه، يدلّ عليه ما سيذكره المؤلّف (رحمه الله) من التقسيم.

٢. تقدّم تخريجه في ص ٤٨، الهامش ٣.

٣. الخصال، ص ١٢١، ح ١١٣. وبعض الفضلاء هو لقمان، قال هذه الكلمات لابنه.

٤. الفلق (١١٣): ٥.

٥. رواه الكراجكي عن عليّ ؑ في كنز الفوائد، ج ١، ص ١٣٦؛ وعن خليل بن أحمد في شعب الإيمان، ج ٥، ص ٢٧٣، ح ٦٦٣٥.

عن ذلك الغير، وهو مستلزم لحركة القوّة الغضبيّة، ولثبات الغضب ودوامه وزيادته بحسب زيادة حال المحسود التي يتعلّق بها الحسد؛ ولذلك قال عليّ عليه السلام: «الحاسد مغتاظ على مَنْ لا ذنب له»[1].

وهو نوع من أنواع الظلم والجور. وقال عليّ عليه السلام أيضاً: «لا راحة مع حسد»[2].

ووجهه قد ظهر من حقيقته؛ فإنّ شهوة الحاسد وفكره في كيفيّة حصول الحالة المحسود فيها، وفي كيفيّة زوالها عمّن هي له، المستلزمة لحركة آلات البدن في ذلك، مستلزم لعدم الراحة.

وقد اتّفق العقلاء على أنّ الحسد، مع أنّه رذيلة عظيمة للنفس، فهو من الأسباب العظيمة لخراب العالم؛ إذ كان الحاسد كثيراً مّا تكون حركاته وسعيه في هلاك أرباب الفضائل، وأهل الشرف والأموال الذين تقوم بوجودهم عمارة الأرض؛ إذ لا يتعلّق الحسد بغيرهم من أهل الخسّة والفقر، ثمّ لا يقصّر في سعيه ذلك دون أن تزول تلك الحالة المحسود بها عن المحسود، أو يهلك هو في تلك الحركات الحسيّة الفعليّة والقوليّة؛ ولذلك قيل: «حاسد النعمة لا يرضيه إلّا زوالها»[3]، وما دام الباعث للقوّة الغضبيّة قائماً، فهي قائمة متحرّكة ومحرّكة.

وكثيراً مّا تؤثّر السعاية بين يدي الأمراء والمتسلّطين؛ لعلم الساعي بقدرتهم على تنفيذ أغراضه؛ ولقرب طاعتهم إلى قبول قوله من الغير؛ لمشاركتهم في الطباع وغلبة القوّة الشهويّة والغضبيّة فيهم، ولكن كثيراً مّا تؤثّر حركة الحاسد في إزالة نعمة المحسود لمحة من لمحات الله تعالى للمحسود بعين العناية فيحرسه وتزيد نعمته، فلا يتوجّه للحاسد عليه سبيل، ﴿إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ

---

١. كنز الفوائد، الكراجكي، ج ١، ص ١٣٦؛ ورواه عنه في بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٢٥٦، ح ٢٩.

٢. كنز الفوائد، الكراجكي، ج ١، ص ١٣٧؛ شرح غرر الحكم، ج ٦، ص ٣٤٦، ح ١ بتفاوت يسير في المصدرين.

٣. كنز الفوائد، الكراجكي، ج ١، ص ١٣٧؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٥٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٨٩.

الحقّ﴾[١]، فيصير تعبه سبباً لخراب الأرض، فيفسد الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد[٢].

وإذ قد عرفت أنّه لا حسد إلّا على نعمة، فإذا أنعم الله تعالى على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره تلك النعمة، وتحبّ زوالها، وهذه الحالة تسمّى حسداً.

والثانية: أن لا تحبّ زوالها، ولا تكره وجودها ودوامها، ولكنّك تشتهي لنفسك مثلها، وهذا يسمّى غبطة، وقد يخصّ باسم المنافسة. قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٣]، وقد تسمّى المنافسة حسداً، والحسد منافسة كقول الفضل وقثم ابني العبّاس لعليّ عليه السلام حين أشار عليهما بأن لا يذهبا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يسألانه الولاية على الصدقة، وقد كانا أرادا ذلك: «ماذا منك إلّا نفاسة، والله لقد زوّجك ابنته فما نَفَسْنا ذلك عليك»[٤].

وكقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا حسد إلّا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً، فسلّطه على هلكته في الحقّ، ورجل آتاه الله علماً، فهو يعمل به ويعلّمه الناس»[٥].

والمحرّم من الحالتين هو الحالة الأُولى، وهي المخصوصة بالذمّ، قال صلى الله عليه وآله: «المُؤمن يغبط، والمنافق يحسد»[٦].

اللهمّ إلّا أن تكون النعمة قد أصابها فاجر يستعين بها على إيذاء الخلق، وتهييج

١. الشورى (٤٢): ٤٢.

٢. اقتباس من الآية ٢٠٥ من البقرة (٢).

٣. المطفّفين (٨٣): ٢٦.

٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٠؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٥٢، ح ١٠٧٢/١٦٧.

٥. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩١؛ وقريب منه في صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٩١٩، ح ٤٧٣٧ و٤٧٣٨؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٣٣٠، ح ١٩٣٦؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥، ح ٩٨٥٧.

٦. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٨٩؛ ورواه الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام في الكافي، ج ٢، ص ٣٠٧، باب الحسد، ح ٧ بلفظ: «إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».

الفتنة، وفساد الدين ونحو ذلك، فلا تضرّ الكراهة لها ومحبّة زوالها إذا لم يكن ذلك من حيث إنّها نعمة، بل من حيث إنّها آلة الفساد.

ويدلّ على عدم تحريم الحالة الثانية الآية المتقدّمة، والحديث.

وقد قال تعالى: ﴿سابِقُوا إلىٰ مَغْفرةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1]. والمسابقة إنّما تكون عند خوف الفوت كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما، ويجزع كلّ واحد منهما أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها.

بل قد تكون المنافسة واجبة إذا كان المنافَس فيه واجباً؛ إذ لو لم يجب مثله لكان راضياً بالمعصية المحرّمة. وقد تكون مندوبة كالمنافسة في الفضائل المندوبة من إنفاق الأموال ومكارم الأخلاق. وقد يوصف بالإباحة إذا كان مباحاً.

وبالجملة، فهي تابعة للفعل المنافس فيه. لكنّ في المنافسة دقيقة وخطر غامض، يجب على طالب الخلاص التحرّز منه، وهو أنّه إذا أيس عن أن ينال مثل تلك النعمة، وهو يكره تخلّفه ونقصانه، فلا محالة يجب زوال النقصان، وإنّما يزول بأحد أمرين: أن ينال مثله، أو تزول نعمة المنافس، فإذا انسدّ أحد الطريقين عن الساعي يكاد القلب أن يشتهي الطريق الأُخرى؛ إذ بزوال النعمة يزول التخلّف المرغوب عنه، فيمتحن نفسه: فإن كان بحيث إذا أُلقي الأمر إليه وردّ إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كانت التقوى تمنعه عن إزالة ذلك عُفي عمّا يجده في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة متى كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله.

وإذ قد عرفت حقيقة الحسد، فاعلم أنّ له مراتب أربع:

الأُولى: أن يُحبّ زوال النعمة عنه وإن كانت لا تنتقل إليه، وهذا غاية الخُبث، وأعظم أفراد الحسد.

١. الحديد (٥٧): ٢١.

الثانية: أن يحبّ زوال النعمة إليه؛ لرغبته في تلك النعمة بحيث يكون مطلوبه تلك النعمة، لا مجرّد زوالها عن صاحبها.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها، بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحبّ زوالها؛ كي لا يظهر التفاوت بينهما.

وهذه الثلاثة محرّمة، وهي مرتّبة في القوّة ترتّبها في اللفظ.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يحبّ زوالها منه، وهذا هو المحمود المخصوص باسم الغبطة، بل المندوب إليه في الدين، وتسميته حسداً تجوّز.

الثاني في الأسباب المثيرة للحسد

وهي كثيرة جدّاً إلّا أنّها ترجع إلى سبعة: العداوة، والتعزّز، والتكبّر، والتعجّب، والخوف من فوت المقاصد، وحبّ الرئاسة، وخُبث النفس وبُخلها.

فإنّه إنّما يكره النعمة عليه: إمّا لأنّه عدوّه فلا يريد له الخير، وهذا لا يختصّ بالأمثال.

وإمّا لأنّه يخاف أن يتكبّر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كِبره وعظمته؛ لعزّة نفسه، وهو المراد بالتعزّز.

وإمّا أن يكون في طبعه أن يتكبّر على المحسود، ويمتنع ذلك عليه بنعمته، وهو المراد بالتكبّر.

وإمّا أن تكون النعمة عظميةً والمنصب كبيراً، فيتعجّب من فوز مثله بمثل تلك النعمة، وهو التعجّب.

وإمّا أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته، بأن يتوصّل به إلى مزاحمته في أغراضه.

وإمّا أن يكون لحبّ الرئاسة التي تبنى على الاختصاص بنعمةٍ لا تساوى فيها.

وإمّا أن لا يكون بسببٍ من هذه الأسباب، بل بخُبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله تعالى.

وقد أشار الله سبحانه إلى السبب الأوّل بقوله: ﴿وَدُّوا مٰا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضٰاءُ مِنْ أَفْوٰاهِهِمْ﴾[١]، وإلى الثانية بقوله: ﴿لَوْلاٰ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٢]، أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتّبعه إذا كان عظيماً، وكانوا قد قالوا: كيف يتقدّم علينا غلام يتيم؟ وكيف يطأطئ له رؤوسنا؟

وإلى الرابعة بقوله: ﴿قٰالُوا مٰا أَنْتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنٰا﴾[٣]، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا﴾[٤]، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ﴾[٥]، فتعجّبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشرٌ مثلهم، فحسدوهم وقالوا متعجّبين: ﴿أَبَعَثَ اللّٰهُ بَشَراً رَسُولاً﴾[٦]، فقال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جٰاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾[٧].

وأعظم الأسباب فساداً الخامس والسادس؛ لتعلّقهما غالباً بعلماء السوء ونظرائهم، ومناط الخامس يرجع إلى متزاحمين على مطلوب واحد، فإنّ كلّاً منهما يحسد صاحبه في كلّ نعمةٍ يكون عوناً له في الانفراد بمقصوده.

ومن هذا الباب تحاسد الضرّات في التزاحم على مقاصد الزوجيّة، والإخوة في التزاحم على نيل المنزلة المطلوبة بها عند الأب، والتلامذة لأُستاذ واحد في نيل المنزلة عنده، والعالِمين المتزاحمين على طائفة من المتفقّهة محصورين؛ إذ يطلب كلّ واحد

١. آل عمران (٣): ١١٨.

٢. الزخرف (٤٣): ٣١.

٣. يس (٣٦): ١٥.

٤. المؤمنون (٢٣): ٤٧.

٥. المؤمنون (٢٣): ٣٤.

٦. الإسراء (١٧): ٩٣.

٧. الأعراف (٧): ٦٣.

منزلة في قلبهم للتوصّل بهم إلى أغراضهم.

ومرجع السادس إلى محبّة الانفراد بالرئاسة، والاختصاص بالثناء، والفرح بما يمدح به من أنّه واحد الدهر ولا نظير له، فإنّه متى سمع بنظير له في أقصى العالم ساءَه ذلك، وأحبّ موته أو زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة.

وهذا زيادة على ما في قلوب آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس؛ للتوصّل إلى مقاصدَ سوى الرئاسة، وقد كان علماء اليهود يعرفون رسالة رسول اللهﷺ، وينكرونها ولا يؤمنون به مخافة أن تبطل رئاستهم، وأن يصيروا تابعين بعد أن كانوا متبوعين مهما نسخ علمهم.

وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد، فيعظم فيه داء الحسد، وينكى في قلبه ويَقوى قوّة لا يقدر معه على الإخفاء والمجاملة، بل ينهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة، ولا يكاد يزول إلّا بالموت، وقلّ أن يتّفق للحاسد سبب واحد من هذه الأسباب بل أكثر.

وأصل العداوة والحسد التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع مبتاعدين بل متناسبين؛ فلذلك ترى الحسد يكثر بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العمّ والأقارب، ويقلّ في غيرهم، إلّا مع الاجتماع في أحد الأغراض المقرّرة.

نعم، من اشتّد حِرصه على الجاه، وأحبّ الصِيتَ في جميع أطراف العالم بما هو فيه، فإنّه يحسد كلّ من هو في العالم وإن بَعُد ممّن يساهمه في الخصلة التي يفاخر بها. ومنشأ جميع ذلك حبّ الدنيا، فإنّ الدنيا هي التي تضيق عن المتزاحمين، أمّا الآخرة فلا ضيق فيها، وإنّما مَثَلُها مثل العلم، فإنّ من عرف الله تعالى وملائكته وأنبياءه وملكوت أرضه وسمائه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً؛ لأنّ المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم، ويفرح بمعرفته ويلتذّ به، ولا تنقص لذّة واحدة بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأُنس وثمرة الإفادة

والاستفادة. فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة؛ لأنّ مقصدهم بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضاً فيه، بل يزيد الأُنس بكثرتهم.

نعم، إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا؛ لأنّ المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر، وكذلك الجاه إذ معناه ملك القلوب، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص منه لا محالة، فيكون ذلك سبباً للمحاسدة.

وأمّا العلم فلا نهاية له، ولا يتصوّر استيعابه، فمن بذل جهده في تحصيله، وأشغل نفسه في الفكر في جلال الله وعظمته صار ذلك ألذّ عنده من كلّ نعيم، ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق؛ لأنّ غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم تنقص لذّته، بل زادت لذّته بمؤانسته، بل مثل العالِمين بالحقيقة والمتمسّكين بالطريقة كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1]، فهذا حالهم في الدنيا، فماذا تظنّ عند انكشاف الغطاء، ومشاهدة المحبوب في العقبى؟! فلا محاسدة في الجنّة أيضاً، إذ لا مضايقة فيها ولا مزاحمة. فعليك أيّها الأخ (وفّقنا الله وإيّاك) إن كنت بصيراً، وعلى نفسك مُشفِقاً، أن تطلب نعيماً لا زحمة فيه، ولذّة لا مكدّر لها، والله وليّ التوفيق.

الثالث في إشارةٍ وجيزةٍ إلى الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض القلب إلّا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعلم يقيناً أنّ الحسد ضررٌ عليك في الدنيا والدين، ولا ضرر به على المحسود في الدنيا ولا في الدين، بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفت هذا عن بصيرة، ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة.

---

١. الحجر (١٥): ٤٧.

أمّا كونه ضرراً عليك في الدين، فهو أنّك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسّمها لعباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفيّ حكمته، واستنكرت ذلك واستبشعته. وهذه جناية على حدقة التوحيد، وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين! وقد انضاف إليه أنّك غششت رجلاً من المؤمنين، وتركت نصيحته، وفارقت أولياء الله تعالى وأنبياءَهُ في حبّهم الخير لعباد الله تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفّار في محبّتهم للمؤمنين البلاء وزوال النَعم، وهذه خبائث في القلب، تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار.

وأمّا كونه ضرراً في الدنيا عليك، فهو أنّك تتألّم بحسدك وتتعذّب به، ولا تزال في كَمَدٍ وغَمٍّ؛ إذ أعداؤك لا يخليهُم الله تعالى عن نِعم يُفيضها عليهم، فلا تزال تتعذّب بكلّ نعمة تراها، وتتألّم بكلّ بليّة تنصرف عنهم، فتبقى مغموماً مزحوماً متشعّب القلب ضيّق النّفس كما تشتهيه لأعدائك وكما تشتهي أعداؤك لك، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك، فتنجزّت في الحال محنتك وغمّك نقداً، ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك.ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ـ إن كنت عاقلاً ـ أن تَحذَر من الحسد؛ لما فيه من ألم القلب ومساءته وعدم النفع، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة؟! فما أعجب من العاقل أن يتعرّض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله، بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة!.

وأمّا أنّه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح؛ لأنّ النعمة لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدّره الله تعالى له من إقبالٍ ونعمةٍ فلابّد وأن تدوم إلى أجلٍ قدّره الله تعالى، فلا حيلة في دفعه. وإن كانت النعمة قد حصلت لسعيه من علمٍ أو عملٍ فلا حيلة في دفعه أيضاً، بل ينبغي أن تلوم أنت نفسك، حيث سعى وقعدتَ، وشمّر وكسلتَ،

وسَهِر ونمْتَ، فكان حالك كما قيل:

هلّا سَعوا سَعْيَ الكرام فَأَدْرَكُوا   أو سَـلَّمُوا لِـمَواقِـعِ الأَقـدارِ

ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضررٌ في الدنيا، ولا كان عليه إثم في الآخرة. ولعلّك تقول: «ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي»، وهذا غاية الجهل، فإنّه بلاءٌ تشتهيه أوّلاً لنفسك، فإنّك لا تخلو أيضاً من عدوٍّ يحسدك، فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق للّه عليك نعمة، ولا على الخلق نـعمة حـتّى نـعمة الإيمان؛ لأنّ الكفّار يحسدون المؤمنين عليه، قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾[1].

وإن اشتهيت أن تزول نعمة الغير عنه بحسدك، ولا تزول عنك بحسد غيرك فـهذا غاية الجهل والغباوة؛ فإنّ كلّ واحد من حَمْقى الحُسّاد أيضاً يشتهي أن يخصّ بـهذه الخاصيّة، ولَسْتَ بأولى من غيرك، فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل نِعَمُه عليك بحسد غيرك من النِعم التي يجب عليك شكرها، وأنت بجهلك تكرَهُها.

وأمّا أنّ المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح.

أما منفعته في الدين، فهو أنّه مظلوم من جهتك، لا سيّما إذا أخرجك الحسـد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مَساوئه، فهي هدايا تُهديها إليه، فإنّك تُهدي إليه حسناتك حتّى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما خرجت في الدنيا عن النعمة، فكأنّك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل. نعم كان عليك نعمة إذ وفّقك للحسنات فنقلتها إليه، فأضفت له نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأمّا منفعته في الدنيا، فهو أنّ أهمّ أغراض الخلق مساءَة الأعداء وغمّهم وشقاوتهم وكونهم معذّبين مغمومين، ولا عذاب أعظم ممّا أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة، وأن تكون في غمّ وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما

١. آل عمران (٣): ٦٩.

هو مرادهم، وقد قال عليّ ﷺ: «لا راحة للحسود»[١].

وقال ﷺ: «الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له»[٢].

وقد عرفت من تضاعيف هذه المباحث وجه الكلمتين؛ ومن أجل ذلك ينبغي أن لا يشتهي أعداؤك موتك، بل يشتهي أن تطول حياتك في عذاب الحسد؛ لتنظر إلى نعمة الله تعالى عليهم، وينقطع قلبك حسداً؛ ولذلك قيل:

لا ماتَ أَعْداؤُكَ بَل خُلِّدوا حَتّى يَرَوا منك الّذي يُكْمِدُ

لا زِلْتَ مَحْسُوداً على نِعْمَةٍ فَإِنّما الكامِلُ مَن يُحْسَدُ[٣]

ففرح عدوّك بغمّك، وحسدك أعظم من فرحته بنعمته. فإذا تأمّلت هذا عرفت أنّك عدوّ نفسك، وصديق عدوّك؛ إذ تعاطيت ما تضرّرت به في الدنيا والآخرة، وانتفع به عدوّك في الدنيا والآخرة، وصرت شقيّاً عند الخلق والخالق، مذموماً في الحال والمآل. ثمّ لم تقتصر على تحصيل مراد عدوّك حتّى أدخلتَ أعظم السرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك؛ لأنّك لم تحبّ ما أحبّه أهل الخير لأنفسهم فتكون معهم؛ لأنّ «المرء مع من أحبّ»، فأحبّك إبليس لذلك فكنت معه.

وقد تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ بأنّ: «المرء مع من أحبّ»[٤]، و:«أنّك إن لم تكن عالماً ولا متعلّماً فكن محبّاً»[٥] فقد فاتك بحسدك ثواب الحبّ واللحاق بهم، وعساك

١. تقدّم تخريجه في ص ٥١، الهامش ٢.

٢. تقدّم تخريجه في ص ٥١، الهامش ١.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٧.

٤. الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٦٢١، ح ١٢٨١/١٧؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٨٣، ح ٥٨١٦ ـ ٥٨١٩؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٣٤، ح ١٦٥ ـ ٢٦٣٩/١٦١؛ الجامع الصحيح، ص ٥٩٥ ـ ٥٩٦، ح ٢٣٨٦ ـ ٢٣٨٧؛ سنن الدارمي، ج ٢، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢، باب المرء مع من أحبّ؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٨.

٥. كنز العمّال، ج ١٠، ص ١٣٣، ح ٢٨٦٦٢، وص ١٤٣، ح ٢٨٧٣٠؛ وعن أبي عبد الله ﷺ في الكافي، ج ١، ص ٣٤، باب أصناف الناس، ح ٤.

تحاسد رجلاً من أهل العلم، وتحبّ أن يخطىء في دين الله، وينكشف خطاؤه ليفتضح، وتحبّ أن يعرض له ما يمنعه عن العلم والتعليم، وأيّ إثم يزيد على هذا؟ فليتك إذا فاتك اللحاق بهم، ثمّ اغتممت به فاتك الإثم وعذاب الآخرة، وقد جاء في الحديث: «إنّ أهل الجنّة ثلاثة: المحسن، والمحبّ له، والكافّ عنه»[1].

أي مَنْ يكفّ عن الأذى والحسد والبغض.

فانظر كيف أبعدَك إبليس عن المداخل الثلاثة، فقد نفذ عليك حسد إبليس وما نفذ حسدك على عدوّك، بل على نفسك، فلو كُوشِفْتَ بحالك في يقظةٍ أو منامٍ لرأيت نفسك أيّها الحاسد في صورة من يرمي عدوّه بحجارة؛ ليصيب بها مقتله فلا يصيبه، بل يرجع حجره على حدقته اليمنى فيقلعها، فيزداد غضبه فيعود ثانياً إلى الرمي أشدّ من الأوّل، فيرجع على عينه الأُخرى فيعميها، فيزداد غضبه فيعود ثالثةً فيرجع على رأسه فيشجّه، وعدوّه سالم على كلّ حال، وأعداؤه حوله يفرحون بما أصابه ويضحكون منه.

فهذه حال الحسود، لا بل حاله أقبح؛ لأنّ الحجر المفوّت للعين إنّما يفوت ما لو بقي لفات بالموت لا محالة، بخلاف الإثم الحاصل للحاسد، فإنّه لا يفوت بالموت، بل يسوقه إلى غضب الله تعالى وإلى النار؛ فلأنْ تَذْهَب عينه في الدنيا خيرٌ من أن تبقى له عين يدخل بها النار، فيقلعها لهب النار.

فانظر كيف انتقام الله تعالى من الحاسد، إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فأزالها عن نفسه، إذ السلامة من الإثم نعمةٌ، ومن الغمّ نعمةٌ أُخرى، وقد زالتا منه، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بِأَهْلِهِ﴾[2] وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوّه، وقلّما شمت شامت بمساءة أحد إلّا وابُتلي بمثلها.

فهذه هي الأدوية العلميّة، فمهما تفكّر الإنسان فيها بذهنٍ صافٍ وقلبٍ حاضرٍ انطفأ

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٨.

٢. فاطر (٣٥): ٤٣.

من قلبه الحسد، وعلم أنّه مهلك نفسه، ومفرّح عدوّه، ومُسخِط ربّه، ومُنَغِّص عيشه.

وأمّا الدواء العملي: فبعد أن يتدّبر ما تقدّم، ينبغي أن يكلّف نفسه نقيض ما يَبعثه الحسد عليه، فيمدح المحسود عند بعثه على القدح، ويتواضع له عند بعثه على التكبّر، ويزيد في الإنعام إن بعثه على كفّه، فينتج من هذه المقدّمات تمام الموافقة، وتنقطع مادّة الحسد، ويستريح القلب من ألمه وغمّه.

فهذه أدوية نافعة جدّاً، إلّا أنّها مُرّة جدّاً، لكن النفع في الدواء المرّ، ومن لم يصبر على مرارة الدواء لم يظفر بحلاوة الشِفاء، والباعث على هذه الخصال الحميدة الرغبة في ثواب الله، والخوف من عقابه. وفّقنا الله وإيّاكم لاستعماله بمحمّد وآله.

الفصل الخامس

في كفّارة الغيبة

اعلم أنّ الواجب على المغتاب أن يندم؛ ويتوب ويتأسّف على ما فعله؛ ليخرج من حقّ الله تعالى، ثمّ يستحلّ المغتاب؛ ليحلّه فيخرج عن مظلمته. وينبغي أن يستحلّه وهو حزين متأسّفٌ نادمٌ على فعله، إذ المرائي قد يستحلّ ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لا يكون نادماً، فيكون قد قارف معصية أُخرى.

وقد ورد في كفّارتها حديثان:

أحدهما: قولهﷺ: «كفّارة من اغتبته أن تستغفر له»[1].

والثاني: قولهﷺ: «من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليتحلّلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيّئات صاحبه، فتزيد على سيّئاته»[2].

ويمكن أن يكون طريق الجمع، حمل الاستغفار له على من لم تبلغ غيبته المغتاب،

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٣؛ وقريب منه في الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، باب الغيبة والبهت، ح ٤؛ الأمالي، الشيخ الطوسي، ج ١٩٢، ح ٣٢٥.

٢. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٦٥، ح ٢٣١٧؛ وج ٥، ص ٢٣٩٤، ح ٦١٦٩؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

فينبغي له الاقتصار على الدعاء له والاستغفار؛ لأنّ في محالّته إثارة للفتنة وجلباً للضّغائن، وفي حكمه من لم يقدر على الوصول إليه لموت أو غيبة.

وحَمْلَ المحالّة على من يمكن التوصّل إليه مع بلوغه الغيبة.

ويستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر والمحالّة استحباباً مؤكّداً، قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[١] الآية، فقال رسول الله ﷺ: «يا جَبرئيل، ما هذا العفو؟ فقال: إنّ الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك، وتَصِلَ مَنْ قطعك، وتعطي من حرمك»[٢].

وفي خبر آخر: «إذا جثى الأُمم بين يدي الله تعالى يوم القيامة نودوا: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلّا من عفى في الدنيا»[٣].

وروي عن بعضهم، أنّ رجلاً قيل له: إنّ فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب، وقال: بلغني أنّك قد أهديت إليّ حسناتك، فأردتُ أن أكافئك عليها، فاعذرني فإنيّ لا أقدر أن أُكافئك على التمام[٤].

وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودّد، ويلازم ذلك حتّى يطيب قلبه، فإن لم يطب كان اعتذاره وتودّده حسنة محسوبة له، قد تقابل سيّئة الغيبة في القيامة.

ولا فرق بين غيبة الصغير والكبير، والحيّ والميّت، والذكر والأُنثى، وليكن الاستغفار والدعاء له على حسب ما يليق بحاله، فيدعو للصغير بالهداية، وللميّت بالرحمة والمغفرة، ونحو ذلك.

ولا يسقط الحقّ بإباحة الإنسان عرضه للناس؛ لأنّه عفو عمّا لم يجب. وقد صرّح الفقهاء بأنّه لو أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من حدّه[٥].

---

١. الأعراف (٧): ١٩٩.

٢. التبيان، ج ٥، ص ٦٣؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٥١٢، ذيل الآية ١٩٩ من الأعراف (٧)؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٤.

٣ ـ ٥. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٤.

وما روي عن النبيّ ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، كان إذا خرج من بيته قال: اللهمّ إنّي تصدّقت بِعرضي على الناس»[١].

معناه: أنّي لا أطلب مظلمته يوم القيامة، ولا أخاصم عليها، لا أنّ غيبته صارت بذلك حلالاً.

وتجب النيّة كباقي الكفّارات. والله الموفّق.

١. سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٧٢، ح ٤٨٨٦؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٤.

وأمّا الخاتمة

فاعلم ـ وفّقك الله وإيّانا ـ أنّ الغرض الكلّي للحقّ من الخلق، والمقصد الأوّل مِن بِعثة الأنبياء والرسل بالكتب الإلهيّة، والنواميس الشرعيّة إنّما هو جـذب الخـلق إلى الواحد الحقّ، ومعالجة نفوسهم من داءِ الجهل، والتفاتها إلى دار القرار، ورفضها لهـذه الدار، وحمايتها عن أن ترد موارد الهلاك، إذ كانت من ذلك على خطر، وتشويقها إلى ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر، ثمّ ما يلزم ذلك المقصود من تدبير أحوال المعاش البدني، وسائر أسباب البقاء للنوع الإنساني، وكان ذلك موقوفاً على الاجتماع والتعاون، والتعاضد بالتعلّم والتعليم، وتـذكير العـارف للـغافل بـالعهد القديم، واستعانة كلّ واحد بالآخر في تحصيل نفعه؛ إذ كان الإنسان مدنيّاً بـطبعه، لا يستقلّ وحده بتحصيل معاشه، ولا يقدر على استنباط جميع أغـراضـه مـن مآكـله ورياشه، فلا جرم توقّف غرض الحكيم جلّ جلاله على الاجـتماع وتآلّـف القـلوب والموادّة حالتي المحاضر والغيوب؛ فلذلك تظافرت الأخبار والآثار في بالحثّ عـلى المودّة، والنهي عن المباينة والمجانبة، وأكثر عـلى عـباده بـعضهم لبـعض الحـقوق، وحذّرهم من الكُفران والعُقوق، ووعـدهم عـلى التّآلّـف والتّـعاطف جـزيل الثـواب، وأوعدهم على ترك ذلك مزيد النكال والعقاب، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في ضمن ما نُورده من الأخبار عن النبيّ وآله الأخيار الأطهار.

ولنذكر ممّا يناسب هذه الرسالة اثني عشر حديثاً إيثاراً للاختصار، ومن أراد الغاية من ذلك فليطالعه من الكتب المصنّفة فيه، ككتاب \الإخو\ن للصدوق ابن بابويه (رضوان الله عليه) وكتاب الإيمان، وكتاب العشرة، وغيرهما من كتب \الكافي للكليني (قدّس الله سرّه) فإنّ فيها بلاغاً وافياً لأهل الاعتبار، ودواءً شافياً لأُولي الأبصار.

الحديث الأوّل: أخبرنا شيخنا السعيد المبرور نور الدين عليّ بن عبد العالي الميسي (قدّس الله سرّه ونوّر قبره) إجازةً عن شيخه المرحوم المغفور شمس الدين محمّد بن المؤذّن الجزّيني، عن الشيخ ضياء الدين عليّ ولد الإمام العلّامة المحقّق السعيد أبي عبد الله الشهيد محمّد بن مكّي، عن والده المذكور، عن السيّد عميد الدين عبدالمطّلب، والشيخ فخر الدين ولد الشيخ الإمام الفاضل العلّامة محيي المذهب جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر، عن والده المذكور، عن جدّه السعيد سديد الدين يوسف بن عليّ بن المطّهر، عن الشيخ المحقّق نجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد، كلاهما عن السيّد محيي الدين أبي حامد محمّد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة الحلبي، عن الشريف الفقيه عزّ الدين أبي الحرث محمّد بن الحسن الحسيني البغدادي، عن الشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن المحسن الحلبي، عن الشيخ الفقيه أبي الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي، قال: حدّثني أبو عبد الله الحسين بن محمّد الصيرفي البغدادي، قال: حدّثني القاضي أبو بكر محمّد بن عمر الجعابي، قال: حدّثنا أبو محمّد القاسم بن محمّد بن جعفر من ولد عمرو بن عليّ ﷺ، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً، لا براءة له منها إلّا بأداءٍ أو العفو: يغفر زلّته، ويرحم غربته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديّته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ

حليلته، ويقضي حاجته، ويشفّع مسألته، ويسمّت عطسته، ويرشد ضالّته، ويردّ سلامه، ويطيّب كلامه، ويبرّ إنعامه، ويصدّق أقسامه، ويواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأمّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأمّا نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحبُّ له من الخير ما يحبّ لنفسه ويكره له من الشرّ مايكره لنفسه ـ ثمّ قال عليه السلام: ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له وعليه»[١].

الحديث الثاني: بالإسناد المتقدّم إلى السيّد محيي الدين بن زهرة، قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن وهب بن سليمان بقراءتي عليه في شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، قال: أخبرنا القاضي فخرالدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهزوري، يوم الجمعة سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل، قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو بكر وجيه طاهر الشحّامي بقراءتي عليه يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الزكيّ أبو حامد أحمد بن الحسن الأزهري، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمّد الحسن بن أحمد بن محمّد بن الحسن بن عليّ بن مخلّد المخلّدي العدل قراءة عليه فأقرّ به، قال: أخبرنا أبو العبّاس محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي السرّاج فيما قرأته عليه سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة فأقرّ به وقال: نعم، قال: حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا الليث عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يشتمه، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه بها كربة من كُرَبِ يوم القيامة، ومن سَتَرَ مُسلماً ستره الله يوم القيامة»[٢].

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٤٥ ـ ٤٦، ح ٥؛ وحكاه عن كنز الفوائد، للكراجكي في بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٣٦، ح ٣٦.

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٧٠ ـ ٧١، ح ٢٦؛ ونحوه في سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٧٣، ح ٤٨٩٣؛ والجامع الصحيح، ج ٤، ص ٣٤ ـ ٣٥، ح ١٤٢٦.

الحديث الثالث: وبالإسناد المتقدّم إلى السيّد محيي الدين، قال: أخبرنا القاضي شيخ الإسلام أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بقراءتي عليه في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وستّمائة، قال: أخبرنا القاضي الإمام فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهزوري، سماعاً عليه في جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفتح محمّد بن عبد الرحمن الخطيب الكشمهيني بقراءتي عليه يوم السبت سابع عشر شوّال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث بن عليّ بن أحمد الشيرازي، كتبه لي بخطّه في شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانين وأربعمائة، قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق المعدّل، قال: أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن محمّد الفقيه، قال: أخبرني أبو يعلي أحمد بن عليّ بن المثنّى الموصلي التميمي، قال هبة الله: وأخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد السكري، قال: أخبرنا أبو طاهر محمّد بن عبد الرحمن بن العبّاس المخلّص، قال: حدّثنا أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدّثني عبد الأعلى بن حمّاد التونسي، قال: حدّثنا حمّاد بن سَلَمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ رجلاً زار أخاً له في قرية أُخرى، فأرصد الله على مدرجته[1] ملكاً، فلمّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أردت أخاً لي في قرية كذا وكذا، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، إلّا أنّي أُحبّه في الله عزّ وجلّ، قال: إنّي رسول الله إليك، إنّ الله تعالى قد أحبّك كما أحببته فيه»[2].

الحديث الرابع: وبالإسناد المتقدّم إلى القاضي فخر الدين الشهزوري، قال: أخبرنا

١. المَدْرَجَة: ممرّ الأشياء على الطريق وغيره. ومدرجة الطريق: معظمه وسَنَنُه....مَدْرَج ومَـدْرَجَة ودَرَج، وجمعه أدراج أي ممرّ ومذهب. لسان العرب، ج ٢، ص ٢٦٧، «د ر ج».

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٧١ ـ ٧٣، ح ٢٧؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٨٨، ح ٢٥٦٧/٣٨.

الشيخ الحافظ ثقة الدين أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمّد الشحامي، قراءةً عليه وأنا أسمع يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شوّال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ببغداد، قال: أخبرنا الشيخ أبو نصر عبد الرحمن بن عليّ بن موسى، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن موسى بن الصلت القريني ببغداد، قال: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي إملاءً، قال: حدّثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، عن مالك بن أنس، عن أبي شهاب، عن أنس بن مالك أنّ رسول اللهﷺ قال: «لا تَبَاغضوا، ولا تَحاسَدوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عباداللہ إخواناً، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ»[1].

الحديث الخامس: وبالإسناد المتقدّم إلى الشحامي، قال: أخبرنا الشيخ أبو سعيد محمّد بن عبد العزيز الصفّار، قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمّد بن الحسين السلمي، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمّد بن محبوب، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن بحر، قال: حدّثنا محمّد بن الأزهر، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله البصري، قال: حدّثنا يعلى بن ميمون، قال: حدّثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال، قال رسول اللهﷺ: «من ألطف مؤمناً، أو قام له بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة، صَغُر ذلك أو كَبُر، كان حقّاً على الله أن يخدمه خادماً يوم القيامة»[2].

الحديث السادس: وبالإسناد المتقدّم إلى السلمي، قال: أخبرنا عبد العزيز بن جعفر بن محمّد الحزاقي ببغداد، قال: حدّثنا محمّد بن هارون بن بريه، قال: حدّثنا عيسى بن مهران، قال: حدّثنا الحسن بن الحسين، قال: حدّثنا الحسين بن زيد، قال، قلت لجعفر بن محمّدﷺ: جعلت فداك هل كانت في النبيّﷺ مداعبة؟ فقالﷺ: «لقد

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٨٠، ح ٣٧؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٨٣، ح ٢٥٥٩/٢٣؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٣٢٩، ح ١٩٣٥.

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٨١، ح ٣٨.

وصفه الله بخُلق عظيم في المداعبة، وإنّ الله تعالى بعث أنبياءه فكانت منهم كَزازة[1]، وبعث محمّداًﷺ بالرأفة والرحمة، وكان من رأفته لأُمّته مداعبته لهم؛ لكيلا يبلغ بأحدٍ منهم التعظيم حتّى لا ينظر إليه. ـ ثمّ قال ـ: حدّثني أبي محمّد، عن أبيه عليّ، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليّ، قال: كان رسول اللهﷺ ليَسُرُّ الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة، وكانﷺ يقول: إنّ الله يبغض المعبّس في وجه إخوانه»[2].

الحديث السابع: بالإسناد المتقدّم إلى شيخ المذهب ومحييه ومحقّقه جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر، عن والده السعيد سديد الدين يوسف بن المطهّر، قال: أخبرنا السيّد العلّامة النسّابة فخار بن معدّ الموسوي، عن الفقيه سديد الدين شاذان بن جبرئيل القميّ، عن عماد الدين الطبري، عن الشيخ أبي عليّ الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، عن والده الشيخ (قدّس الله روحه) عن الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، عن الشيخ[الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي عن الشيخ][3] أبي عبد الله جعفر بن قولويه، عن الشيخ أبي عبد الله محمّد بن يعقوب الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الله بن بكير، عن مُعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق ، قال، قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: «سبع حقوق واجبات ما منها حقّ إلّا وهو واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لِلّه فيه نصيب».

قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: «يا معلّى إنّي عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل».

١. الكزازة والكَزاز: اليُبس والانقباض. لسان العرب، ج ٥، ص ٤٠١، «كزز».

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٨١ ـ ٨٢، ح ٣٩؛ ورواه النوري عنه في مستدرك وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨، الباب ٦٦، من أبواب أحكام العشرة، ح ١.

٣. ما بين القوسين لم يرد في الأصل.

قال، قلت: لا قوّة إلّا بالله، قال: «أيسر حقٍّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك».

والحقّ الثاني: أن تتجنّب سخطه، وتتبّع مرضاته، وتطيع أمره.

والحقّ الثالث: أن تُعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحقّ الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

والحقّ السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.

والحقّ السابع: أن تبرَّ قَسَمه، وتُجيب دعوته، وتعود مرضته، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادر إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك[1].

الحديث الثامن: بالإسناد إلى محمّد بن يعقوب الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا مشى الرجل في حاجة أخيه المؤمن تكتب له عشر حسنات، وتمحى عنه عشر سيّئات، وترفع له عشر درجات ـ قال: ولا أعلمه إلّا قال ـ: ويعدل عشر رقبات، وأفضل من اعتكاف شهرٍ في المسجد الحرام»[2].

الحديث التاسع: بالإسناد عن الكليني، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن حسين بن نعيم، عن مسمع أبي سيّار، قال: سمعت

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٦٤ ـ ٦٦، ح ٢٠؛ الكافي، ج ٢، ص ١٦٩، باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه، ح ٢.

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٦٠، ح ١٠؛ الكافي، ج ٢، ص ١٩٦ ـ ١٩٧، باب السعي في حاجة المؤمن، ح ١.

أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كُرَب الآخرة، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثِمار الجنّة، ومن سقاه شربةً سقاه الله من الرحيق المختوم»[١].

الحديث العاشر: رويناه بأسانيدَ متعدّدة، أحدها بالإسناد المتقدّم في الحديث السابع إلى الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبيه محمّد بن عيسى الأشعري، عن عبد الله بن سليمان النوفلي، قال: كنت عند جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فإذن بمولى لعبد الله النجاشي قد ورد عليه، فسلّم وأوصل إليه كتابه، ففضّه وقرأه فإذن أوّل سطر فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاء سيّدي، وجعلني من كلّ سوءٍ فداه، ولا أراني فيه مكروهاً؛ فإنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

اعلم سيّدي ومولاي أنّي بليتُ بولاية الأهواز، فإن رأى سيّدي أن يحدّ لي حدّاً، أو يمثّل لي مثالاً لاستدلّ به على ما يقرّبني إلى الله جلّ وعزّ وإلى رسوله، ويلخّص في كتابه ما يرى لي العمل به، وفيما أبذله وأبتذله، وأين أضع زكاتي، وفيمن أصرفها، وبمن آنس، وإلى من أستريح، وبمن أثِق وآمن وألجأ إليه في سرّي؟ فعسى أن يخلّصني الله بهدايتك ودلالتك، فإنّك حجّة الله على خلقه، وأمينه في بلاده، لازالت نعمته عليك.

قال عبد الله بن سليمان: فأجابه أبو عبد الله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه، ولَطَف بك بمنّه، وكلأك برعايته، فإنّه وليّ ذلك. أمّا بعد: فقد جاءني رسولك بكتابك، وقرأتُه وفهمتُ جميع ما ذكرتَه وسألتَ عنه، وزعمت أنّك بليتَ بولاية الأهواز، فسرّني ذلك وساءني، وسأُخبرك بماساءني من ذلك، وما سرّني.

فأمّا سروري بولايتك، فقلت: عسى أن يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من أولياء آل

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٦١، ح ١٢؛ الكافي، ج ٢، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠، باب تفريج كرب المؤمن، ح ٣.

محمّدﷺ ويعزّ بك ذليلاً، ويكسو بك عاريهم، ويقوّي بك ضعيفهم، ويطف بك نار المخالفين عنهم.

وأمّا الذي ساءني من ذلك، فإنّ أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بوليّ لنا، فلا تشمّ رائحة القدس، فإنيّ مخلّص لك جميع ما سألت عنه، إن أنت عملت به ولم تجاوزه رجوت أن تسلم إن شاء الله.

أخبَرني يا عبد اللهﷺ أبي عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالبﷺ، عن رسول اللهﷺ أنّه قال: من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبّه.

واعلم أنّي سأُشير عليك برأيي، إن أنت عملت به تخلّصت ممّا أنت متخوّفه. واعلم أنّ خلاصك ونجاتك من حقن الدماء، وكفّ الأذى عن أولياء الله، والرفق بالرعيّة، والتأنّي، وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف، وشدّة في غير عنف، ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله، وارتق فتق رعيّتك بأن توقفهم على ما وافق الحقّ والعدل إن شاء الله.

إيّاك والسعاة وأهل النمائم، فلا يلتزقنّ منهم بك أحداً، ولا يراك الله يوماً وليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فيسخط الله عليك ويهتك سترك، واحذر مكر خوز[١] الأهواز، فإنّ أبي أخبَرني، عن آبائه، عن أمير المؤمنينﷺ أنّه قال: إنّ الإيمان لا يثبت في قلب يهودي ولا خوزي أبداً.

فأمّا من تأنس به وتستريح إليه وتلجئ أُمورك إليه، فذلك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينك. وميّز أعوانك، وجرّب الفريقين، فإن رأيت هنالك رشداً فشأنك وإيّاه.

وإيّاك أن تُعطي درهماً، أو تخلع ثوباً، أو تحمل على دابّة في غير ذات الله لشاعر

١. خوز ـ بضمّ أوّله وتسكين ثانيه وآخره زاي ـ: بلاد خوزستان، يقال لها الخوز، وأهل تلك البلاد يقال لهم الخوز، وينسب إليه. معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦١، الرقم ٤٤٦٤، «خوز».

أو مضحك أو ممتزح، إلّا أعطيت مثلَه في ذات الله.

ولتكن جوائزك وعطاياك وخلعك للقوّاد والرسل والأجناد وأصحاب الرسائل وأصحاب الشرط والأخماس، وما أردت أن تصرفه في وجوه البرّ والنجاح والفتوّة[١] والصدقة والحجّ والمشرب والكسوة التي تصلّي فيها وتصل بها، والهديّة التي تُهديها إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله ﷺ من أطيب كسبك.

يا عبد الله، اجهد أن لا تكنز ذهباً ولا فضّة، فتكون من أهل هذه الآية التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٢]، ولا تستصغرنّ من حلو أو فضل طعام تصرفه في بطون خالية تسكن بها غضب الربّ تبارك وتعالى.

واعلم أنّي سمعت أبي يحدِّث عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول لأصحابه يوماً: ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جائع، فقلنا: هلكنا يا رسول الله، فقال: من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم[٣] وخلقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الربّ.

وسأُنبّئك بهوان الدنيا، وهوان شرفها على من مضى من السلف والتابعين. فقد حدّثني محمّد بن عليّ بن الحسين، قال: لمّا تجهّز الحسين عليه السلام إلى الكوفة أتاه ابن عبّاس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطفّ، فقال: أنا أعرف بمنصرعي منك، وما وُكدي[٤] من الدنيا إلّا فراقها، ألا أُخبرك يا ابن عبّاس بحديث أمير المؤمنين والدنيا؟ فقال له: بلى لعمري، إنّي لأُحبّ أن تحدّثني بأمرها. فقال أبي: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: سمعت أبا عبد الله الحسين عليه السلام يقول: حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّي

١. في المصدر: «الفتق» بدل «الفتوّة».

٢. التوبة (٩): ٣٤.

٣. في المصدر: «وورقكم» بدل «ورزقكم».

٤. يقال: ما زال ذلك وُكْدي ـ بضمّ الواو ـ أي فعلي ودأبي وقصدي. لسان العرب، ج ٣، ص ٤٦٧، «وكد».

كنت بفدكٍ في بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة عليها السلام، قال: فإذن أنا بامرأة قد قَحمَت عليّ، وفي يديّ مسحاة وأنا أعمل بها، فلمّا نظرتُ إليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها، فشبّهتها ببُثينة بنت عامر الجُمحي، وكانت من أجمل نساء قريش.

فقالت: يا ابن أبي طالب، هل لك أن تتزّوج بي، فأُغنيك عن هذه المسحاة، وأدلّك على خزائن الأرض، فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك؟ فقال لها عليه السلام: من أنتِ حتّى أخطبكِ من أهلكِ؟ قال، فقالت: أنا الدنيا.

قال لها: فارجعي واطلبي زوجاً غيري، وأقبلتُ على مسحاتي وأنشأت، أقول:

لقد خاب من غرَّته دنيا دَنيّة ... وما هي إن غرّت قروناً بتائل
أتتنا على زيّ العزيز بُثينة ... وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلتُ لها غُرّي سواي فإنّني ... عزوف عن الدنيا ولستُ بجاهل
وما أنا والدنيا فإنّ محمّداً ... أحلّ صريعاً بين تلك الجنادل
وهبها أتَتْني بالكنوز ودورها ... وأموال قارون ومُلك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرنا ... ويُطلب من خُزّانها بالطوائل
فغُرّي سواي إنّني غير راغب ... بما فيك من مُلكٍ وعزٍّ ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رزقته ... فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فإنّي أخاف اللهَ يوم لقائه ... وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعةٌ لأحد حتّى لقي الله تعالى محموداً غير ملوم ولا مذموم، ثمّ اقتدت به الأئمّة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشيء من بوائقها عليهم السلام أجمعين وأحسن مثواهم.

وقد وجهّت إليك بمكارم الدنيا والآخرة عن الصادق المصدَّق رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن أنت عملتَ بما نصحتُ لك في كتابي هذا، ثُمَّ كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل أوزان الجبال وأمواج البحار، رجوت الله أن يتجافى عنك جلّ وعزّ بقدرته.

يا عبد الله، إيّاك أن تُخيف مؤمناً، فإنّ أبي محمّد بن عليّ حدّثني، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب ﷺ إنّه كان يقول: من نظر إلى مؤمنٍ نظرةً؛ ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، وحشره في صورة الذرّ لحمه وجسده وجميع أعضائه حتّى يورده مورده.

وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ ﷺ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: من أغاث لهفاناً من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، وآمنه يوم الفزع الأكبر، وآمنه من سوء المنقلب. ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله له حوائجَ كثيرةً من إحداها الجنّة. ومن كسا أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنّة واستبرقها وحريرها، ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسوّ منه سلك. ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيّبات الجنّة. ومن سقاه من ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم رِيَّه. ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلّدين، وأسكنه مع أوليائه الطاهرين. ومن حمل أخاه المؤمن من رحله حمله الله على ناقةٍ من نوق الجنّة، وباهى به الملائكة المقرّبين يوم القيامة. ومن زوّج أخاه المؤمن امرأةً يأنس بها، ويشدّ عضده، ويستريح إليها زوّجه الله من حور العين، وآنسه بمن أحبّ من الصدّيقين من أهل بيت نبيّه وإخوانه وآنسهم به. ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلّة الأقدام. ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله لا لحاجة منه إليه كتب من زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يُكرم زائره.

يا عبد الله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ ﷺ أنّه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول لأصحابه يوماً: معاشر الناس، إنّه ليس بمؤمنٍ من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فلا تتبعوا عثرات المؤمنين؛ فإنّه من اتّبع عثرة مؤمنٍ اتّبع الله عثراته يوم القيامة، وفضحه في جوف بيته.

وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ ﷺ أنّه قال: أخذ الله ميثاق المؤمن أن لا يُصَدَّق

في مقالته، ولا ينتصف من عدوّه، وعلى أن لا يشفي غيظه إلّا بفضيحة نفسه؛ لأنّ كلّ مؤمن ملجَم، وذلك لغاية قصيرة وراحة طويلة؛ أخذ الله ميثاق المؤمن على أشياءَ، أيسرها عليه: مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه ويحسده، والشيطان يغويه ويعنّته، والسلطان يقفو أثره ويتّبع عثراته، وكافر بالذي هو به مؤمن يرى سفك دمه ديناً، وإباحة حريمه غنماً، فما بقاء المؤمن بعد هذا؟!

يا عبد الله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نزل جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرأُ عليك السلام ويقول: اشتققت للمؤمن اسماً من أسمائي سمّيته مؤمناً، فالمؤمن منّي وأنا منه، من استهان بمؤمنٍ فقد استقبلني بالمحاربة.

يا عبد الله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال يوماً: يا عليّ، لا تناظر رجلاً حتّى تنظر في سريرته، فإن كانت سريرته حسنة فإنّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليخذل وليّه، وإن كانت سريرته رديئةً فقد يكفيه مساوئه، فلو جهدت أن تعمل به أكثر ممّا عمله من معاصي الله عزّ وجلّ ما قدرت عليه.

يا عبد الله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجل عن أخيه الكلمة ليحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلاق لهم.

يا عبد الله، وحدثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: من قال في مؤمن ما رأت عيناه، وسمعت أُذناه، ما يشينه ويهدم مروءته فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

يا عبد الله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: من روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروءته وثَلبه أوبقه الله بخطيئته حتّى يأتي بمخرج ممّا قال، ولن

١. النور (٢٤): ١٩.

يأتي بالمخرج منه أبداً. ومن أدخل على أخيه المؤمن سروراً فقد أدخل على أهل البيتعليهم السلام سروراً. ومن أدخل على أهل البيت سروراً فقد أدخل على رسول اللهصلى الله عليه وآله سروراً. ومن أدخل على رسول اللهصلى الله عليه وآله سروراً فقد سرّ الله، ومن سرّ الله فحقيق عليه أن يدخله الجنّة جنّته.

ثمّ إنّي أُوصيك بتقوى الله، وإيثار طاعته، والاعتصام بحبله؛ فإنّه من اعتصم بحبل الله فقد هدي إلى صراط مستقيم، فاتّق الله ولا تؤثّر أحداً على رضاه وهواه؛ فإنّه وصيّة الله عزّ وجلّ إلى خلقه، لا يقبل منهم غيرها ولا يعظم سواها.

واعلم أنّ الخلائق لم يوكّلوا بشيء أعظم من التقوى؛ فإنّه وصيّتنا أهل البيت، فإن استطعت أن لا تنال من الدنيا شيئاً تسأل عنه غداً فافعل».

قال عبد الله بن سليمان: فلمّا وصل كتاب الصادقعليه السلام إلى النجاشي نظر فيه وقال: صدق والله الذي لا إله إلّا هو مولاي، فما عمل أحد بما في هذا الكتاب إلّا نجا، فلم يزل عبد الله يعمل به أيّام حياته[١].

الحديث الحادي عشر: بالإسناد إلى الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن خيثمة، قال: دخلت على أبي جعفرعليه السلام أودّعه، فقال:

«يا خيثمة، أبلغ مَن ترى مِن موالينا السلام، وأوصِهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيّهم على فقيرهم وقويّهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم؛ فإن لُقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.

يا خيثمة، أبلغ موالينا أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلّا بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع، وأنّ أشدّ الناس حسرةً يوم القيامة من وصف عدلاً ثُمّ خالفه إلى غيره»[٢].

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، ص ٤٦ ـ ٥٥، ح ٦؛ ورواه المجلسي عن كشف الريبة في بحارالأنوار، ج ٧٢، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٦، ح ٧٧.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٧٥ ـ ١٧٦، باب زيارة الإخوان، ح ٢.

الحديث الثاني عشر: بالإسناد عنه ﷺ عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «كان أبو جعفر ﷺ يقول: عظّموا أصحابكم ووقّروهم، ولا يتجهّم بعضكم بعضاً، ولا تَضارُّوا، ولا تَحاسَدوا، وإيّاكم والبخل، وكونوا عباد الله المخلصين»[1].

وبهذا نختم الرسالة، ونبتهل إلى الله عزّ وجلّ بفضله العميم وكرمه الجسيم، وبحقّ محمّد وآل محمّد (عليهم أفضل الصلاة والتسليم) أن يرزقنا العمل بما اشتملت عليه من الكمال، وأن لا يجعل حظّنا منها مجرّد المقال، ويصلحنا لأنفسنا وإخواننا، ويصلحهم لنا إنّه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

والحمد للّه ربّ العالمين، وصلاته على سيّد رسله وخير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

أفردها من مواضع متعدّدة، وأماكن متبدّدة، العبد الفقير إلى الله تعالى، زين الدين بن عليّ بن أحمد بن تقيّ الدين صالح بن مشرف العاملي (تجاوز الله تعالى عن سيّئاته، ووفّقه لمرضاته) وفرغ من تسويدها يوم الخميس ثالث عشرين شهر صفر ختم بالخير سنة تسع وأربعين وتسعمائة من الهجرة الطاهرة. حامداً مصلّياً مسلّماً. وفرغ من هذه النسخة ١٠ ربيع الأوّل سنة ٩٤٨.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ١٧٣، باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه، ح ١٢.

(٣)

التنبيهات العليّة

على وظائف الصلاة القلبيّة

أو

[أسرار الصلاة]

تحقيق

عبّاس المحمّدي

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

يعدّ هذا الكتاب الجليل عالٍ في معانيه، يرشد القارئ، ويعلّمه أدب الوقوف بين يدي ربّ العالمين في حال الصلاة التي هي عمودالدين، وعماده، والتي مَثَلُها في دين الله كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبتت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود لم يثبت وتد ولا طنب، والتي إن قُبلت قُبِل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها كما ورد في الخبر[1].

وهي من أهمّ الواجبات، والمأمور بها في جميع الأديان؛ ولهذا اهتمّ العلماء والفقهاء في سالف الزمان بتآليف قيّمة في أسرارها، عدّ سبعة عشر منها العلّامة الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة، ثلاثة منها من المتقدّمين على الشهيد (رحمه الله) أوّلها: للشيخ الرئيس أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا (م ٤٢٧)[2]. وثانيها: للسيّد رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن طاوس الحلّي (م ٦٦٤)[3]. وثالثها: للشيخ جمال الدين أبي العبّاس أحمد بن شمس الدين محمّد بن فهد الأسدي الحلّي (م ٨٤١)[4].

---

١. راجع الفقيه، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٢٦.

٢. الذريعة، ج ٢، ص ٤٨، الرقم ١٩٥.

٣. الذريعة، ج ٢، ص ٤٩، الرقم ١٩٩.

٤. الذريعة، ج ٢، ص ١٤٧، الرقم ١٩٢.

ولعلّ الشهيد (رحمه الله) تأثّر من بعضها في تأليف هذا الكتاب.

ورابع الكتب في هذا الموضوع ـ على ما عثرنا عليه ـ هذا الكتاب الذي بين يديك، ولا يصل الإنسان إلى مزاياه إلّا بالمطالعة العميقة الدقيقة، والتأمّل في فصوله، وهو إحدى التأليفات القيّمة العباديّة الأخلاقيّة المفيدة للشهيد الثاني، بل يعدّ أحد المصادر المعتبرة التي اعتمد عليها المجلسي في بحار الأنوار في المجلّد الأوّل.

قال المصنّف في تعريفه:

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها، وزبدة من آدابها، وأكثرها قد وردت به النصوص عن أهل الخصوص عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيّات....، وهذه الأُمور وإن كانت متفرّقة في تضاعيف النصوص، وكلام الكاملين من العلماء العاملين، لكن لا يجتمع أطرافها إلّا عند قليل من الأماجد، ولا يطّلع على معادنها إلّا واحد بعد واحد، فشاركتهم في مثوبتها بجمع أطرافها ومبانيها وتهذيب ترتيبها، وتقريب معانيها.

وقال ابن العودي ـ تلميذ الشهيد في ترجمته عند تعداد مصنّفاته ـ:

ومنها: رسالة في أسرار الصلاة القلبيّة، رتّبها على ترتيب الألفيّة، وذكر وظائف كلّ باب باعتبار ملاحظة القلب للأسرار الباطنيّة، حسب ترتيب الواجبات الظاهرة[1].

فرغ من تصنيفها في اليوم السبت تاسع شهر ذي‌الحجّة الحرام، وهو اليوم المبارك، يوم عرفة سنة إحدى وخمسين وتسعمائة على ما قاله (قدّس سرّه) في ختام الكتاب.

إنّ موضوعه وإن كان الصلاة لكن لا من حيث المسائل الفقهيّة الظاهريّة، كالطهارة والنجاسة والمكان وغيره، بل من جهاتها المعنويّة، كالتوجّه إلى أنّ المصلّي في حال

١. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٦.

الصلاة بين يدي مَن يقوم؟ ومع مَن يتكلّم؟ وماذا يقول؟ وماذا يطلب؟ وكلّ هذا لا يلتفت ولا يتوجّه إليها إلّا بحضور القلب، والتوجّه الباطنيّة.

لقد كان مقصده (رحمه الله) من تأليفه تعليم العباد أدب الوقوف بين يدي ربّ العالمين في حال الصلاة؛ ولذا قال ـ كما سمعته ـ :

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها ....، وبمراعاتها يترقّى العامل من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجلّيّات[1].

هذا وقد تأثّر الشهيد (قدّس سرّه) كثيراً بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي وتأثّر كثير من الأكابر به، منهم السيّد نعمة الله الموسوي الجزائري في الأنوار النعمانيّة، والميرزا جواد الملكي التبريزي في أسرار الصلاة، والشهيد آية الله دستغيب في صلاة الخاشعين، والإمام الخميني (رحمه الله) في الآداب المعنويّة للصلاة.

شروحه وترجماته:

شرحه المولى محمّد عليّ بن محمّد حسن الآراني الكاشاني، وسمّاه جامع الخيرات[2].

وترجمه المولى محمّد زمان التنكابني الإصفهاني بالفارسيّة بأمر شاه سلطان حسين الصفوي[3].

وأيضاً ترجمه محمّد صالح بن محمّد صادق الواعظ، وطبع أوّلاً في سنة (١٣٦٨ ـ ١٣٢٧هـ ش) بإعداد مير جلال الدين الحسيني المحدّث.

وأيضاً ترجمه غلام حسين روشن‌نژاد، وسمّاه بـأسرار قلبي نماز طبع أوّلاً في مشهد الرضا عليه السلام.

---

١. خطبة الكتاب للمصنّف، ص ١٣.

٢. الذريعة، ج ٥، ص ٥١، الرقم ٢٠١.

٣. الذريعة، ج ٤، ص ٧٨، الرقم ٣٣٠.

النسخ المعتمدة:

أ: المخطوطة المصحّحة، الموجودة في مكتبة النصيري الخاصّة، ضمن مجموعة غير مرقّمة، نسخة جيّدة في حدّ نفسها جدّاً، استفدنا منها كثيراً، ورمزنا لها بـ«ص».

ب: المطبوعة على الحجر، ضمن مجموعة رسائل الشهيد الثاني تحتوي على عشر رسائل منها: التنبيهات العليّة، من منشورات مكتبة بصيرتي، وهذه الطبعة وإن كان غير محقّقة ولكن تمتاز على مطبوعة «ب» من حيث صحّة المتن، ورمزنا لها بـ«ح».

ج: المطبوعة مستقلّاً بالقطع الوزيري بإعداد محمّد عليّ قاسم في مطبعة الدار الإسلاميّة في بيروت، عام (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)، ورمزنا لها بـ«ب».

د: المطبوعة مستقلّاً أيضاً بالقطع الوزيري بتحقيق صفاءالدين البصري في مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، عام (١٤١٣هـ / ١٣٧١ش)، ورمزنا لها بـ«م». وفيها أيضاً أخطاء نشير إلى بعضها:

وفيها بعض النقائص مشتركة مع «ب» وهو وجود هوامش غير لازمة مملّة وتوضيحات لا حاجة لها، كالتعليقة ٦ من ص١٣٩، ونقل اختلافات النسخ غير المهمّة أيضاً في الهوامش، والقصور في الاستخراجات اللازمة من مصادرها الأصليّة المتقدّمة على الشهيد، وعدم الاستخراج أصلاً في بعض الأحيان، أو الاستخراج الناقص، لم نتعرّض لمواردها حذراً من التطويل.

ولها طبعات أُخر غير ما استفدنا منها، نذكرها على حسب الترتيب الذي ذكره خان بابا مشار:

١. طهران، عام (١٣٠٥)، طبعة حجريّة على قطع الوزيري، بمعيّة عقائد النصيريّة وغيره.

٢. طهران، عام (١٣١٢)، طبعة حجريّة على قطع الوزيري، بإعداد حاج شيخ رضا

الطهراني بمعيّة حقائق الإيمان وكشف الريبة.

٣. طهران، عام (١٣٢٠)، طبعة حجريّة على قطع الوزيري، بمعيّة عقائد النصيرية، وكشف الفوائد، وحقائق الأسرار وغيره.

٤. طهران، عام (١٣٠٠)، طبعة حجريّة على قطع الرقعي، مع رسالة الكرّ من محمّد بن أبو القاسم الحسيني التبريزي، ورسالة الموجز لابن فهد الحلّي في مجلّد واحد.

٥. طهران، عام (١٣١٣)، طبعة حجريّة على قطع اللبني، بمعيّة مجموعة الإفادات.

٦. إيران، عام (١٢٩٦)، طبعة حجريّة بكتابة كاتبه محمّد إبراهيم[1].

منهجنا في التحقيق

١. مقابلة الكتاب مع النسخ التي مرّ وصفها وقد اعتمدنا طريق التلفيق بين النسخ؛ لأجل إثبات أصحّ النصوص.

٢. تخريج الآيات والروايات والحكايات حتّى ما كان منها غير مصرّح في بعض الأحيان، ولقد أتعبنا أنفسنا لاستخراج جميعها، وقد عثرنا عليها ـ إلّا قليلاً منها ـ في المصادر المتقدّمة على الشهيد (رحمه الله).

٣. تقويم متن الكتاب وضبط نصّه مع ملاحظة جميع الاختلافات الواردة بين النسخ، وضبط أصحّها في المتن، وفي بعض الموارد اللازمة ذكر اختلافات النسخ في الهوامش.

٤. شرح الألفاظ والكلمات الصعبة في الكتاب من المعاجم اللغوية المعتبرة.

نسأل المولى القدير أن يتقبّل منّا هذا العمل، ويجعله ذخراً لنا ولوالدينا في يوم الحساب وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة ـ عبّاس المحمّدي الجلال آبادي

---

١. فهرست كتابهاى چاپى عربى (مشار)، ص ٢٢١.

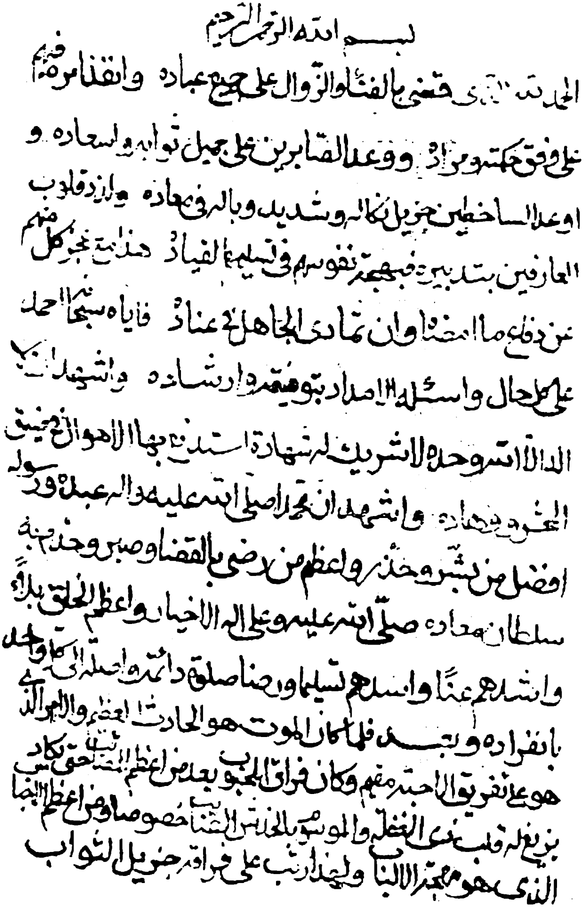

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده وافقرهم فيه
الى […] ومراده ووعد الصابرين على جميل ثوابه واسعاده و
اوعد الساخطين جزيل نكاله وشديد وباله في معاده وارادة قلوب
العارفين بتدبيره فبهجت نفوسهم في تسليم القياد هذا مع عجز كل منهم
عن دفع ما امضاه وان تمادى الجاهل في عناده فاياه سبحانه احمد
على كل حال واسأله الامداد بتوفيقه وارشاده واشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له شهادة استدفع بها الاهوال في يوم
[…] ومعاده واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله
افضل من بشر وحذر واعظم من رضي بالقضا وصبر وجاهد في
سلطان معاده صلى الله عليه وعلى آله الاخيار واعظم الخلق بلاء
واشدهم عناء واسلمهم تسليما ورضا صلاة دائمة واصلة الى […]
بانفراده وبعد فلما كان الموت هو الحادث العظيم والامر الذي
هو على تفريق الاحبة مقيم وكان فراق المحبوب بعد من اعظم الشدائد تكاد
ينزع له قلب […] العقل والموسوس الحواس خصوصا ومن اعظم
الذي هو […] الابناء ولهذا رتب على فراقهم جزيل الثواب

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «م»

لما جا في الحديث ان الله اذا احب قوما واحب عبدا صب عليه البلا
صبا فلا يخرج من غم الا وقع في غم لما جا في الحديث ما من
جرعة احب الى الله عز وجل ان يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة
غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزا واحتساب
ذلك لما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون
على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد
ما بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا خص رجلا بالترحم عليه والاستغفار
استشهد فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي واخوتي بالصبر والرضا
والتسليم والتفويض الى الله تعالى عز وجل والرضا والصبر على قضائه والتمسك
بطاعته والنزول عند امره افرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالسعادة وانقذنا
واياكم من كل هلكة بحوله وقوته انه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه
محمد النبي واهل بيته هذا آخر التعزية بلفظها نقلتها من كتاب التتمات
والمهمات وعليها بخط الرسالة حامد بن الله تعالى على نواله مصليا على صاحب الرسالة
وعلى آله اهل العصمة والعدالة * فرغ منها مؤلفها العبد المفتقر الى الله تعالى زين الدين بن علي بن احمد
الشامي العاملي عامله الله بفضله وعفى عنهم عنه وسط نهار الجمعة عشر
شهر رجب المرجب الفرد الحرام عام اربع وخمسين وتسعماية حامدا مصليا مسلما
مستغفرا والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «م»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه مُطلِع من اختار من عباده الأبرار، على خفايا الأسرار؛ ومـودع قـلوب أصفيائه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر والأبصار، وجـاعل القـلوب سـبباً للنجاة، وموضعاً للمناجاة والمبارّ، وذريـعة إلى ارتـفاع الدرجـات، وتـفاوت مـراتب العبادات، في قبول طوالع الأنوار، من مطالع المسَارّ. وفـتح بـمفاتيح الغـيوب أقـفال القلوب عمّن شاء واختار، ورفع حـجب السـرائـر، وجـلا أبـصار البـصائر، فـفهمت الإشارات، ورفعت الأستار، فدهشت في مـبادي إشـراق نـوره الأحـداق والأنـظار. والصلاة على نبيّه وحبيبه ومعدِن سرّه محمّد النبيّ المختار، وعلى آله الأئمّة الأبرار، وصحبه الأخيار، صلاةً دائمةً بدوام الليل والنهار.

أمّا بعد، فإنّ رَوح السعادة وبهجتها، ورُوح العبادة ومهجتها، وموجب تلقّيها بأيدي القبول والإحسان، ومضاعفة الثواب بها في دار الجنان، والتسبّب بها إلى ما لا عـينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ[1]، والانتساب بها إلى عالم الملكوت

١. اقتباس من الحديث القدسي المرويّ في عدّة الداعي، ص ٩٩؛ وصحيح البخاري، ج ٣، ص ١١٨٤، ح ٣٠٦٨؛ وصحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٧٤، ح ٢٨٢٤/٢، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها؛ وكنز العمّال، ج ١٥، ص ٧٧٨، ح ٤٣٠٦٩، وص ٧٨٨، ح ٤٣١١٩. وهو قوله تعالى: «أعـددت لعـبادي الصـالحين مـا لا عـين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

والملائكة الغُرر، وتلقّي الفيض من عالم الغيب والشهادة، وإيجاب القليل منها لعظيم الزيادة؛ إنّما يتمّ بالإقبال بالقلب في أفعالها وحركاتها وسكناتها على الله تعالى، والتفكّر في أسرارها، وتقلّب النفس في حالاتها حسب اختلاف أوضاعها وأطوارها.

فإنّها تارةً: قصد وإخلاص، وانقطاع واختصاص.

وتارةً: تكبير للّه تعالى وتمجيد، وثناء وتحميد.

وتارةً: دعاء وابتهال.

وأُخرى: خضوع وتسافل بحضرة ذي الجلال.

وتارةً: خشوع وتململ على التراب بين يدي ربّ الأرباب.

وتارةً: تجديد عهد بكلمة التوحيد، وتقرير للإسلام، وتذكير بالعهد القديم المأخوذ على الأنام[١].

وتارةً: تحيّة لمقرّبي حضرته بلفظة «السلام» إلى غير ذلك من دقائق الحقائق، التي تظهر للمصلّي بفكره الصادق؛ ومن ثَمّ كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء، موجبة للقرب والزلفى، كما نطق به القرآن الحكيم[٢]، ووردت به الأخبار عن النبيّ[٣] وآله[٤] (عليهم أفضل الصلاة وأكمل التسليم).

وحينئذٍ فلابدّ للمكلّف المستيقظ من الإقبال بقلبه عليها، والتفكّر في أسرارها،

١. إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ الأعراف (٧): ١٧٢، وإلى الآية: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ ...﴾ يس (٣٦): ٦٠.

٢. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ العنكبوت (٢٩): ٤٥؛ وقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ العلق (٩٦): ١٩.

٣. كقوله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً». إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٥٠.

٤. كقول عليّ ؈ في نهج البلاغة، ص ٦٨٣، الحكمة ١٣٦؛ وأبي الحسن الرضا ؈ في الكافي، ج ٣، ص ٢٦٥، باب فضل الصلاة، ح ٦؛ والفقيه، ج ١، ص ١٣٦، ح ٦٣٧: «الصلاة قربان كلّ تقيّ».

والتأدّب بآدابها، وإلّا كانت بمنزلة الجسد من غير روح، والشجرة من غير ثمرة، والعمل من غير غاية.

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها، وزبدة من آدابها، وأكثرها قد وردت به النصوص[1] عن أهل الخصوص (عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيّات)، وبمراعاتها يترقّى العامل[2] من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجلّيات.

وهذه الأُمور وإنْ كانت متفرّقةً في تضاعيف النصوص، وكلام الكاملين من العلماء العاملين، لكن لا تكاد تجتمع أطرافها إلّا عند قليل من الأماجد، ولا يطّلع على معادنها إلّا واحد بعد واحد، فشاركتهم في مثوبتها بجمع أطرافها ومبانيها، وتهذيب ترتيبها، وتقريب معانيها، وصارت مع ذلك معزّزةً للرسالتَين الشريفتين اللتَين اشتملت إحداهما على واجبات الصلاة وهي الألفيّة، والأُخرى على مندوباتها وهي النفليّة، وهذه على أسرارها القلبيّة، وسمّيتها بـالتنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبية. ورتّبتها ترتيب القادمة[3] على مقدِّمة، وفصول ثلاثة، وخاتمة.

١. كما يأتي في محلّه مفصّلاً إن شاء الله تعالى.

٢. في بعض النسخ: «القابل» بدل «العامل».

٣. أي الألفيّة.

أمّا المقدِّمة

فتشتمل على ثلاثة مطالبَ:

[المطلبُ] الأوّلُ في تحقيق معنى القلب

الذي ينبغي إحضاره في أوقات العبادات وبسببه تتفاوت مراتب العبادات في الدرجات.

اعلم أنّ القلب يطلق على معنَيين:

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه. وهذا المعنى من القلب موجود للبهائم بل للميّت، وليس هو المراد في هذا الباب ونظائره.

والمعنى الثاني: لطيفة ربّانيّة روحانيّة، لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي المعبّر عنها بـ«القلب» تارةً، وبـ«النفس» أُخرى، وبـ«الروح» ثالثة، وبـ«الإنسان» أيضاً، وهي المُدرِك العالِم العارِف، وهي المخاطَب والمطالَب والمعاتَب، ولها علاقة مع القلب الجسداني، وقد تحيّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، وأنّ تعلّقه به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق

المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان. وشرح ذلك يخرج عن غرض الرسالة.

وحيث يطلق القلب في الكتاب والسنّة فالمراد منه هذا المعنى الذي يفقه ويعلم، وقد يكنى عنه بـ«القلب في الصدر» كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]؛ وذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينها وبين جسم القلب، فإنّها وإنْ كانت متعلّقةً بسائر البدن ومستعملةً له، ولكنّها تتعلّق به بواسطة القلب. فتعلّقها الأوّل بالقلب وكأنّه محلّها ومملكتها وعاملها ومطيّتها.

ولذلك شبّه بعض العلماء[2] القلب بالعرش، والصدر بالكرسي. وأراد به أنّه مملكته والمجري الأوّل لتدبيره وتصرّفه. فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى.

ولا يستقيم هذا التشبيه إلّا من بعض الوجوه كما لا يخفى.

وهذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة المَلِك، وله فيه جنود وأعوان وأضداد وأوصاف، وله قبول للإشراق والظلمة، كالمرآة الصافية التي تقبل انطباع الصور والأشكال المقابلة لها، وتقبل الظلمة والفساد والبعد عن الإعداد لذلك؛ بسبب العوارض الخارجيّة المنافية لجوهرها. وربما وصل إشراقه واستنارته إلى حدّ تحصل فيه جليّة الحقّ، وتنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب، وإلى مثل هذا القلب أشار بقوله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه»[3].

وبقوله ﷺ: «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ»[4].

ومثال الآثار المذمومة الواصلة إليه، المانعة له من الاستنارة وقبول الإشراق، مثال

---

١. الحجّ (٢٢): ٤٦.

٢. هو سهل التستري على ما حكاه عنه الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٢.

٤. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٢، عن رسول الله ﷺ؛ وقال عليّ ؑ: «من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظٌ». نهج البلاغة، ص ٦٦٨، الحكمة ٨٩.

دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة، ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد أُخرى إلى أن يسودّ ويظلم، ويصير بالكلّيّة محجوباً عن الله تعالى، وهو الطبع[١] والرين[٢] اللذان أشار الله تعالى إليهما في قوله: ﴿أَنْ لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٣].

ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾[٤]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦].

فمهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى عن إدراك الحقّ، وصلاح الدين، ويتهاون بالآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهمّ عليها. وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أُذن وخرج من أُخرى، ولم يستقرّ في القلب، ولم يحرّكه إلى التوبة والتدارك. وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن[٧] والسنّة كما في قولهﷺ: «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر، وقلب الكافر أسود منكوس»[٨].

وقول الباقر ؑ: «إنّ القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب

---

١. الختم والطبع: يقال على وجهين: [الأوّل:] مصدر ختمت وطبعت، وهو تأثير الشيء .... والثاني: الأثر الحاصل عن النقش.... المفردات في غريب القرآن، ص ١٤٢، «ختم».

٢. الرين: صَدأٌ يعلو الشيء الجليل، قال الله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾، أي صار ذلك كصدإ على جِلاء قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير من الشرّ. المفردات في غريب القرآن، ص ٢٠٨، «رين».

٣. الأعراف (٧): ١٠٠.

٤. المائدة (٥): ١٠٨.

٥. البقرة (٢): ٢٨٢.

٦. المطفّفين (٨٣): ١٤.

٧. الاسوداد إمّا بنحو الطبع، أو الرين كما مرّ ذكرهما، أو بنحو الختم كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة (٢): ٧.

٨. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٢؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٩٣، ح ١٠٧٤٥؛ ورواها بتفاوت الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٤٢٢، باب في ظلمة قلب المنافق...، ح ٢، عن الباقر ؑ.

الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يختلجان فأيّهما كانت منه غلبة غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة [وهو قلب المؤمن]»[١].

فانظر إلى قوله ﷺ: «لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة» فإنّ هذا حكم نور القلب بالمعنى الثاني؛ لأنّه باقٍ وإن خرب البدن بخلاف الأوّل كما حقّق في موضع آخر.

وروى زرارة عن أبي جعفر ﷺ قال: «ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإن أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلّا بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مٰا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰآئِفٌ مِنَ الشَّيطٰانِ تَذَكَّرُوا فَإِذٰا هُم مُبْصِرُونَ﴾[٣].

فأخبر أنّ جلاء القلب يحصل بالذكر، وأنّ المتّقين هم المتذكّرون. فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر.

واعلم أنّ القلب مثاله مثال حصن، والشيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه، ولا يُقدَر على حفظ الحصن من العدوّ إلّا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواقع تهمه، فينبغي الاهتمام بمعرفة ذلك. وتفصيله ممّا يطول الكلام فيه، ويخرج عن الغرض.

والأمر الجامع له الإقبال على الله تعالى، وتخيّل أنّك واقف بين يديه؛ فإن لم تكن

١. الكافي، ج ٢، ص ٤٢٣، باب في ظلمة قلب المنافق...، ح ٣.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٧٣، باب الذنوب، ح ٢٠؛ الاختصاص، ص ٢٤٣. والآية في المطفّفين (٨٣): ١٤.

٣. الأعراف (٧): ٢٠١.

تراه فإنّه يراك، كما ورد في الخبر[١].

فإذا أشعرت بذلك وتحقّقته، وعملت به انسدّت الأبـواب دون وسـاوس اللـعين، وأقبل القلب على الله تعالى، وتفرّغ للعبادة.

وقد روي عن النبيّ ﷺ: «أنّ العبد إذا اشتغل بالصلاة جاءه الشيطان وقال له: اذكر كذا، اذكر كذا، حتّى يظلّ الرجل لا يدري كم صلّى»[٢].

ومن ها هنا ظهر لك أن مجرّد التلفّظ بالذكر باللسان ليس هو الزاجر للشيطان بل لابدّ معه من عمارة القلب بالتقوى، وتطهيره من الصفات المذمومة، التي هي أعـوان إبليس وجنوده، وإلّا فالذكر من أقوى مداخل الشيطان، وكذلك غيره مـن العـبادات؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُـمْ مُبْصِرُونَ﴾[٣].

فخصّص ذلك بالمتّقي، وتأمّل أنت في منتهى ذكرك وعبادتك، وأفضل أعـمالك، وهو الصلاة، فليس الخبر كالعيان، فراقب قلبك إذا كنت فـي الصـلاة كـيف تـتجاذبه الشياطين في الأسواق والبساتين، وحساب المعاملين، وجواب المعاندين وغـيرهم؟ وكيف تمرّ بك في أودية الدنيا ومهالكها حتّى أنّك لا تتذكّر ما نسيته من فضول الدنيا إلّا في صلاتك؟ ولا تزدحم الشياطين على قلبك إلّا إذا صلّيت فلا جَرَمَ لا يُطرَد عنك الشيطان بمجرّد صورة العبادة وإن تأدّى بها الواجب عليك، وخرجتَ عن عهدة الأمر الإلهي، بل لابدّ في دفعه مع ذلك من أُصول أُخَر، وإصلاح الباطن من الرذائل التي هي أعوانه وجنوده وإلّا لم يزد إلّا ضرراً، كما أنّ الدواء قبل الاحتماء لا يزيد المريض إلّا

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٧ ـ ٦٨، بـاب الخـوف والرجـاء، ح ٢؛ إرشـاد القـلوب، الديـلمي، ج ١، ص ٢٥٣، البـاب الأربعون في المراقبة.

٢. صحيح البـخاري، ج ١، ص ٢٢٠، ح ٥٨٣، وص ٤٠٩، ح ١١٦٤، وص ٤١٣، ح ١١٧٤؛ صـحيح مسـلم، ج ١، ص ٣٩٨، ح ٣٨٩/٨٣.

٣. الأعراف (٧): ٢٠١.

مرضاً وألماً. ثمّ بعد ذلك يتّصف بالفضائل. وحينئذٍ يصير قلبه قابلاً للإقبال، مشفقاً من التفريط والإهمال؛ قال الله تعالى: ﴿ألاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

فاجعل هذه العلامة بينك وبين استقامة قلبك وإقباله، أوقفنا الله وإيّاك على بساط الاستقامة بمحمّد وآله.

ولنقتصر من بحث القلب على هذا القدر؛ مناسبة للاختصار.

المطلب الثاني في الاستشهاد على ما ينبغي من إحضار القلب في حال العبادة سيّما الصلاة التي هي عمود الدين ورأس الأعمال

قال الله تعالى: ﴿الَّذينَ هُمْ في صَلاٰتِهِمْ خاٰشِعُونَ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ ساٰهُونَ﴾[3]. ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين، لا لأنّهم سهوا عنها وتركوها.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذينَ يُؤْتُونَ مآ اٰتَوْا وَقُلوُبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[4]. أي يفعلونه في حال وجل قلوبهم، والاتّصاف بالوجل حالة العمل مستلزم لحضور القلوب على أتمّ وجه.

وقال النبيّ ﷺ: «الصلاة ميزان، من وفّى استوفى»[5].

وقال ﷺ: «اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[6].

١. الرعد (١٣): ٢٨.

٢. المؤمنون (٢٣): ٢.

٣. الماعون (١٠٧): ٤ ـ ٥.

٤. المؤمنون (٢٣): ٦٠.

٥. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٦، باب فضل الصلاة، ح ١٣؛ الفقيه، ج ١، ص ١٣٣، ح ٦٢٢.

٦. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٥٣، الباب الأربعون في المراقبة؛ المحاسن، ج ١، ص ٦٢، باب الثلاثة، ح ٣ وفيها: «خف الله في السرّ» بدل «اعبد الله»؛ وبتفاوت يسير رواها الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٦٧ ـ ٦٨، باب الخوف والرجاء، عن أبي عبد الله ﷺ، ح ٢.

وقال ﷺ ـ في فضل إتمامها ـ: «إنّ الرجلين من أُمّتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد، وإنّ ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض»[1].

وقال ﷺ: «أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار»[2].

وقال ﷺ: «من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه»[3].

وعنه ﷺ: «من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها، ثمّ مجّد الله عزّ وجلّ وعظّمه وحمده حتّى يدخل وقت صلاة فريضة أُخرى لم يقطع بينهما، كتب الله له كأجر الحاجّ [و] المعتمر وكان من أهل علّيّين»[4].

وعنه ﷺ: «إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العُشر، وإنّ منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها[5]. وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك»[6].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله إليه ـ أو قال: أقبل الله عليه ـ حتّى ينصرف، وأظلّته الرحمة من فوق رأسه إلى أُفق السماء، والملائكة تحفّه من حوله إلى أُفق السماء، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول: أيّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي، ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبداً»[7].

---

١ و ٢. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٤٨.

٣. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٥٠؛ ورواها بتفاوت الصدوق في ثواب الأعمال، ص ٦٧، ثواب من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما.

٤. الفقيه، ج ١، ص ١٣٦، ح ٦٤٢.

٥. قال المحقّق الداماد في شارع النجاة (ضمن اثني عشر رسالة)، ص ١٦: حديث مشهور متّفق عليه، مختلف المتن والإسناد عن سيّدنا رسول الله ﷺ، وعن نور الله الباهر مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام مع نقيصة؛ وأيضاً بتفاوت رواه البرقي في المحاسن، ج ٢، ص ٣٣، ح ١١٠٥/٣٤.

٦. الكافي، ج ٣، ص ٢٩٩، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث، ح ١.

٧. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٥، باب فضل الصلاة، ح ٥.

وقال الصادق عليه السلام: «لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلّا وجبت له الجنّة، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ وجلّ، فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلّا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين، وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة»[١].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: رأيت عليّ بن الحسين عليهما السلام يصلّي، فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته. قال: فسألته عن ذلك، فقال: «ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إنّ العبد لا تقبل منه صلاة إلّا ما أقبل منها بقلبه، فقلت: جعلت فداك هلكنا، فقال: كلّا إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل»[٢].

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّهما قالا: «إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه فيها، فإن أوهمها كلّها أو غفل عن أدائها لفّت فضرب بها وجه صاحبها»[٣].

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما لك منها ما أقبلت عليه بقلبك، ولا تعبث فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك، ولا تحدّث نفسك، ولا تتثاءب فيها ولا تتمطّ»[٤].

وروى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كنت في صلاتك فعليك بالخشوع والإقبال على صلاتك فإنّ الله تعالى يقول: ﴿الَّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾»[٥].

وعنه عليه السلام قال: «كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام في الصلاة تغيّر لونه، فإذا سجد

---

١. الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٣٢.

٢. تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، ح ١٤١٥.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٣٦٣، باب ما يقبل من صلاة الساهي، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٣٤٢، ح ١٤١٧.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٩٩، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث، ح ١.

٥. الكافي، ج ٣، ص ٣٠٠، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث، ح ٣. والآية في سورة المؤمنون (٢٣): ٢.

لم يرفع رأسه حتّى يرفضّ عرقاً»[1].

و[قال:] «كان ﷺ إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه إلّا ما حرّكت الريح منه»[2].

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إنّ أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها، إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول: حفظتني حفظك الله. وإذا ارتفعت في غير وقتها، بغير حدودها، رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله»[3].

وروى العيص بن القاسم عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: «والله إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة، فأيّ شيء أشدّ من هذا؟ والله إنّكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلّي لبعضكم ما قبلها منه، لاستخفافه بها. إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل إلّا الحسن، فكيف يقبل ما يستخفّ به؟!»[4].

وعن أبي الحسن الرضا ﷺ: «أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يقول: طوبى لمن أخلص للّه العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره»[5].

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[6] قال: «ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً. وإنّما الإصابة

---

١. الكافي، ج ٣، ص ٣٠٠، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث، ح ٥؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٨٦، ح ١١٤٥.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٣٠٠، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث، ح ٥.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٨، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٣٩، ح ٩٤٦.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٩، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، ح ٩؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٤٠، ح ٩٤٩.

٥. الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الإخلاص، ح ٣.

٦. هود (١١): ٧؛ الملك (٦٧): ٢.

خشية الله تعالى والنيّة الصادقة ـ ثمّ قال: ـ الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل. ألا وإنّ النيّة هي العمل ـ ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ـ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[١]. يعني على نيّته»[٢].

وبهذا الإسناد قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إلّا مَنْ أتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَليم﴾[٣]. قال: «السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه. وقال: وكلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط. وإنّما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[٤].

وعن أبان بن تغلب قال: كنت صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام بالمزدلفة فلمّا انصرف التفت إليّ فقال: «يا أبان، هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ وحافظ على مواقيتهنّ، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنّة، ومن لم يقم حدودهنّ ولم يحافظ على مواقيتهنّ، لقي الله ولا عهد له، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له»[٥].

والأخبار في ذلك كثيرة فلنقتصر على هذا القدر.

واعلم أنّه قد استفيد منها أنّ قبول الصلاة موقوف على الإقبال بالقلب بها، والالتفات عمّا سوى الله فيها، وأنّ قبولها يوجب قبول ما سواها من الأعمال. وحينئذٍ فالاهتمام بهذه الصفة أمر مهمّ، والغفلة عنها خسارة عظيمة، وانحطاط قويّ، وغفلة رديئة، حيث يدأب نفسه في الطاعة، ويقوم بها آناء الليل وأطراف النهار، ثمّ لا يجد بذلك ثمرة، ولا يستفيد به فائدة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أعْمالاً * الَّذينَ ضَلَّ

---

١. الإسراء (١٧): ٨٤.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الإخلاص، ح ٤.

٣. الشعراء (٢٦): ٨٩.

٤. الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الإخلاص، ح ٥.

٥. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٧، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، ح ١؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٣٩، ح ٩٤٥.

سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[١]. خصوصاً إذا انضمّ إلى ذلك ما روي: أنّ الصلاة إذا رُدّت رُدّ سائر عمله، كما أنّها إذا قُبلت قُبل سائر عمله[٢].

فنسأل الله تعالى أن يمنّ علينا من فضله العميم بدوام الإقبال وقبول الأعمال.

المطلب الثالث في بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أنّ المؤمن لابدّ أن يكون معظّماً للّه تعالى، وخائفاً له، وراجياً منه، ومستحيياً من تقصيره، فلا ينفكّ عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوّتها عنده بقدر قوّة يقينه. فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلّا تفرّق الفكر، وتقسيم الخاطر، وغيبة القلب عن المناجاة، والغفلة عن الصلاة. ولا يلهي عن الصلاة إلّا الخواطر الواردة الشاغلة. فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر، ولا يدفع الشيء إلّا بدفع سببه.

وسبب توارد الخواطر إمّا أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً.

أمّا الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر، فإنّ ذلك قد يخطف الهمّ حتّى يتبعه، ويتصرّف فيه، ثمّ ينجرُّ منه الفكر إلى غيره ويتسلسل، ويكون الإبصار سبباً للأفكار، ثمّ تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض الآخر، ومن قويت رتبته وعلت همّته، لم يلهه ما يجري على حواسّه. ولكنّ الضعيف لا بدّ وأن يتفرّق به فكره.

فعلاجه قطع هذه الأسباب، بأن يغضّ بصره، أو يصلّي في بيت مظلم، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسّه، أو يقرب من حائط عند صلاته حتّى لا تتّسع مسافة بصره، ويحترز من الصلاة على الشوارع، وفي المواضع المنقوشة المصنوعة، وعلى الفرش المزيّنة؛ ولذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم، سعته بقدر ما تمكّن الصلاة فيه، ليكون ذلك أجمع للهمّ.

---

١. الكهف (١٨): ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢. الفقيه، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٢٦.

وينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر، وهي جعله قائماً إلى موضع سجوده، وغيره من الأُمور المعلومة شرعاً، فإن تعذّر القيام بها مع فتحهما، فالغمض أولى؛ لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر.

وليحضر بباله عند نظره إلى موضع سجوده أنّه واقف بين يدي ملك عظيم يراه ويطّلع على سريرته وباطن قلبه وإن كان هو لا يراه، وأنّ التوجّه إليه لا يكون إلّا بوجهِ القلب، ووجه الرأس مثال ومضاف بالتبع، وأنّه يخاف إن ولّاه ظهر قلبه أن يطرده عن باب كرمه، ويسلبه عن مقام خدمته، ويبعده عن جناب قدسه ومقدس حضرته.

وكيف يليق بالعبد أن يقف بين يدَي سيّده ويولّيه ظهره، ويجعل فكره في غير ما يطلبه منه؟!

لا ريب في أنّ هذا العبد مستحقّ للخذلان مستوجب للحرمان، في الشاهد الخسيس والقياس البعيد، فكيف في المقصد الأصلي والملك الحقيقي؟!

وقد ورد الحديث: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1].

فبهذا ونظائره تجتمع الهمّة، ويصفو القلب، وينحصر بالنظر إلى الأُمور الخارجيّة.

وأمّا الأسباب الباطنيّة فإنّها أشدّ، فإنّ من تشعّبت به الأُمور في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فنّ واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وغضّ البصر لا يغنيه. فإنّ ما وقع في القلب كاف في الشغل.

فهذا طريقه أن يردّ النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة، ويشغلها به عن غيره. ويعينه على ذلك أن يستعدّ قبل التحريم، بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة، وموقف المناجاة، وخطر المقام بين يدي الله تعالى، وهول المُطَّلَع، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عمّا يهمّه، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره.

---

١. الأمالي، الطوسي، ص ٥٣٦، ذيل الحديث ١/١١٦٢؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٦٤؛ مكارم الأخلاق، ص ٤٦٩.

فهذا طريق تسكين الأفكار. فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكّن فلا ينجيه إلّا المسهل الذي يقمع مادّة الداء من أعماق العروق، وهو أن ينظر في الأُمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب، ولا شكّ أنّها تعود إلى مهمّاته، وأنّها إنّما صارت مهمّات بشهواته، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات، وقطع تلك العلائق، وكلّ ما يشغله عن صلاته، فهو ضدّ دينه، وجندُ إبليس عدوّه، فإمساكه أضرّ عليه من إخراجه، فيتخلّص عنه بإخراجه.

وقد روي أنّ بعضهم[١] صلّى في حائط له فيه شجرة، فأعجبه دبسي[٢] طائر في الشجرة يلتمس مخرجاً فأتبعه نظره ساعة لم يذكر كَمْ صلّى، فجعل حائطه صدقة؛ ندماً ورجاءً للعوض عمّا فاته.

وهكذا كانوا يفعلون؛ قطعاً لمادّة الفكر، وكفّارة لما جرى من نقصان الصلاة.

وكان بعضهم إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة.

وآخرُ أخّر صلاة المغرب حتّى طلع كوكبان، فأعتق رقبتين.

وثالث أخّر ركعتي الفجر فأعتق رقبة. كلّ ذلك مجاهدة للنفس، ومناقشة لها في الغفلة عمّا فيه حظّها.

فهذا هو الدواء القامع لمادّة العلّة، ولا يغني غيره، فإنّ ما ذكرناه من التلطّف بالتسكين والردّ إلى فهم الذكر، فينفع في الشهوات الضعيفة، والهمم التي لا تشغل إلّا حواشي القلب. فأمّا الشهوة القويّة المرهقة فلا ينفع فيها التسكين، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك، ثمّ تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة.

ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره فكانت أصوات العصافير تشوّش

١. هو أبو طلحة على ما حكاه مالك في موطّأ، ج ١، ص ٩٨، باب النظر في الصلاة إلى ما يشغلك عنها، ح ٦٩؛ والغزالي في إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٤.

٢. الدبسي: ضرب من الحمام. المعجم الوسيط، ص ٢٧٠، «دبس».

عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره، فتعود العصافير، فيعود إلى التنفير بالخشبة، فقيل له[١]: إن أردت الخلاص فاقلع الشجرة.

فكذلك شجرة الشهوة إذا تشعّبت وتفرّعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار، وانجذاب الذباب إلى الأقذار، والشغل يطول في دفعها، فإنّ الذباب كلّما ذُبّ آب، ولأجله سمّي بالذباب، فكذا الخواطر.

فهذه الشهوات كثيرة، وقلّما يخلو العبد عنها، ويجمعها أصل واحد وهو «حبّ الدنيا ـ وذلك ـ رأس كلّ خطيئة»[٢]، وأساس كلّ نقصان، ومنبع كلّ فساد.

ومن انطوى باطنه على حبّ الدنيا حتّى مال إلى شيء منها، لا ليتزوّد منها ويستعين بها على الآخرة، فلا يطمعنّ في أن تصفو له لذّة المناجاة في الصلاة؛ فإنّ من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته. وهمّة الرجل مع قرّة عينه، فإن كانت الدنيا قرّة عينه انصرف لا محالة إليها همّه، ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة، وردّ القلب إلى الصلاة، وتقليل الأسباب الشاغلة.

وأمّا من كانت الدنيا معه وليس هو معها، وإنّما يصرفها حيث أمره الله تعالى، ويستعين بها على طاعة الله، ويتزّود منها إلى الآخرة، وهمّته مجتمعة فيها يبقى، ويجعلها من أسباب الكمال ومقدّماته، فلا بأس عليه. فقد قال النبيّ ﷺ: «نعم العون على تقوى الله الغِنى»[٣].

إلّا أنّ ذلك محلّ الغرور، وموضع تلبيس إبليس عليه لعنة الله، فليحذر المستيقظ عند ذلك، ولا يزال يراجع عقله، ويمتحن قلبه، حذراً من أن يدخل عليه الخطر والكدر،

---

١. هو أسير السواني على ما نسب إليه الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٥.

٢. مأخوذ من رواية هشام عن الصادق ؑ ومحمّد بن مسلم بن عبيد الله عن عليّ بن الحسين ؑ، رواهما الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٣١٥، باب حبّ الدنيا والحرص عليها، ح ١؛ والشيخ الصدوق في الخصال، ص ٢٥، باب الواحد، ح ٨٧.

٣. الكافي، ج ٥، ص ٧١، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة، ح ١؛ الفقيه، ج ٣، ص ١٥٦، ح ٣٥٧٣.

وهو لا يشعر، ولا برهان على ذلك أقوى من الوجدان.

فهذا هو الدواء المرّ، ولمرارته استبشعته أكثر الطباع، وبقيت العلّة مزمنة، وصار الداء عضالاً، حتّى إنّ الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدِّثون فيهما أنفسهم بأُمـور الدنيا فعجزوا عن ذلك.

فإذن لا مطمع فيها لأمثالنا، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها، أو ثلثها من الوسواس فنكون ممّن: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرُ سَيِّئاً﴾[١].

وعلى الجملة، فهمّة الدنيا وهمّة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصبّ في قدح مملوء بالخلّ، فبقدر ما يدخل من الماء يخرج من الخلّ لا محالة ولا يجتمعان.

فتدبّر هذه الجملة وفّقك الله وإيّانا إلى الرشاد، وأوقفنا على مناهج السداد.

فهذا ما يتعلّق به الغرض من المقدّمة.

١. مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ التوبة (٩): ١٠٢.

الفصل الأوّل

في المقدِّمات

وهي واجبة ومندوبة.

فالواجبة: الطهارة، وإزالة النجاسة، وستر العورة، والمكان الذي يصلّى فيه، والوقت، والقبلة.

والمندوبة: كثيرة، كالمسجد، والأذان، والإقامة، والتوجّه بستّ تكبيرات.

ولكلّ واحدة من هذه المقدِّمات وظائف قلبيّة، وأسرار خفيّة، يطّلع عليها بصفاء العقل، وحضور القلب. وما نذكره من الوظائف كالمَدرَج إلى الزيادة، والمرقاة إلى غيره من دقائق العبادة.

أمّا الطهارة

فليستحضر في قلبه أنّ تكليفه فيها بغَسل الأطراف الظاهرة وتنظيفها؛ لاطّلاع الناس عليها، ولكون تلك الأعضاء مباشرة للأُمور الدنيويّة، منهمكة في الكدورات الدنيّة، فلأن يطهّر مع ذلك قلبه الذي هو موضع نظر الحقّ تعالى؛ فإنّه «لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1]، ولأنّه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح، والمستخدم لها في

---

١. كما ورد في الحديث الذي مرّ تخريجه في ص ١٠٧، الهامش ١.

تلك الأُمور، والمبعّدة عن جنابه تعالى وتقدّس أولى وأحرى، بل هذا تنبيه واضح على ذلك وبيان شاف على ما هنالك.

وليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى، والإقبال عليه، والالتفات عن الدنيا بالقلب والحواسّ، لتلقّي السعادة في الأُخرى، أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأُخرى؛ فلذلك أمر بالتطهير من الدنيا عند الاشتغال والإقبال على الأُخرى.

فأمر في الوضوء بغَسل الوجه؛ لأنّ التوجّه والإقبال بوجه القلب على الله تعالى به، وفيه أكثر الحواسّ الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا، فأمر بغَسله ليتوجّه به، وهو خالٍ من تلك الأدناس، ويترقّى بذلك إلى تطهير ما هو الركن الأعظم في القياس.

ثمّ أمر بغَسل اليدين؛ لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنيّة، والمشتهيات الطبيعيّة.

ثمّ بمسح الرأس؛ لأنّ فيه القوّة المفكّرة التي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعيّة، وتنبعث الحواسّ حينئذٍ إلى الإقبال على الأُمور الدنيويّة، المانع من الإقبال على الآخرة السنيّة.

ثمّ بمسح الرجلين؛ لأنّ بهما يتوصّل إلى مطالبه، ويتوسّل إلى تحصيل مآربه ـ على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء ـ وحينئذٍ يسوغ له الدخول في العبادة، والإقبال عليها فائزاً بالسعادة.

وأمر في الغُسل بغَسل جميع البشرة؛ لأنّ أدنى حالات الإنسان وأشدّها تعلّقاً وتملّكاً بالملكات الشهويّة حالة الجماع وموجبات الغسل؛ ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة، ولهذا قالﷺ: «إنّ تحت كلّ شعرة جنابة»[1].

فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العليّة، منغمساً في اللذّات الدنيّة، كان غسله

١. فقه الرضا ﵇، ص ٨٣؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ٦٥، باب الغسل من الجنابة، ح ٢٤٨.

أجمع من أهمّ المطالب الشرعيّة؛ ليتأهّل لمقابلة الجِهَة الشريفة، والدخول في العبادة المنيفة، ويبعد عن القوى الحيوانيّة، واللذّات الدنياويّة.

ولمّا كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفر والنصيب الأكمل، كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل، والتوجّهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل.

وأمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور، وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسة، وهضماً لها بتلقّيها بأثر التربة الخسيسة.

وهكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة، وتحليته بالأوصاف الجميلة، فَلْيُقِمْهُ في مقام الهضم والإزراء، وليَسُقْهُ بسياط الذلّ والإغضاء، عسى أن يطّلع عليه مولاه الرحيم، وسيّده الكريم، وهو منكسر متواضع، فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع، فإنّه عند القلوب المنكسرة ـ كما ورد في الأثر[1] ـ فتَرَقَّ من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لك الإقبال، وتلافي سالف الإهمال.

ومن الأسرار الواردة في الأثر من نظائر ذلك قول الصادق عليه السلام: «إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله؛ فإنّ الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته، وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غير. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[2]، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً طَهُوراً﴾[3]. وقال عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[4]. فكما أحيا به كلّ شيء من نعيم الدنيا، كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب بالطاعات. وتفكّر في صفاء الماء ورقّته، وطهوره وبركته، ولطيف

١. بحارالأنوار، ج ٧٠، ص ١٥٧، ح ٣ نقلاً عن دعوات الراوندي.

٢. الأعراف (٧): ٥٧.

٣. الفرقان (٢٥): ٤٨.

٤. الأنبياء (٢١): ٣٠.

امتزاجه بكلّ شيء، وفي كلّ شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وأْتِ بآدابها في فرائضه وسننه، فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائدَ كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب. ثمّ عاشِرْ خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كلّ شيء حقّه ولا يتغيّر عن معناه، معتبراً لقول رسول الله ﷺ: مثل المؤمن الخالص كمثل الماء. ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً. وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء»[1].

وفي علل ابن شاذان عن الرضا ﷺ: «إنّما أُمر بالوضوء؛ ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار، وعند مناجاته إيّاه، مطيعاً له فيما أمره، نقيّاً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل، وطرد النعاس، وتذكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار.

وإنّما وجب على الوجه واليدين، والرأس والرجلين؛ لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار فإنّما ينكشف عن جوارحه، ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنّه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتّل، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد.

وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء؛ لأنّ الجنابة من نفس الإنسان وهي شيء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب»[2].

وأمّا إزالة النجاسة

فالكلام فيها نحو الكلام في الطهارة في التذكير بتطهير القلب من نجاسة الأخلاق

---

١. مصباح الشريعة، ص ٨٧، باب الطهارة؛ ورواه عن مصباح الشريعة النوري في مستدرك وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤، ح ٨٢٩.

٢. عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢، ص ١١١ ـ ١١٢.

ومساوئها، فإنّك إذا أُمرت بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر، وبتطهير الثياب وهي أبعد عن ذاتك، فلا تغفل عن تطهير لبّك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فَرَط، وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل، وطهّر بها باطنك فإنّه موقع نظر المعبود.

وتذكّر بتخلّيك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك، وما تشتمل عليه من الأقذار وما في باطنك وأنت تزيّن ظاهرك للناس، والله تعالى مطّلع على خبث باطنك، وخسّة حالك، واشتغل بإخراج نجاسات الباطن، والأخلاق الداخلة في الأعماق، المفسدة لك على الإطلاق؛ لتستريح نفسك عند إخراجها، ويسكن قلبك من دنسها، ويخفّ لبّك من ثقلها، وتصلح للوقوف على بساط الخدمة، والتأهّل للمناجاة، ولا تستر ما ظهر منك فلابدّ أن يظهر عليك ما بطن؛ لأنّ الطبيعة تظهر ما يَكِنّ فيها، فتفتضح حينئذٍ بما سترته عن الناس كما يفعل الله بكلّ مدلّس.

قال الصادق عليه السلام: «سمّي المستراح مستراحاً؛ لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات، واستفراغ الكثيفات والقذر فيها، والمؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدنيا كذلك تصير عاقبته، فيستريح بالعدول عنها وتركها، ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها، ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر، ويتفكّر في نفسه المكرمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال؟ ويعلم أنّ التمسّك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين، وأنّ الراحة في هوان الدنيا، والفراغ من التمتّع بها، وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إيّاها، ويفرّ من الذنوب، ويفتح باب التواضع والندم والحياء، ويجتهد في أداء أوامره، واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب، وطيب الزلفى، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكفّ عن الشهوات إلى أن يتّصل بأمان الله في دار القرار، ويذوق طعم رضاه، فإن المعوّل [على] ذلك وما عداه لا شيء»[1].

١. مصباح الشريعة، ص٨٣، باب بيان مبرز؛ ورواه عنها النوري في مستدرك وسائل الشيعة، ج١، ص٢٦٦، ح٥٥٧.

وأمّا ستر العورة

فاعلم أنّ معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإنّ ظاهر بدنك موقع نظر الخلق، فما رأيك في عورات باطنك ومقابح سرّك التي لا يطّلع عليها إلّا ربّك؟

فاحضر تلك المقابح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقّق أنّه لا يستر عن عين الله تعالى ساتر، وإنّما يسترها ويكفّرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانهما فتذلّ بها نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه بانكسار رأسه من الحياء والخوف.

قال الصادق عليه السلام: «أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان، فإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]. وأمّا لباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها عباده من ذرّيّة آدم عليه السلام ما لم يكرم غيرهم، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم. وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عزّ وجلّ بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته، ولا يحملك فيها إلى العجب والرياء، والتزيّن والمفاخرة والخُيلاء، فإنّها من آفات الدين، ومورثة القسوة في القلب. وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته، وألبس باطنك بالصدق، كما ألبست ظاهرك بثوبك. وليكن باطنك في ستر الرهبة، وظاهرك في ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ؛ حيث خلق أسباب اللباس لستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره، واحذر أن تفني عمرك بعمل غيرك، ويتّجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك؛ فإنّ

١. الأعراف (٧): ٢٦.

نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل. وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله تعالى، ومعرفة عيوب نفسه، وترك ما يشين في دين الله، فهو بمعزل عن الآفات، خائض في بحر رحمة الله عزّ وجلّ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان. وما دام ناسياً لذنوبه، جاهلاً بعيوبه، راجعاً إلى حوله وقوّته، فلا يفلح إذن أبداً»[١].

وأمّا المكان

فاستحضر فيه أنّك كائن بين يدي ملك الملوك، تريد مناجاته والتضرّع إليه، والتماس رضاه، ونظره إليك بعين الرحمة، فانظر مكاناً يصلح لذلك، كالمساجد الشريفة، والمشاهد المطهّرة مع الإمكان، فإنّه تعالى جعل تلك المواضع محلّاً لإجابته، ومظنّة لقبوله ورحمته، ومعدناً لمرضاته ومغفرته، على مثال حضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لذلك، فادخلها ملازماً للسكينة والوقار، مراقباً للخشوع والانكسار، سائلاً أن يجعلك من خاصّ عباده، وأن يلحقك بالماضين منهم.

وراقب الله كأنّك على الصراط جائز، وكن متردّداً بين الخوف والرجاء، وبين القبول والطرد، فيخشع حينئذٍ قلبك، ويخضع لبُّك، وتتأهّل لأن تفيض عليك الرحمة، وتنالك يد العاطفة، وترعاك عين العناية.

قال الصادق ﷺ: «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت باب ملك عظيم لا يطأُ بساطه إلّا المطهّرون، ولا يؤذن لمجالسته إلّا الصدّيقون، وهَبِ القدوم إلى بساط خدمة الملك هيبةَ الملك، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت. واعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة،

---

١. مصباح الشريعة، ص ٦٩، باب بيان اللباس؛ ورواه عنها النوري في مستدرك وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٣٢٤ـ ٣٢٥، ح ٣٦٩٧.

وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بك حجبك، وردّ طاعتك وإن كثرت، وهو فعّال لما يريد. واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك، وفقرك بين يديه، فإنّك قد توجّهت للعبادة له، والمؤانسة به، وأخلِ قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلّا الأطهر والأخلص، فإن ذقت من حلاوة مناجاته، ولذيذ مخاطباته، وشربت بكأس رحمته وكراماته، من حسن إقباله وإجاباته، فقد صلحتَ لخدمته، فادخل فلك الإذن والأمان، وإلّا فقف وقوف مضطرّ قد انقطع عنه الحيل، وقصر عنه الأمل، وقضى عليه الأجل. فإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة، واللطف والعطف، ووفّقك لما يحبّ ويرضى، فإنّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾»[١].

وأمّا الوقت

فاستحضر عند دخوله أنّه ميقات جعله الله تعالى لك لتقوم فيه بخدمته، وتتأهّل للمثول في حضرته، والفوز بطاعته.

وليظهر على قلبك السرور، وعلى وجهك البهجة عند دخوله؛ لكونه سبباً لقربك، ووسيلة إلى فوزك. فاستعدّ له بالطهارة والنظافة، ولبس الثياب الصالحة للمناجاة، كما تتأهّب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا، وتلقاه بالوقار والسكينة، والخوف والرجاء، فإنّ الرحمة عميمة، والفضل قديم، والأخذ والاستدراج متحقّق، والطرد عند التقصير متوجّه، فكن بين ذلك قواماً.

والزم الخضوع والخشوع، والذلّ والانكسار، فإنّه تعالى عند الموصوف بذلك، ومثّل

---

١. مصباح الشريعة، ص ٩٩، باب الدخول في المساجد؛ ورواه عنها النوري في مستدرك وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨، ح ٣٩٤٦. والآية في سورة النمل (٢٧): ٦٢.

في نفسك لو أنّ ملكاً من ملوك الأرض وعدك بأن يكتبك في وقت معيّن من خواصّه، والقائمين بين يديه ببعض خدمته، ويخاطبك وتخاطبه على طريق الانبساط والأُنس في مخاطباتك، وتطلب منه ما تحتاج إليه من مهمّاتك، ويجعلك عنده من مقرّبي العباد، ويخلع عليك خلعةً سنيّة بين الأشهاد، ويجعل ذلك إلى مدّة طويلة، وغاية بعيدة، مع أنّه لا يؤثّر ذلك في حظّك عند الله تعالى بل يزيده، أما كنت تنتظر ذلك الوقت قبل إبّانه[١]، وتهتمّ له قبل أوانه، وتفرح بقربه فضلاً عن دخوله، وتزيد بهجتك وسرورك عند وصوله؟

فلا تجعل عناية الله جلّ جلاله بك، وإعدادك لمخاطبتك له ومخاطبته لك، وكتبه إيّاك في ديوان المقرّبين بالصلاة التي هي أفضل الأعمال، وبسجودها أوجَبِ القرب إلى حضرته، والفوز بمحبّته، كما ورد في كتابه الحكيم، ووعد به رسوله الكريم[٢]، وخلعته الدائمة في الدار الصافية، دون تقريب ملك من ملوك الدنيا مع عجزه عن نفعك بدون توفيق الله تعالى لك، وعدم الوثوق الحقيقي بوفائه ودوامه مدّة يسيرة على تقدير وقوعه.

ومن هنا كان النبيّ ﷺ ينتظر وقت الصلاة، ويشتدّ شوقه، ويترقّب دخوله، ويقول لبلال مؤذّنه: «أرحْنا يا بلال»[٣].

أشار بذلك إلى أنّه في تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات، وقيامه بوظائف الصلاة وإن كان سرّه لا يخلو من ضروب من المناجاة، إلّا أنّ قُرّة عينه في الصلاة كما قال (عليه أفضل الصلوات والتحيّات)[٤].

ثمّ استشعر بعد هذه البهجة خشية الله تعالى في الوقوف بين يديه وأنت ملطّخ

١. إبّان الشيء: أوانه. المعجم الوسيط، ص ١، «أبن».
٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ العلق (٩٦): ١٩.
٣. مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٤٥؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٥.
٤. الخصال، ص ١٦٥، باب الثلاثة، ح ٢١٧ ـ ٢١٨.

بكدوراتك النفسانيّة، وعلائقك الدنيويّة، وعوائقك البدنيّة، فإنّ استشعار الخوف شعار الكاملين، كما أنّ الغفلة عن ذلك علامة المطرودين، كما قد عرفته في تضاعيف الأسرار، وجملة الآثار.

واستحضر عظمة الله وجلاله، ونقصان قدرك وكماله.

وقد روي عن بعض أزواج النبيّ أنّها قالت: «كان رسول اللهﷺ يحدّثنا ونحدّثه، فإذا حضر وقت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه، شغلاً بالله عن كلّ شيء»[١].

وكان عليّ عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل، فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها»[٢].

وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه، فيقال له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: «ما تدرون بين يدي مَن أقوم؟»[٣].

وكلّ ذلك إشارة إلى استحضار عظمة الله تعالى، والالتفات إليه حال العبادة، والانقطاع عن غيره.

وإذا سمعت نداء المؤذّن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمّر بباطنك وظاهرك للمسارعة والإجابة، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء، هم الذين ينادَون باللطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار، ومستعدّاً بالرغبة إلى الابتدار، فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبُشرى، والفوز يوم القضاء.

واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله، واختتمت بالله؟

---

١. عدّة الداعي، ص ١٣٩؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٥٠، ١٦٣.

٢. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٥١.

٣. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٥١؛ بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٣٤٧ عن أسرار الصلاة.

واعتبر ذلك أنّ الله عزّ وجلّ هو الأوّل والآخر، والظاهر والباطن.

ووطّن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير، واستحضر الدنيا وما فيها لئلّا تكون كاذباً في تكبيرك، وانفِ عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل، واحضِر النبيّ ﷺ، وتأدّب بين يديه، واشهد له بالرسالة مخلصاً، وصلّ عليه وعلى آله، وحرّك نفسك واسْعَ بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة، وما يوجب الفلاح، وما هو خير الأعمال وأفضلها، وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمه بذكره كما افتتحت به، واجعل مبدأك منه، وعودك إليه، وقوامك به، واعتمادك على حوله وقوّته، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وأمّا الاستقبال

فهو صَرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى.

أفترى أنّ صرف القلب عن سائر الأُمور إلى أمر الله تعالى ليس مطلوباً منك؟! هيهات بل لا مطلوب سواه.

وإنّما هذه الظواهر محرّكات للبواطن، ووسائل إليها، ومعارج يترقّى منها إليها، وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات على جهة واحدة، حتّى لا تبغي على القلب، فإنّها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتاتها إلى جهاتها استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك.

ومن هنا جاء قول النبيّ ﷺ: «أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار؟»[1].

فإنّ ذلك نهي عن الالتفات عن الله تعالى، وملاحظة عظمته في حال الصلاة، فإنّ الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى، وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه، ومن كان

---

١. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٤٨.

كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه، فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقليّته للأُمور العِلويّة، وعدم إكرامه بشيء من العلوم، والقرب إلى الله تعالى.

واعلم أنّه كما لا يتوجّه الوجه إلى جِهة البيت إلّا بالصرف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلّا بالتفرّغ عمّا سوى الله تعالى، وقد قال النبيّ ﷺ: «إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، انصرف كيوم ولدته أُمّه»[1].

وقال الصادق ؑ: «إذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم، تبلو كلّ نفس ما أسلفت، وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ، وقف على قدم الخوف والرجاء»[2].

فإذا توجّهت بالتكبيرات، فاستحضر عظمة الله سبحانه، وصغّر نفسك وخسّة عبادتك في جنب عظمته، وانحطاط همّتك عن القيام بوظائف خدمته، واستتمام حقائق عبادته، وتفكّر عند قولك: اللهمّ أنت الملك الحقّ[3] في عظيم ملكه، وعموم قدرته، واستيلائه على جميع العوالم.

ثمّ ارجع على نفسك بالذلّ والانكسار، والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك: عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت[4].

وأحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة، ومثّل نفسك بين يديه، وأنّه قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ويسمع نداءه، وأنّ بيده خير الدنيا والآخرة لابيد غيره، عند قولك: «لبيّك وسعديك والخير في يديك»[5].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٦.

٢. مصباح الشريعة، ص ١٠٥، باب افتتاح الصلاة.

٣ ـ ٥. فقه الرضا ؑ، ص ١٠٤؛ الكافي، ج ٣، ص ٣١٠، باب افتتاح الصلاة، ح ٧؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٦٧، ح ٢٤٤.

ونزّهه عن الأعمال السيّئة، وأفعال الشرّ، وأبدله بها محض الهداية والإرشاد عند قولك: «والشرّ ليس إليك»[١].

وارغب لهدايته عند قولك: «والمهديّ من هديت»[٢].

واعترف له بالعبوديّة وأنّ قوام وجودك وبدأه ومعاده منه بقولك: «عبدك وابن عبديك، منك وبك ولك وإليك»[٣].

أي منك وجوده، وبك قوامه، ولك ملكه، وإليك معاده، ﴿وَهُوَ الَّذي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ، وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلٰى﴾[٤].

فأحضر في ذهنك هذه الحقائق وتَرَقَّ منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار والدقائق، وتلقّي الفيض من العالم الأعلى، فإنّ أبوابه لا تنسدّ عن أحد من القوابل، ولا يخيب لديه أمل آمل.

اللهمّ أهِّلْنا لقبول طوالع أسرارك، وكمّلنا بالوصول إلى لوامع أنوارك، واجعلنا من الواقفين على كراسي إراداتك، العاكفين على بساط كراماتك، وتمّمنا من هذا النقصان، واهدنا إلى طريق الرضوان، وجُدْ علينا بلطيف الإحسان، وأعذنا من صفقة الخسران و﴿آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهيِّيءْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً﴾[٥].

---

١ و ٢. فقه الرضا ؑ، ص ١٠٤؛ الكافي، ج ٣، ص ٣١٠، باب افتتاح الصلاة، ح ٧؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٦٧، ح ٢٤٤.

٣. فقه الرضا ؑ، ص ١٠٤؛ فلاح السائل، ص ٢٢٧.

٤. الروم (٣٠): ٢٧.

٥. الكهف (١٨): ١٠.

الفصل الثاني

في المقارَنات

وهي ثمانية:

الأُولى: القيام

ووظيفته القلبيّة؛ تذكّر أنّك قائم بين يدي الله تعالى، وهو مطّلِع على سريرتك، عالم بما تخفي وما تعلن، وهو أقرب إليك من حبل الوريد، فاعبده كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[1].

وانصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك، وطأطئ رأسك الذي هو أرفع أعضائك، مطرقاً مستكيناً.

وألزم قلبك التواضع والخشوع والتذلّل، والتبرّي عن الترؤّس والتكبّر كما وضعت رأسك.

وقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان، فإن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، فإنّك تجد وجداناً ضروريّاً أنّك تنقهر عند مكالمة الملك ومحاورته، وتلزم معه

---

١. مأخوذ من النبويّ الذي تقدّم تخريجه في ص ١٠١، الهامش ٦.

السكون والخضوع، وربما يتبع ذلك رِعْدَة[١] البدن، وتَلَعْثُم[٢] اللسان. ومنشأُ ذلك كلّه الخوف الحادث عن تصوّر عظمته، فكيف بتصوّر جبّار الجبابرة، وملك الدنيا والآخرة؟! فعند ذلك يحصل لك الخوف الذي هو المقصد الذاتي من المعارف.

وكذلك يحصل الرجاء عند تصوّر عظمته، واستشعار أنّ الكلّ منه، فإنّ ذلك باعث على رجائه، وقد تأكّد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء.

وكذلك يستلزم ذا الحياء منه؛ لأنّ المتصوّر عظمة الأمر لا يزال مستشعراً تقصيراً، ومتوهّماً ذنباً، وذلك الاستشعار والتوهّم يوجب الحياء من الله تعالى.

وهذه أُمور مطلوبة من العابد بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك أنّك ملحوظ ومرقوب بعين كالِئةٍ من رجل صالح من أهلك، وممّن ترغب أن يعرفك بالصلاح، فإنّه تهدأُ عند ذلك أطرافك، وتخشع جوارحك، وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلّة الخشوع.

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك والثبات عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: يا نفس، تدّعين معرفة الله تعالى، أفما تستحين من استجرائك عليه مع توقيركِ عبداً من عباده، أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحقّ أن يُخشى؟!

ألا تستحين من خالقكِ ومولاكِ إذا قدّرت اطّلاع عبد ذليل من عباده عليكِ، وَليس بيده خيركِ ولا نفعكِ ولا ضرّكِ، وخشعَت لأجله جوارحكِ، وحسّنتِ صلاتكِ ثمّ إنّكِ تعلمين أنّه مطّلع عليكِ فلا تخشعين لعظمته؟! أهوَ أهْوَن عندكِ من عبد من عباده؟ فما أشدّ طغيانكِ وجهلكِ، وما أعظم عداوتكِ لنفسكِ!

ولذلك لمّا قيل للنبيّ ﷺ: كيف الحياء من الله تعالى؟ فقال النبيّ ﷺ: «تستحيي منه

١. الرِعَدة: اضطراب الجسم من فزع، أو حُمّى، أو غيرهما. المعجم الوسيط، ص ٣٥٢، «رعد».
٢. تَلَعْثَمَ: ضاق لسانه عن الكلام، وخلّط في حروفه.

كما تستحيي من رجل صالح من قومك»[١].

وأمّا دوام القيام، فهو تنبيه على إدامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور، قال النبيّ ﷺ: «إنّ الله مقبل على العبد ما لم يلتفت»[٢].

وكما تجب حراسة العين والرأس عن الالتفات إلى غير الصلاة، فكذلك تجب حراسة السرّ عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإن التفت إلى غيرها فذكّره باطّلاع الله تعالى عليك، وقبح التهاون بالمناجَى مع غفلة المناجي، ليعود إلى التيقّظ.

وألزَم الخشوع الباطني، فإنّه ملزوم الخشوع ظاهراً، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر.

قال النبيّ ﷺ ـ وقد رأى مصلّياً يعبث بلحيته ـ : «أمّا هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[٣]؟

فإنّ الرعيّة بحكم الراعي؛ ولهذا ورد في الدعاء: «اللهمّ أصلح الراعي والرعيّة». وهو القلب والجوارح[٤].

وكلّ ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا، فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك وجبّار الجبابرة؟ ومن يطمئنّ بين يدي غير الله تعالى خاشعاً ثمّ تضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله تعالى، وعن اطّلاعه على سرّه وضميره، وتدبّر قوله تعالى: ﴿الَّذي يَراكَ حينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السّاجِدينَ﴾[٥].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٦.

٢. سنن النسائي، ج ٣، ص ٨، باب التشديد في الالتفات في الصلاة؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ٢٣٩، ح ٩٠٩؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٨.

٣. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٢٦؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ١٧٤.

٤. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٩.

٥. الشعراء (٢٦): ٢١٨ ـ ٢١٩.

الثانية: النيّة

ووظيفتها العزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكفّ عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء ثوابه، وطلب القربة منه إن عجزت عن مرتبة عبادته، لكونه أهلاً للعبادة التي هي عبادة الأحرار، فإذا فاتتك درجة الأحرار الأبرار فلا تفوتك درجة التجّار وهي العمل رجاءً للعوض، فإن فاتتك هذه المرتبة فاجلس مع العبيد في مجالسهم، وشاركهم في مقاصدهم، فإنّهم إنّما يعملون ويخدمون في الغالب خوفاً من الضرب والعقوبة، وهي غاية الخوف من العقاب.

وتقلّد في نيّتك وقصدك المنّة للّه تعالى وتقدّس بإذنه إيّاك في المناجاة مع سوء أدبك، وكثرة عصيانك.

وعظّم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي؟ وكيف تناجي؟ وبما تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة، وترتعد فرائصك من الهيبة، ويصفرّ وجهك من الخوف، كما روي في ما تقدّم عن بعض أزواج النبيّ ﷺ، قالت: كان رسول الله يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه، شغلاً بالله عن كلّ شيء[1].

وقال الصادق ﵇: «الإخلاص بجميع حواصل الأعمال، وهو معنىً مفتاحه القبول، وأدنى حدّ الإخلاص بذل العبد طاقته، ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافأة لعمله، فإنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار، والفوز بالجنّة»[2].

وقال الصادق ﵇: «صاحب النيّة الصادقة، صاحب القلب السليم؛ لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات تُخلَص النيّة للّه في الأُمور كلّها.

---

١. تقدّمت في ص ٣٨، الهامش ١.

٢. مصباح الشريعة، ص ٤٦٩، باب الإخلاص.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَلاٰ بَنُونَ * إلاّٰ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١].

ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، وتختلف على حسب اختلاف الإيمان، في معنى قوّته وضعفه. وصاحب النيّة الخالصة، نفسه وهواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه»[٢].

الثالثةُ: التكبير

ومعناه أنّ الله تعالى سبحانه أكبر من كلّ شيء، أو أكبر من أن يوصف، أو من أن يدرك بالحواسّ، أو يقاس بالناس، فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد إنّك لكاذب وإن كان الكلام صدقاً، كما شهد على المنافقين في قولهم: إنّهﷺ رسول الله[٣].

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله، وأنت أطوع له منك للّه، فقد اتّخذته إلهك وكبّرته، فيوشك أن يكون قولك: «الله أكبر» كلاماً باللسان المجرّد، وقد تخلّف القلب عن مساعدته. وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظنّ بكرم الله وعفوه!

قال الصادق عليه السلام: «إذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه؛ فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: يا كاذب، أتخدعني؟! وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي»[٤].

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك، فإن كنت تجد حلاوتها، وفي نفسك سرورها وبهجتها، وقلبك مسروراً بمناجاته، ملتذّاً بمخاطباته، فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك

---

١. الشعراء (٢٦): ٨٨ـ ٨٩.

٢. مصباح الشريعة، ص ٤٣، باب النيّة.

٣. حكى الله تعالى ذلك عنهم في سورة المنافقون (٦٣): ١.

٤. مصباح الشريعة، ص ١٠٥، باب افتتاح الصلاة.

له، وإلّا فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة، وحرمان حلاوة العبادة، أنّه دليل على تكذيب الله لك، وطردك عن بابه.

وأمّا دعاء التوجّه

فأوّل كلماته قولك: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْض». وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر، فإنّك إنّما وجّهته إلى جهة القبلة، والله سبحانه تقدّس من أن تحدّه الجهات حتّى تقبل بوجه بدنك عليه، وإنّما وجه القلب هو الذي يتوجّه به إلى الله فاطر السماوات والأرض.

فانظر إلى وجه قلبك أمتوجّه هو إلى أمانيه، وهمّه في البيت والسوق وغيرهما، متبع للشهوات، أم مقبل على فاطر السماوات؟

وإيّاك أن تكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق، فيصرف وجه رحمته عنك وقبوله في ما بقي على الإطلاق، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلّا بالانصراف عمّن سواه، فإنّ القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل، وظهرها كَمِد[1] لا يقبل انطباع الصور، فإذا توجّهت إلى شيء انطبع فيها، واستدبرت غيره، ولا يمكن انطباعه، ولهذا كانت الدنيا والآخرة ضرّتين، كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأُخرى.

فاجتهد في الحال في صرفه إليه، وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً عسى أن يسامحك في الغفلة بعد ذلك.

وإذا قلت: «حنيفاً مسلماً» فينبغي أن تحضر في بالك أنّ المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه[2].

---

١. في بعض النسخ «كدر». والكُمْدَة: تغيّر اللون وذَهاب صفائه. المعجم الوسيط، ص ٧٩٨، «كمد».

٢. إشارة إلى النبويّ المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام في الكافي، ج ٢، ص ٢٣٥، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح ١٩. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله في كنز العمّال، ج ١، ص ١٤٩، ح ٧٣٨ ـ ٧٤٠.

فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً، فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال، وتندم على ما سبق من الأحوال.

وإذا قلت: «وما أنا من المشركين» فاحضر ببالك الشرك الخفيّ وأنّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1]، جعل من يقصد بعبادة ربّه وجهَ الله وحمدَ الناس مشركاً، فاستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنّك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك، فإنّ اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

وإذا قلت: «محياي ومماتي للّه» فاعلم أنّ هذا حال عبد مفقود لنفسه، موجود لسيّده، وأنّه إن صدر ممّن غضبه ورضاه، وقيامه وقعوده، ورغبته في الحياة، ورهبته من الموت لأُمور الدنيا، لم يكن ملائماً للحال.

الرابعة: القراءة

ووظائفها لا تكاد تنحصر، ولا تحيط بها قوّة البشر، وإنّ الاعتناء بشأنها يخرج عن وضع الرسالة؛ لأنّها حكاية كلام الله جلّ جلاله، المشتمل على الأساليب العجيبة، والأوضاع الغريبة، والأسرار الدقيقة، والحكم الأنيقة، وليس المقصود منها مجرّد حركة اللسان، بل المقصود معانيها وتدبُّرها؛ ليستفيد منها حكمةً وحقائقَ وأسراراً، وترغيباً وترهيباً، وأمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، وذكر أنبيائه ونعمه، إلى غير ذلك من الفوائد.

فإذا قلت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فاعلم أنّه عدوّك، ومترصّد لصرف قلبك عن الله تعالى؛ حسداً لك على مناجاتك مع الله تعالى، وسجودك له، مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها. وأنّ استعاذتك بالله منه بتركك ما يحبّه وتبديله بما يحبّ الله تعالى، لا بمجرّد قولك: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

---

١. الكهف (١٨): ١١٠.

فإنّ من قصده سَبُعٌ أو عَدوٌّ ليفترسه أو يقتله، فقال: أعوذمنك بذلك الحصن الحصين، وهو ثابت في مكانه، فإنّ ذلك لا ينفعه بل لا يفيده إلّا تبديل المكان. فكذلك من يتّبع الشهوات التي هي محلّ الشيطان ومكاره الرحمن، فلا يغنيه مجرّد القول، فليقرن قوله بالعزم على التعوّذ بحصن الله تعالى من شرّ الشيطان، وحصنُه: «لا إله إلّا الله»؛ إذ قال الله تعالى فيما أخبر عنه نبيّناﷺ: «لا إله إلّا الله حصني»[1]. والمتحصّن به من لا معبود له سوى الله تعالى.

فأمّا من اتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله.

ومن دقائق مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبُّر فعل الخيرات؛ ليمنعك عن فهم ما تقرأُ.

فاعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس، فإنّ حركة اللسان غير المقصودة، بل المقصود معانيها كما مرّ.

والناس في القراءة على ثلاثة أقسام:

فمنهم: من يحرّك لسانه بها ولا يتدبّر قلبه لها، وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله سبحانه وتهديده بقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]، ودعاء نبيّهﷺ: «ويل لمن لاكها بين لحييه ثمّ لا يتدبّرها»[3].

ومنهم: من يحرّك لسانه، وقلبه يتبع اللسان، فيسمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره، وهذه درجة أصحاب اليمين.

ومنهم: من يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً، ثمّ يخدم اللسان قلبه فيترجمه، وهذه درجة المقرّبين.

---

١. عيون أخبار الرضاؑ، ج ٢، ص ١٤٤، الباب ٣٧، ح ٢؛ الأمالي، الطوسي، ص ٢٧٩، المجلس العاشر، ح ٧٤.

٢. سورة محمّد (٤٧): ٢٤.

٣. مجمع البيان، ج ١، ص ٥٥٤، ذيل الآيات ١٩٠ ـ ١٩٤ من آل عمران (٣).

وفرق جليّ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب ـ كما في هذه الدرجة ـ وبين أن يكون معلّمه ـ كما في الدرجة الثانية ـ فالمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

ترجمة الحمد

وتفصيل ترجمة المعاني ـ على سبيل الاختصار ـ : أنّك إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فانو به التبرّك لابتداء القراءة بكلام الله تعالى، وافهم أنّ معناه أنّ الأُمور كلّها بالله، وأنّ المراد ها هنا بالاسم هو المسمّى، وإذا كانت الأُمور كلّها بالله فلا جرم كان ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ [ومعناه أنّ الشكر للّه؛ إذ النعم من الله، ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنّه مسخّر من الله، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله.

فإذا قلت: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فأحضِر في قلبك أنّ العالمين كلّها مربوب مثلك بربوبيّته، مستغرق في نعمته.[١]]

فإذا قلت: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فأحضِر في قلبك أنواع لطفه لتتضّح لك رحمته، فينبعث بها رجاؤك.

ثمّ استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مٰالكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أمّا العظمة: فلأنّه لا ملك إلّا له، وأمّا الخوف: فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه.

ثمّ جدّد الإخلاص بقولك: ﴿إِيّٰاكَ نَعْبُدُ﴾ [وجدّد العجز والاحتياج والتبرُّؤَ عن حولك وقوّتك، بقولك:[٢]] ﴿وَإِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتحقّق أنّه ما تيسّرت طاعتك إلّا بإعانته، وأنّ المنّة له؛ إذ وفّقك لطاعته، واستخدمك لعبادته، وجعلك أهلاً لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين.

---

١. ما بين معقوفتين [ومعناه أنّ .... مستغرق في نعمته] أضفناها من «ب»، وليست في سائر النسخ.

٢. ما بين معقوفتين [وجدّد العجز .... بقولك] أضفناها من «ب»، وليست في سائر النسخ.

ثمّ إذا فرغت عن التفويض بقولك: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وعن التحميد، وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعيّن سؤالك، ولا تطلب إلّا أهمّ حاجاتك، وقل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي يسوقنا إلى جوارك، ويفضي‌بنا إلى مرضاتك.

وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً، واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب الله تعالى عليهم من الكفّار الزائغين من اليهود والنصارى والصابئين.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن‌تكون ممّن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر النبيّ ﷺ: «قسّمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، يقول العبد: الحمد للّه ربّ العالمين، فيقول الله: حمدني عبدي وأثنى عليّ»[١].

وهو معنى قوله: «سمع الله لمن حمده».

فلو لم يكن من صلاتك حظّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك به غنيمةً فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السورة فلا تغفل عن أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأخبار أنبيائه، وذكر مننه وإحسانه. فلكلّ واحد حقّ، فالرجاء حقّ الوعد، والخوف حقّ الوعيد، والعزم حقّ الأمر والنهي، والاتّعاظ حقّ الموعظة، والشكر حقّ تذكّر المنّة، والاعتبار حقّ أخبار الأنبياء.

فيما يتعلّق بقراءة القرآن

وتفصيل وظيفة قراءة القرآن لا يحتمله هذا المحلّ لكنّا نذكر جملةً منه في آخر الفصل.

---

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ، ص ٣٨، ح ٣٠؛ الأمالي، الصدوق، ص ١٤٧ ـ ١٤٨، المجلس ٣٣، ح ١؛ عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٢٦٩، باب ٢٨، ح ٥٩.

وبالجملة، ففهم معاني القرآن يختلف بحسب درجات الفهم، والفهم يختلف بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر. والصلاة مفتاح القلوب، فيها تنكشف أسرار الكلمات. فهذا حقّ القراءة وهو أيضاً حقّ الأذكار والتسبيحات.

ثمّ تراعي الهيئة في القراءة زيادة على التدبّر فرتّل ولا تسرد[١]؛ فإنّ ذلك أيسر للتأمّل. وتفرّق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتمجيد والتعظيم.

ورُوي أنّه: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتّل، كما كنت ترتّل في الدنيا»[٢].

ومن وظائف القراءة من الأثر قول الصادقﷺ: «من قرأ القرآن ولم يخضع له، ولم يَرِقّ قلبه، ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظم شأن الله تعالى وخسر خُسراناً مبيناً. فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا خشع للّه قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣]. فإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فَيحرمه نور القرآن وفوائده. وإذا اتّخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق ـ بعد أن أتى بالخصلتين الأُوليين[٤] ـ استأنس روحه وسرّه بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعظم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته، وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذٍ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة؛ لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة. فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك، ومنشور ولايتك؟ وكيف تجيب أوامره

---

١. سرد القرآن: تابع قراءته في حَذر منه. لسان العرب، ج ٣، ص ٢١١، «سرد».

٢. الجامع الصحيح، ج ٥، ص ١٧٧، ح ٢٩١٤؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٨.

٣. النحل (١٦): ٩٨.

٤. يعني خضوع القلب وفراغ البدن.

ونواهيه؟ وكيف تتمثّل حدوده؟ ﴿فإِنَّهُ كِتابٌ عَزيزٌ لاٰ يَأْتيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاٰ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ﴾[1]، فرتّله ترتيلاً، وقِفْ عند وعده ووعيده، وتفكّر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[2].

الخامسةُ: الركوع

فإذا وصلت إليه فجدّد على قلبك ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته، وخساسة كلّ ما سواه وتلاشيه، فارفع يديك له، وقل: «الله أكبر»، مستجيراً في رفعك بعفو الله من عقابه، ومتّبعاً سنّة نبيّه، ثمّ تستأنف له ذلّاً وتواضعاً بركوعك، واجتهد في ترقيق قلبك، وتجديد خشوعك، واستشعر ذلك وعزّ مولاك، واتّضاعك وعلوّ ربّك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبّح ربّك وتنزّهه، وتشهد له بالعظمة والكبرياء، وأنّه أعظم من كلّ عظيم بقولك: «سبحان ربّي العظيم وبحمده». وتكرّر ذلك على لسانك وقلبك؛ لتؤكّده بالتكرار، وتقرّره في ذاتك بالتذكار، وكلّما أكثرت منه وازددت خضوعاً، زدت عند مولاك رفعة.

ثمّ ترتفع من ركوعك راجياً أنّه راحم لك، وتؤكّد الرجاء في قلبك بقولك: «سمع الله لمن حمده» أي أجاب الله لمن حمده وشكره.

ثمّ تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول: «الحمد للّه ربّ العالمين».

وفي ذلك غاية الخضوع ومزيد التذلّل إذا راعيت ذلك بالحقيقة.

وقد قال الصادقﷺ: «لا يركع عبد للّه تعالى ركوعاً على الحقيقة إلّا زيّنه الله تعالى بنور بهائه، وأظلّه في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أوّل، والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني. وفي الركوع أدب، وفي السجود قرب، ومن

١. مأخوذ من الآية ٤٢ من سورة فصّلت (٤١).

٢. مصباح الشريعة، ص ١١١ ـ ١١٢، باب قراءة القرآن.

لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع للّه بقلبه، متذلّل وَجِل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف، حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين. وحكي أنّ ربيع بن خُثيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد فإذا أصبح تزفّر وقال: «آهِ، سبق المخلصون وقُطع بنا». واستوف ركوعك باستواء ظهرك، وانحطّ عن همّتك في القيام بخدمته إلّا بعونه، وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أُصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرائرهم»[١].

السادسة: السجود

وهو أعظم مراتب الخضوع، وأحسن درجات الخشوع، وأعلى مراتب الاستكانة، وأحقّ المراتب باستيجاب القرب إلى الله تعالى، وتلقّي أنوار رحمته، ومعاطف كرمه، كما نبّه عليه الكتاب الكريم في أمره لنبيّهﷺ أن يسجد، ووعده على ذلك بأن يقترب[٢].

فإذا أردت السجود فاستحضر عظمة الله تعالى زيادة على ما حضر حالة الركوع، وكبّره رافعاً يدك وأنت قائم، ثمّ اهْوِ إلى السجود، ومكّن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذلّ الأشياء وهو التراب، فإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل، فإنّه أجلب للخشوع، وأدلّ على الذلّ والخضوع.

وهذا هو السرّ في منع الشريعة من السجود على ما يأكله الآدميّون ويلبسونه؛ لأنّه من متاع الدنيا وأهلها الذين اغترّوا بغرورها، وركنوا إلى زخرفها، واطمأنّوا إليها، فأسلمتهم إلى المهالك أحوج ما كانوا إليها.

وإذا وضعت نفسك موضع الذلّ، فاعلم أنّك وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلى

١. مصباح الشريعة، ص ١١٩، باب الركوع.

٢. كما في سورة العلق (٩٦): ١٩.

أصله، فإنّك من التراب خلقت، وإليه رددت، ثمّ تخرج منها مرّة أُخرى.

فأحضر في بالك نقلاتك منها وإليها، ثمّ خروجك منها بتكرّر السجود كما ذكره الله تعالى لك بقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1].

وعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله تعالى وعلوّه وقل: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده» وأكّده بالتكرار، فإنّ المرّة الواحدة ضعيفة الأثر في القلب.

فإذا رقّ قلبك وظهر ذُلّك، فليصدق رجاؤك في رحمة ربّك، فإنّ رحمته تتسارع إلى الضعف والذلّ لا إلى التكبّر والبطر، فارفع رأسك مكبّراً وسائلاً حاجتك، ومستغفراً من ذنوبك، ثمّ أكّد التواضع بالتكرار وعُد إلى السجود ثانياً كذلك، فبزيادته يزيد القرب منك، وبتكراره تتأكّد السوانح الإلهيّة، وتظهر اللوامع الغيبيّة، إذا وقع على وجهه.

قال الصادق عليه السلام: «ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود، ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عمّا أعدّ الله للساجدين من أُنس العاجل، وراحة الآجل، ولا بَعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قَرُب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته، بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع للّه ذليل، علم أنّه خلق من تراب تطؤه الخلق، وأنّه اتّخذك من نطفة يستقذرها كلّ أحد، وَكَوَّنَ ولم يكن، وقد جعل الله تعالى معنى السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قَرُب منه بَعُد من غيره. ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلّا بالتواري عن جميع الأشياء، والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون؟ كذلك أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون الله، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال

---

١. طه (٢٠): ٥٥.

٢. الأحزاب (٣٣): ٤.

الله تعالى: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي، وابتغاء مرضاتي، إلّا تولّيت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين»[١].

السابعة: التشهّد

إذا جلست للتشهّد بعد هذه الأفعال الدقيقة، والأسرار العميقة، المشتملة على الأخطار الجسيمة، والأهوال العظيمة، فاستشعر الخوف التامّ، والرهبة والحياء والوجل أنْ يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه، ولا محصّلاً لوظيفته وشرطه، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين، فاجعل يدك صفراً من فوائدها، إلّا أن يتداركك الله برحمته، ويقبل عملك الناقص بفضله.

وارجع إلى مبدأ الأمر وأصل الدين، واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله تعالى الذي من دخلهُ كان آمناً إن لم يكن حصل في يدك غيره، واشهد له بالوحدانيّة، وأحضر رسوله المكرّم ونبيّه المعظّم ببالك، واشهد له بالعبوديّة والرسالة، وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهد الله تعالى بإعادة كلمتي الشهادة، متعرّضاً بهما لتأسيس مراتب السعادة، فإنّهما أوّل الوسائل، وأساس الفواضل، وجماع أمر الفضائل، مترقّباً لإجابتهﷺ لك بصلاتك عشراً من صلاته[٢] إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً.

وقال الصادقﷺ: «التشهّد ثناء على الله تعالى، فكن عبداً له في السرّ، خاضعاً له في الفعل، كما أنّك عبدٌ له بالقول والدعوى، وصِل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنّه

١. مصباح الشريعة، ص ١٢٣ ـ ١٢٤، باب السجود.

٢. كما روي عنهﷺ في صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٠٦، ح ٤٠٨/٧٠؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٧١؛ وج ٢، ص ٣٠٩.

خلقك عبداً، وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن تُحقّق عبوديّتك له بربوبيّته لك، وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيئته، وهم عاجزون عن اتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَيَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحٰانَ اللـهِ وَتَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ﴾[1]. فكن للّه عبداً شاكراً بالفعل، كما أنّك عبد ذاكر بالقول والدعوى، وصِل صدق لسانك بصفاء سرّك فإنّه خلقك فعزّ وجلّ أن تكون إرادةٌ ومشيئةٌ لأحد إلّا بسابق إرادته ومشيئته، فاستعمل العبوديّة في الرضى بحكمه وبالعبادة في أداء أوامره. وقد أمرك بالصلاة على نبيّه[2] محمّدﷺ، فأوصل صلاته بصلاته، وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته، وانظر أن لا تفوتك بركات معرفة حرمته، فتحرم عن فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك، والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي، والسنن والآداب، وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجلّ»[3].

الثامنة: التسليم

فإذا فرغت من التشهّد فأحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقرّبين، وقل: «السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته»، إلى آخر التسليم المستحبّ.

ثمّ أحضِر في بالك النبيّﷺ وبقيّة أنبياء الله، والأئمّةﷺ، والحفظة لك من الملائكة المقرّبين، المحصين لأعمالك، وقل: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور مخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبين.

---

١. القصص (٢٨): ٦٨.

٢. وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّٰهَ وَمَلاٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يٰا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْليماً﴾ الأحزاب (٣٣): ٥٦.

٣. مصباح الشريعة، ص ١٣١، باب التشهّد.

وكيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد المخاطب، لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة، ورأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب، وإن كان بعيداً عن درجات القبول، منحطّاً عن أوج القرب والوصول؟

وإن كنت إماماً لقوم فاقصِدهم بالسلام مع من تقدّم من المقصودين، وليقصِدوا هم الردّ عليك أيضاً، ثمّ يقصدوا مقصدك بسلام ثانٍ، فإذا فعلتم ذلك فقد أدّيتم وظيفة السلام، واستحققتم من الله تعالى مزيد الإكرام.

وأصل السلام مشترك بين التحيّة الخاصّة، وبين الاسم المقدّس من أسماء الله تعالى، والمعنى هنا على الأوّل ظاهر، وعلى الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله؛ للتفاؤُل بالسلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده.

قال الصادق عليه السلام: «معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان، أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه ﷺ خاضعاً له خاشعاً منه قلبه، فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة. والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإنصافات، وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم، وصحّة معاشرتهم.

وإن أردت أن تضع السلام موضعه، وتؤدّي معناه، فاتّق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك، وأن لا تدنّسها بظلمة المعاصي، ولتسلم حفظتك أن لا تبرمهم ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثمّ صديقك ثمّ عدوّك فإن لم يسلم منه من هو أقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه، فلا سلام ولا تسليم، وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق»[1].

١. مصباح الشريعة، ص ١٣٧، باب آداب السلام.

تتمّة الفصل

إذا أتيت بالصلاة على ما وصفت لك، فاختمها بالخشوع والخضوع، والخوف من منقلب الردّ وخيبة الحرمان، واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة، وتوهّم أنّك مودّع في صلاتك هذه، وأنّك ربما لا تعيش إلى مثلها كما قالﷺ: «صلّ صلاة مودّع»[1].

ثمّ استشعر قلبك الحياء من التقصير في الصلاة، والخوف من أن تلفّ فيضرب بها وجهك، فإذا فعلت ذلك رجوت أن تكون من الخاشعين ﴿الَّذينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِـهِمْ يُحٰافِظُونَ﴾[2]، و﴿الَّذينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ﴾[3].

واعرض صلاتك على هذا الوصف، فبقدر ما يتيسّر منها كذلك ينبغي أن تفرح وترجو، وعلى ما يفوتك ينبغي أن تتحسّر وتجتهد في مداواة قلبك، فإنّ صلاة الغافلين مرتع إبليس اللعين.

نسأل الله أن يغمُرنا برحمته، ويتغمّدنا بمغفرته؛ إذ لا وسيلة لنا إلّا الاعتراف بالعجز عن القيام بوظائف طاعته.

[في التعقيب]

ثمّ عقّب ذلك كلّه بالاشتغال بالتعقيب من الذكر والدعاء، وبالغ في الإخلاص والانقطاع

---

١. الكافي، ج ٤، ص ٢٦١، باب فضل الحجّ والعمرة وثوابهما، ح ٣٧؛ الأمالي، الطوسي، ص ٥٠٨، ح ١١١١.
٢. المؤمنون (٢٣): ٩.
٣. المعارج (٧٠): ٢٣.

والابتهال إلى الله تعالى في مغفرة ذنبك، وقبول عملك، وتلقّي طاعتك بيد الرحمة، فإنّ الفضل عميم، والكرم جسيم، والرحمة واسعة، والجود فائض، والمحلّ قابل.

وخلاصة وظائف الدعاء عقيب الصلاة وغيرها ما قاله مولانا الصادق عليه السلام: «احفظ أدب الدعاء، وانظر من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ولما تدعو؟ وحقّق عظمة الله تعالى وكبرياءه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك، واطّلاعه على سرّك، وما تكنُّ فيه من الحقّ والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك، كي لا تدعو الله تعالى بشيء عسى فيه هلاكك، وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك.

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[1]. وتفكّر ماذا تسأل؟ ولماذا تسأل؟ والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الربّ، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأُمور كلّها ـ ظاهرها وباطنها ـ إلى الله تعالى؛ فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة فإنّه يعلم السرّ وأخفى، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك خلاف ذلك.

قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر[2].

واعلم أنّه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء، لكنّا إذا أخلصنا الدعاء تفضّل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء؟

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم، فقال: «كلّ اسم من أسماء الله أعظم، ففرّغ قلبك عن كلّ ما سواه، وادعه بأيّ اسم شئت، فليس في الحقيقة للّه اسم دون اسم، بل هو الله الواحد القهّار».

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاهٍ».

---

١. الإسراء (١٧): ١١.

٢. قال الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٣٠٨: قيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربّك، فقال: إنّكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطيء الحجارة.

فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه، فابشر بإحدى ثلاث: إمّا أن يتعجّل لك بما سألت، وإمّا أن يدّخر لك ما هو أعظم منه، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما لو أرسله عليك لهلكت.

قال النبيّ ﷺ: «قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»[١].

قال الصادق ﷺ:«لقد دعوت الله تعالى مرّة واحدة فاستجاب لي ونسيت الحاجة؛ لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته، أعظم وأجلّ ممّا يريد منه العبد، ولو كانت الجنّة ونعيمها الأبد ولكن لا يعقل ذلك إلّا العاملون المحبّون العارفون الفائزون صفوة الله وخواصّه»[٢]. انتهى.

وهو كافٍ في وظيفة الدعاء.

[آداب قراءة القرآن وكيفيّتها]

وإن عقّبت بشيء من القرآن فينبغي أن تتدبّر بعض وظائفه، لتقوم بشروطه، وتمتثل مرسوم حدوده، كما ينبغي ذلك لكلّ قارئ. وما ورد في ثواب قراءة القرآن والحثّ عليه[٣]، يخرج ذكره عن موضوع الرسالة؛ فلنذكر مهمّ وظائفه ملخّصاً، وهو أُمور:

الأوّل: حضور القلب، وترك حديث النفس.

قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[٤]، أي بجدّ واجتهاد[٥]. وأخذه

---

١. مصباح الشريعة، ص ١٤٣ ـ ١٤٤، باب آداب الدعاء.

٢. مصباح الشريعة، ص ١٤٤، باب آداب الدعاء.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٦١١، باب ثواب قراءة القرآن.

٤. مريم (١٩): ١٢.

٥. القائل هو الشيخ في التبيان، ج ٧، ص ٩٩؛ والطبرسي في مجمع البيان، ج ٣، ص ٥٠٦، ذيل الآية ١٢ من مريم (١٩).

بالجدّ؛ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه.

الثاني: التدبّر، وهو طور وراء حضور القلب؛ فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر في غير القرآن، ولكنّه يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبّره، والمقصود من التلاوة التدبّر؛ قال الله سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[١]. [وقال تعالى:] ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتيلاً﴾[٣]؛ ولأنّ الترتيل يمكّن الإنسان من تدبّر الباطن، قال النبيّ ﷺ: «لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا خير في قراءة لا تدبّر فيها»[٤].

وإذا لم يمكن التدبّر إلّا بالترديد فليردّد، قال أبو ذرّ (رضي الله عنه):

قام رسول الله ليلة يردّد قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ﴾[٥].

الثالث: التفهّم، وهو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها؛ إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله، وأحوال أنبيائه، والمكذّبين لهم، وأحوال ملائكته، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنّة والنار، والوعد والوعيد، فليتأمّل معاني هذه الأسماء والصفات؛ لتنكشف له أسرارها، فإنّ تحتها أسرار الدقائق، وكنوز الحقائق.

قال ابن مسعود: من أراد أن يعلم علم الأوّلين والآخرين فعليه بالقرآن[٦].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ

---

١. محمّد (٤٧): ٢٤.

٢. النساء (٤): ٨٢.

٣. المزّمّل (٧٣): ٤.

٤. معاني الأخبار، ص ٢٢٦، ح ١؛ تحف العقول، ص ١٤٣؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٢، في جميع المصادر عن عليّ ؑ.

٥. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٢٩، ح ١٣٥٠؛ والآية في المائدة (٥): ١١٨.

٦. حكاه عن ابن مسعود الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٣.

ربي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِه مَدَداً﴾[١].

وقال عليّ عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب»[٢].

فمن لم يتفهّم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو في أدنى المراتب، دخل في قوله تعالى: ﴿أُولٰئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٣]، وقوله: ﴿أَفَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[٤].

الرابع: التخلّي عن موانع الفهم؛ فإنّ أكثر الناس مُنعوا من فهم القرآن؛ لأسباب وحُجب أسدَلَها الشيطان على قلوبهم، فحُجبت عن عجائب أسراره؛ قال صلى الله عليه وآله: «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت»[٥].

ومعاني القرآن وأسراره من جملة الملكوت.

والحجب الموانع منها: الاشتغال بتحقيق الحروف، وإخراجها من مخارجها، والتشدّق بها، من غير ملاحظة المعنى.

وقيل[٦]: إنّ المتولّي لحفظ ذلك شيطان وُكِّل بالقرّاء؛ ليصرفهم عن معاني كلام الله تعالى، فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف، ويخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه، فيكون تأمّله مقصوراً على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني؟! وأعظم ضحكة للشيطان مَن كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

ومنها: أن يكون مبتلى من الدنيا بهوىً مطاع؛ فإنّ ذلك سبب لظلمة القلب كالصَدَإ على المرآة، فيمنع جليّة الحقّ أن يتجلّى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حجب

١. الكهف (١٨): ١٠٩.
٢. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٣.
٣. النحل (١٦): ١٠٨.
٤. محمّد (٤٧): ٢٤.
٥. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٣٢، ص ٢٨٤.
٦. القائل هو الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٤.

الأكثرون، وكلّما كانت الشهوات أكثر تراكماً على القلب، كان البعد عن أسرار الله تعالى أعظم؛ ولذلك قال ﷺ: «الدنيا والآخرة ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد عن الأُخرى»[١].

الخامسُ: أن يخصّص نفسه بكلّ خطاب في القرآن من أمر أو نهي، أو وعد أو وعيد، ويُقدّر أنّه هو مقصود.

وكذلك إن سمع قصص الأوّلين والأنبياء عليهم السلام علم أنّ مجرّد القصّة غير المقصود وإنّما المقصود الاعتبار، ولا يعتقد أنّ كلّ خطاب خاصّ في القرآن المراد به الخصوص، فإنّ القرآن وسائر الخطابات الشرعيّة واردة على طريقة «إيّاك أعني واسمعي يا جارة»، وهي كلّها نور وهدىً ورحمة للعالمين؛ ولذلك أمر الله تعالى الكافّة بشكر نعمة الكتاب، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[٢].

وإذا قدّر أنّه المقصود لم يتخذّ دراسة القرآن عملاً، بل قراءته كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتدبّره ويعمل بمقتضاه.

قال حكيم: «هذا القرآن أتانا من قبل ربّنا بعهوده نتدبّرها في الصلاة، ونقف عليها في الخلوات، ونعدّها في الطاعات بالسنن المتّبعات»[٣].

السادس: التأثّر، وهو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجدٌ يتّصف به عندما يوجّه نفسه في كلّ حال إلى الجهة التي فهمها، من خوف أو حزن أو رجاء أو غيره، فيستعدّ بذلك وينفعل، ويحصل له التأثّر

---

١. لم نعثر على من رواه عن رسول الله ﷺ، وبمعناه روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، ص ٦٧٢، الحكمة ١٠٣؛ وفي إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٢. البقرة (٢): ٢٣١.

٣. حكاه الغزالي عن بعض العلماء في إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٥.

والخشية. ومهما قويت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه؛ فإنّ التضييق غالب على العارفين، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلّا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[١]. فإنّه قرن المغفرة بهذه الشروط الأربعة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٢] إلى آخر السورة، وذكر فيها أربعة شروط.

وحيث أوجز واختصر ذكر شرطاً واحداً جامعاً للشرائط فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣]؛ إذ كان الإحسان جامعاً لكلّ الشرائط.

وتأثّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة، فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله، وعند الوعد يستبشر فرحاً برحمة الله، وعند ذكر الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله، وعند ذكر الكفّار في حقّ الله تعالى ما يمتنع عليه ـ كالصاحبة والولد ـ يغضّ صوته، وينكسر في باطنه، حياءً من قبح أفعالهم، ويكبّر الله ويقدّسه عمّا يقول الظالمون، وعند ذكر الجنّة ينبعث بباطنه شوقاً إليها، وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفاً منها.

ولمّا قال رسول الله لابن مسعود: «إقرأ عليّ»، قال: ففتحت سورة النساء، فلمّا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[٤]، رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي: «حسبك الآن»[٥]. وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلّيّة.

---

١. طه (٢٠): ٨٢.

٢. العصر (١٠٣): ١.

٣. الأعراف (٧): ٥٦.

٤. النساء (٤): ٤١.

٥. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٦٧٣، ح ٤٣٠٦، وص ١٩٢٥، ح ٤٧٦٣، وص ١٩٢٧، ح ٤٧٦٨.

والقرآن إنّما يراد لهذه الأحوال واستجلابها إلى القلب والعمل بها؛ قال رسول اللهﷺ: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، ولانت عليه جلودكم، فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه»[١].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادتْهُمْ إيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢]. وإلّا فالمؤونة في تحريك اللسان خفيفة.

وروي أنّ رجلاً جاء إلى النبيّﷺ، ليعلّمه القرآن، فعلّمه فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٣]، فقال يكفيني هذا، وانصرف. فقال رسول اللهﷺ: «انصرف الرجل وهو فقيه»[٤].

وأمّا التالي باللسان المعرض عن العمل، فجدير أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْري فَإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيمَةِ أعْمى﴾[٥] الآية.

وإنّما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظّ العقل تفسير المعاني، وحظّ القلب الاتّعاظ والتأثّر بالانزجار والائتمار.

السابعُ: الترقّي، وهو أن يوجّه قلبه وعقله إلى القبلة الحقيقيّة، فيستمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه.

ودرجات القراءة ثلاث:

أدناها: أن يقدّر العبد كأنّه يقرأُ على الله عزّ وجلّ، واقفاً بين يديه، وهو ناظر إليه ومستمع منه؛ فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرّع والابتهال.

والثانيةُ: أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه وتعالى يخاطبه بألطافه، ويناجيه بإنعامه

---

١. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٩٢٩، ح ٤٧٧٣ ـ ٤٧٧٤.

٢. الأنفال (٨): ٢.

٣. الزلزلة (٩٩): ٧ ـ ٨.

٤. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٧؛ الدرّ المنثور، ج ٨، ص ٥٩٦، ذيل الآية.

٥. طه (٢٠): ١٢٤.

وإحسانه، وهو في مقام الحياء والتعظيم لمنن الله، والإصغاء إليه، والفهم منه.

والثالثةُ: أن يرى في الكلام المتكلّم، وفي الكلمات الصفات؛ فلا ينظر إلى قلبه، ولا إلى قراءته، ولا إلى التعلّق بالإنعام من حيث هو منعم عليه، بل يقصر الهمّ على المتكلّم، ويوقف فكره عليه، ويستغرق في مشاهدته.

وهذه درجة المقرّبين، وعنها أخبر جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام بقوله: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنّهم لا يبصرون»[1].

وقال أيضاً، وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق، قيل له في ذلك، فقال: «ما زلت أُردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته»[2].

الثامنُ: التبرّؤ، والمراد به أن يتبرّأ من حوله وقوّته، فلا يلتفت إلى نفسه بعين الرضى والتزكية.

فإذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين، حذف نفسه عن درجة الاعتبار، وشهد فيها الموقنين والصدّيقين، ويتشوّق إلى أن يلحقه الله بهم.

وإذا تلا آيات المقت والذمّ للمقصّرين شهد نفسه هناك، وقدّر أنّه المخاطب خوفاً وإشفاقاً، وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين وسيّد الوصيّينعليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتّقين بقوله: «وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم»[3]، إلى آخره.

ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه.

ومن شاهد نفسه بعين الرضى فهو محجوب بنفسه.

---

١. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٧.

٢. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٣. نهج البلاغة، ص ٤١٠، الخطبة ١٩٣.

فهذه نبذة من وظائف القراءة وأسرارها، وفّقنا الله لتلقّي الأسرار، وألحقنا بعباده الأبرار.

[سجدة الشكر]

وإذا وصلت إلى هذا المقام فاسجد سجدتي الشكر شكراً للّه سبحانه على مزيد الإنعام، وأحضِر إنعامه لديك ببالك، وأياديه عندك في جميع أحوالك، وقل: «شكراً شكراً» إلى تمام ما يمكنك من المزيد، فأنت مع ذلك مقصّر عمّا يجب عليك من التحميد، وغاية ما يجب الاعتراف بالتقصير، والاستغفار من كلّ قليل وكثير.

اللهمّ ارزقنا العمل بما كشفت لنا من الأسرار والآيات، وزدنا فيضاً وعرفاناً يكون لنا سلّماً إلى نيل تلك الدرجات، ووفّقنا على درك الحقّ بالتوفيق، وثبّت أقدامنا على مقامات الصدق، وحقائق التحقيق، بفضلك وجودك العميم، إنّك أنت الوهّاب الكريم.

الفصل الثالث

في المنافيات

وهي في هذا المقام ما أبطلت الصلاة، أو نقصت كمالها من جهات قلبيّة. وهي تنقسم إلى منافيات الكمال، وإلى منافيات الصحّة.

وضابط الأوّل ما ينافي الإقبال بالقلب على الله تعالى من حديث النفس، والالتفات إلى أمر دنيوي، بل الفكر في غير متعلّق الصلاة، وإن كان أُخرويّاً، فإنّه من دقائق مكائد الشيطان؛ فإنّ المطلوب للّه تعالى، والموجب للقبول إنّما هو الإقبال على كلّ فعل من أفعالها حال الاشتغال فيه؛ كما نبّه عليه بقولهﷺ: «وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك»[1].

ويدخل في هذا القسم ما عدّه الفقهاء من المكروهات كمدافعة الأخبثَين، والنعاس، والتنخّم، والبصاق، والعبث، وغيرها، فإنّها مشتركة في مضادّة الإقبال، ومنافية للخشوع.

وأمّا منافيات الصحّة، فضابطها منافاة الإخلاص، واستكثار الطاعة. ويدخل في

---

١. لم نعثر على من حكاه عن رسول اللهﷺ، نعم رواه البرقي في المحاسن، ج ٢، ص ٣٣، ح ٣٤/١١٠٥ عن الباقرعليه السلام بتفاوت يسير.

الأوّل الرياء بأقسامه، وفي الثاني العجب. والكلام في كلّ منهما مستوفى وذكر أقسامهما وأحكامهما يخرج عن وضع الرسالة، لكنّا نذكر المهمّ.

[الرياء]

واعلم أنّ الوعيد على هاتين الآفتين في الكتاب والسنّة كثير يخرج عن حدّ الحصر، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِم سَاهُونَ الَّذينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1].

وقال النبيّ ﷺ: «إنّ النار وأهلها يعجّون من أهل الرياء».

فقيل: يا رسول الله وكيف تعجّ النار؟ قال: «من حرّ النار التي يعذّبون بها»[2].

وعنه ﷺ قال: «المرائي يوم القيامة يُنادى بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، ضلّ سعيك، وبطل أجرك، ولا خلاق لك، التمس الأجر ممّن كنت تعمل له، يا مخادع»[3].

وعنه ﷺ: «إنّ الله تعالى يقول: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً فأشرك فيه غيري فنصيبي له، فأنا لا أقبل إلّا ما كان خالصاً لي»[4].

وعنه ﷺ: «إنّ الجنّة تكلّمت وقالت: إنّي حرام على كلّ بخيل ومراءٍ»[5].

وعنه ﷺ: «إنّ أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال فيقول الله عزّ وجلّ للقارىء: ألم أُعلمك ما أنزلت على رسولي؟

---

١. الماعون (١٠٧): ٤ ـ ٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠٥، ح ٥٢ عن أسرار الصلاة.

٣. معاني الأخبار، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١، ح ١؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٨٣، ح ٢٩٥.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥، باب الرياء، ح ٩؛ تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٣٥٣، ح ٩٤ ـ ٩٥؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٩٤.

٥. بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠٥، ح ٥٢ عن أسرار الصلاة.

فيقول: بلى يا ربّ. فيقول: ما عملت في ما علمت؟

فيقول: يا ربّ، قرأته في أناء الليل، وأطراف النهار.

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: إنّما أردتَ أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى: ألم أُوسّع عليك حتّى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟

فيقول: بلى يا ربّ.

فيقول: فما عملت في ما آتيتك؟

قال: كنت أصل الرحم وأتصدّق.

فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله سبحانه: بل أردتَ أن يقال فلان جواد، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله تعالى: ما فعلت؟

فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتّى قُتلت.

فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، فيقول الله تعالى: بل أردتَ أن يقال فلان شجاع جريء، فقد قيل ذلك».

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أولئك خلق الله، تسعر بهم نار جهنّم!»[١].

وعن الصادق ﷺ: «إيّاك والرياء، فإنّه من عمل لغير الله وكّله الله إلى من عمل له»[٢].

وعنه ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عملاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحداً﴾[٣] قال: «الرجل يعمل شيئاً من الثواب، لا يطلب به وجه الله،

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠٥، ح ٥٢ عن أسرار الصلاة.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣، باب الرياء، ح ١.

٣. الكهف (١٨): ١١٠.

إنّما يطلب تزكية النفس[١]؛ يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربّه. ـ ثمّ قال: ـ ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً، وما من عبد أسرّ شرّاً فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر له شرّاً»[٢].

والأثر في ذلك يطول.

وقال الله تعالى في ذمّ العجب: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[٣].

ذكر ذلك في معرض الإنكار.

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[٤]، وهو أيضاً راجع إلى العجب بالعمل على وجه.

وقال النبيّ ﷺ: «ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوىً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٥].

وقال الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»[٦].

وعنه عليه السلام: «للعجب درجات، منها أن يزيّن للعبد سوء عمله، فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً»[٧].

وعنه عليه السلام قال: «أتى عالم عابداً، فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتّى تجري دموعي، فقال له العالم: فإنّ ضحكك وأنت خائف خير من بكائك وأنت مدلّ، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء»[٨].

---

١. في المصدر وفي بعض النسخ: «الناس» بدل «النفس».
٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، باب الرياء، ح ٤.
٣. التوبة (٩): ٢٥.
٤. الكهف (١٨): ١٠٤.
٥. الخصال، ص ٨٤، ح ١١؛ المحاسن، ج ١، ص ٦٢، ح ٣.
٦. الكافي، ج ٢، ص ٣١٣، باب العجب، ح ٢.
٧. الكافي، ج ٢، ص ٣١٣، باب العجب، ح ٣؛ معاني الأخبار، ص ٢٤٣، ح ١.
٨. الكافي، ج ٢، ص ٣١٣، باب العجب، ح ٥.

وعن أحدهماﷺ قال: «دخل المسجد رجلان: أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق، والعابد فاسق؛ وذلك أنّه يدخل المسجد العابد مدلّاً بعبادته فيدلّ بها، فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله عزّ وجلّ ممّا صنع من الذنوب»[١].

وقال النبيّﷺ: «قال الله تعالى لداود: يا داود، بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين. قال: كيف أُبشّر المذنبين، وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود، بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب. وأنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم؛ فإنّه ليس عبد يعجب بالحسنات إلّا هلك»[٢].

[وجوه الرياء:]

واعلم أنّ الرياء على ضربين: رياء محض، ورياء مختلط.

فالمحض: أن يريد بعمله نفع الدنيا، وهو أعمّ من أن يتوصّل به إلى محرّم أو مباح، أو الحذر من أن ينظر إليه بعين النقص، ولا يعدّ من الخاصّة.

والمختلط: أن يقصد به ذلك مع التقرّب إلى الله تعالى.

وكلاهما مفسد للعمل بل الأوّل ساقط عن درجة البحث والاعتبار. والثاني هو الإشراك بالله تعالى في العبادة التي قد تقدّم أنّه يتركها لشريكه[٣]. وهذا هو الشرك الخفيّ في هذه الأُمّة الذي أشار إليه النبيّﷺ بأنّه في أُمّته فاش[٤].

ثمّ المقصود هنا ليس هو البحث عن الفعل الذي يقع ابتداء رياء؛ لأنّ ذلك باطل في

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٦؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٥١ ـ ٥٢، الباب ٦٦، ح ١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٨.

٣. تقدّم في ص ٧٠، الهامش ٤.

٤. عدّة الداعي، ص ٢١٤: قال رسول اللهﷺ: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء».

نفسه، ولا يعرض لقلوب العارفين، وإنّما الكلام هنا فيما يبتدئ الإنسان به من العبادة خالصاً للّه تعالى لا يريد به غيره، ثمّ يعرض له ما ينافي الإخلاص على وجه الشوب اللطيف الذي ينبغي التنبيه عليه في مثل هذا المقام. وهو يأتي على وجوه ـ بعضها خفيّ وبعضها جليّ ـ:

أحدها: أن يعقد الصلاة مثلاً على الإخلاص المحض، والطاعة، والإقبال على الله تعالى بها، وهو خالٍ من نظر الناس إليه، فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر، فيقول له الشيطان: زد صلاتك حسناً حتّى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح، ولا يزدريك ولا يغتابك.

فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته. وهذا هو الرياء الطارئ الظاهر، الذي لا يخفى على المبتدئين من المريدين، ولكنّه في الجملة من شوائب القُربِ ومنافي الإخلاص.

وثانيها: أن يكون قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره، فصار لا يطيع الشيطان فيها، ولا يلتفت إليه، ويستمرّ في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير، ويقول: أنت متبوع، ومقتدى بك، ومنظور إليك، وما تفعله يؤثر عنك، ويتأسّى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت، وعليك الوزر إن أسأت، فأحسن عملك، فعساه أن يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة، فتكون شريك من اقتدى بك، وهلمّ جرّاً للحديث المشهور: «إنّ من سنّ سنّة حسنة فله أجرها، وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة»[1].

وهذه المكيدة أعظم من الأُولى وأدقّ، وقد ينخدع بها من لا ينخدع بالأُولى. وهو أيضاً عين الرياء ومبطل الإخلاص؛ فإنّه إذا كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه، فلِمَ لم يرتضِ لنفسه ذلك في الخلوة؟ ولا يمكن أن يكون غيره أعزّ عليه من نفسه!

---

١. الكافي، ج ٥، ص ٩ ـ ١٠، باب وجوه الجهاد، ح ١.

فهذا عين التلبيس، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه، واستنار قلبه، فانتشر نوره إلى غيره، فيكون له الثواب عليه.

وأمّا فعل الأوّل؛ فمحض النفاق والتلبيس، فيطالب يوم القيامة بتلبيسه، ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متّصفاً به، وإن أُثيب المقتدي به.

وثالثها ـ وهو أدقُّ ممّا قبلها ـ: أنْ يتنبّه العبد لذلك، وأنّه مكيدة من الشيطان، ويعلم أنّ مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، ويعلم أنّ الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملإ، ويستحيي من نفسه ومن ربّه أن يخشع لمشاهدة خلقه، تخشّعاً زائداً على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة، ويحسّن صلاته على الوجه الذي يرتضيها في الملإ، ويصلّي أيضاً في الملإ كذلك؛ للعلّة المذكورة، وهذا أيضاً من الرياء الغامض؛ لأنّه حسّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملإ، فلا يكون قد فرق بينهما، فالتفاته في الخلوة والملإ إلى الخلق، بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة.

فكأنّ نفس صاحب هذه الخطرة ليست تسمح بإساءة الصلاة بين الناس، ثمّ يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، ويظنّ بأنّ ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء والملإ، وهيهات! بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات والبهائم في الخلاء والملإ جميعاً، وهذا شخص مشغول الهمّ بالخلق في الخلاء والملإ جميعاً وهذا من المكائد الخفيّة.

وإلى هذا المعنى الإشارة في الحديث النبويّ: «لا يكمل إيمان العبد حتّى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر»[١]. فتأمّل.

---

١. الأمالي، الطوسي، ص ٥٣٣، المجلس التاسع عشر؛ مكارم الأخلاق، ص ٤٦٥؛ عدّة الداعي، ص ٢٠٤، في وصيّة النبيّ ﷺ لأبي ذرّ، ولفظه هكذا: «يا أبا ذرّ، لا يفقه الرجل كلّ الفقه، حتّى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر...».

ورابعها ـ وهو أدقّ وأخفى ـ : أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته، فيعجز الشيطان عن أن يقول له: اخشع لأجلهم، فإنّه قد عرف أنّه لا يصغي لذلك، فيقول له الشيطان: تفكّر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، واستح أن ينظر الله إلى قلبك، وأنت غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه، وتجتمع جوارحه، ويظنّ أنّ ذلك عين الإخلاص، وهو عين المكر والخداع، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلال الله وعظمته، لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، ولكان لا يختصّ حضورها بحالة حضور غيره.

وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممّا يألفه في الخلوة كما يألفه في الملإ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً.

فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة الإنسان، ومشاهدة البهيمة، فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص، مدنّس الباطن بالشرك الخفيّ من الرياء.

وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصمّاء. كما ورد به الخبر[١].

ولا يسلم من الشيطان إلّا من دقّ نظره، وسعد بتوفيق الله تعالى وهدايته، وإلّا فالشيطان ملازم للمتشمّرين لعبادة الله تعالى، لا يغفل عنهم لحظة حتّى يحملهم على المهالك في كلّ حركة من الحركات، حتّى في كحل العين، وقصّ الشارب، وطيب يوم الجمعة، ولبس الثياب الفاخرة؛ فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة، لكن للنفس فيها حظّ خفيّ، لارتباط نظر الخلق بها، فيدخل الشيطان فيها عليه من هذه المداخل إن لم يتيقّظ. ولهذا قيل: «ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل»[٢].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٨٣.

٢. مكارم الأخلاق، ص ٤٤١، في وصايا النبيّ ﷺ لعليّ ؑ قال: «يا عليّ، ركعتان يصلّيهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلّيهما العابد»؛ ونسبه إلى قائلٍ الغزالي في إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٨٤.

وأُريد به، العالم البصير بدقائق آفات العبادة، حتّى يخلص عنها، لا مطلق العالم؛ فإنّ مداخل الشيطان على كثير من العلماء أعظم من مداخله على الجهلاء.

وخامسها: أن يكمّل العبادة على الإخلاص المحض، والنيّة الصالحة، لكن عرض له بعد الفراغ منها حبّ إظهارها، ليحصل له بعض الأغراض المحقّقة للرياء؛ خديعة من الشيطان له أنّه قد كمّل العبادة الخالصة، وقد كتبها الله تعالى في ديوان المخلصين، فلا يقدح فيها ما يتجدّد، وإنّما ينضمّ إلى ما حصّله بها من الخير الآجل خير آخر عاجل، فيحدث به ويظهره لذلك.

فهذا أيضاً مفسد للعمل وإن سبق، كما يفسده العجب المتأخّر، ويدخل في زمرة الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[١].

وقد روي أنّ رجلاً قال للنبيّ ﷺ: صمت الدهر يا رسول الله؟ فقال له: «ما صمت ولا أفطرت»[٢].

وروي عن ابن مسعود أنّه سمع رجلاً يقول: قرأت البارحة البقرة، قال: ذلك حظّه، بل لو كنت باقياً على إخلاصك فيه، فقد نقصت منه تسعة وستّين جزءاً من سبعين جزءاً، على ما روي عنهم عليهم السلام: «أنّ فضل عمل السرّ على عمل الجهر سبعون ضعفاً»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «من عمل حسنة سرّاً كُتبت له سرّاً، فإذا أقرّ بها مُحيت وكُتبت جهراً، فإذا أقرّ بها ثانية مُحيت وكُتبت رياء»[٤].

فيالها من كلمة ما أشأمها، ورزيّة ما أعظمها؛ حيث نقص بها حظّك، وضاع كدحك،

١. الكهف (١٨): ١٠٣ ـ ١٠٤.
٢. إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣٠٧.
٣. عدّة الداعي، ص ٢٢٠؛ إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣١٨.
٤. عدّة الداعي، ص ٢٢١.

وليتك سلمت من تبعتها؛ فإنّ المرائي لا يسلم ـ كما قد عرفت ـ من وعيده.

وهذا كلّه مع عدم تعلّق غرض صحيح في الآخرة بإذاعته، وأمّا معه ـ كما لو أراد بذلك تنشيط السامع، وترغيبه في فعل الخير مع وثوقه بنفسه ـ فلا حرج فيه، إذا لم يمكن تنشيطه بدونه، وإلّا كان أولى.

وقد روى محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: «لا بأس أن تحدّث أخاك إذا رجوت أن تنفعه وتحثّه، وإذا سألك، هل قمت الليلة أو صمت؟ فحدّثه بذلك إن كنت فعلته، فقل: قد رزق الله ذلك، ولا تقل لا، فإنّ ذلك كذب»[1].

ومن هنا جاء أفضليّة الصدقة جهراً ليتأسّى به، والإجهار بصلاة الليل زيادة على غيرها لينبّه أهله وجيرانه فيتأسّوا به، لكن ذلك كلّه موضع الخطر، فيجب الاحتراز والتيقّظ بمراعاة القلب، وكما يكون الإظهار مظنّة الرياء ومخطرته، كذلك الإخفاء؛ فإنّ فيه أيضاً للشيطان مداخل:

منها: أن يأمره بترك العمل، خوفاً من أن يكون مرائياً به، وهذا من جملة خدائعه وفي ترك العمل كذلك تحصيل لغرضه؛ لأنّ غرضه الأقصى ترك العمل.

وإنّما يعدل بك إلى قصد الرياء وغيره، عند عجزه عن تثبيطك عن العمل، وتزهيدك فيه، فإذا تركته فقد حصّلت غرضه، ومثالك في ذلك مثال من سلّم إليه مولاه حنطة فيها تراب، وقال: خلّصها من التراب، ونقّها منه تنقية بالغة، فيترك أصل العمل ويقول: أخاف إن اشتغلت به لم يخلص خلاصاً صافياً، فيترك العمل من أصله.

وهذا تمام الغرض لإبليس اللعين، وغاية القصد، فقد حصّلتَ أُمنيّته، وأرحتَه من التعب بك في إفساد العمل. وإنّما سبيلك أن تجتهد في تخليص عملك بالأدوية النافعة، وتحصيل مراد مولاك.

ومنها: أن يأمره بترك العمل أيضاً لا لذلك، بل خوفاً على الناس أن يقولوا: إنّه

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٢٢، ح ٣٨ عن أسرار الصلاة، ولم نعثر عليه في غيره.

مراءٍ، فيعصون الله به. وهذا أيضاً مع ما قبله رياء خفيّ من مكائد الشيطان؛ لأنّ ترك العمل خوفاً من قولهم: إنّه مراءٍ، عين الرياء، ولولا حُبّه لمحمدتهم، وخوفه من ذمّهم، فما له ولقولهم، قالوا: إنّه مراءٍ، أو قالوا: إنّه مخلص؟!

وأيّ فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال: إنّه مراءٍ، وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال: إنّه غافل مقصّر؟ بل ترك العمل أشدّ من ذلك، وفيه مع ذلك إساءة الظنّ بالمسلمين، وما كان من حقّه أن يظنّ بهم ذلك.

ثمّ كيف تطمع أن تتخلّص من الشيطان بترك العمل وقد أطعته فيه؟ فإنّه لا يخليك أيضاً، بل يقول لك: الآن تقول الناس: إنّك تركت العمل ليقال: إنّك مخلص لا تشتهي الشهرة. إلى غير ذلك من اللعب بك.

وإنّما خلاصك من ذلك كلّه أن تلزم قلبك معرفة آفات الرياء وضرره؛ لتلزم كراهته، وتستمرّ مع ذلك على العمل ولا تبالي، وتلزم قلبك الحياء من الله تعالى؛ إذ دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمد الله تعالى حمد المخلوقين، وهو مطّلع على قلبك. ولو اطّلع الخلق على قلبك وأنّك تريد حمدهم لمَقَتُوك، بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك، وعقوبة لنفسك فافعل.

ومنها: أن يقول له: اترك العمل؛ لئلّا يظنّ الناس بك خيراً وتشهر به، وأحبّ العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا، فإذا عرفت بين الناس بالعبادة لم يكن لك حظّ من هذا الوصف.

وهذا أيضاً من مكائده، وما عليك إذا أخلصت العمل للّه تعالى أن تعرف به أو تجهل؟ وإنّما عليك مراعاة قلبك، وإصلاح سرّك، وكيف تخفى على الناس إذا كنت صالحاً؟! وهو تعالى يقول: «عليك إخفاؤه وعليّ إظهاره»[1]، ويقول: «من

---

١. قال أحمد بن فهد الحلّي في عدّة الداعي، ص ٢٠٩: وهو تعالى يقول: «عليك ستره وعَليَّ إظهاره».

أصلح سريرته أصلح الله علانيته»[١].

وإيّاك أن يغرّك اللعين عند ذلك، ويقول: إذا كنت لا تترك العمل لذلك فأخفِ العمل، فإن الله تعالى سيظهره عليك، وأمّا إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرياء.

وهذا التلبيس عين الرياء؛ لأنّ إخفاءك له كي يظهر عليك بين الناس، هو بعينه العمل لأجل الناس، وما عليك إذا كان مرضيّاً للّه تعالى أن يظهر أو يخفى، لولا نظرك إلى رضى الناس؟

إذا تقرّر ذلك، فإيّاك أن تحملك دقائق الإخلاص، وصعوبة الخلاص على الكسل والقعود عن الطاعات، نظراً إلى ما تجده في نفسك من السرور بالطاعة، وزيادة الابتهاج باطّلاع الناس عليك بفعل العبادة، بل اجتهد في قلع مادّة الفساد، ومجاري الشيطان عنك، واعمل.

وأمّا سرورك بالطاعة، فإنّ منه محموداً، ومنه مذموماً.

فالمحمود، أن يكون من قصدك وداعيتك إخفاء الطاعة والإخلاص للّه سبحانه، ولست مستكثراً لعملك، وإنّما سرورك في أن وفّقك الله للعمل، وأخرجك من ربقة البطّالين والغافلين، ولم تبلغ بالسرور حدّ العجب ـ الآتي ذكره ـ وإذا حصل اطّلاع الناس عليه فلم يحصل من قِبَلِكَ، وإنّما سررت باطّلاعهم؛ نظراً إلى أنّ الله سبحانه هو الذي أطلعهم عليه، وأظهر لهم الجميل؛ تكرّماً عليك وتفضّلاً، ونحو ذلك.

والمذموم، أن تفرح به استكثاراً وركوناً إليه، وبظهور الناس عليه؛ لقيام منزلتك عندهم، ليمدحوك، ويقوموا بقضاء حوائجك، ويقابلوك بالإكرام، ونحو ذلك، فإنّه رياء محض، ومحبط للعمل، وأصله حبّ الدنيا، ونسيان الآخرة، وقلّة التفكّر في ما عند الله.

نسأل الله من فضله أن لا يعاملنا بعدله، بل يسامحنا بعفوه، ويستر زلّاتنا بصفحه، إنّه جواد كريم.

---

١. هذا بعينه قول عليّ ﷺ في نهج البلاغة، ص ٧٤٧، الحكمة ٤٢٣.

وأمّا العجب

فهو استعظام العمل، والابتهاج به، والإدلال به، وأن يرى العامل نفسه خارجة بسببه عن حدّ التقصير.

وهذا من أعظم المهلكات، بل هو الناقل للعمل من كفّة الحسنات، إلى كفّة السيّئات، ومن رفيع الدرجات إلى أسفل الدركات. كما تقدّم في الأخبار[1].

ولذلك قال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريّين، كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عابد أفسده العجب»[2].

وروى سعد بن أبي خلف عن الصادق عليه السلام قال: «عليك بالجدّ ولا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنّ الله تعالى لا يعبد حقّ عبادته»[3].

ومنشأ العجب الغفلة عن عيوب الأعمال وآفات العبادات، وعن نعم الله تعالى على العاملين من الخلق والأقدار والألطاف والتسخير وغير ذلك.

فانظر إلى الأقرب إليك في هذا المقام، وهو الصلاة التي هي عمود الدين، وأوّل ما ينظر فيه من أعمال ابن آدم، فإن ردّت ردّ سائر عمله، وتأمّل حدودها التي قد حكيناها مستندة إلى النصوص الصحيحة، فلا تكاد تسلم لك صلاة واحدة كاملة تثق من نفسك بقبول الله إيّاها، وهلمّ جرّاً إلى غيرها من العبادات، فلكلّ واحد وظائف وحدود لا تبلغها أعمالنا، ولا نقوم بها لغفلتنا. وقد قال عليّ عليه السلام: «اعلموا عباد الله أنّ المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلّا ونفسه ظَنُون[4] عنده، فلا يزال

١. تقدّم في ص ١٥٤.
٢. عدّة الداعي، ص ٢٢٣.
٣. عدّة الداعي، ص ٢٢٤؛ ورواها الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٧٢، باب الاعتراف بالتقصير، ح ١ عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤. الظَنون: كلّ ما لا يوثق به، يقال: رجل ظَنون أي متّهم.... المعجم الوسيط، ص ٥٧٨، «ظنن».

زارياً[١] عليها، ومستزيداً لها، فكونوا كالسابقين قبلكم، والماضين أمامكم، قوّضوا من الدنيا تقويض الراحل، وطووها طيّ المنازل»[٢].

فكيف يعجب الإنسان بعمله، أو يعدّه قائماً بحقوق العبوديّة ووظائف الخدمة، لولا استيلاء الغفلة؟!

نعم لا يقدح نظر المؤمن إلى نفسه وسروره بما يفعله من العبادة مع حمد الله تعالى على توفيقه لها، وطلب الاستزادة من فضله فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن»[٣].

وقال عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل خيراً حمد الله واستزاده، وإن عمل شرّاً استغفر الله تعالى»[٤].

فهذا ما اقتضى الحال ذكره من المنافيات ملخّصاً، ليوافق الغرض، فإنّ ذكره هنا بالعَرَض، والله الموفّق.

١. زري عليه، زرياً وزِراية: عابه وعتب عليه. المعجم الوسيط، ص ٣٩٣، «زرى».

٢. نهج البلاغة، ص ٣٣٥ـ٣٣٦، الخطبة ١٧٦؛ عدّة الداعي، ص ٢٢٤.

٣. عدّة الداعي، ص ٢٢٤.

٤. الاختصاص، ص ٢٤٣؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٣٤٤؛ عدّة الداعي، ص ٢٢٤.

وأمّا الخاتمة

ففيها بحثان:

[البحث] الأوّل في جبر الخلل الواقع في الصلاة بمعنى بيان الدواء النافع لهذه المنافيات

اعلم أنّ الخلل إن كان من قبيل منافي الإقبال بالقلب على الصلاة بسبب الأفكار الخارجة عنها فدواؤه تذكّر ما هو فيه، ومن يناجيه، واستشعار الأخطار اللازمة من الغفلة، وعدم قبول العمل مع شدّة الحاجة إليه من يومه هذا إلى الأبد؛ فإنّ التوفيق الواقع من الجناب الإلهي للمطيع فائض في الدارين، والحاجة إليه حاصلة في الحالين، سيّما يوم الجزاء الذي يضيق عن وصفه الحال، ولا يحيط بتقريره العقل ولا الخيال، ولا تطيق حمل أهواله الجبال، وليس فيه معين مع رحمة الله تعالى وكرمه إلّا القيام بالأعمال الصالحة، والطاعات المقبولة الرابحة، فإنّها وسيلة إلى الأنوار في تلك الظلمة، والنجاة من تلك الشدّة، والجواز على عقبة الساهرة[1].

ولا تكتسب الأعمال الصالحة والطاعات المقبولة إلّا في هذه الدار الزائلة، وفي هذه

---

١. الساهرة: أرض القيامة. المفردات في غريب القرآن، ص ٢٤٥، «سهر».

المدّة القصيرة التي أكثرها قد مضى على الغفلة، ويكاد يلحق باقيها بماضيها إن لم يستيقظ الغافل، ويستدرك ما فرّط، وليس في تلك الدار إلّا الجنّة أو النار، والجنّة قد أُعدّت للمتّقين، كما أنّ النار أُعدّت للفاسقين.

وبالجملة، فالخطر عظيم، والأمر جسيم، والغفلة شاملة، ونحن مع ذلك لا نشعر، وقد قال النبيّ ﷺ: «تمضي على الرجل ستّون سنة أو سبعون سنة ما قبل الله منه صلاة واحدة»[1].

وقال الصادق عليه السلام لحمّاد بن عيسى ـ الذي كان يحفظ في فقه الصلاة كتاب حريز، ودعا له الصادق عليه السلام بأن يحجّ خمسين حجّةً، وأن يكثر الله تعالى ماله وولده، فأُجيب له في جميع ذلك ـ حين صلّى عنده ركعتين: «ما أقبح بالرجل منكم تمضي عليه ستّون سنة، أو سبعون سنة لا يحسن أن يقيم صلاة واحدة بحدودها»[2].

وقال ﷺ: «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»[3].

«وكم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش»[4].

إلى غير ذلك من الآثار الدالّة على صعوبة الأمر، ودقّة الخطر.

فإحضار هذا وشبهه وما تقدّم في المقدّمة من الأثر ممّا يعين على حضور القلب، مضافاً إلى ما سلف من الدواء المعين على ذلك في المطلب الثالث.

وإن كان المنافي من قبيل المفسدات فالعلاج النافع في ما ينافي الإخلاص هو

---

١. بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٦١، ح ٥٩ عن أسرار الصلاة.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٣١١، باب افتتاح الصلاة ...، ح ٨؛ الفقيه، ج ١، ص ١٩٦، ح ٩١٦؛ تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٨١، ح ٣٠١.

٣. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٨٥، ح ٢٤ عن أسرار الصلاة، وفي ص ١٨٤، ح ١٩ عن جامع الأخبار بلفظ: «ربّ تال للقرآن والقرآن يلعنه».

٤. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٣٥؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ١٨٥، ح ٩٣٩٢، بتفاوت في الأخيرين؛ وأيضاً عن عليّ عليه السلام في نهج البلاغة، ص ٦٨٤، الحكمة ١٤٥.

التفكّر في مضرّة الرياء، وما يفوت بسببه من صلاح القلب، وما يُحرم عنه في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى، وما يتعرّض له من العقاب العظيم، والمقت الشديد، والخزي الظاهر، حيث ينادي ربّه على رؤوس الأشهاد والعباد: يا فاجر، يا غادر، يا مراء، أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله تعالى عرض الدنيا؟ راقبت قلوب العباد، واستهزأت بطاعة الله تعالى، وتحبّبت إلى العباد بالتبغّض إلى الله تعالى، وتزيّنت لهم بالشين عند الله تعالى، وتقرّبت إليهم بالبعد من الله، وتحمّدت إليهم بالتذمّم عند الله تعالى، وطلبت رضاهم بالتعرّض لسخط الله تعالى، أما كان أحد أهون عليك من الله تعالى؟!

فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي، وقابل ما يحصل له من العباد والتزيّن لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة، وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال، مع أنّ العمل الواحد ربما كان يترجّح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفّة السيّئات، فيترجّح به بعد أن كان مرجوحاً، ويهوي العبد إلى النار.

فلو لم يكن في الرياء إلّا إحباط عبادة واحدة، لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره، وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة، فقد كان ينال بهذه الحسنة علوّ الرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيّين والصدّيقين، وقد حطّ عنهم بسبب الرياء، وردّ إلى صفّ النعال من مراتب الأولياء، إن لم يستوجب النار، والخزي والطرد من الملك الجبّار.

هذا مع ما يتعرّض له في الدنيا من تشتّت الهمّ، بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنّ رضى الناس غايةٌ لا تدرك، فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق، ورضى بعضهم في سخط بعض، ومن طلب رضاهم في سخط الله تعالى سخط الله عليه، وأسخطهم أيضاً عليه، كما ورد في الأخبار[1]، ودلّت عليه التجربة.

ثمّ أيّ غرض له في مدحهم وإيثار ذمّ الله تعالى لأجل حمدهم، ولا يزيد مدحهم

---

١. راجع الاختصاص، ص ٢٢٥.

رزقاً ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته، وهو يوم القيامة.

وأمّا الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أنّ الله تعالى هو المسخّر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنّ الخلق مضطرّون له فيه، ولا رازق إلّا الله تعالى، ومن طمع في الخلق لم يخْلُ من الذلّ والخيبة والمقت والإهانة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّة والمهانة، ومن اعتمد على الله تعالى وجعل همّه معه، كفاه الله تعالى همّه في الدنيا والآخرة.

فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب ووهم فاسد، وقد يصيب وقد يخطئ، وإذا أصاب فلا تفي لذّته بألم منّته ومذلّته؟

وأمّا ذمّهم فلم يحذر منه، ولا يزيده ذمّهم شيئاً ما لم يوافقهم الله تعالى عليه، ولا يعجّل أجله، ولا يؤخّر رزقه، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنّة، ولا يبغّضه إلى الله تعالى إن كان محموداً عند الله تعالى، ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله، فالعباد كلّهم عجزة، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً[١]، بل العقل والنقل والتجربة قد أذنت بخلاف ذلك كلّه، وأنّ المخلص أعماله للّه يحبّبه الله إلى المخلوقين الصالحين والفاسقين، بل إلى كثير من الكافرين، فتراهم يعظّمونه ويوقّرونه، ويلتمسون بركته مع ضعفه وفقره، وقلّة ذات يده، وقلّة عمله.

والمرائي يظهر الله تعالى الخلق على باطنه، وخبث نفسه، وفساد نيّته، فيمقتونه، ولا يفوز بمطلبه، ويضيع تعبه، ويبطل سعيه.

كما روي أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال: والله لأعبدنّ الله عبادة أذكر بها، فكان أوّل داخل للمسجد، وآخر خارج منه، لا يراه أحد حين الصلاة إلّا قائماً يصلّي،

---

١. مأخوذ من الآية ٣ من الفرقان (٢٥).

وصائماً لا يفطر، ويجلس إلى حلق الذكر، فمكث بذلك مدّة طويلة. وكان لا يمرّ بقوم إلّا قالوا: فعل الله بهذا المرائي وصنع؛ فأقبل على نفسه وقال: أراني في غير شيء، لأجعلنّ عملي كلّه للّه، فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك، إلّا أنّه تغيّرت نيّته إلى الخير. فكان ذلك الرجل يمرّ بعد ذلك بالناس فيقولون: رحم الله فلاناً؛ الآن؛ أقبل على الخير[1].

وقد نبّه الله تعالى على ذلك في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً﴾[2].

ثمّ هب أنّهم أحبّوك وأكرموك، وخفي خبثك عليهم، مع أنّ الله تعالى مطّلع على فساد نيّتك، وخبث سريرتك، فأيّ خير لك في مدح الناس، وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار؟

وأيّ شرّ لك في ذمّ الناس، وأنت عند الله ممدوح من أهل الجنّة، وفي زمرة المقرّبين؟

ومن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبّد، والمنازل الرفيعة عند الله تعالى، استحقر ما يتعلّق بالخلق أيّام الحياة، مع ما فيه من الكدورات والمنغّصات، واجتمع همّه، وانصرف إلى الله تعالى قلبه، وتخلّص من مذمّة[3] الرياء، ومقاساة قلوب الخلق، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره، ويستأنس بها من وحشته. فإن لم يكتف بذلك كلّه فليتأمّل ثلاثة أشياء:

أحدها: أنّه لو قيل لك: إنّ هناك رجلاً معه جوهر نفيس يساوي مائة ألف دينار، وهو محتاج إلى ثمنه، بل إلى بيعه عاجلاً، وإلى أضعاف ثمنه، فحضر من يشتري منه

---

١. عدّة الداعي، ص ٢١٦، بتفاوت في الألفاظ.

٢. مريم (١٩): ٩٦.

٣. في إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣١٢: «مذلّة» بدل «مذمّة».

متاعه بأضعاف ثمنه ـ مع حاجته إلى الأضعاف أيضاً ـ فأبى أن يبيعه بذلك، وباعه بفلس واحد، أليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وغبناً فظيعاً، ودليلاً بيّناً على خسّة الهمّة، وقصور الفهم والعلم، وضعف الرأي، ورقّة العقل، بل على السفه المحض؟!

وهذا بعينه أبلغ من حال المرائي في عمله، بل في عبادة واحدة؛ فإنّ ما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحه، وحطام الدنيا بالإضافة إلى رضى ربّ العالمين وشكره، وثواب الآخرة، ونعيم الجنّة الدائمة، المُخلَص من شوب الكدورات، أقلّ من فلس في جنب ألف ألف دينار، بل في جنب الدنيا وما فيها وأكثر.

وهذا هو الخسران المبين أن تفوّت نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة، بهذه الأُمور الدنيّة الحقيرة.

ثمّ وإن كان لابدّ لك من هذه الهمّة الخسيسة، فاقصد أنت الآخرة تتبعك الدنيا، بل اطلب الربّ وحده يعطيك الدارين، إذ هو مالكهما جميعاً، وذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللّهِ ثَوابُ الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾[1].

وقال النبيّ ﷺ: «إنّ الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة، ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا»[2].

فإذا أنت أخلصت النيّة، وجرّدت الهمّة للآخرة، حصلت لك الدنيا والآخرة جميعاً، وإن أردت الدنيا ذهب عنك الآخرة في الوقت، وربما لا تنال الدنيا كما تريد، وإن نلتها فلا تبقى لك، بل تزول عنك قريباً، فقد خسرت الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ونظير هذا الشخص بالنسبة إلى هذا المثل من يصرف جزءاً من عمره، ونفَساً من أنفاسه الذي يمكنه به تحصيل كنز من كنوز الجنان، فيما يحصل به دانق، أو حبّة أو

---

١. النساء (٤): ١٣٤.

٢. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٧٦؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٣٥٢، وفيهما: «يعطي الدنيا على نيّة الآخرة» بدل «يعطي الدنيا بعمل الآخرة».

درهم أو دينار من متاع الدنيا، ويترك ذلك الكنز الدائم لغير ضرورة، ما هذا إلّا عين الغفلة والخسران، وخسّة الهمّة والخذلان.

وثانيها: أنّ المخلوق الذي تعمل لأجله، وتطلب رضاه لو علم أنّك تعمل لأجله لأبغضك، وسخط عليك، واستهان بك، واستخفّ بك، مضافاً إلى مقت الله تعالى وإهانته وخذلانه، وما تعمله للّه تعالى خالصاً يوجب رضى الفريقين، فكيف يعمل العاقل لأجل من لو علم بأنّه يطلب رضاه لسخط عليه، وأهانه؟! فانظر إن كنت أنت تعقله.

وثالثها: أنّ من حصل له سعي يكتسب به رضى أعظم ملك في الدنيا فطلب به رضى كنّاس خسيس بين الناس، وسخط لذلك الملك، بل مع عدم سخطه، أليس ذلك دليلاً على السفه، ورداءة الرأي، وسوء النظر، ويقال له: ما حاجتك إلى رضى هذا الكنّاس مع تمكّنك من رضى هذا الملك؟!

كذلك أيّ حاجة إلى رضى عبد مخلوق ضعيف حقير مهين، مع التمكّن من تحصيل رضى ربّ العالمين الكافي عن الكلّ؟!

نسأل الله حسن التوفيق. وهذا هو الدواء العِلْمي.

وأمّا الدواء العَمَلي، فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها؛ كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتّى يقنع قلبه بعلم الله تعالى، واطّلاعه على عبادته، ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله تعالى، وهو أمر يشقّ في ابتداء المجاهدة، لكن إذا صبر عليه مدّة بالتكلّف سقط عنه ثقله، وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله تعالى، وما يمدّ به عباده من حسن التوفيق فـ: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، فمن العبد المجاهدة، ومن الله الهداية. قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[2].

---

١. الرعد (١٣): ١١.

٢. العنكبوت (٢٩): ٦٩.

وإن كان المنافي من قبيل المتأخّر عن العبادة، وهو الرياء المتأخّر والعجب، فقد عرفت دواء الأوّل[١].

أمّا العُجب؛ فلينظر في الأسباب والآلات التي قوي بها على العبادة التي أورثته العجب من القدرة، والعلم، والأعضاء، والرزق الذي أكله حتّى قوي به، فإنّه يجده كلّه من الله تعالى، ولولاه لم يقدر على شيء منها.

ثمّ ينظر إلى نعمته عليه في إرسال الرسل إليه، وخلق العقل له حتّى اهتدى به إلى طريق الحقّ.

ثمّ ينظر في قيمة العمل الذي عمله، فلا يجده مقابلاً لنعمةٍ من هذه النعم، وإنّما صار لعمله قيمة؛ لمّا وقع من الله تعالى موقع الرضى والقبول، وإلّا فترى الأجير يعمل طول النهار بدرهمين، والحارس يسهر طول الليل بدانقين، وكذلك أصحاب الصناعات والحرف، كلّ واحد منهم يعمل في الليل والنهار، فيكون قيمة كلّ ذلك دراهم معدودة، فإن صرفت الفعل إلى الله تعالى، وصمت للّه تعالى يوماً، قال: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٢]. وفي الخبر: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٣].

فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم، صارت له هذه القيمة بتأخير غداء إلى عشاء، ولو قمت ليلة للّه تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

فهذا الذي قيمته درهم صارت له كلّ هذه القيمة والقدر، بل لو جعلت للّه ساعة

---

١. تقدّم البحث عن الرياء المتأخّر في ص ١٥٩، الخامس من وجوه الرياء.

٢. الزمر (٣٩): ١٠.

٣. عدّة الداعي، ص ٩٩، ص ٢٢٦؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٧٤، ح ٢/٢٨٢٤.

٤. السجدة (٣٢): ١٧.

تصلّي فيها ركعتين خفيفتين، بل نفساً فقلت فيه: «لا إله إلّا الله» قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئك يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[١].

فحقّ إذن للعاقل أن يرى حقارة عمله، وقلّة مقداره من حيث هو، وأن لا يرى إلّا منّة الله تعالى عليه فيما شرف به من قدر عمله، وأعظم من جزائه، وأن يحذر في فعله أن يقع على وجه لا يصلح للّه تعالى، ولا يقع منه موقع الرضى، فيذهب عنه موقع القيمة التي حصلت له، ويعود إلى ما كان في الأصل من الثمن الحقير.

فقس قدر عملك في نفسه إلى ما عليك من نعمه، فهل تجده وافياً بعشر عشيره؟ وهل توفيقك للقيام بوظائف العبوديّة، وتأهيلك للخدمة الإلهيّة إلّا نعمة، بل أعظم نعمة يلزمك شكرها؛ كما أُشير إليه في خبر داود ﷺ حين أوحى الله إليه: «أن اشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ، كيف أشكرك حقّ شكرك، والشكر من نعمتك تستحقّ عليه شكراً؟! فقال: يا داود، إذا عرفت أنّ ذلك منّي فقد شكرتني»[٢].

وروي: أنّ بعض الوعّاظ قال لبعض الخلفاء:

أتراك لو مُنعت شربةً من الماء عند عطشك؛ بِمَ كنت تشتريها؟

قال: بنصف ملكي.

قال: أتراها لو حُبست عنك عند خروجها، بم كنت تشتريها؟

قال: بالنصف الآخر.

قال: فلا يغرّنّك ملك قيمته شربة ماء[٣].

---

١. غافر (٤٠): ٤٠.

٢. عدّة الداعي، ص ٢٢٥؛ وفي الكافي، ج ٢، ص ٩٨، باب الشكر، ح ٢٧ عن أبي عبد الله ﷺ فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى ﷺ.

٣. عدّة الداعي، ص ٢٢٦.

ففكّر أنت كم تتناول في كلّ يوم شربة ماء هنيئة، وأكلة هنيئة، وتسيغها هنيئاً في عافية! وكم تنظر بعينك هنيئاً، وتسمع طيّباً، وتشمّ زكيّاً، وتمشي إلى ما تحبّ، وتبطش بيدك فيما تحبُّ، إلى غير ذلك من حواسّك، وأعضائك، وقواك الباطنة، التي لا يطّلع على دقائقها وتصريفها إلّا الله تعالى، من مجاري طعامك، وتصاريف هضمك، وتفريق فضلاتك، وتغذّيك! تجده ممّا لو صرفت زمانك في الفكر فيه خاصّة، لقضيت منه العجب، ولو فقدت شيئاً يسيراً منه وطلب منك طبيب على أن يردّه إليك، ويصلحه لك [قبال] خدمتك له سنة أو أكثر، لسررت بذلك وعددته منعماً عليك، وكم تقابل هذه النعم المتعدّدة بسنين من الخدمة.

والحال أنّك لا تخدم مولاك المنعم إلّا أوقاتاً قليلة بعبادة، ولو تأمّلتها وعرفت عيوبها وآفاتها لم تثق بشيء منها، ولاستحييت من فعلها.

وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها﴾[١].

فالنعم عليك لا تحصى، وعملك ـ على تقدير سلامته وقبوله ـ قليل يحصى، فكيف يُقابل ما لا يحصى؟!

ثمّ إذا قابلته بقيت خالياً من عمل يوجب لك المكافأة، فقصاراك الاعتراف بالتقصير، وشرفك المراقبة للّه تعالى، وتذكّر المنّة والاعتراف بالنعمة، والإزراء[٢] بنفسك، والمقت لها؛ لعلّك تفوز برحمة الله تعالى. فقد قال رسول الله ﷺ: «من مقت نفسه دون مقت الناس، أمّنه الله من فزع يوم القيامة»[٣].

وروي: أنّ عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً نهاره، قائماً ليله، فطلب إلى الله تعالى حاجة فلم تقض، فأقبل على نفسه وقال: من قِبَلِك أُتيتُ، لو كان عندك خير

١. إبراهيم (١٤): ٣٤.
٢. زاراه: عابه وعاتبه. المعجم الوسيط، ص ٣٩٣، «زرى».
٣. عدّة الداعي، ص ٢٢٧.

قُضيت حاجتُك فانزل الله إليه ملكاً فقال: يا بن آدم، ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت[١].

ثمّ تأمّل بعد ذلك ثلاثة أُمور:

أحدها: لو أنّ ملكاً من ملوك الدنيا إذا أجرى على أحد من أتباعه طعاماً وكسوةً، أو دراهم أو دنانير فانية؛ فإنّه يستخدمه لأجلها بضروب الخِدم آناء الليل والنهار، مع ما في ذلك من الذلّ والصغار. وبعضهم يقوم لذلك على رأسه، ويسهر الليل بأجمعه لأجله. وبعضهم يقف في خدمته يوماً بعد يوم حتّى ينقضي عمره. وبعضهم يسعى في حوائجه ومهمّاته. وبعضهم يركب الأهوال ولُجج البحار لأجله، وربما يبدو له عدوّ فيبذل روحه التي لا خلف عنها لأجله، ولا ينفعه في الآخرة بعد ذلك.

فتراهم يحتملون كلّ هذه الخدمة لأجل تلك المنفعة الخسيسة الفانية، ومع ذلك يعترفون للملك بالنعمة، ويقرّون له بالفضل عليهم والمنّة، مع أنّ تلك المنفعة في الحقيقة من الله تعالى. ولو أراد ملكهم أن ينبت لهم حبّة واحدة، أو يخلق لهم خيطاً واحداً لم يقدر على ذلك، وهم يعترفون بذلك كلّه.

فكيف تستكثر عملك الحقير المشوب بالآفات والنقائص لربّك الذي خلقك ولم تك شيئاً مذكوراً، ثمّ ربّاك وأنعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة، في نفسك، ودينك، ودنياك، ما لا يبلغ كنهه فهمك ولا وهمك، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لا تُحْصُوها﴾[٢]، وقد وعدت على هذا العمل القليل مع ما فيه من المعايب والآفات بالثواب العظيم الدائم، وضروب الكرامات؟ فما استعظام ذلك من شأن العاقل.

وثانيها: أن تتفكّر في أنّ الملك الذي من شأنه أن يخدمه الملوك والأُمراء إذا أذن في إدخال الهدايا إليه، ووعد عليها بالعطاء العظيم، وأمر أن لا يستحيي أحد بهديّته ولو

١. عدّة الداعي، ص ٢٢٧.

٢. إبراهيم (١٤): ٣٤.

كان باقة بقل، فدخلت عليه الكبراء والأُمراء والرؤساء والأغنياء بأنواع الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا النفيسة، ثمّ جاء إليه بقّال بباقة بقل، وقروي بسلّة عنب تساوي درهماً أو حبّة، فدخل بها إلى حضرته، وزاحم أُولئك الأكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديّته، ونظر إليها نظر القبول، وأمر له بأنفَس خلعة وكرامة، تبلغ مائة ألف دينار، ألا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم؟

ثمّ لو فرض أنّ هذا الفقير نظر بخاطره إلى هديّته، واستعظم أمرها، وتعجّب بها، ونسي ذكر منّة الملك، ألا يقال هذا مجنون مضطرب العقل، أو سفيه سيّئ الأدب عظيم الجهل؟

وثالثها: أنّ الملك الذي من شأنه أن يخدمه الملوك والأُمراء، ويقوم على رأسه السادات والعظماء، ويتولّى خدمته الحكماء، ويمشي بين يديه الأكبار والرؤساء، إذا أذن لسوقي أو قروي في الدخول عليه، والقرب منه، حتّى زاحم أولئك السادات والأفاضل في خدمته، وجعل له مقاماً في حضرته، أليس يقال: لقد كثرت على هذا الحقير المنّة من الملك، وعظمت عليه النعمة؟

فإن أخذ هذا الحقير يمنّ على الملك بتلك الخدمة الحقيرة، ويستعظم ذلك من هذه النعمة الواصلة إليه، ويعجب بعمله، أليس ينسب إلى محض السفه والجنون؟

فكيف، وإلهنا الذي له ملك السماوات والأرض، وقد دان له العالَمون، ووقف بخدمته الملائكة المقرّبون، والأنبياء والمرسلون الذين لا يحصي عددهم إلّا ربّ العالمين، ومنهم النافذة في تخوم الأرض أقدامهم، والواصلة إلى العرش رؤوسهم، وهم مع ذلك مطرقون لا يرفعون رؤوسهم تعظيماً للّه تعالى، ولا يفترون عن ذكر الله تعالى أبداً إلى آخر مدّتهم، فإذا أراد الله أن يميتهم رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك.

ولا يخفى حال نبيّناﷺ في جِدّه واجتهاده في عبادة ربّه[١]، ومن بعده من الأئمّة،

---

١. راجع على سبيل المثال الكافي، ج ٢، ص ٩٥، باب الشكر، ح ٦؛ والاحتجاج، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، ما حكاه موسى بن جعفر عن آبائه، عن عليّ ؑ من احتجاجه على اليهودي.

الذين يخرج ذكر يسير من عباداتهم عن حدّ الاختصار إلى نهاية الإكثار، وهم مع ذلك معترفون بالتقصير، باكون على أنفسهم ومزرون[١] عليها.

ثمّ إنّك ترضى من نفسك بصلاة ركعتين محشوّة من المعايب، وقد وعدت من الثواب عليها بما لا يخطر على قلب بشر، وتعجب بذلك وتستكثره، ولا ترى منّة الله عليك في ذلك؟!

فما أجهلك من إنسان، وما أسوأك من رجل، وما أسفهك من بشر!

وأمّا نحن فلو عقلنا وتيقّظنا[٢] لأعمالنا، لوجدناها إلى كفّة السيّئات أميل منها إلى كفّة الحسنات؛ لشدّة الغفلة، وكثرة المعائب، وفساد القلوب، وتشويش المقاصد.

اللهمّ لا تكلنا إلى أعمالنا، ولا تؤاخذنا بتفريطنا وإهمالنا، واشملنا بفضلك وأُنسك، وخذ بنواصي قلوبنا إلى جوار قُدسك، فقديماً سترت، وعظيماً غفرت، وجزيلاً أعطيت، وجسيماً أبليت، وأنت أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، فما قدمت عليك أيدينا إلّا صفراً من الحسنات، مملوءة بالمعاصي والسيّئات، وجُودُك أوسع وأكمل من أن يضيق عمّن التجأ إليك، واعتمد بفضلك ورحمتك عليك، وأنت دللتنا على جودك، وهديتنا إلى فضلك، وأمرتنا بالدعاء، وضمنت الإجابة، وأنت الجواد الكريم.

١. أزرى عليه: عابه وعتب عليه. لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٥٦؛ المعجم الوسيط، ص ٣٩٣، «زرى».

٢. في مطبوعة بيروت «تفطّنّا» بدل «تيقّظنا».

البحث الثاني
في خصوصيّات باقي الصلوات بالنسبة إلى اليوميّة

[صلاة الجمعة]

تختصّ الجمعة باستحضار أنّ يومها يوم عظيم، وعيد شريف، خصّ الله به هذه الأُمّة، وجعله وقتاً شريفاً لعبادته؛ ليقرّبهم فيه من جواره، ويبعّدهم من طرده وناره، وحثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال، وتلافي ما فرّط منهم في بقيّة الأُسبوع من الإهمال، وجعل أهمّ ما يقع فيه من طاعته، وما يوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته، صلاة الجمعة، وعبّر عنها في محكم كتابه الكريم بـ«*ذكر الله*» الجسيم، وخصّها من بين سائر الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر الخاصّ، فقال سبحانه: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ لِلصَّلوٰة مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهِ وذَرُوا الْبَيْعَ ذالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما يتنبّه له مَن له حظّ من المعاني لا يليق بسطه بهذه الرسالة.

ومن أهمّ رمزها هنا التعبير عن الصلاة بـ«ذكر الله» ونبّه بذلك على أنّ الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرّد الحركات والسكنات، والركوع والسجود، بل ذكر الله تعالى بالقلب، وإحضار عظمته بالبال، فإنّ هذا وأشباهه هو السرّ في كون الصلاةِ

---

١. الجمعة (٦٢): ٩.

ناهية عن الفحشاء والمنكر، كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[١]؛ إذ كان سببهما القوّة الشهويّة إذا خرجت عن حكم العقل.

وهذا كلّه إنّما يتمّ مع التوجّه التامّ إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الأكبر والكثير على ما ورد في بعض تفسيراته[٢] فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً.

وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة، لا جرم وجب الاهتمام بها زيادة على غيرها من الصلوات، والتهيّؤ والاستعداد للقاء الله تعالى، والوقوف بين يديه في الوقت الشريف، والنوع الشريف من العبادة.

وأحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدنيا بالمثول في حضرته، والفوز بمخاطبته في وقت معيّن، أما كنت تتأهّب له بتمام الاستعداد والتهيئة والسكينة والوقار، والتنظيف والتطيُّب وغير ذلك ممّا يليق بحال الملك؟

ومن هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة، والتنظيف، والتطيُّب، والتعمّم، وحلق الرأس، وقصّ الشارب والأظفار[٣]، وغير ذلك من السنن.

فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صافٍ، وعمل مخلص، وقصد متقرّب، ونيّة خالصة، كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا، إن لم تعظم همّتك عن ذلك، ولا تقصد بهذه الوظائف حظّك من الرفاهية، ومطلب[٤] نفسك من الطيب والزينة فتخسر صفقتك، وتظهر بعد ذلك حسرتك.

وكلّما أمكنك تكثير المطالب التي يترتّب عليها الثواب لعملك فاقصدها، يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها، فانو بالغسل يوم الجمعة سنّة الجمعة والتوبة ودخول

١. العنكبوت (٢٩): ٤٥.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٢٨٥، ذيل الآية ٤٥ من العنكبوت (٢٩).

٣. راجع الكافي، ج ٣، ص ٤١٧ ـ ٤١٨، باب التزيّن يوم الجمعة.

٤. في «ح ، ب»: «تطيّب» بدل «مطلب».

المسجد، وبالثياب الحسنة، والطيب سنّة رسول اللهﷺ، وتعظيم المسجد، واحترام بيت الله تعالى، فلا يحبّ أن تدخله زائراً له، إلّا طيّب الرائحة؛ وأن تقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته؛ ويقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه، حسماً لباب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة، فيعصون الله تعالى بسببه، فقد قيل[1]: إنّ من تعرّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2].

وإذا حضرت الصلاة فأحضر قلبك فهم مواقع الموعظة، واستعدّ لتلقّي الأوامر والنواهي على وجهها، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة، والخطيب، والمنبر، واستماع الناس، وتحريم الكلام خلالها، ووجوب الإصغاء إليها.

فأعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه، عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقرّبين، الذين يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشريف، ويعرضونهم على الحضرة الإلهيّة، ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة.

فقد روي: أنّ الملائكة المقرّبين تقف على أبواب المساجد وبأيديهم قراطيس الفضّة وأقلام الذهب يكتبون الأوّل فالأوّل[3].

وأنّ الجنان لتزخرف وتزيّن، وأنّ الناس يتسابقون إليها على قدر سبقهم إلى الصلاة[4].

ولا تزال الملائكة يكتبون الداخل إلى أن يخرج الإمام فإذا خرج، طويت الصحف،

---

١. لم نعثر على قائله.

٢. الأنعام (٦): ١٠٧.

٣. إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٨٢؛ الكافي، ج ٣، ص ٤١٣، باب فضل يوم الجمعة وليلته، ح ٢؛ الفقيه، ج ١، ص ٢٧٤، ح ١٢٥٨. بتفاوت في الجميع.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٤١٥، باب فضل يوم الجمعة وليلته، ح ٩.

ورفعت الأقلام، واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر؛ وأنّ الناس في المنازل والحظوة على قدر بكورهم إلى الجمعة[١].

فإذا أحضرت هذا ببالك، وأنّ الملائكة يستمعون وهم حولك، والله سبحانه وتعالى ناظر إليك، لزمك ارتداء الهيبة، وادّراع السكينة، وتجلبب الخشية، وعند ذلك تستحقّ أن تفاض عليك الرحمة، وتحفّك البركة، وتصير صلاتك مقبولة، ودعوتك مسموعة.

وأكثِر في ذلك اليوم من الذكر والاستغفار والدعاء، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبيّ ﷺ والصدقة، فإنّ اليوم شريف، والفضل فائض والجود تامّ، والرحمة واسعة، فإذا كان المحلّ قابلاً تمّت السعادة، وحصلت الإرادة وزيادة.

وتذكّر أنّ في يوم الجمعة ساعة لا يردّ الله فيها دعوة مؤمن[٢].

فاجتهد أن تصادفها داعياً أو مستغفراً أو ذاكراً، فإنّ الله يعطي الذاكر فوق ما يعطي السائل.

وإن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل، فإن لم يمكن فإلى العصر.

وكن حسن المراقبة، مجمتع الهمّة، عسى أن تظفر بتلك الساعة، فقد قيل: إنّها مبهمة في جميع ذلك اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه[٣]؛ ليحافظوا عليها، كما أخفى ليلة القدر في جميع السنة؛ ليحافظوا عليها. وروي: أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس. وساعة أُخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس[٤].

واجعل هذا اليوم خاصّة من الأُسبوع لآخرتك، فعسى أن يكون كفّارة واستدراكاً لبقيّة الأُسبوع.

---

١. الكافي، ج ٣، ص ٤١٣، باب فضل يوم الجمعة وليلته، ح ٢؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٨١ بتفاوت في العبارة.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٤١٤، باب فضل يوم الجمعة وليلته، ح ١٢؛ عدّة الداعي، ص ٣٨.

٣. لم نعثر على قائله.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٤١٤، باب فضل يوم الجمعة وليلته، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ح ٦١٩.

ويكفيك في الاهتمام بالجمعة ووظائفها أنّ الله سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار، وصرّح به العلماء الأخيار؛ حيث دلّا على أنّ الواجب أفضل من الندب، وأنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات، وأنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصلوات، وأنّ الصلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس، والمختار أنّها الظهر، والجمعة أولى من الظهر، فتكون أفضل منها، لو أمكن تصوّر فضلها، وحينئذٍ فتكون أفضل الأعمال.

وهذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها، وأبلغ الحظر؟ في التهاون بها لمن تدبّر، وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها: ﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد وردت الأوامر بقراءة سورتها وسورة المنافقين فيها[2]؛ ليتكرّر سماع الحثّ عليها فيهما، وقد قال في سورة المنافقين ـ بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً ـ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلك فأُولئك هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[3].

فكرِّرْ هذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفلحين.

[صلاة العيد]

وأمّا [صلاة] العيد؛ فأحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز[4]، وتفرقة الرحمة، وإفاضة المواهب على من قُبِلَ صومه، وقام بوظائفه.

---

١. التوبة (٩): ٤١.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦، باب القراءة يوم الجمعة وليلتها في الصلوات.

٣. المنافقون (٦٣): ٩.

٤. كما روي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا كان أوّل يوم من شوّال نادى مناد: يا أيّها المؤمنون، اغدوا إلى جوائزكم...». الفقيه، ج ١، ص ٥١١، ح ١٤٨٠.

فأكثر من الخشوع في صلاتك، والابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك، والعفو عن تقصيرك.

واستشعر الحياء، والخوف والخجلة من حيرة الردّ، وخذلان الطرد، فليس ذلك اليوم بِعيدِ مَن لَبِسَ الجديد، وإنّما هو عيد مَن أمِنَ من الوعيد، وسَلِمَ من النقاش والتهديد، واستحقّ بصالح أعماله المزيد.

واستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف، والتنظيف، والتطيّب، وغيره من أسباب التهيّؤ والإقبال بالقلب على ربّك، والوقوف بين يديه، عسى أن تصلح للمناجاة والحظوة لديه، فإنّه مع ذلك يوم شريف، وزمان منيف، تُقبل فيه الأعمال وتستجاب فيه الدعوات، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله، ولم يجعل عيداً بسببه من المأكل والمشرب، واللباس، وغير ذلك من متاع الدنيا البائرة، فإنّما هو عيد لكثرة عوائد الله تعالى فيه، على من عامله بمتاجر الآخرة.

[صلاة الآيات]

وأمّا [صلاة] الآيات؛ فاستحضر عندها أهوال الآخرة، وزلازلها وتكوير الشمس والقمر، وظلمة القيامة، ووجل الخلائق، والتجاءهم واجتماعهم في تلك العرصة، وخوفهم من الأخذ والنكال، والعقوبة والاستئصال.

فأكثِر من الدعاء والابتهال، بمزيد الخشوع والخضوع، والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد، وردّ النور بعد الظلمة، والمسامحة على الهفوة والزلّة، وتب إلى الله تعالى من جميع ذنوبك، وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس، مطرق الرأس، مستحيٍ من التقصير، فيقبل توبتك، ويسامح هفتوك؛ فإنّه يقبل القلوب المنكسرة، ويحبّ النفوس الخاشعة، والأعناق الخاضعة، والتململ من ثقل الأوزار، والحذر من منقلب الأضرار.

[صلاة الطواف]

وأمّا صلاة الطواف؛ فاستحضر عندها جلالة البيت لجلالة ربّ البيت، واعلم أنّك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق، والحاكم المحقّق، فإنّه وإن كان في جميع أحوالك مطّلع على سريرتك، محيط بباطنك وظاهرك، لكنّ الحال في ذلك الموضع أقوى، والمراقبة فيه أتمّ وأولى، والغفلة ثَمّ أصعب وأدهى، وأين المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيّه، وبين النائي عنه، والبعيد منه؟

وإن كان علمه شاملاً للجميع، ومحيطاً بالكلّ، فلتزد بذلك في خشوعك وإقبالك، ولتحذر بسبب ذلك من إعراضك وإهمالك، ومن ثَمّ كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً، والحسنة أيضاً فيها مضاعفة.

وتفكّر في من سبق من الأنبياء والمقرّبين، والأولياء والصالحين، فترى آثارهم وقربهم، وما أورثهم عملهم، وحبّهم من السعادة المخلدة، والنعمة المؤبّدة المجدّدة على مرّ الدهور، والمطّردة على كلّ العصور.

وتأسَّ بهم في الأعمال وكمال الإقبال، وليكن ذلك ونظائره مقدّمة للصلاة، لا مقارناً، فإنّ وظيفة الصلاة الإقبال بها خاصّة. وترقَّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج.

[صلاة الجنازة]

وأمّا الجنازة؛ فأحضِر عند مشاهدتها ووضعها بين يديك ما قد خلّفْتَه من الأهل والأولاد، وتركْتَه من الأموال، وقدمت على الله تعالى صفر اليد من الجميع، لم يصحبها إلّا الأعمال الصالحة، وما تاجرته من أعمال الآخرة الرابحة.

وتأمّل بهجته كيف قد ذهبت؟! وجلدته كيف قد تحوّلت؟! وعن قريب يمحو

التراب صورته، وتزيل الأرض بهجته؛ وما قد حصل له من يُتْم أولاده، وترمُّل نسائه، وتضييع أمواله، وخلوّ مسجده ومجلسه، وانقطاع آثاره بعد طول أمله وكثرة حيله، وانخداعه بمواتاة الأسباب، وغفلته عن الدخول في هذا التراب، والقدوم على ما سطر عليه في الكتاب، وركونه إلى القوّة والشباب، واشتغاله عمّا بين يديه من الموت الذريع، والهلاك السريع. وكيف كان يتردّد ويشيّع غيره من الأموات، والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله؟! وكيف كان ينطق، وقد فسد لسانه؟! وكيف كان يضحك، وقد تغيّرت أسنانه؟ وكيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين، في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلّا شهر أو أقلّ، وهو غافل عمّا يراد به حتّى جاءه الموت فجأة في وقت لم يحتسبه، فقرع سمعه نداء الجبّار، إمّا بالجنّة أو النار؟!

ولينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته، وستكون عاقبته كعاقبته، فلينهض حينئذٍ إلى الاستعداد، وليشتغل بإكثار الزاد، فإنّ المسافة بعيدة، والعقبة كؤود، والخطر شديد، والندامة بعد الموت غير نافعة.

فهذا الفكر وأمثاله يحصّل قصر الأمل، والاستعداد بصالح العمل، ومحلّه خارج عن الصلاة كما مرّ.

[صلاة النذر]

وأمّا صلاة النذر والعهد ونحوهما؛ فليستشعر قبولها، والرغبة في القيام بها، والاهتمام بشأنها وفاءً بعهد الله تعالى، وامتثالاً لأمره، ولا يتبرّم بها توهُّماً أنّها ليست واجبة بالأصالة، فقد لحقت بمثلها في العظمة والجلالة، وليمثّل في نفسه أنّه لو عاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال، بحيث يكون فعله له بمرأى منه ومسمع، كيف يكون إقباله على عمله، واجتهاده في إصلاحه واتقانه، وامتلاء قلبه منه، ومراقبته لنظر الملك بمجرّد الوعد، فضلاً عن توكيده بالعهد؟! فلا تجعل نظر الله تعالى دون نظر

عبيده، فإنّ ذلك عنوان النفاق، وأنموذج الشرك.

وهكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها، ويقوم بمرتبتها وآدابها، ولا يقتصر على ما بيّنّاه من الوظائف، بل يترقّى بنظره إلى ما يفتح الله تعالى عليه من المعارف، فإنّ أبواب الفيض مفتوحة، وأنوار الجود هابطة مبذولة، واصلة إلى النفوس الإنسانية على قدر استعدادها.

وفّقنا الله وإيّاكم لتلقّي الأسرار، وأدرجنا في عداد عباده الأبرار، وأخذ بنواصينا إلى رضاه ورحمته، وعاملنا بعفوه وكرمه ومغفرته، واستعملنا بما علمناه، وأشركنا في ثواب من أفدناه، فإنّ ذلك منه وبه وله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وها هنا نقطع الكلام في هذه الرسالة حامدين الله تعالى على كلّ حالة! وفرغ منها مؤلّفها العبد المفتقر إلى عفو الله تعالى وكرمه ورحمته، زين الدين بن عليّ بن أحمد الشامي العاملي (عامله الله تعالى بفضله)، يوم السبت تاسع شهر ذي الحجّة الحرام، وهو اليوم المبارك يوم عرفة، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، حامداً مصلّياً مسلّماً مستغفراً من ذنوبه.

(٤)

مُسَكّن الفؤاد

عند فقد الأحبّة والأولاد

تحقيق

عبّاس المحمّدي

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه محمّدﷺ وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

أمّا بعد، فإنّ سبب تأليفه، كما قال الشهيد نفسه (رحمه الله) في خطبته على الكتاب:

فلمّا كان الموت هو الحادث العظيم، والأمر الذي هو على تفريق الأحبّة مقيم، وكان فراق المحبوب يعدّ من أعظم المصائب، حتّى يكاد يزيغ له قلب ذي العقل والموسوم بالحدس الصائب، خصوصاً ومن أعظم الأحباب الولد الذي هو مُهجة الألباب؛ ولهذا رتّب على فراقه جزيل الثواب، ووُعِدَ أبواه شفاعته فيهما يوم المآب؛ فلذلك جمعتُ في هذه الرسالة جملةً من الآثار النبويّة، وأحوال أهل الكمالات العليّة، ونُبَذَةً من التنبيهات الجليّة، ما ينجلي به إن شاء الله تعالى الصدأ عن قلوب المحزونين، وتنكشف به الغمّة عن المكروبين، بل تبتهج به نفوس العارفين، ويستيقظ من اعتبره من سِنَة الغافلين، وسمّيتها مسكن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، ورتّبتها على مقدّمة وأبواب وخاتمة[1].

ولقد ابتلي الشهيد (رحمه الله) ـ على ما في بعض المصادر التي ترجمت له ـ بموت الأولاد في مقتبل أعمارهم حتّى أنّه لم يثق ببقاء أحد منهم، ولم يبق منهم إلّا بنته أُمّ

---

١. خطبة الكتاب للمصنّف في ص ١١.

السيّد شمس‌الدين محمّد بن عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي صاحب المدارك وابنه الشيخ حسن، وقد استشهد وعمر ولده سبع سنين.

قال الخوانساري في سبب تأليفه:

ونقل في سبب تصنيفه لكتابه المسكّن كثرة ما توفّي منه من الأولاد بحيث لم يبق له منهم أحد إلّا الشيخ حسن المرحوم، وكان لا يثق بحياته أيضاً، وقد استشهد وهو صبيّ غير مراهق[١].

وقال السيّد الأمين:

وكان لا يعيش له أولاد، فمات له أولاد ذكور كثيرون قبل الشيخ حسن الذي كان لا يثق بحياته أيضاً[٢].

وقال المحدّث القمّي في ترجمة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني: «ولم يكن مرجوّ البقاء بعد ما قد أُصيب والده بمصائب أولاد كثيرين من قبله»[٣].

لقد تأثّر الشهيد (قدّس سرّه) ـ مزيداً على استفادته الحسنة بالقرآن الكريم والروايات الواردة في المجاميع الروائيّة من الخاصّة والعامّة، والكتب التي سمّاها في المتن وهي أحد عشرة كتاباً ـ كثيراً من إحياء علوم‌الدين لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي المتوفّى سنة (٥٠٥).

وأيضاً تأثّر بالكتب المشابهة لمسكّن الفؤاد ـ في التسمية والموضوع ـ من جميعها أو من بعضها نذكر منها ما عثرنا عليها إجمالاً:

١. التعازي والمراثي، لأبي العبّاس المبرّد، محمّد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير الثمالي الأزدي البصري (٢١٠ ـ ٢٨٥).

---

١. روضات الجنّات، ج ٣، ص ٣٧٩.

٢. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٤٤.

٣. الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٣٨٦.

٢. كتاب التعازي، لأبي الحسن عليّ بن محمّد المدائني النسّابة (م ٢٢٨).

٣. تسلية الحزين في موت البنين، لشهاب‌الدين أحمد بن يحيى بن حجلة التلمساني الحنفي، المتوفّى سنة (٧٧٦).

٤. تسلية أهل المصائب، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد المنجي الحنبلي المتوفى.

كما تأثّر كثيرون بكتاب مسكّن الفؤاد حتّى أنّهم سمّوا كتبهم بأسماء مشتقّة منه، نشير إلى بعضها:

١. مسكّن القلوب عند فقد المحبوب، فارسي ـ وذكر بعض أحفاده أنّه عربي ـ لآية الله دلدار عليّ بن السيّد محمّد معين النصيرآبادي المتوفّى (١٢٣٥)، كتبه بعد فوت ولده السيّد محمّد مهدي سنة (١٢٣١)[١].

٢. تسلية الأحزان، لميرزا محمّد باقر الموسوي الخوانساري (١٢٢٦ ـ ١٣١٣)، فارسي طبع في عام (١٣٣٩)، قال مؤلّفه في روضات الجنّات:

وإنّ لكتابه هذا (مسكّن الفؤاد) فوائد جمّة... قلّ ما يوجد نظيره في كتاب إلّا أنّ ما أفرغناه في قالب التأليف من مقولة تلك الأخبار وما يتعلّق بأبواب البلاء وقصص الصابرين والصابرات وأمثال ذلك، وسمّيناه بتسلية الأحزان أفيد وأجمع وأتمّ وأنفع من ذلك الكتاب بكثير[٢].

٣. تسلية الحزين من فقد الأقارب والبنين، للشيخ صالح بن طعّان التستري البحراني، المتوفّى سنة (١٢٨١)[٣].

٤. تسلية الحزين في فقد العافية والأحباب من الأقارب والبنين، للسيّد عبد الله بن

---

١. الذريعة، ج ٢١، ص ٢٠، الرقم ٣٧٤٩.

٢. روضات الجنّات، ج ٣، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

٣. الذريعة، ج ٤، ص ١٧٨، الرقم ٨٧٧.

محمّدرضا الشبّر الحسيني المتوفّى (١٢٤٢)[1].

٥. تسلية الفؤاد في فقد الأولاد، أيضاً للسيّد عبد الله بن محمّدرضا الشبّر الحسيني الحلّي الكاظمي المتوفّى (١٢٤٢)[2].

٦. تسلية الملهوفين وتسكين المغمومين، للسيّد ميرزا أبي القاسم بن ميرزا كاظم الموسوي الزنجاني المتوفّى (١٢٩٢)[3].

ترجماته

١. تسلية العباد في ترجمة مسكّن الفؤاد، ترجمه إلى الفارسيّة ميرزا إسماعيل خان دبير السلطنة، الملقّب بمجد الأُدباء المتوفّى سنة (١٣٢١).

٢. إسلام دركنار داغديدگان وافسرده‌دلان، لمحمّد باقر الحجّتي، طبع في طهران عام (١٣٦٣ش).

٣. آرام‌بخش دل داغديدگان، لحسين الجنّاتي، طبع في قم عام (١٣٦٣ش).

٤. أرمغان شهيد، لمرحوم عبّاس المخبر، طبع في مشهد الرضوي عام (١٤٠٥).

النسخ المعتمدة

١. المخطوطة المحفوظة في مكتبة آية‌الله المرعشي العامّة، الكتاب الثالث ضمن المجموعة المرقّمة (١٤٤٥)، من ص ٥٢ ـ ٢٠٠، وقد رمزنا لها بـ«م».

٢. المطبوعة على الحجر في إيران، كتبها ابن عليّ أكبر الجيلاني في يوم الاثنين ٢٦ من صفر المظفّر سنة (١٣١٠) في طهران، وقد رمزنا لها بـ«ح».

١. الذريعة، ج ٤، ص ١٧٨، الرقم ٨٧٨.

٢. الذريعة، ج ٤، ص ١٧٩، الرقم ٨٨٣.

٣. الذريعة، ج ٤، ص ١٧٩، الرقم ٨٨٦.

٣. المطبوعة في قم المقدّسة سنة (١٤٠٧)، بتحقيق ونشر من مؤسّسة آل البيت عليهم السلام. الطبعة الأُولى، وقد رمزنا لها بـ«آ». ولقد استفدنا من هذه النسخة كثيراً.

منهجنا في التحقيق

١. مقابلة الكتاب مع النسخ التي مرّ وصفها، وقد اعتمدنا طريق التلفيق بين النسخ؛ لأجل إثبات أصحّ النصوص.

٢. تخريج الآيات والروايات والحكايات حتّى ما كان منها غير مصرّح في بعض الموارد، ولقد أتعبنا أنفسنا جدّاً لاستخراج جميعها، وقد عثرنا عليها ـ إلّا قليلاً منها ـ في المصادر المتقدّمة على الشهيد(رحمه الله).

٣. شرح الألفاظ والكلمات الصعبة الواردة في الكتاب من المعاجم اللغويّة المعتبرة.

٤. تقويم متن الكتاب وضبط نصّه، مع ملاحظة جميع الاختلافات الواردة بين النسخ، وضبط أصحّها في المتن، وفي الموارد اللازمة ذكر الاختلافات في الهوامش.

ربّنا تقبّل منّا هذا العمل، واجعله ذخراً لنا ولوالدينا في يوم الحساب وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة

عبّاس المحمّدي الجلال آبادي

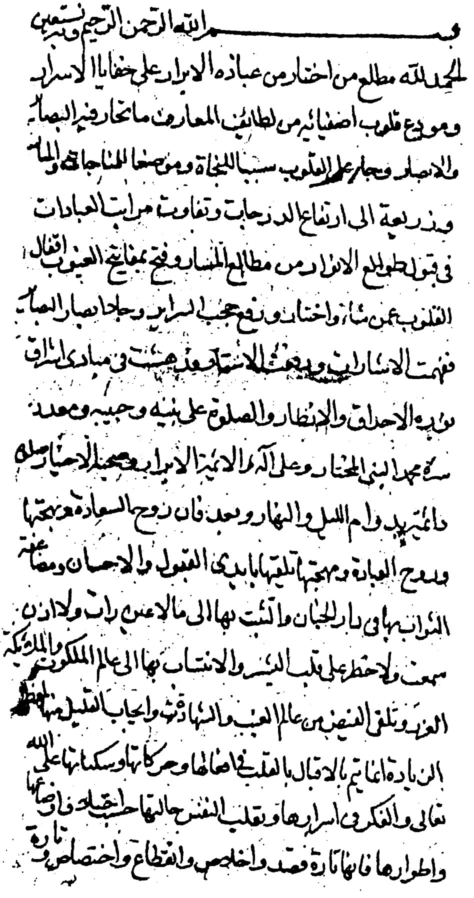
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله مطلع من اختار من عباده الابرار على خفايا الاسرار
ومودع قلوب اصفيائه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر
والابصار وجاعل الفكر في القلوب سببا للنجاة وموضعا للمناجاة والمناجاة
وذريعة الى ارتفاع الدرجات وتفاوت مراتب العبادات
في قبول طوالع الانوار من مطالع المنار وفتح بمفاتيح الغيوب اقفال
القلوب عمن شاء واختار ونزع حجب الاسرار وحجاب ابصار البصائر
فهمت الاشارات ويبعث الاشتياق عند هبت في مبادي اشراق
نور الاحتراق والانتظار والصلوة على نبيه وحبيبه ومحمد
سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله الائمة الابرار وصحبه الاخيار صلاة
دائمة بدوام الليل والنهار وبعد فان روح السعادة وبهجتها
وروح العبادة ومهجتها تلقيها بايدي القبول والاحسان ومضاعفة
الثواب بها في دار الجنان واثبت بها الى ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر والانتساب بها الى عالم الملكوت والملائكة
العز وتلقي الفيض من عالم الغيب والشهادة ثم وايجاب التنيل منها
الى بادة اعمالها بالاقبال بالقلب في افعالها وحركاتها وسكناتها على الله
تعالى والفكر في اسرارها وتقلب النفس حالتها حسب اختلاف اوضاعها
واطوارها فانها تارة قصد واخلاص وانقطاع واختصاص وتارة

صورة الصفحة الأُولى من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة

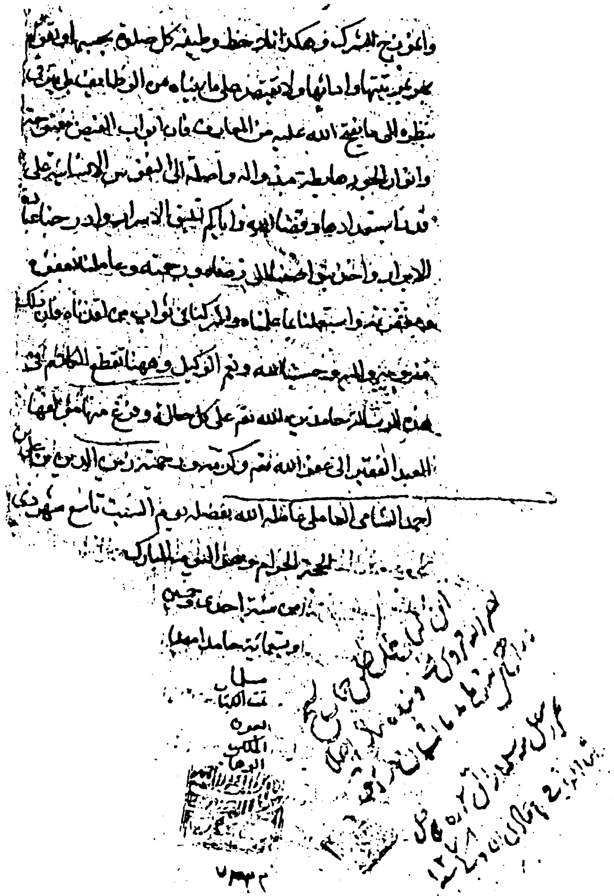
واعوذ بك من الشرك وهكذا اذا دخل وطنه كل صديق بحسبها [illegible]
بموت عزيز ثبتها او دانيها ولا تقتصر على ما يناه من الوظايف [illegible]
سطوره الى ما يفتح الله عليه من المعارف فان ابواب الفيض مفتوحة
وانوار الجود ساطعة منه والله واصلة الى النفوس الانسانية على
قدر استعدادها [illegible]
[illegible] الى رضاه ورحمته وعاملنا بالعفو
ومغفرته [illegible]
[illegible] حسبنا الله ونعم الوكيل وههنا انقطع الكلام وقد
[illegible] هذه الرسالة بحمد الله تعالى على كل حاله وفرغ منها مؤلفها
العبد الفقير الى عفو الله تعالى وكرمه [illegible] زين الدين بن علي بن
احمد الشامي العاملي عامله الله بفضله يوم السبت تاسع شهر ذي
الحجة الحرام [illegible] المباركة
[illegible] من سنة [illegible]
[illegible] حامدا [illegible]
مسلما
تم الكتاب
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده، وأنفذ أمره فيهم على وفق حكمته ومراده، ووعد الصابرين على قضائه جميل ثوابه وإسعاده، وأوعد الساخطين جزيل نكاله وشديد وباله في معاده، ولذّذ قلوب العارفين بتدبيره، فبهجةُ نفوسهم في تسليمها لقياده، هذا مع عجز كلّ منهم عن دفاع ما أمضاه وإن تـمادى الجـاهل فـي عناده. فإيّاه سبحانه أحمد على كلّ حال، وأسأله الإمداد بتوفيقه وإرشاده.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة أستدفع بها الأهوال في ضيق المحشر ووهاده[1]، وأشهد أنّ محمّداًﷺ عبده ورسوله أفضل من بشّر وحذّر، وأعـظم من رضي بالقضاء وصبر، وخدم بـه سـلطان مـعادهﷺ وعـلى آله الأخـيار، وأعـظم الخلق بلاءً وأشدّهم عناءً، وأسَدّهم تسليماً ورضاءً، صلاةً دائمةً واصلةً إلى كلّ واحدٍ بانفراده.

وبعد، فلمّا كان الموت هو الحادث العظيم، والأمر الذي هو على تـفريق الأحـبّة مقيم، وكان فراق المحبوب يعدّ من أعظم المصائب، حتّى يكاد يزيغ له قلب ذي العقل، والموسوم بالحدس الصائب خصوصاً. ومن أعـظم الأحـباب الولد الذي هـو مُـهْجَة

---

١. الوهد والوهدة: المكان المنخفض كأنّه حفرة، والوهد يكون اسماً للحفرة، والجمع أوهد ووهد ووهـاد. لسـان العرب، ج ٣، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١، «وهد».

الألباب؛ ولهذا رتّب على فراقه جزيل الثواب، وَوُعِدَ أبواه شفاعته فيهما يوم المآب؛ فلذلك جمعتُ في هذه الرسالة جملةً من الآثار النبويّة، وأحوال أهل الكمالات العليّة، ونُبْذَةً من التنبيهات الجليّة، ما ينجلي به ـ إن شاء الله تعالى ـ الصدأُ عن قلوب المحزونين، وتنكشف به الغُمّة عن المكروبين، بل تبتهج به نفوس العارفين، ويستيقظ من اعتبره من سِنَة الغافلين، وسمّيتها مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، ورتّبتها على مقدّمةٍ وأبواب وخاتمةٍ.

أمّا المقدّمة

فاعلم أنّه ثبت أنّ العقلَ هو الآلةُ التي بها عُرف الله سبحانه، وحصل به تصديق الرسل والتزام الشرائع، وأنّه المحرّض على طلب الفضائل، والمخوّف من الاتّصاف بالرذائل، فهو مدبّر أُمور الدارَين، وسببٌ لحصول الرئاستين، ومَثَلهُ كالنور في الظلمة، فقد يقلّ عند قوم، فيكون كعين الأعشى[1]، ويزيد عند آخرين، فيكون كالنهار في وقت الضحى.

فينبغي لمن رُزق العقل أن لا يخالفه فيما يراه، ولا يُخلِد إلى متابعة غفلته وهواه، بل يجعله حاكماً له وعليه، ويراجعه فيما يرشده إليه، فيكشف له حينئذٍ ما يوجب الرضى بقضاء الله سبحانه وتعالى، سيّما فيما نزل به من هذاالفراق من وجوهٍ كثيرةٍ نذكر بعضها:

الأوّل: أنّك إذا نظرت إلى عدل الله وحكمته، وتمام فضله ورحمته، وكمال عنايته ببريّته، إذ أخرجهم من العدم إلى الوجود، وأسبغ عليهم جلائل النعم، وأيّدهم بالألطاف، وأمدّهم بجزيل المعونة والإسعاف. كلّ ذلك؛ ليأخذوا حظّهم من السعادة الأبديّة والكرامة السرمديّة، لا لحاجة منه إليهم، ولا لاعتمادٍ في شيءٍ من أمره عليهم؛ لأنّه الغنيّ المطلق، والجواد المحقّق.

---

١. الأعشى: هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. الصحاح، ج ٤، ص ٢٤٢٧، «عشى».

وكلّفهم بالتكاليف الشاقّة والأعمال الثقيلة؛ ليأخذوا منه حظّاً وأملاً، وليبلوهم أيّهم أحسن عملاً. وما فعل ذلك إلّا لغاية منفعتهم، وتمام مصلحتهم. وأرسل إليهم مبشّرين ومنذرين. وأنزل عليهم الكتب، وأودعها ما فيه بلاغ للعالمين.

وتحقيق هذا المرام مستوفى في باب العدل من علم الكلام.

وإذا كانت أفعاله تعالى وتقدّس كلّها لمصلحتهم، وما فيه تمام شرفهم، والموت من جملة ذلك كما نطق به الوحي الإلهي في عدّة آيات، كقوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلّا بِإذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً﴾[١]، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم﴾[٢]، ﴿أيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[٣]، ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾[٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

فلولا أنّ في ذلك غاية المصلحة، ونهاية الفائدة للعبد الضعيف الغافل عن مصلحته، التائه في حيرة جهله وغفلته، لَما فعله الله تعالى به؛ لِما قد عرفت من أنّه أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، فإن حدّثتْك نفسك بخلاف ذلك، فاعلم أنّه الشرك الخفيّ، وإن أيقنته ولم تطمئنّ نفسك وتسكن روعتك فهو الحمق الجليّ.

وإنّما نشأ ذلك من الغفلة عن حكمة الله تعالى في بريّته، وحسن قضائه في خليقته، حتّى أنّ العبد ليبتهل ويدعو الله تعالى أن يرحمه، ويجيب دعاءه في أمثال ذلك، فيقول الله تعالى لملائكته: «كيف أرحمه من شيءٍ به أرحمه!»[٥]. فتدبّر (رحمك الله تعالى) في هذه الكلمة الإلهيّة، تكفيك في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الثاني: أنّه إذا نظرت إلى أحوال الرُسل عليهم السلام، وصدّقتهم فيما أخبروا به من الأُمور

---

١. آل عمران (٣): ١٤٥.

٢. آل عمران (٣): ١٥٤.

٣. النساء (٤): ٧٨.

٤. الزمر (٣٩): ٤٢.

٥. كنز الفوائد، الكراجكي، ج ١، ص ٣٧٩.

الدنيويّة والأُخرويّة، ووعدوا به من السعادة الأبديّة، وعلمت أنّهم إنّما أتوا بما أتوا به عن الله جلّ جلاله، واعتقدت أنّ قولهم معصوم عن الخطإ، محفوظ من الغلط والهوى، وسمعت ما وعدوا به من الثواب على أيّ نوع من أنواع المصائب ـ كما ستراه وتسمعه ـ سهل عليك موقعه، وعلمت أنّ لك في ذلك غاية الفائدة، وتمام السعادة الدائمة، وأنّك قد أعددت لنفسك كنزاً من الكنوز مذخوراً، بل حرزاً ومعقلاً وجُنّة من العذاب الأليم والعقاب العظيم، الذي لا يطيقه بشر، ولا يقوى به أحد، مع أنّ ولدك مشاركك في هذهِ السعادة، فقد فزت أنت وهو، فلا ينبغي أن تجزع.

ومثّل لنفسك: أنّه لو دهمك أمرٌ عظيمٌ، أو وثب عليك سَبُعٌ أو حـيّةٌ، أو هـجمت عليك نارٌ مضرمة، وكان عندك أعزّ أولادك وأحبّهم إلى نفسك، وبحضرتك نبيّ مـن الأنبياء لا ترتاب في صدقه، وأخبرك أنّك إن افتديت بولدك سلمت أنت وولدك، وإن لم تفعل عطبت، والحال أنّك لا تعلم هل يعطب ولدك أو يسلم؟

أيشكّ عاقل أنّ الافتداء بالولد الذي يتحقّق معه سلامة الولد، ويرجى معه أيـضاً سلامة الوالد، هو عين المصلحة، وأنّ عدم ذلك، والتعرّض لعَطَب الأب والولد هو عين المفسدة؟! بل ربما قدّم كثير من الناس نفسه على ولده وافتدى به، وإن تيقّن عَـطَب الولد، كما اتّفق ذلك في المفاوز[1] والمخمصة.

هذا كلّه في نارٍ وعَطَبٍ ينقضي ألمه في ساعةٍ واحدةٍ، وربما ينتقل بعده إلى الراحة والجنّة، فما ظنّك بألم يبقى أبد الآباد، ويمكث سنين! وإنّ يوماً عند ربّك منها كألف سنةٍ ممّا تعدّون، ولو رآها أحدنا وأشرف عليها لودّ أن يفتدي ببنيه ﴿وَصاحِبَتِهِ وَأخِيهِ. وَفَصيلَتِهِ الَّتى تؤيهِ، وَمَنْ فى الأرْضِ جَميعاً، ثُمَّ يُنْجيهِ. كَلّا إنّها لَظى نَـزّاعَـةً لِـلشّوى تَدْعُوا مَنْ أدْبَرَ وَتَوَلّى وَجَمَع فَأوْعى﴾[2].

١. المفاوز: جمع مفازة: المهلكة والمهالك. المعجم الوسيط، ص٧٠٦، «فاز».
٢. المعارج (٧٠): ١١ ـ ١٨.

ومن هنا جاء ما ورد عن النبيّ ﷺ، أنّه قال لعثمان بن مظعون (رضي الله عنه)، وقد مات ولده، فاشتدّ حزنه عليه: «يابن مظعون، إنّ للجنّة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، أفما يسرّك أن لا تأتي باباً منها إلّا وجدت ابنك إلى جنبك، آخذاً بحُجْزتِك، يستشفع لك إلى ربّك، حتّى يشفّعه الله تعالى؟»[١].

وسيأتي له نظائر كثيرة إن شاء الله.

الثالث: أنّك إنّما تحبّ بقاء ولدك لينفعك في دنياك، أو في آخرتك، ولا تريد في الأغلب بقاءه لنفسه؛ فإنّ هذا هو المجبول عليه طبع الخلق. ومنفعته لك على تقدير بقائه غير معلومة، بل كثيراً ما يكون المظنون عدمها، فإنّ الزمان قد صار في آخره، والشقوة والغفلة قد شملت أكثر الخلائق، وقد عزّ السعيد وقلّ الصالح الحميد، فنفعه لك بل لنفسه على تقدير بقائه غير معلوم، وانتفاعه الآن، وسلامته من الخطر، ونفعه لك قد صار معلوماً، فلا ينبغي أن تترك الأمر المعلوم لأجل الأمر المظنون بل الموهوم. وتأمّل أكثر الخلف لأكثر السلف، هل تجد منهم نافعاً لأبويه إلّا أقلّهم، أو مستيقظاً إلّا أوحديّهم، حتّى إذا رأيت واحداً كذلك، فعدّ أُلوفاً بخلافه.

وإلحاقك ولدك الواحد بالفرد النادر دون الأغلب الكثير عين الغفلة والغباوة؛ فإنّ الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، كما ذكره سيّد الوصيّين[٢]، وترجمان ربّ العالمين، (صلوات الله وسلامه عليه).

مع أنّ ذلك الفرد الذي تريد مثله، إنّما هو صالح نافع بحسب الظاهر، وما الذي يدريك بباطنه وفساد نيّته وظلمه لنفسه؟ فلعلّك لو كشفت عن باطنه ظهر لك أنّه مُنطوٍ على معاصٍ وفضائح لا ترضاها لنفسك ولا لولدك، وتتمنّى أنّ ولدك لو كان

---

١. الأمالي، الصدوق، ص ٦٣، المجلس السادس عشر، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٦، الباب ٧٢ من أبواب الدفن، ح ١١؛ شعب الإيمان، البيهقي، ج ٧، ص ١٣٨، ح ٩٧٦٢.

٢. خصائص الأئمّة، السيّد الرضي، ص ١١٥؛ المناقب، الخوارزمي، ص ٣٧٥.

على مثل حالته يموت فإنّه خير له.

هذا كلّه إذا كنت تريد أن تجعل ولدك واحداً في العالمين، ووليّاً من الصالحين، فكيف وأنت لا تريده إلّا ليرث بيتك، أو بستانك، أو دوابّك وأمثال ذلك من الأُمور الخسيسة الزائلة عمّا قريب، وتتركه يرث الفردوس الأعلى فيجوار أولاد النبيّين والمرسلين، مبعوثاً مع الآمنين الفرحين، مربّىً إن كان صغيراً في حجر سارّة أُمّ النبيّين كما وردت به الأخبار عن سيّد المرسلين[1]؟ ما هذا إلّا معدود من السفه لو عقلت!

ولو كان مرادك أن تجعله من العلماء الراسخين والصلحاء المتّقين، وتورثه علمك وكتبك وغيرها من أسباب الخير، فاذكر أيضاً أنّ ذلك كلّه لو تمّ معك، فما وعد الله تعالى من العوض على فقده أعظم من مقصدك، كما ستسمعه إن شاء الله تعالى.

مثل ما رواه الصدوق، عن الصادق عليه السلام: «ولد واحد يقدّمه الرجل، أفضل من سبعين ولداً يبقون بعده، يدركون القائم عليه السلام»[2].

واعتبر أنّه لو قيل: إنّ رجلاً فقيراً معه ولد عليه خُلْقان الثياب، قد أسكنه في خَرِبَةٍ مُقْفِرَة ذات آفات كثيرة، وفيها بيوت حيّات وعقارب وسباع ضارية، وهو معه على خطر عظيم، فاطّلع عليه رجل حكيم جليل، ذو ثروةٍ وَحشَم وخدم وقصور عالية ورتب سامية، فَرَقَّ لهذا الرجل ولولده، فأرسل إليه بعض غلمانه: إنّ سيّدي يقول لك: إنّي قد رحمتك ممّا بك في هذه الخَرِبَة، وهو خائف عليك وعلى ولدك من العاهات، وقد تفضّلت عليك بهذا القصر. ينزل به ولدك، ويوكّل به جاريةً عظيمةً من كرائم جواريه، تقوم بخدمته إلى أن تقضي أنت أغراضك التي في نفسك، ثمّ إذا قدمت، وأردت الإقامة أنزلتك معه في القصر، بل في قصر أحسن من قصره.

فقال الرجل الفقير: أنا لا أرضى بذلك، ولا يفارقني ولدي في هذه الخربة، لا لعدم

---

١. الفقيه، ج ٣، ص ٣١٦، ح ١٥٣٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢. ثواب الأعمال، ص ٢٣٣، ح ٤.

وثوقي بالرجل الباذل، ولا زهداً منّي في داره وقصره، ولا لأماني على ولدي في هذه الخربة، بل طبعي اقتضى ذلك، وما أُريد أن أُخالف طبعي.

أفما كنت ـ أيّها السامع لوصف هذا الرجل ـ تعدّه من أدنياء السفهاء وأخسّاء الأغبياء؟! فلا تقع في خُلقٍ لا ترضاه لغيرك، فإنّ نفسك أعزّ عليك من غيرك.

واعلم أنّ لَسْعَ الأفاعي، وأكل السباع، وغيرهما من آفات الدنيا لا نسبة لها إلى أقلّ محنةٍ من محن الآخرة المكتسبة في الدنيا، بل لا نسبة لها إلى إعراض الحقّ سبحانه، وتوبيخه ساعةً واحدةً في عرصة القيامة، أو عرضة واحدة على النار مع الخروج منها بسرعة.

فما ظنّك بتوبيخ يكون ألف عام، أو أضعافه، وبنفحةٍ من عذاب جهنّم يبقى ألمها ألف عام، ولَسْعَةٍ من حيّاتها وعقاربها يبقى ألمها أربعين خريفاً! وأيّ نسبة لأعلى قصر في دار الدنيا إلى أدنى مسكن في الجنّة! وأيّ مناسبة بين خُلقان الثياب في الدنيا إلى فاخرها إلى أعلى ما في الدنيا بالإضافة إلى سندس الجنّة واستبرقها! وهلمّ جرّاً إلى ما فيها من النعيم المقيم.

بل لو تأمّلت بعين بصيرتك في هذا المثل، وأجلْت فيه رؤيتك، علمت أنّ ذلك الكريم الكبير، بل جميع العقلاء لا يرضون من ذلك الفقير بمجرّد تسليم ولده ورضاهُ بأخذه، بل لابدّ في الحكمة من حمده عليه وشكره، وإظهار الثناء عليه بما هو أهله؛ لأنّ ذلك هو مقتضى حقّ النعمة.

الرابع: أنّ في الجزع بذلك والسخط انحطاطاً عظيماً عن مرتبة الرضى بقضاء الله تعالى، وفي فوات ذلك خطر وخيم، وفوات نيل عظيم، فقد ذمّ الله تعالى من سخط بقضائه، وقال: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليعبد ربّاً سواي»[١].

---

١. كنز الفوائد، الكراجكي، ج ١، ص ٣٦٠؛ جامع الأخبار، ص ١١٣، الفصل السبعون في البلاء؛ دعوات الراوندي، ص ١٦٩، ح ٤٧١؛ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥ بتفاوت يسير.

وفي كلامه تعالى لموسى عليه السلام حين قال له: «دلّني على أمرٍ فيه رضاك، قال: إنّ رضاي في رضاك بقضائي»[١].

وفي القرآن الكريم: ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٢].

وأوحى الله تعالى إلى داود: «يا داود، تريد وأُريد، وإنّما يكون ما أُريد، فإن سلّمت لما أُريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلّم لما أُريد أتعبتك فيما تريد، ثمّ لا يكون إلّا ما أُريد»[٣].

وقال تعالى: ﴿لكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾[٤].

واعلم أنّ الرضى بقضاء الله تعالى ثمرة المحبّة لله؛ إذ من أحبّ شيئاً رضي بفعله، ورضى العبد عن الله دليل على رضى الله تعالى عن العبد، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وصاحب هذه المرتبة مع رضى الله تعالى عنه الذي هو أكمل السعادات، وأجلّ الكمالات، لا يزال مستريحاً؛ لأنّه لم يوجد منه أُريد ولا أُريد، كلاهما عنده واحد، ورضوان الله أكبر، إنّ ذلك لمن عزم الأُمور.

وسيأتي لذلك بحث آخر إن شاء الله تعالى في باب الرضى.

واعلم أنّ البكاء لا ينافي الرضى، ولا يوجب السخط، وإنّما مرجع ذلك إلى القلب ـ كما ستعرفه إن شاء الله تعالى ـ ومن ثمّ بكاء الأنبياء والأئمّة عليهم السلام على أبنائهم وأحبّائهم، فإنّ ذلك أمر طبيعي للإنسان، لا حرج فيه إذا لم يقترن بالسخط، وسيأتي.

الخامس: أن ينظر صاحب المصيبة إلى أنّه في دار قد طُبعت على الكدر والعناء، وجُلبت على المصائب والبلاء، فما يقع فيهامن ذلك هو مقتضى جبلّتها وموجب

---

١. دعوات الراوندي، ص ١٦٤، ح ٤٥٣؛ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥.

٢. المائدة (٥): ١١٩؛ التوبة (٩): ١٠٠؛ المجادلة (٥٨): ٢٢؛ البيّنة (٩٨): ٨.

٣. التوحيد، الصدوق، ص ٣٣٧، باب المشيئة والإرادة، ح ٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٦.

٤. الحديد (٥٧): ٢٣.

طبيعتها، وإن وقع خلاف ذلك فهو على خلاف العادة لأمر آخر، خصوصاً على الأكابر والنُبَلاء من الأنبياء والأوصياء والأولياء، فقد نزل بهم من الشدائد والأهوال ما تعجز عن حمله الجبال، كما هو معلوم في المصنّفات التي لو ذكر بعضها لبلغ مجلّدات.

وقد قال النبيّ ﷺ: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ الأمثل فالأمثل»[١].

وقال النبيّ ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر»[٢].

وقد قيل: إنّ الدنيا ليس فيها لذّة على الحقيقة، إنّما لذّاتها راحة من مؤلم. هذا وأحسن لذّاتها وأبهى بهجاتها مباشرة النساء المترتّب عليه حصول الأبناء، كم يعقبه من قذى، أقلّه ضعف القوى وتعب الكسب والعناء. ومتى حصل محبوب كانت آلامه تربو على لذّاته، والسرور به لا يبلغ معشار حسراته، وأقلّ آفاته في الحقيقة الفراق الذي ينكث الفؤاد، ويذيب الأجساد.

فكلّ ماتظنّ في الدنيا أنّه شرابٌ سرابٌ. وعمارتُها وإن حسنت إلى خراب، ومالُها وإن اغترّ بها الجاهل إلى ذهابٍ. ومن خاض الماء الغمر لا يجزع من بلل، كما أنّ من دخل بين الصفّين لا يخلو من وجل، ومن العجب من يده في فم الأفاعي كيف ينكر اللَسْع، وأعجب منه من يطلب من المطبوع على الضرّ النفع!

وما أحسن قول بعض الفضلاء[٣] في مرثية ابنه:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفواً من الأقذاءِ والأكدارِ
ومُكلِّف الأيّام ضِدَّ طباعِها ... مُتَطَلّبٌ في الماء جَذْوَةَ نارِ

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٢، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٢؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٣٤، ح ٤٠٢٣؛ سنن الدارمي، ج ٢، ص ٣٢٠؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦١، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١.

٢. الفقيه، ج ٤، ص ٣٦٣، ح ٥٧٦٥؛ الأمالي، الطوسي، ص ٥٢٩، المجلس ١٩، ح ١/١١٦٢؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٧٢، ح ٢٩٥٦/١؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٧٨، ح ٤١١٣.

٣. هو عليّ بن محمّد بن نهد التهامي أبو الحسن الشاعر المشهور. راجع ترجمته في وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٧٨ ـ ٣٨١، ح ٤٧١؛ الأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ٣٢٧.

وإذا رجـوتَ المسـتحيل فـإنّما　　　تـبني البـناءَ عـلى شَـفيرٍ هـارِ[١]

وقال بعض العارفين:

ينبغي لمن نزلت به مصيبة أن يسهّلها على نفسه، ولا يغفل عن تذكّر ما يعقّبه من وجوب الفناء وَتقضّي المسارّ؟، وأنّ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، يجمعها من لا عقل له، ويسعى لها من لا ثقة له، وفيها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، من صحّ فيها سقم، ومن سقم فيها برم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن[٢].

واعلم أنّك قد خلقت في هذه الدار لغرض خاصّ؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن العبث. وقد قال الله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، وقد جعلها مكتسباً لدار القرار، وجعل بضاعتها الأعمال الصالحة، ووقتها العمر، وهو قصير جدّاً بالنظر إلى ما يطلب من السعادة الأبديّة التي لا انقضاء لها.

فإن اشتغلت بها، واستيقظت استيقاظ الرجال، واهتممت بشأنك اهتمام الأبدال، رجوت أن تنال نصيبك منها، فلا تضيّع عمرك في الاهتمام بغير ما خلقت له، يضيع وقتك، ويذهب عمرك بلا فائدة؛ فإنّ الغائب لا يعود، والميّت لا يرجع، وتفوتك السعادة التي خلقت لها. فيالها حسرة لا تفنى، وغبن لا يزول، إذا عاينت درجات السابقين، وأبصرت منازل المقرّبين، وأنت مقصّر من الأعمال الصالحة، خليّ من المتاجر الرابحة، فقس ذلك الألم على هذه الآلام، وادفع أصعبهما عليك وأضرّهما لك، مع أنّك تقدر على دفع سبب هذا، ولا تقدر على دفع سبب ذاك.

١. وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٨٠.

٢. لم نعثر على قائله، لكن بعض فقراته مأخوذ من الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ في تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٧٠.

٣. الذاريات (٥١): ٥٦.

كما قال عليّ عليه السلام: «إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مأزور»[١].

فاغتنم شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، واجعل الموت نصب عينك، واستعدّ له بصالح العمل، ودع الاشتغال بغيرك، فإنّ الموت يأتي إليك دونه.

وتأمّل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلّا ما سَعى * وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾[٢].

فقصّر أملك، وأصلح عملك، فإنّ السبب الأكثري الموجب للاهتمام بالأموال والأولاد طول الأمل.

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه: «إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحّتك لسقمك، فإنّك لا تدري ما اسمك غداً»[٣].

وقال عليّ عليه السلام: «إنّ أشدّ ما أخاف عليكم خصلتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل؛ فأمّا اتّباع الهوى فإنّه يعدل عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فإنّه يورث الحبّ للدنيا»[٤].

ثمّ قال[٥]: «ألا إنّ الله يعطي الدنيا لمن يحبّ ويبغض، وإذا أحبّ عبداً أعطاه الإيمان. ألا إنّ للدين أبناءً، وللدنيا أبناءً، فكونوا من أبناء الدين، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. ألا إنّ الدنيا قد ارتحلت مولّية. ألا إنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة. ألا وإنّكم في يوم عمل

١. نهج البلاغة، ص ٧١٧ ـ ٧١٨، الحكمة ٢٩١؛ الكافي، ج ٣، ص ٢٦١، باب النوادر، ح ٤٠؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧٠، باب ٨٠ من أبواب الدفن، ح ٥.

٢. النجم (٥٣): ٣٩ ـ ٤٠.

٣. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٧١؛ الأمالي، الطوسي، ج ١، ص ٥٢٦، المجلس ١٩، ح ١؛ مكارم الأخلاق، ص ٤٥٩؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٥٣.

٤. نهج البلاغة، ص ٨٠ ـ ٨١، الخطبة ٤٢؛ وأيضاً بهذه المضامين ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٧١؛ وإرشاد القلوب، ج ١، ص ٥٩.

٥. أي قال النبيّ صلى الله عليه وآله.

ليس فيه حساب. ألا وإنّكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل»[١].

واعلم أنّ محبوباً يفارقك، وتبقى على نفسك حسرته وألمه، وفي حال إيصاله كدّك وكدحك وجدّك واجتهادك، ومع ذلك لا يخلو زمانك معه من تنغيص[٢] به أو عليه؛ لأجل أن تتسلّى عنه، وتطلب لنفسك محبوباً غيره، وتجتهد في أن يكون موصوفاً بحسن الصحبة ودوام الملازمة، وزيادة الأُنس وتمام المنفعة.

فإن ظفرت به فذلك هو الذي ينبغي أن يكون بغيتك التي تحفظها، وتهتمّ بها وتنفق وقتك عليها، وهو غاية كلّ محبّة، ومنتهى كلّ مقصد، وما ذاك إلّا الاشتغال بالله، وصرف الهمّة إليه، وتفويض ما خرج عن ذلك إليه، فإنّ ذلك دليل على حبّ الله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾[٣]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ﴾[٤].

وقد جعل النبيّ ﷺ الحبّ لله من شرط الإيمان، فقال: «لا يؤمن أحدكم حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما»[٥].

ولا يتحقّق الحبّ في قلب أحدكم لأحد مع كراهية لفعله وسخطه به، بل مع عدم رضاه على وجه الحقيقة، لا على وجه التكلّف والتعنّت.

وفي أخبار داود ﷺ: «يا داود، أبلغ أهل أرضي: أنّي حبيب من أحبّني، وجليس من جالسني، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٧١؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٥٩. وبهذه المضامين ورد عن عليّ ﷺ في نهج البلاغة، ص ٨١، الخطبة ٤٢.

٢. التنغيص: التكدير، يقال نغّص عليه العيش تنغيصاً: كدّره. مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٨٦؛ المعجم الوسيط، ص ٩٣٦، «نغص».

٣. المائدة (٥): ٥٤.

٤. البقرة (٢): ١٦٥.

٥. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٢٩٤؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٣٩، ح ٤٠٣٣؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ١٣٧، ح ١٣١٨٠ بتفاوت يسير في الأخيرين.

اختارني، ومطيع لمن أطاعني، ما أحبّني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلّا قبلته لنفسي، وأحببته حبّاً لا يتقدّمه أحد من خلقي، من طلبني بالحقّ وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، وأنسوا بي أُؤانسكم، وأُسارع إلى محبّتكم»[1].

وأوحى الله تعالى إلى بعض الصدّيقين: «أنّ لي عباداً من عبادي، يحبّوني وأُحبّهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذتَ طريقتهم أحببتك، وإن عدلتَ عنهم مَقَتُّك.

فقال: يا ربّ وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي [الراعي] الشفيق غنمه، ويحنّون إلى غروب الشمس كا يحنّ الطير إلى أوكارها عند الغروب، فإذا جنّهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسِرّة، وخلا كلّ حبيب بحبيبه، نصبوا لي أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملّقوني بإنعامي، فبين صارخ وباكٍ، وبين متأوّه وشاكٍ، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحمّلون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبّي، أوّل ما أُعطيهم ثلاثاً:

الأوّل: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عنّي كما أُخبر عنهم.

والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالث: أُقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلتُ بوجهي عليه، أيعلم أحد ما أُريد أن أُعطيه؟»[2].

وهاهنا نقطع الكلام في المقدّمة، ونشرع في الأبواب.

---

١ و ٢. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٢٤.

الباب الأوّل

في بيان الأعواض الحاصلة من موت الأولاد وما يقرب من هذا المراد

اعلم أنّ الله سبحانه عدل حكيم، وأنّه غنيّ مطلق، لا يليق بكمال ذاته وجميل صفاته أن يُنزل بعبده المؤمن في دار الدنيا شيئاً من البلاء وإن قلّ، ثمّ لا يعوّضه عنه ما يزيد عليه؛ إذ لو لم يعطه شيئاً كان ظالماً، ولو عوّضه بقدره كان عابثاً، تعالى الله عنهما علوّاً كبيراً.

وقد تظافرت بذلك الأخبار النبويّة ومنها: «أنّ المؤمن لو يعلم ما أعدّ الله له على البلاء، لتمنّى أنّه في دار الدنيا قُرض بالمقاريض»[1].

ولنقتصر منها على ما يختصّ بما نحن فيه، فقد رواه عن النبيّ ﷺ أزيد من ثلاثين صحابيّاً.

وروى الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى عمرو بن عبسة السلمي، قال: سمعت

---

١. لم نعثر على من رواها عن النبيّ ﷺ، ولكن رواها الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن عن الصادق ؏، ح ١٥؛ وهكذا روي في تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٢٠٤؛ ووسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٣.

رسول الله ﷺ يقول: «أيّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، أو امرأة قدّمت ثلاثة أولاد، فهم حجاب يسترونه عن النار»[١].

وعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) قال: «ما من مسلمَين يقدّمان عليهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، إلّا أدخلهما الله الجنّة بفضل رحمته»[٢].

«الحنث» بكسر الحاء المهملة، وآخره ثاء مثلثة: الإثم والذنب[٣]. والمعنى: أنّهم لم يبلغوا السنّ الذي يكتب عليهمفيه الذنوب والآثام. قال الخليل: بلغ الغلام الحنث، أي جرى عليه القلم[٤].

وبإسناده إلى جابر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر ﷺ، قال: «من قدّم أولاداً يحتسبهم عند الله تعالى، حجبوه من النار بإذن الله عزّ وجلّ»[٥].

وبإسناده إلى عليّ بن ميسّر، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين يخلفونه من بعده، كلّهم قد ركب الخيل، وقاتل في سبيل الله»[٦].

وعنه ﷺ: «ثواب المؤمن من ولده [إذا مات][٧] الجنّة، صبر أو لم يصبر»[٨].

---

١. ثواب الأعمال، ص ٢٣٣، ح ٢، ثواب من قدّم أولاداً....

٢. ثواب الأعمال، ص ٢٣٣، ح ٣، ثواب من قدّم أولاداً...؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٤ ـ ٢٥، باب من يتوفّى له ثلاثة؛ شعب الإيمان، ج ٣، ص ٢١١، ح ٣٣٤٥؛ وج ٧، ص ١٣٣، ح ٩٧٤٨.

٣. المعجم الوسيط، ص ٢٠١، «حنث».

٤. العين، ج ٣، ص ٢٠٦، «حنث».

٥. الفقيه، ج ١، ص ١٨٨، ح ٥٧٤؛ ثواب الأعمال، ص ٢٣٣، ح ١، ثواب من قدّم أولاداً...؛ الأمالي، الصدوق، ص ٤٣٤، المجلس الثمانون، ح ٦؛ الكافي، ج ٣، ص ٢٢٠، باب المصيبة بالولد، ح ١٠؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٥، الباب ٧٢ من أبواب الدفن، ح ٨.

٦. الكافي، ج ٣، ص ٢١٨، باب المصيبة بالولد، ح ١؛ الفقيه، ج ١، ص ١٧٦، ح ٥١٩؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٣، الباب ٧٢ من أبواب الدفن، ح ١.

٧. ما بين المعقوفين أضفناه من المصادر.

٨. الكافي، ج ٣، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، باب المصيبة بالولد، ح ٨؛ الفقيه، ج ١، ص ١٧٦، ح ٥١٨؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الباب ٧٢ من أبواب الدفن، ح ٧.

وعنه ﷺ: «من أُصيب بمصيبةٍ جزع عليها أو لم يجزع، صبر عليها أو لم يصبر، كان ثوابه من الله الجنّة»[١].

وعنه ﷺ: «ولدٌ واحدٌ يقدّمه الرجلُ أفضلُ من سبعين ولداً يبقون بعده، يُدرِكون القائم ﷺ»[٢].

وروى الترمذي بإسناده إلى النبيّ ﷺ، أنّه قال: «ما يزال[٣] البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله، حتّى يلقى الله عزّ وجلّ وما عليه خطيئة»[٤].

وعن محمّد بن خالد السلمي، عن أبيه، عن جدّه ـ وكانت له صحبة ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة ولم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثمّ صبّره على ذلك، حتّى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عزّ وجلّ»[٥].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بخ بخ، خمس ما أثقلهنَّ في الميزان: لا إله إلّا الله، وسبحان الله، والحمد الله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفّى للمرء المسلم فيحتسبه»[٦].

«بخ بخ» كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء[٧]، وتكرّر للمبالغة، وربما شدّدت.

---

١. الفقيه، ج ١، ص ١٧٦، ح ٥١٧.
٢. ثواب الأعمال، ص ٢٣٣، ح ٤، ثواب من قدّم أولاداً ...؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٥، الباب ٧٢ من أبواب الدفن، ح ١٠.
٣. في جميع النسخ «ما نزل» بدل «ما يزال» وما أثبتناه من المصدر، وهو الموافق لغرض الشهيد.
٤. الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٦٠٢، ح ٢٣٩٩.
٥. سنن أبي داود، ج ٣، ص ١٨٣، ح ٣٠٩٠؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٢٨٣، ح ٢٥؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٤٧، ح ٦٦٩؛ المعجم الأوسط، ج ٢، ص ٥٢، ح ١٠٨٩.
٦. الخصال، ص ٢٦٧، باب الخمسة، ح ١؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٦، ح ٩٧٥٥؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ١٨٨، ح ٣١٢٩؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨٣.
٧. المعجم الوسيط، ص ٤٠، «بخ».

ومعناها: تفخيم الأمر وتعظيمه. ومعنى يحتسبه، أي يجعله حسبة وكفاية عند الله عزّ وجلّ، أي يحتسب بصبره على مصيبته بموته، ورضاه بالقضاء.

وعن عبدالرحمن بن سمرة، عن رسول اللهﷺ قال: «إنّي رأيت البارحة عجباً ـ فذكر حديثاً طويلاً، وفيه ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد خفّ ميزانه، فجاء أفراطه فثقّلوا ميزانه»[١].

«الفرط» ـ بفتح الفاء والراء ـ: هو الذي لم يدرك من الأولاد الذكور والإناث، وتتقدّم وفاته على أبويه أو أحدهما، يقال: فرط القوم، إذا تقدّمهم، وأصله الذي يتقدّم الركب إلى الماء، ليهيّئ لهم أسبابه[٢].

وعن سهل بن حنيف (رضي الله عنه)، قال، قال رسول اللهﷺ: «تزوّجوا فإنّي مكاثر بكم الأُمم يوم القيامة، حتّى أنّ السقط ليظلّ مُحْبَنْطِئاً على باب الجنّة فيقال له: ادخل، فيقول: [لا] حتّى يدخل أبواي»[٣].

«السقط» ـ مثلّث السين، والكسر أكثر ـ: هو الذي يسقط من بطن أُمّه قبل تمامه[٤]، و«محبنطئاً» ـ بالهمز وتركه ـ: هو المتغضّب المستبطئ للشيء[٥].

وعن معاوية بن حيدة القشيري، عن النبيّﷺ، قال: «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد، إنّي مكاثر بكم الأُمم، حتّى أنّ السقط ليظلّ محبنطئاً على باب الجنّة فيقال له: ادخل الجنّة، فيقول: أنا وأبواي؟ فيقال: أنت وأبواك»[٦].

---

١. الجامع الصغير، ج ١، ص ١٥٨، ح ٢٦٥٢؛ مجمع الزوائد، ج ٧، ص ١٧٩؛ المعجم الكبير، ج ٢٥، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢، ح ٣٩.

٢. لسان العرب، ج ٧، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، «فرط».

٣. الفقيه، ج ٣، ص ٣٨٣، ح ٤٣٤٧؛ معاني الأخبار، ص ٢٩١، ح ١؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٠ ـ ١١؛ مكارم الأخلاق، ح ١٩٦.

٤. المعجم الوسيط، ص ٤٣٥، «سقط».

٥. حكى هذا المعنى الصدوق عن أبي عبيدة في معاني الأخبار، ص ٢٩١.

٦. الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٩٠، ح ٤٧٢٤؛ مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٥٨، باب تزويج الولود؛ المعجم الكبير، ج ١٩، ص ٤١٦، ح ١٠٠٤؛ كنزالعمّال، ج ١٦، ص ٢٧٤، ح ٤٤٤٢٧.

وعن عبد الملك بن عمير، عمّن حدّثه، أنّ رجلاً أتى النبيّﷺ، فقال: يا رسول الله أتزوّج فلانة؟ فنهاه رسول اللهﷺ عنها، ثمّ أتاه ثانية فقال: يا رسول الله، أتزوّج فلانة؟ فنهاه عنها، ثمّ أتاه ثالثة فقال رسول اللهﷺ: «سوداء ولود أحبّ إليّ من عاقر حسناء»، ثمّ قالﷺ: «أما علمت أنّي مكاثر بكم الأُمم؟ حتّى أنّ السقط ليبقى مُحْبَنْطِئاً على باب الجنّة فيقال له: ادخل، فيقول: لا، حتّى يدخل أبواي، فيشفع فيهما فيدخلان الجنّة؟»[١].

وعن سهل بن الحنظليّة، وكان لا يولد له، وهو ممّن بايع تحت الشجرة، قال: لئن يولد لي في الإسلام ولد ويموت سقطاً فأحتسبه، أحبّ إليّ من أن تكون لي الدنيا جميعاً وما فيها[٢].

وعن عبادة بن الصامت، أنّ رسول اللهﷺ قال: «النُفَساء يجرّها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنّة»[٣].

«النُفَساء» ـ بضمّ النون وفتح الفاء ـ: المرأة إذا ولدت. و«السرر» ـ بكسر السين المهملة وفتحها ـ: ما تقطعه القابلة من سرّة المولود[٤]، التي هي موضع القطع، وما بقي بعد القطع فهو السرّة، وكأنّه يريد: الولد الذي لم تقطع سرّته.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال، قال رسول اللهﷺ: «من قدّم من صلبه ولداً لم يبلغ الحِنث، كان أفضل من أن يخلّف من بعده مائة، كلّهم يجاهدون في سبيل الله لا تسكن روعتهم إلى يوم القيامة».

وعن الحسن، قال، قال رسول اللهﷺ: «لئن أُقدّم سقطاً أحبّ إليّ من أن أُخلّف مائة

---

١. جامع المسانيد، ج ٢، ص ٩٩ ـ ١٠٠، وفيه صدر الحديث.

٢. أُسد الغابة، ج ٢، ص ٣٦٤ باختلاف في ألفاظه.

٣. مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢٩٩، باب فيما تحصل به الشهادة؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٩، ح ٩٧٦٤؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣، ح ١٥٥٦٨.

٤. المعجم الوسيط، ص ٤٢٧، «سرر».

فارس، كلّهم يقاتل في سبيل الله»[١].

وعن أيّوب بن موسى، أنّ النبيّ ﷺ قال للزبير: «يا زبير إنّك إن تقدّم سقطاً خير من أن تدع بعدك من ولدك مائة، كلّ منهم على فرس يجاهد في سبيل الله».

وعن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنّة، فيقولون: يا ربّ، حتّى يدخل آباؤنا وأُمّهاتنا، قال: فيأبون، فيقول الله عزّ وجلّ: ما لي أراهم محبنطئين، ادخلوا الجنّة، فيقولون: يا ربّ، آباؤنا، فيقول تعالى: ادخلوا الجنّة أنتم وآباؤكم»[٢].

وعن عبيد بن عمير الليثي، قال:

> إذا كان يوم القيامة، خرج ولدان المسلمين من الجنّة بأيديهم الشراب، قال: فيقول الناس لهم: اسقونا، اسقونا، فيقولون: أبوينا، أبوينا، قال: حتّى أنّ السقط محبنطئاً بباب الجنّة، فيقول: لا أدخل حتّى يدخل أبواي.

وعن أنس بن مالك، قال، قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المؤمنين: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثمّ ينادي فيهم: أن امضوا إلى الجنّة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا معنا؟ ثمّ ينادي فيهم ثانية: أن امضوا إلى الجنّة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا معنا؟ ثمّ ينادي فيهم ثالثة: أن امضوا إلى الجنّة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا؟ فيقول في الرابعة: ووالديكم معكم، فيثبّ كلّ طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلون بهم الجنّة، فهم أعرف بآبائهم وأُمّهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم».

«الزمر» الأفواج المتفرّقة بعضها في أثَر بعض، وقيل[٣] في الزمر الذين اتّقوا[٤]: من

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٨٧؛ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٤٨٩.

٢. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١١؛ مسند أحمد، ج ٥، ص ٧٦، ح ١٦٥٢٣.

٣. انظر تفسير البيضاوي، ج ٤، ص ٤٦.

٤. الزمر (٣٩): ٧٣: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾.

الطبقات المختلفة، أي الشهداء، والزهّاد، والعلماء، والفقراء، والقرّاء، والمحدّثون وغيرهم.

وعن أنس بن مالك: إنّ رجلاً كان يجيء بصبيّ معه إلى رسول اللهﷺ، وأنّه مات، فاحتبس والده عن رسول اللهﷺ، فسأل عنه، فقالوا: مات صبيّه الذي رأيته معه، فقالﷺ: هلّا آذنتموني؟ فقوموا إلى أخينا نعزّيه، فلمّا دخل عليه إذن الرجل حزين وبه كآبة فعزّاه، فقال: يا رسول الله، كنت أرجوه لكبر سنّي وضعفي، فقال رسول اللهﷺ: «أما يسرّك أن يكون يوم القيامة بإزائك؟ فيقال له: ادخل الجنّة، فيقول: يا ربّ وأبواي، فلا يزال يشفع حتّى يشفّعه الله عزّ وجلّ فيكم، ويدخلكم الجنّة جميعاً»[١].

«احتبس» أي تخلّف عن المجيء إلى النبيّﷺ. و«آذنتموني» ـ بالمدّ ـ : أي أخبرتموني. و«الكآبة» ـ بالمدّ ـ : تغيّر النفس بالانكسار من شدّة الهمّ والحزن. و«الضعف» بضمّ المعجمة وفتحها. و«بإزائك» أي بحذائك.

وعن أنس أيضاً قال: توفّي لعثمان بن مظعونﷺ ولد، فاشتدّ حزنه عليه، حتّى اتّخذ في داره مسجداً يتعبّد فيه، فبلغ ذلك إلى النبيّﷺ، فقال: «يا عثمان، إنّ الله عزّ وجلّ لم يكتب علينا الرهبانيّة، إنّما رهبانيّة أُمّتي الجهاد في سبيل الله. يا عثمان بن مظعون، إنّ للجنّة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، أفلا يسرّك ألّا تأتي باباً منها إلّا وجدت ابنك بجنبه آخذاً بحجزتك، ليشفع لك إلى ربّه عزّ وجلّ؟» قال: فقيل: يا رسول الله ولنا في أفراطنا ما لعثمان؟ قال: «نعم، لمن صبر منكم واحتسب»[٢].

و«الحجزة» ـ بضم الحاء المهملة والزاء ـ : موضع شدّ الإزار[٣]، ثمّ قيل للإزار: حجزة.

---

١. تسلية أهل المصائب، ص ١٢٤.

٢. الأمالي، الصدوق، ص ٦٣، المجلس السادس عشر، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٦، باب ٧٢ من أبواب الدفن، ح ١١؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٧، ح ٩٧٦١؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨٣.

٣. المعجم الوسيط، ص ١٥٨، «حجز».

وعن قرّة بن إياس: أنّ النبيّ ﷺ كان يختلف إليه رجل من الأنصار مع ابن له، فقال له النبيّ ﷺ ذات يوم: «يا فلان، تحبّه؟» قال: نعم يا رسول الله، أُحبّكَ كما أُحبّه، فـفقده النبيّ ﷺ، فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله، مات ابنه، فلمّا رآه قال ﷺ: «أما ترضى أن لا تأتي يوم القيامة باباً من أبواب الجنّة، إلّا جاء يسعى حتّى يفتحه لك؟» فقال رجل: يا رسول الله، أَلَهُ وحده أم لِكُلّنا؟ قال: «بل لِكُلِّكُمْ»[١].

وروى البيهقي أنّ النبيّ ﷺ كان إذا جلس تحلّق إليه نفر من أصحابه، وكان فـيهم رجل له بُنَيّ صغير، يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه إلى أن هلك ذلك الصبيّ، فامتنع الرجل من تلك الحلقة أن يحضرها؛ تذكّراً له وحزناً عليه، قال: ففقده النبيّ ﷺ، فقال: «مالي لا أرى فلاناً؟» قالوا: يا رسول الله بنيّه الذي رأيته هلك،، فمنعه الحزن ـ أسفاً عليه وتذكّراً له ـ أن يحضر الحلقة، فلقيه النبيّ ﷺ، فسأله عن ابنه، فأخبره بهلاكه فعزّاه، وقال: «يا فلان، أيّما كان أحبّ إليك: أن تمتّع به عمرك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلّا وجدته قد سبقك إليه، يفتحه لك؟» قال: يا نبيّ الله، لا، بل يسبقني إلى باب الجنّة أحبّ إليّ، قال: «فذاك لك». فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبيّ الله، أهذا لهذا خاصّة؟ أم من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك؟ قال: «بل من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك»[٢].

«الحلقة» ـ بإسكان اللام بعد فتح الحاء ـ: كلّ شيء مستدير خالي الوسط، والجمع «حلق» بفتحتين، وحكى فتحه في الموجز[٣] وهو نادر.

وعن زرارة بن أوفى أنّ رسول الله ﷺ عزّى رجلاً على ابنه، فقال: «آجـرك اللـه،

---

١. مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٥٨، ح ١٥١٦٨؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٣، باب الإشعار؛ المستدرك، الحاكم، ج ١، ص ٣٨٤؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨٢؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٥، ح ٧٩٧٥٣.

٢. السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ٩٨ ـ ٩٩، ح ٧٠٨٩؛ وروي في سنن النسائي، ج ٤، ص ١١٨، باب في التعزية باختلاف يسير.

٣. لسان العرب، ج ١٠، ص ٦١؛ تاج العروس، ج ٢٥، ص ١٨٥، «حلق».

وأعظم لك الأجر» فقال الرجل: يا رسول الله، أنا شيخ كبير، وكان ابني قد أجزأ عنّي، فقال له النبيّﷺ: «أيسرّك أن يشير لك أو يتلقّاك من أبواب الجنّة بالكأس؟» قال: من لي بذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله لك به، ولكلّ مسلم مات ولده في الإسلام».

«أجزأ» بمعنى كفى. و«الكأس» ـ بالهمز، وقد يترك تخفيفاً ـ هو الإناء فيه شراب، ولا يسمّى بذلك إلّا بانضمامه إليه، وقيل: هو اسم لهما على الاجتماع والانفراد، والجمع «أكؤس»، ثمّ «كؤوس»[١].

وعن عبد الله بن قيس، عن رسول اللهﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك، واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة، وسمّوه بيت الحمد»[٢].

وروي أنّ امرأة أتت النبيّﷺ، ومعها ابن لها مريض، فقالت: يا رسول الله، ادع الله تعالى أن يشفي لي ابني هذا، فقال لها رسول اللهﷺ: «هل لك فرط؟» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «في الجاهليّة أم في الإسلام؟» قالت: بل في الإسلام، فقال رسول اللهﷺ: «جُنَّةٌ حصينة، جُنَّةٌ حصينة»[٣].

«الجُنّة» ـ بضمّ الجيم ـ: الوقاية، أي وقاية لك من النار، أو من جميع الأهوال.

و«حصينة» فعيل بمعنى فاعل، أي محصنة لصاحبها، وساترة له من أن يصل إليه شرّ.

وعن جابر بن سمرة، قال، قال رسول اللهﷺ: «من دفن ثلاثة أولاد، وصبر عليهم، واحتسب وجبت له الجنّة»، فقالت أُمّ أيمن: واثنين؟ فقال: «من دفن اثنين، وصبر

---

١. انظر تاج العروس، ج ١٦، ص ٤٢٣؛ والمعجم الوسيط، ص ٧٧١، «كأس».

٢. الكافي، ج ٣، ص ٢١٨، باب المصيبة بالولد، ح ٤؛ الفقيه، ج ١، ص ١٧٧، ح ٥٢٣؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٦، الباب ٧٣ من أبواب الدفن، ح ١؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٩، ح ٨٥٤؛ مسند أحمد، ج ٥، ص ٥٦٩، ح ١٩٢٢٦؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٧٩.

٣. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٠.

عليهما، واحتسبهما وجبت له الجنّة». فقالت أُمّ أيمن: وواحد، فسكت، وأمسك، فقال: «يا أُمّ أيمن، من دفن واحداً، وصبر عليه، واحتسبه وجبت له الجنّة»[١].

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، قال، قال رسول اللهﷺ: «من قدّم ثلاثة لم يبلغوا الحِنث، كانوا له حصناً حصيناً. فقال أبو ذرّ: قدّمت اثنين، فقالﷺ واثنين، ثمّ قال أُبيّ بن كعب: قدّمت واحداً، فقالﷺ: وواحداً، ولكن إنّما ذاك عند الصدمة الأُولى»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري: أنّ النساء قلن للنبيّﷺ: اجعل لنا يوماً تعظنا فيه، فوعظهنّ، وقال: «أيّما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجاباً من النار» قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان»[٣].

وعن بريدة، قال: كان رسول اللهﷺ يتعاهد الأنصار، ويعودهم، ويسأل عنهم، فبلغه أنّ امرأة مات ابن لها، فجزعت عليه، فأتاها فأمرها بتقوى الله عزّ وجلّ، والصبر، فقالت: يا رسول الله، إنّي امرأة رقوب لا ألد، ولم يكن لي ولد غيره، فقال رسول اللهﷺ: «الرقوب التي يبقى لها ولدها»، ثمّ قال: «ما من امرئ مسلم، أو امرأة مسلمة يموت لهما ثلاثة من الولد، إلّا أدخلهما الله الجنّة»، فقيل له واثنان؟ فقال: «واثنان»[٤].

وفي حديث آخر أنّهﷺ قال لها: «أما تحبّين أن ترينه على باب الجنّة وهو يدعوك إلينا؟ قالت: بلى، قال: فإنّه كذلك»[٥].

---

١. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٠؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨٣.

٢. الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٣٧٥، ح ١٠٦١؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥١٢، ح ١٦٠٦؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨١.

٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٠، ح ١٠١؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص٢٠٢٨ ـ ٢٠٢٩، ح ٢٦٣٣/١٥٢؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٢١، ح ١٠٩٠٣؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٧٦ ـ ٧٧، ح ٦.

٤. المستدرك، الحاكم، ج ١، ص ٣٨٤؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٨؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨٢.

٥. شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٦، ح ٩٧٥٧.

«الرقوب» ـ بفتح الراء ـ : هي التي لا يولد لها، أو لا يعيش ولدها[١]، هذا بحسب اللغة، وقد خصّه النبيّ ﷺ بما ذكر.

وعن أبي النضر السلمي أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم، إلّا كانوا له حصناً من النار»، فقالت امرأة: واثنان؟ فقال: «واثنان»[٢].

وعنه ﷺ: «من قدّم من ولده ثلاثاً صابراً محتسباً، كان محجوباً من النار بإذن الله عزّ وجلّ»[٣].

وفي لفظ آخر: «من قدّم شيئاً من ولده صابراً محتسباً، حجبوه بإذن الله من النار»[٤].

وعن أُمّ مبشّر الأنصاريّة، عن رسول الله ﷺ، أنّه دخل عليها وهي تطبخ حبّاً، فقال: «من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحِنث، كانوا له حجاباً من النار»، فقالت: يا رسول الله، واثنان؟ فقال لها: «واثنان، يا أُمّ مبشّر»[٥].

وفي لفظ آخر: فقالت: أو فرطان؟ قال: «أو فرطان»[٦].

وعن قبيصة بن برمة، قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً، إذ أتته امرأة، فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي، فإنّه ليس يعيش لي ولد، قال: «وكم مات لك؟» قالت: ثلاثة، قال: «لقد احتظرت من النار بحظار شديد»[٧].

---

١. المعجم الوسيط، ص ٣٦٤، «رقب».

٢. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٨٧؛ موطّأ مالك، ج ١، ص ٢٣٥، ح ٣٩؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨٢؛ التمهيد، ج ٦، ص ٣٦٢.

٣. مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٨٨، ح ١٠٧٢٢.

٤. جامع الأحاديث، ج ٧، ص ٣٢٦، ح ٢٢٧٣٤؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٩؛ المعجم الأوسط، ج ١، ص ٣٩٢، ح ٦٨٨.

٥. الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٧٦ ـ ٧٧، ح ٦ عن امرأة.

٦. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٩.

٧. صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٣٠، ح ٢٦٣٦/١٥؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ١٤٨، ح ٩١٥٠؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٦.

«الحظار» ـ بكسر الحاء المهملة والظاء المشالة ـ: الحظيرة تعمل للإبل من شجر ليقيها البرد والريح[١]، ومنه المحظور للمحرم، أي الممنوع من الدخول فيه، كأنّ عليه حظيرة تمنع من دخوله.

وعن أُبيّ بن كعب أنّ النبيّ ﷺ قال لامرأة: «هل لك فرط؟» قالت: ثلاثة، قال ﷺ: «جُنَّة حصينة»[٢].

وعنه ﷺ: «ما من مسلمين يقدّمان ثلاثة لم يبلغوا الحِنث، إلّا أدخلهما الله الجنّة بفضل رحمته»، قالوا: يا رسول الله، وذو الاثنين؟ قال: «وذو الاثنين، إنّ من أُمّتي مَن يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من مضرّ، وإنّ من أُمّتي من يستعظم للنار حتّى يكون إحدى زواياها»[٣].

رواه جماعة من أهل الحديث وصحّحوه.

وعنه ﷺ قال: «قال الله تعالى: حقّت محبّتي للذين يتصادقون من أجلي، وحقّت محبّتي للّذين يتناصرون من أجلي».

ثمّ قال ﷺ: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يقدّم الله تعالى له ثلاثة أولاد من صلبه لم يبلغوا الحِنث، إلّا أدخله الله الجنّة بفضل رحمته إيّاهم»[٤].

وعنه ﷺ: «من دفن ثلاثة من الولد حرّم الله عليه النار»[٥].

وعن صعصعة بن معاوية، قال: لقيت أبا ذرّ الغفاري (رضي الله عنه) بالربذة، وهو يسوق بعيراً له عليه مزادتان، وفي عنق البعير قربة، فقلت: يا أبا ذرّ، مالك؟ قال: عملي.

---

١. المعجم الوسيط، ص ١٨٣، «حظر».
٢. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٦، ح ١٠؛ المصنّف، ابن أبي شيبة، ج ٣، ص ٢٣٤، ح ١٤.
٣. الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٧٨، ح ١٢؛ مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٤٤، ح ١٧٤٠٣؛ المستدرك، الحاكم، ج ١، ص ٧١.
٤. المعجم الأوسط، ج ١٠، ص ٣١ ـ ٣٢، ح ٩٠٧٦؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٦.
٥. الجامع الصغير، ص ٥٢٥، ح ٨٦٦٩؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٧.

قلت: حدّثني رحمك الله. قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحِنث، إلّا غفر الله لهما بفضل رحمته إيّاهم»[١].

قال، قلت: فحدّثني، قال: نعم، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «ما من عبد مسلم ينفق من كلّ ماله زوجين في سبيل الله، إلّا استقبلته حجبة الجنّة كلّهم يدعوه إلى ما عنده»، فقلت: كيف ذلك؟ قال: «إن كان رحالاً فَرَحْلَين، وإن كان بعيراً فبعيرين، وإن كان بقراً فبقرتين»، حتّى عدّ أصناف المال[٢].

ذكره جماعة.

وعن أنس بن مالك، قال: وقف رسول اللهﷺ على مجلس من بني سلمة، فقال: «يا بني سلمة، ما الرقوب فيكم»؟ قالوا: الذي لا يولد له، قال: «بل هو الذي لا فرط له»، قال: «ما المعدم فيكم؟» قالوا: الذي لا مال له، قال: «بل هو الذي يقدم وليس له عند الله خير»[٣].

وعن ابن مسعود، قال: دخل رسول اللهﷺ على امرأة يعزّيها بابنها، فقال: «بلغني أنّك جزعت جزعاً شديداً»، قالت: وما يمنعني يا رسول الله وقد تركني عجوزاً رقوباً؟ فقال لها رسول اللهﷺ: «لست بالرقوب، إنّما الرقوب التي تتوفّى وليس لها فرط، ولا يستطيع الناس أن يعودوا عليها من أفراطهم؛ فتلك الرقوب».

وهذه الأحاديث كلّها مستخرجة من أُصول مسندة، تركنا إسنادها وأُصولها اختصاراً، ولأنّ الله سبحانه بفضله ورحمته قد وعد الثواب لمن عمل بما بلغه، وإن لم يكن الأمر كما بلغه. ورد ذلك أيضاً في عدّة أحاديث من طرقنا[٤] وطرق العامّة[٥].

---

١. سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٤.

٢. سنن النسائي، ج ٦، ص ٤٨ ـ ٤٩؛ المستدرك، الحاكم، ج ٢، ص ٨٦؛ الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٣٩.

٣. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١١؛ جامع الأحاديث، ج ٩، ص ١٥٢، ح ٢٧٧١٠.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٨٧، باب من بلغه ثواب من الله على عمل، ح ١ ـ ٢؛ عدّة الداعي، ص ٩؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٨٠ ـ ٨٢؛ الباب ١٨ من أبواب مقدّمة العبادات.

٥. كنز العمّال، ج ١٥، ص ٧٩١، ح ٤٣١٣٢ ـ ٤٣١٣٣.

فصل فيما يتعلّق بهذا الباب

عن زيد بن أسلم، قال: مات لداود ﷺ ولد، فحزن عليه حزناً كثيراً، فأوحى الله إليه: «يا داود، ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: يا ربّ، كان يعدل هذا عندي ملءَ الأرض ذهباً، قال: فلك عندي يوم القيامة ملءُ الأرض ثواباً»[١].

وعن داود بن أبي هند، قال:

رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّ الناس يدعون إلى الحساب، قال: فقرّبت إلى الميزان، ووضعت حسناتي في كفّة، وسيّئاتي في كفّة؛ فرجّحت السيّئات على الحسنات، فبينما أنا كذلك مغموم إذ أُتيت بمنديل أبيض، أو خرقة بيضاء فوضعت مع حسناتي فرجحت، فقيل لي أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قيل: هذا سقط كان لك، قلت: فإنّه كانت لي ابنة، فقيل: بنتك ليست كذلك؛ لأنّك كنت تتمنّى موتها.

وعن أبي شوذب:

أنّ رجلاً كان له ابن لم يبلغ الحلم، فأرسل إلى قومه فقال: إنّ لي إليكم حاجة، قالوا: ما هي؟ قال: إنّي أُريد أن أدعو على ابني هذا أن يقبضه الله تعالى، وتؤمّنون على دعائي، قال: فسألوه عن سبب ذلك، فأخبرهم أنّه رأى في نومه كأنّ الناس قد جمعوا ليوم القيامة، وأصابهم عطش شديد، فإذن الولدان قد خرجوا من الجنّة معهم الأباريق، وفيهم ابن أخ له، فالتمس منه أن يسقيه فأبى، وقال: يا عمّ، إنّا لا نسقي إلّا الآباء، فأحببت أن يجعل الله ولدي هذا فرطاً لي، فدعا فأمّنوا، فلم يلبث الصبيّ حتّى مات.

أخرجه البيهقي في الشعب[٢].

١. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٨٧؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٩، ح ٩٧٦٥؛ الدرّ المنثور، ج ٧، ص ١٧٠.

٢. شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٣٩ ـ ١٤٠، ح ٩٧٦٦.

وعن محمّد بن خلف، قال:

كان لإبراهيم الحربي ابن له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقّنه أبوه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً فمات، فأتيته لأعزّيه، فقال لي: كنت أشتهي موته، فقلت له: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبيّ قد أنجب، وحفظ القرآن، ولقّنته الحديث والفقه؟! قال: نعم، رأيت في النوم كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّ صبياناً بأيديهم قلال[١] وفيها ماء، يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حارّاً شديد الحرّ، فقلت لأحدهم: إسقني من هذا الماء. فنظر إليّ، وقال: لست أنت أبي، قلت: فأيّ شيء أنتم؟ قالوا: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلّفنا آباءنا فنستقبلهم ونسقيهم الماء؛ فلهذا تمنّيت موته[٢].

وروى الغزالي في الإحياء:

أنّ بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج برهة من دهره فيأبى، قال: فانتبه من نومه ذات يوم، وقال: زوّجوني، فزوّجوه، فسئل عن ذلك، فقال: لعلّ الله تعالى أن يرزقني ولداً ويقبضه، فيكون لي مقدّمة في الآخرة، ثمّ قال: رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّي في جملة الخلائق في الموقف، وبي من العطش ما كاد أن يقطع قلبي، وكذا الخلائق من شدّة العطش والكرب، فبينما نحن كذلك وإذن ولدان يتخلّلون الجمع، عليهم قناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضّة، وأكواب من ذهب، يسقون الواحد بعد الواحد، يتخلّلون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس، فمددت يدي إلى أحدهم، فقلت: اسقني، فقد أجهدني العطش، فقال: مالك فينا ولد، إنّما نسقي آباءنا، فقلت: ومن أنتم؟ قالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين[٣].

---

١. القلال: جمع القُلّة، وهي الحبُّ العظيم. لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦٥، «قلل».

٢. تسلية أهل المصائب، ص ٣٢.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٢٧.

وحكى الشيخ أبو عبد الله بن النعمان في كتاب مصباح الظلام عن بعض الثقات:

أنّ رجلاً أوصى بعض أصحابه ممّن أراد أن يحجّ أن يقرأ سلامه رسول اللهﷺ، ويدفن رقعة مختومة أعطاها له عند رأسه الشريف، ففعل ذلك، فلمّا رجع من حجّه أكرمه الرجل، وقال له: جزاك الله خيراً، لقد بلّغت الرسالة. فتعجّب المبلّغ من ذلك، وقال: من أين علمت بتبليغها قبل أن أُحدّثك؟ فأنشأ يحدّثه قال: كان لي أخ مات، وترك ابناً صغيراً، فربّيته وأحسنت تربيته، ثمّ مات قبل أن يبلغ الحلم، فلمّا كان ذات ليلة، رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، والحشر قد وقع، والناس قد اشتدّ بهم العطش من شدّة الجهد، وبيد ابن أخي ماء، فالتمست أن يسقيني، فأبى، وقال: أبي أحقّ به منك، فعظم عليّ ذلك، فانتبهت فزعاً، فلمّا أصبحت تصدّقت بجملة دنانير، وسألت الله أن يرزقني ولداً ذكراً؛ فرزقنيه، واتّفق سفرك، فكتبت لك تلك الرقعة، ومضمونها التوسّل بالنبيّﷺ إلى الله عزّ وجلّ في قبوله منّي، رجاء أن أجده يوم الفزع الأكبر، فلم يلبث أن حُمَّ ومات، وكان ذلك يوم وصولك، فعلمت أنّك بلّغت الرسالة.

وفي كتاب النوم والرؤيا لأبي الصقر المَوصلي، حدّثني عليّ بن الحسين بن جعفر، حدّثني أبي، حدّثني بعض أصحابنا ممّن أثق بدينه وفهمه، قال:

أتيت المدينة ليلاً فنمت في بقيع الغرقد[1] بين أربعة قبور عندها قبر محفور، فرأيت في منامي أربعة أطفال، قد خرجوا من تلك القبور، وهم يقولون:

أنعم الله بالحبيبة عيناً ... وبمسراك يا أُميمَ إلينا

عجباً ما عجبت من ضغطة ... القبر ومغداك يا أُميم إلينا

١. بقيع الغرقد ـ بالغين المعجمة ـ: هو مقبرة أهل المدينة. معجم البلدان، ج ١، ص ٥٦٠، الرقم ٢٠٥٢.

فقلت: إنّ لهذه الأبيات لشأناً، وأقمت حتّى طلعت الشمس، وإذن جنازة قد أقبلت فقلت: من هذه؟ فقالوا: امرأة من أهل المدينة، فقلت: اسمها أُميمة؟ قالوا: نعم، قلت: قدّمت فرطاً؟ قالوا: أربعة أولاد، فأخبرتهم بالخبر، فأخذوا يتعجّبون من هذا.

وما أحسن ما أنشد بعض الأفاضل، يقول شعراً:

عطيّته إذا أعطى سروراً		وإن سلب الذي أعطى أثابا
فأيّ النعمتين أعدّ فضلاً		وأحمد عند عقباها إيابا
أنعمته التي كانت سروراً		أم الأُخرى التي جلبت ثوابا

الباب الثاني

في الصبر وما يلحق به

الصبر فياللغة: حبس النفس من الفزع من المكروه والجزع عنه[1]، وإنّما يكون ذلك بمنع باطنه من الاضطراب، وأعضائه من الحركات غير المعتادة، وهو ثلاثة أنواع:

الأوّل: صبر العوامّ، وهو حبس النفس على وجه التجلّد، وإظهار الثبات في النائبات؛ ليكون حاله عند العقلاء وعامّة الناس مرضيّة **﴿يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحياة الدُّنيا، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ﴾**[2].

الثاني: صبر الزهّاد، والعبّاد، وأهل التقوى، وأرباب الحلم؛ لتوقّع ثواب الآخرة **﴿إنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾**[3].

الثالث: صبر العارفين، فإنّ لبعضهم التذاذاً بالمكروه؛ لتصوّرهم أنّ معبودهم خصّهم به من دون الناس، وصاروا ملحوظين بشريف نظره **﴿وَبَشِّرِ الصّابِرينَ الَّذينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ، قالُوا إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ**

---

١. الصحاح، ج ٢، ص ٧٠٦، «صبر».

٢. الروم (٣٠): ٧.

٣. الزمر (٣٩): ١٠.

رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١].

وهذا النوع يختصّ باسم الرضى، وسيأتي في باب خاصّ.

والأوّل لا ثواب عليه؛ لأنّه لم يفعله للّه، وإنّما فعله لأجل الناس، بل هوفي الحقيقة رياء محض، فكلّما ورد في الرياءآتٍ فيه، ولكنّ الجزع شرّ منه؛ لأنّ النفوس البشريّة تميل إلى التخلّق بأخلاق النظراء والمعاشرين والخلطاء، فيفشو الجزع فيهم. وإذا رأوا أحوال الصابرين مالت نفوسهم إلى التخلّق بأخلاقهم، فربما صار ذلك سبباً لكمالهم، فتحصل منه فائدة في نظام النوع وإن لم تعد على هذا الصابر.

والصبر عند الإطلاق يحمل على القسم الثاني.

واعلم أنّ الله سبحانه قد وصف الصابرين بأوصاف، وذكر الصابرين في القرآن في نيّف وسبعين موضعاً، وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر، وجعلها ثـمرة له، فقال عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا﴾[٢].

وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وقال: ﴿أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾[٥].

وقال: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٦].

فما من قربة إلّا وأجرها بتقدير وحساب إلّا الصبر؛ ولأجل كون الصوم من الصبر[٧]،

١. البقرة (٢): ١٥٥ ـ ١٥٧.

٢. السجدة (٣٢): ٢٤.

٣. الأعراف (٧): ١٣٧.

٤. النحل (١٦): ٩٦.

٥. القصص (٢٨): ٥٤.

٦. الزمر (٣٩): ١٠.

٧. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٤٣، ح ٤٠ ـ ٤١؛ معاني الأخبار، ص ٤٠٩، باب نوادر المعاني، ح ٩١.

وأنّه نصف الصبر[١]، كان لا يتولّى أجره إلّا الله تبارك وتعالى، كما ورد في الأثر. قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»[٢]. فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات.

ووعد الصابرين بأنّه معهم، فقال: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣]. وعلّق النصرة على الصبر، فقال: ﴿بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٤].

وجمع للصابرين بين أُمور لم يجمعها لغيرهم، فقال: ﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[٥]. فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين.

واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول.

وأمّا الأخبار فقد قال النبيّ ﷺ: «الصبر نصف الإيمان»[٦].

وقال ﷺ: «من أقلّ ما أُوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أُعطي حظّه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه، أحبّ إليّ من أن يوافيني كلّ امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكنّي أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً، وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر

---

١. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٥٥، ح ١٧٤٥؛ الجامع الصغير، ص ٣٢٠، ح ٥٢٠٠.

٢. الخصال، ص ٤٥، باب الاثنين، ح ٤٢؛ معاني الأخبار، ص ٤٠٩، باب نوادر المعاني، ح ٩١؛ موطأ مالك، ج ١، ص ٣١٠، ح ٥٨؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٢٥٦، ح ٣٨٢٣؛ صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦٧٠، ح ١٧٩٥؛ ج ٥، ص ٢٢١٥، ح ٥٥٨٣؛ ج ٦، ص ٢٧٢٣، ح ٧٠٥٤، وص ٢٧٤١، ح ٧١٠٠.

٣. الأنفال (٨): ٤٦.

٤. آل عمران (٣): ١٢٥.

٥. البقرة (٢): ١٥٧.

٦. تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٤٠؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٥٢؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٦٠؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٢٣، ح ٩٧١٦؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٢٧٧، ح ٥؛ المستدرك، الحاكم، ج ٢، ص ٤٤٦؛ الجامع الصغير، ص ٣١٦، ح ٥١٣٠.

بكمال ثوابه، ثمّ قرأ ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللّهِ باقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَرُوا﴾الآية»[١].

وروى جابر أنّهﷺ سئل عن الايمان، فقال: «الصبر كنز من كنوز الجنّة»[٢]، وسئل مرّة ما الايمان؟ فقال: «الصبر»[٣]. وهذا نظير قوله ﷺ: «الحجّ عرفة»[٤].

وقالﷺ: «أفضل الأعمال ما أُكرهت عليه النفوس»[٥].

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود ﷺ: «تخلّق بأخلاقي، وإنّ من أخلاقي الصبر»[٦].

وعن ابن عبّاس (رضي الله عنه) لمّا دخل رسول اللهﷺ على الأنصار، فقال: «أمؤمنون أنتم؟» فسكتوا، فقال رجل: نعم يا رسول الله، فقال: «وما علامة إيمانكم؟» قالوا: نشكر على الرخاء، ونصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء، فقال: «مؤمنون وربّ الكعبة»[٧].

وقالﷺ: «في الصبر على ما يكره خير كثير»[٨].

وقال المسيح ﷺ: «إنّكم لا تدركون ما تحبّون، إلّا بصبركم على ما تكرهون»[٩].

وقالﷺ: «لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً»[١٠].

وقال عليّ ﷺ: «بني الايمان على أربع دعائم: اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل»[١١].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١؛ والآية في النحل (١٦): ٩٦.
٢. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١.
٣. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٦٠؛ مجمع الزوائد، ج ١، ص ٥٩.
٤. سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٠٠٣، ح ٣٠١٥؛ سنن الدارمي، ج ٢، ص ٥٩؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٢٣٧، ح ٨٨٩؛ سنن النسائي، ج ٥، ص ٢٥٦، ٢٦٤؛ مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢، ح ١٨٢٩٦ ـ ١٨٢٩٨.
٥. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١؛ الجواهر السنيّة، ص ٧٨.
٦. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٥١ بتفاوت يسير.
٧. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١ ـ ٦٢، ح ٣٤٤؛ المعجم الأوسط، ج ١٠، ص ١٩٤، ح ٩٤٢٣؛ مجمع الزوائد، ج ١، ص ٥٤.
٨ و٩. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦٢.
١٠. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦٢؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٤٠؛ الجامع الصغير، ص ٤٥٧، ح ٧٤٦١.
١١. نهج البلاغة، ص ٦٥٥، الحكمة ٣١.

وقال أيضاً: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له»[١].

وقال عليّ عليه السلام: «عليكم بالصبر، فإنّه به يأخذ الحازم، وإليه يعود الجازع»[٢].

وقال عليّ عليه السلام: «إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»[٣].

وعن الحسن بن عليّ عليهما السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّ في الجنّة شجرة يقال لها: شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا يرفع لهم ديوان، ولا ينصب لهم ميزان، يصبّ عليهم الأجر صبّاً»، وقرأ عليه السلام: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٤].

وعنه عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما من جرعة أحبّ إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل، أو جرعة صبر على مصيبة، وما من قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله، أو قطرة دم أُهرقت في سبيل الله»[٥].

وعنه عليه السلام: «المصائب مفاتيح الأجر»[٦].

وعن زين العابدين عليه السلام: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ينادي مناد: أين الصابرون ليدخلوا الجنّة بغير حساب؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقّاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين، يا بني آدم؟! فيقولون: إلى الجنّة، فيقولون: وقبل الحساب؟! فقالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصابرون. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله،

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصبر، ح ٤ ـ ٥؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٥٠؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٨، الباب ٧٦ من أبواب الدفن، ح ١٣؛ نهج البلاغة، ص ٦٦٧؛ الحكمة ٨٢؛ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦٢.

٢. التعازي والمراثي، المبرّد، ج ٩؛ شرح غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٢، ص ٢٢، ح ٦٣، بتفاوت يسير.

٣. شرح غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١، ص ٢٤٩، ح ٥ ـ ٦؛ نهج البلاغة، ص ٧١٨، الحكمة ٢٩١.

٤. الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٢١٥؛ المعجم الكبير، ج ٣ ص ٩٢ ـ ٩٣، ح ٢٧٦٠، والآية في الزمر (٣٩): ١٠.

٥. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٢٠.

٦. أعلام الدين، الديلمي، ص ٢٩٧.

وصبرنا عن معصية الله، حتّى توفّانا الله عزّ وجلّ، قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنّة فنعم أجر العاملين»[١].

وعن أنس، قال، قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: إذا وجّهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده، ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً، أو أنشر له ديواناً»[٢].

وعن ابن مسعود، عنه ﷺ قال: «ثلاث من رزقهنّ فقد رزق خير الدارين: الرضى بالقضاء، والصبر على البلاء، والدعاء في الرخاء»[٣].

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فقال: «يا غلام ـ أو يا غليم ـ ألا أُعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ؟ فقلت: بلى، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً»[٤].

وعنه ﷺ: «يؤتى الرجل في قبره بالعذاب، فإذا أُتي من قبل رأسه دفعه تلاوة القرآن، وإذا أُتي من قبل يديه دفعه الصدقة، وإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المسجد، والصبر حجزه، يقول: أما لو رأيت خللاً لكنت صاحبه»[٥].

وفي لفظ آخر: «إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن شماله، والبرّ يظلّ عليه، والصبر بناحية يقول: دونكم صاحبي، فإنّي من ورائه، يعني: إن

---

١. تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٨٠؛ الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ١٠٢ ـ ١٠٣، المجلس الرابع، ح ١٢/١٥٨ بتفاوت.

٢. الجامع الصغير، ص ٣٧٦ ح ٦٠٤٣.

٣. الدعوات، الراوندي، ص ١٢١، ح ٢٨٩.

٤. الفقيه، ج ٤، ص ٢٩٦، ح ٨٩٦؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٥٩.

٥. المعجم الأوسط، ج ١٠، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠، ح ٩٤٣٤؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٧٣، ح ٢٠.

استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب، وإلّا فأنا أكفيكم ذلك، وأدفع عنه العذاب»[١].

وعنه ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»[٢].

وعنه ﷺ: «ألا أعجبكم؟! إنّ المؤمن إذا أصاب خيراً حمد الله وشكر، وإذا أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر في كلّ شيء حتّى اللقمة يرفعها إلى فيه»[٣].

وفي حديث آخر: «حتّى اللقمة يرفعها إلى فم امرأته»[٤].

وعنه ﷺ: «الصبر خير مركب، ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر»[٥].

وسئل ﷺ: هل من رجل يدخل الجنّة بغير حساب؟ قال: «نعم، كلّ رحيم صبور».

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تراكمت عليه المصائب لم تكسره، وإن أُسر وقهر واستبدل باليسر عسراً، كما كان يوسف الصدّيق الأمين عليه السلام، لم يضرر حرّيّته أن استعبِدَ وأُسِر وقُهر، ولم تضرره ظلمة الجبّ ووحشته، وما ناله أنْ مَنّ الله عليه، فجعل الجبّار العاتي له عبداً بعد أن كان ملكاً، فأرسله ورحم به أُمّته، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا»[٦].

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٩٠، باب الصبر، ح ٨؛ وج ٣، ص ٢٤٠، باب المسألة في القبر ...، ح ١٣؛ ثواب الأعمال، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٦، باب الصبر.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٩٥، ح ٢٩٩٩/٦٤؛ مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٣٦، ح ١٨٤٥٥؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٧٢؛ وج ٦، ص ٦٩٤.

٣. المعجم الأوسط، ج ٧، ص ٧٣ ـ ٧٤، ح ٦١١٩؛ شعب الإيمان، ج ٤، ص ١١٦، ح ٤٤٨٥؛ وج ٧، ص ١٨٩، ح ٩٩٥٠؛ الجامع الصغير، ص ٣٣٣، ح ٥٣٩٠؛ مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٩٥.

٤. مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٩٥.

٥. مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٤٣، ح ١١٠٤٣؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٤٨٣، ح ٧٩١١؛ المستدرك، الحاكم، ج ٢، ص ٤١٤.

٦. الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصبر، ح ٦؛ مشكاة الأنوار، ص ٢١ ـ ٢٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٧، الباب ٧٦ من أبواب الدفن، ح ٧.

وعن الباقر ﷺ: «الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللذّات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»[١].

وعن عليّ ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض. ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»[٢].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال، قال أبو عبد الله ﷺ: «من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد»[٣].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ: إنّي جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً، فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدة عشراً إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً، أعطيته ثلاث خصال، لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتي لرضوا بها منّي». ثمّ تلا أبو عبد الله قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا لِلّهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهذه واحدة من ثلاث خصال ﴿وَرَحْمَةٌ﴾

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصبر، ح ٧؛ وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٠٩، الباب ٤٢ من أبواب جهاد النفس، ح ١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٩١، باب الصبر، ح ١٥؛ وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨، الباب ١٩ من أبواب جهاد النفس، ح ٦؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٤٠ فيه: عن عليّ ؛ الجامع الصغير، ص ٣١٧، ح ٥١٣٧.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٩٢، باب الصبر، ح ١٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٥، الباب ٧٦ من أبواب الدفن، ح ١.

اثنان ﴿وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[١] ثلاث.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «هذا لمن أُخذ منه شيئاً قسراً»[٢].

فصل

وعنه صلى الله عليه وآله: «الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر[٣]. والصبر عند الصدمة الأُولى أعظم»[٤]. «وعظم الأجر على قدر المصيبة[٥]. ومن استرجع بعد المصيبة جدّد الله له أجرها كيوم أُصيب بها»[٦].

وسأل رجل النبيّ صلى الله عليه وآله: ما يحبط الأجر في المصيبة؟ فقال: «تصفيق الرجل بيمينه على شماله، والصبر عند الصدمة الأُولى، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فعليه السخط».

وعن أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلّا آجره الله تعالى في مصيبته، وأخلف له خيراً منها».

قالت: فلمّا توفّي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخلف [الله] لي خيراً منه، رسول الله صلى الله عليه وآله[٧].

---

١. البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٩٢ ـ ٩٣، باب الصبر، ح ٢١؛ الخصال، ص ١٣٠، باب الثلاثة، ح ١٣٥؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ٤ و٩؛ الفقيه، ج ٤، ص ٤١٦، ح ٥٩٠٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧٠، الباب ٨١ من أبواب الدفن، ح ١.

٤. الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨١.

٥. كنز العمّال، ج ٣، ص ٢٩٨، ح ٦٦٣٨: «عظم الأجر عند عظم المصيبة».

٦. الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

٧. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٣٢ ـ ٦٣٣، ح ٤/٩١٨؛ مسند أحمد، ج ٧، ص ٤٣٧، ح ٢٦٠٩٥.

وفي لفظ آخر: أنّها سمعت رسول اللهﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ـ ما أمره الله عزّ وجلّ ـ: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منه». قالت: فلمّا مات أبو سلمة (رضي الله عنه)، قلت: أيّ رجل خير من أبي سلمة! أوّل بيت هاجر إلى رسول اللهﷺ، ثمّ إنّي قلتها فأخلف الله لي رسول اللهﷺ.

قالت: أرسل رسول اللهﷺ بحاطب ابن أبي بلتعة يخطبني، فقلت له: إنّ لي بنتاً وأنا غيور، فقال: أمّا بنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة[١].

وفي حديث آخر، قال: أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول اللهﷺ فقال: سمعت من رسول اللهﷺ وآله قولاً سررت به، قال: «لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته، ثمّ يقول: اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلّا فعل ذلك به». قالت أُمّ سلمة: فحفظت ذلك منه،فلمّا توفّي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهمّ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منه، ثمّ رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟! فلمّا انقضت عدّتي استأذن عليَّ رسول اللهﷺ وأنا أدبغ إهاباً[٢]، فغسلت يدي من القرظ[٣] وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبني إلى نفسهﷺ.

فلمّا فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، ما بي أن لا تكون بك الرغبة، ولكنّي امرأةً فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى منّي شيئاً يعذّبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السنّ، وأنا ذات عيال.

فقال رسول اللهﷺ: «أمّا ما ذكرت من السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأمّا ما

١. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٣١ ـ ٦٣٢، ح ٩١٨/٣؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٣٦، ح ٢.

٢. الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ. لسان العرب، ج ١، ص ٢١٧، «اهب».

٣. القرظ: شجر يدبغ به، وقيل: هو ورق السلم يدبغ به الأدم. ومنه أديم مقروظ. لسان العرب، ج ٧، ص ٤٥٤، «قرظ».

ذكرت من العيال فإنّما عيالك عيالي»، قالت: فقد سلّمت نفسي لرسول الله، فتزوّجها رسول اللهﷺ، فقالت أُمّ سلمة: فقد أبدلني الله عزّ وجلّ بأبي سلمة خيراً منه: النبيّﷺ[١].

وعن ابن عبّاس قال، قال رسول اللهﷺ: «إنّ للموت فزعاً، فإذا أتى أحدَكم وفاة أخيه فليقل: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، اللهمّ اكتبه عندك من المحسنين، واجعل كتابه في علّيّين، واخلف على عقبه في الآخرين، اللهمّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده»[٢].

وعن الحسين بن عليّ بن أبي طالبﷺ: «أنّ النبيّﷺ قال: من أصابته مصيبة فقال إذا ذكرها: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، جدّدالله عزّ وجلّ له أجرها، مثل ما كان له يوم أصابته»[٣].

فصل

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام: أنّ النبيّﷺ كان إذا نزل بأهله شدّة، أمرهم بالصلاة، ثمّ قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٤].

وعن ابن عبّاس أنّه نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع، ثمّ تنحّى عن الطريق فأناخ، فصلّى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثمّ قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخاشِعِينَ﴾[٥].

وعنه أيضاً أنّه كان إذا أُصيب بمصيبة قام وتوضّأ وصلّى ركعتين، وقال: اللهمّ قد فعلتُ ما أمرتَنا، فأنجز لنا ما وعدتنا[٦].

---

١. مسند أحمد، ج ٤، ص ٦٠٨، ح ١٥٩٠٩؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٧٩.
٢. مجمع الزوائد، ج ٢، ص ٣٣١؛ المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٤٧، ح ١٢٤٦٩.
٣. جامع الأحاديث، ج ٧، ص ١٢٥، ح ٢١٣٤٧؛ المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٣١، ح ٢٨٩٥.
٤. الدرّ المنثور، ج ٥، ص ٦١٣؛ والآية في طه (٢٠): ١٣٢.
٥. الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٦٣، والآية في البقرة (٢): ٤٥.
٦. الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٦٣.

وعن عبادة بن محمّد بن عبادة بن الصامت، قال:

لمّا حضرت عبادةﷺ الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن ـ يعني: الدار ـ ففعلوا، ثمّ قال: اجمعوا إليّ مواليّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليّ، فجمعوا. فقال: إنّ يومي هذا لا أراه إلّا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا، وأوّل ليلة من ليالي الآخرة، وإنّي لا أدري لعلّه قد فرط منّي إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو ـ والذي نفس عبادة بيده ـ القصاص يوم القيامة، فأُحَرّج[1] على أحد منكم في نفسه منّي شيء من ذلك، إلّا اقتصّ منّي قبل أن تخرج نفسي.

قال: فقالوا: إنّك كنت لنا والداً وكنت مؤدّباً، وما قال لخادم سوءاً قطّ. قال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، قال: اللهمّ اشهد. ثمّ قال: أمّا فاحفظوا وصيّتي، أُحرّج على إنسان منكم يبكي، فإذا خرجت نفسي فتوضّؤوا وأحسنوا الوضوء، ثمّ ليدخل إنسان منكم مسجداً فيصلّي، ثمّ يستغفر لعبادة ولنفسه. فإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾[2]، ثمّ أسرعوا بي إلى حفرتي ولا تتّبعوني بنار، ولا تضعوا تحتي أُرجواناً[3].

وعن جابر، عن الباقرﷺ، قال: «أشدّ الجزع الصَراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، ومن صبر واسترجع وحمد الله تعالى فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله عزّ وجلّ، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله عزّ وجلّ أجره»[4].

---

١. حرّج الشيء: حرّمه، وحرّج عليه: ضيّق عليه. المعجم الوسيط، ص ١٦٤، «حرج».

٢. البقرة (٢): ٤٥.

٣. شعب الإيمان، ج ٧، ص ١١٤، ح ٩٦٨٣؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٦٣.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٢، باب الصبر و...، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢، الباب ٨٣ من أبواب الدفن وفيه صدر الحديث، ح ١؛ وج ١، ص ٢٤٨، الباب ٧٣ من أبواب الدفن وفيه، ذيل الحديث ٧.

وعن ربعي بن عبد الله، عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الصبر والبلاء يستبقان إلى المؤمن، فيأتيه البلاء وهو صبور، وإنّ الجزع والبلاء يستبقان إلى الكافر، فيأتيه البلاء وهو جزوع»[١].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ضرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة إحباط لأجره»[٢].

وعن موسى بن بكر، عن الكاظم عليه السلام قال: «ضرب الرجل على فخذه عند المصيبة إحباط أجره»[٣].

وعن إسحاق بن عمّار، عن الصادق عليه السلام: «يا إسحاق، لا تعدنّ مصيبة أعطيت عليها الصبر، واستوجبت عليها من الله عزّ وجلّ الثواب، إنّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها إذا لم يصبر عند نزولها»[٤].

وعن أبي ميسرة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام، فجاءه رجل وشكا إليه مصيبة، فقال: «أما إنّك إن تصبر تؤجر، وإن لا تصبر يمضي عليك قدر الله عزّ وجلّ الذي قدّر عليك وأنت مذموم»[٥].

فصل

قال الصادق عليه السلام: «البلاء زين المؤمن، وكرامة لمن عقل؛ لأنّ في مباشرته، والصبر عليه،

١. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٣، باب الصبر و...، ح ٣؛ الفقيه، ج ١، ص ١١٣، ح ٥٢٨؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٦، الباب ٧٦ من أبواب الدفن، ح ٦.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٤، باب الصبر و...، ح ٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧٠، الباب ٨١ من أبواب الدفن، ح ٢.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٥، باب الصبر و...، ح ٩؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧١، الباب ٨١ من أبواب الدفن، ح ٣.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٤، باب الصبر و...، ح ٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن، ح ٢.

٥. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٥، باب الصبر و...، ح ١٠؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن، ح ٣. وفيهما «مأزور» بدل «مذموم». و«فضيل بن ميسر» بدل «أبي ميسرة».

والثبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان».

قال النبيّ ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أشدّ بلاء، والمؤمن الأمثل فالأمثل. ومن ذاق طعم البلاء تحت ستر حفظ الله له، تلذّذ به أكثر من تلذّذه بالنعمة، ويشتاق إليه إذا فقده؛ لأنّ تحت نيران البلاء والمحنة أنوار النعمة، وتحت أنوار النعمة نيران البلاء والمحنة، وقد ينجو منه كثير، ويهلك في النعمة كثير. وما أثنى الله تعالى على عبد من عباده من لدن آدم إلى محمّد ﷺ إلّا بعد ابتلائه، ووفاء حقّ العبوديّة فيه، فكرامات الله تعالى في الحقيقة نهايات، بداياتها البلاء، وبدايات نهاياتها البلاء. ومن خرج من شبكة البلوى جعل سراج المؤمنين، ومؤنس المقرّبين، ودليل القاصدين. ولا خير في عبد شكا من محنة تقدّمها آلاف نعمة واتّبعها آلاف راحة، ومن لا يقضي حقّ الصبر على البلاء، حرم قضاء الشكر في النعماء، كذلك من لا يؤدّي حقّ الشكر في النعماء، يحرم عن قضاء الصبر فى البلاء، ومن حُرِمهما فهو من المطرودين».

وقال أيّوب ﷺ في دعائه: «اللهمّ قد أتى عليّ سبعون في الرخاء، فأمهلني حتّى يأتي عليّ سبعون في البلاء».

وقال وهب: البلاء للمؤمن، كالشكال للدابة، والعقال للإبل.

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ورأس الصبر البلاء وما يعقلها إلّا العالمون».

هذا الفصل كلّه من كلام الصادق ﷺ [١].

فصل

وقال الصادق ﷺ: «الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة. والصبر يدّعيه كلّ أحد، ولا يبين عنده إلّا المخبتون،

١. مصباح الشريعة، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤، باب في البلاء.

والجزع ينكره كلّ أحد، وهو أبين على المنافقين؛ لأنّ نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب».

وتفسير الصبر: ما يستمرّ مذاقه، وما كان عن اضطراب لا يسمّى صبراً. وتفسير الجزع: اضطراب القلب، وتَحَزُّن الشخص، وتَغَيُّر اللّون، وتغيّر الحال. وكلّ نازلة خلت أوائلها عن الإخبات والإنابة والتضرّع إلى الله تعالى فصاحبها جزوع غير صابر. والصبر ما أوّله مرّ، وآخره حلو لقوم، ولقوم مرّ أوّله وآخره، فمن دخله من أواخره فقد دخل[١]، ومن دخله من أوائله فقد خرج، ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عمّا منه الصبر.

قال الله عزّ وجلّ ـ في قصّة موسى والخضر عليهما السلام ـ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[٢]. فمن صبر كرهاً ولم يشكُ إلى الخلق، ولم يجزع بهتك ستره، فهو من العامّ، ونصيبه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرينَ﴾[٣] أي بالجنّة والمغفرة، ومن استقبل البلاء بالرحب، وصبر على سكينة ووقار فهو من الخاصّ، ونصيبه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرينَ﴾[٤].

فصل في نبذ من أحوال السلف عند موت أبنائهم وأحبّائهم

كانت العرب في الجاهليّة وهم لا يرجون ثواباً، ولا يخشون عقاباً يتحاضّون على الصبر، ويعرفون فضله، ويُعيّرون بالجزع أهله، إيثاراً للحزم، وتزيّناً بالحلم، وطلباً للمروءة، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء، حتّى كان الرجل منهم ليفتقد حميمه فلا يعرف ذاك منه، فلمّا جاء الإسلام وانتشر، وعلم ثواب الصبر واشتهر، تزايدت في

---

١. العبارة مضطربة في «ح، م» وما أثبتناه من المصدر.

٢. الكهف (١٨): ٦٨.

٣. البقرة (٢): ١٥٥.

٤. مصباح الشريعة، ص ٥٥٥، باب في الصبر؛ والآية في البقرة (٢): ١٥٣؛ والأنفال (٨): ٤٦.

ذلك لهم الرغبة وارتفعت للمبتلين الرتبة.

قال أبو الأحوص:

دخلنا على ابن مسعود، وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنّهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجّب من حسنهم، فقال: كأنّكم تغبطوني بهم؟ قلنا: إي والله، بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت قصير، قد عشش فيه الخطاف وباض، فقال:والذي نفسي بيده لئن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم، أحبّ إليّ من أن يسقط عشّ هذا الخطاف، وينكسر بيضه. يعني: حرصاً على الثواب[١].

وكان عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يقرئ الناس القرآن في المسجد جاثياً على ركبتيه، إذ جاءت أُمّ ولده بابن له، يقال له: محمّد، فقامت على باب المسجد، ثمّ أشارت له إلى أبيه، فأقبل، فأفرج له القوم حتّى جلس في حجره، ثمّ جعل يقول: مرحباً بسميّ من هو خير منه، ويقبّله حتّى كاد يزدرد ريقه.

ثمّ قال: والله لموتك وموت إخوتك أهون عليّ من عدّتكم من هذا الذباب[٢]، فقيل له: لِمَ تتمنّى هذا؟ فقال: اللهمّ غفراً إنّكم تسألوني، ولا أستطيع إلّا أن أُخبركم، أُريد بذلك الخير، أمّا أنا فأُحرز أُجورهم، وأتخوّف عليهم، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «يأتي عليكم زمان يغبط الرجل بخفّة الحال، كما يغبط اليوم بكثرة المال والولد»[٣].

وكان أبو ذرّ (رضي الله عنه) لا يعيش له ولد، فقيل له: إنّك امرؤ لا يبقى لك ولد، فقال: الحمد للّه الذي يأخذهم من دار الفناء، ويدّخرهم في دار البقاء[٤].

---

١. تسلية أهل المصائب، ص ٣٤.

٢. في «م»: «الذبّان» بدل «الذباب».

٣. المستدرك، الحاكم، ج ٤، ص ٤٨٦، فيه كلام النبيّﷺ فقط.

٤. كنز العمّال، ج ٣، ص ٧٦٣، ح ٨٦٨٢.

ومات لعبد الله بن عامر المازني (رضي الله عنه) في الطاعون الجارف، سبعة بنين في يوم واحد، فقال: إنّي مسلم مسلّم[١].

وعن عبد الرحمن بن عثمان، قال: دخلنا على معاذ وهو قاعد عند رأس ابـن له، وهو يجود بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أن ذرفت أعيننا، وانتحب بعضنا، فزجـره مـعاذ، وقال: مه، فوالله ليعلم الله برضاي؛ لهذا أحبّ إليّ من كلّ غزوة غزوتها مـع رسـول اللهﷺ، فإنّي سمعته يقول: «من كان له ابن وكان عليه عزيزاً، وبه ضنيناً، ومات فصبر على مصيبته واحتسبه، أبدل الله الميّت داراً خيراً من داره، وقراراً خـيراً مـن قـراره، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرضوان».

فما برحنا حتّى قضى والله الغلام حين أخذ المنادي لصلاة الظهر، فـرحـنا نـريد الصلاة، فما جئنا إلّا وقد غسّله وحنّطه وكفّنه.

وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهود الإخوان، ولا لجمع الجيران، فلمّا بلغنا ذلك تلاحقنا، وقلنا: يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن، هلّا انتظرتنا حتّى نفرغ من صلاتنا، ونشهد ابن أخينا.

فقال: أُمرنا أن لا ننتظر موتانا ساعةً ماتوا بليل أو نهار، قال: فنزل في القبر، ونزل معه آخر، فلمّا أراد الخروج ناولته يدي لأنتهضه من القبر، فأبى وقـال: مـا أدع ذلك لفضل قوّتي، ولكن أكره أن يرى الجاهل، أنّ ذلك منّي جزع، أو استرخاء عند المصيبة، ثمّ أتى مجلسه، ودعا بدهن فأدهن، وبكحل فاكتحل، وببردة فلبسها، وأكثر في يومه ذلك من التبسّم، ينوي به ما ينوي، ثمّ قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، في الله خلف عن كلّ هالك، وعزاء من كلّ مصيبة، ودرك لكلّ ما فات[٢].

وروي: أنّ قوماً كانوا عند عليّ بن الحسينعليه السلام، فاستعجل خادماً بشواء في التنّور،

---

١. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٢١٠. وفيه: مات لصدقة بن عامر المازني... .

٢. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

فأقبل به مسرعاً، فسقط السفّود[١] من يده على ولد عليّ بن الحسين عليه السلام، فأصاب رأسه فقتله، فوثب عليّ بن الحسين عليهما السلام، فلمّا رأى ابنه ميّتاً، قال للغلام: «أنت حرّ لوجه الله تعالى، أما إنّك لم تتعمّده»، ثمّ أخذ في جهاز ابنه.

وعن الأحنف بن قيس، قال: تعلّموا الحلم والصبر، فإنّي تعلّمته، فقيل له: ممّن؟ قال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: كنّا قعوداً عنده إذ أُتي بابنه مقتولاً، وبقاتله مكبولاً، فما حلّ حبوته[٢]، ولا قطع حديثه حتّى فرغ.

ثمّ التفت إلى قاتل ابنه فقال: يا ابن أخي، ما حملك على ما فعلت؟ قال: غضبت. قال: أوكلّما غضبت أهنت نفسك، وعصيت ربّك، وأقللت عددك؟ اذهب فقد أعتقتك.

ثمّ التفت إلى بنيه فقال: يا بنيّ، اعمدوا إلى أخيكم فغسّلوه وكفّنوه، فإذا فرغتم منه فأتوني به لأصلّي عليه، فلمّا دفنوه قال لهم: إنّ أُمّه ليست منكم ـ وهي من قوم آخرين ـ فلا أراها ترضى بما صنعتم، فأعطوها ديته من مالي[٣].

وروى الصدوق في الفقيه: أنّه لمّا مات ذرّ بن أبي ذرّ (رحمه الله) وقف أبو ذرّ على قبره فمسح القبر بيده، ثمّ قال: رحمك الله يا ذرّ، والله إنّك كنت بي لبرّاً، ولقد قبضت وإنّي عنك لراض، والله ما بي فقدك وما عليَّ من غضاضة، وما لي إلى أحد سوى الله من حاجة، ولولا هول المطّلع لسرّني أن أكون مكانك، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك، ولكن بكيت عليك، فليت شعري ما قلت، وما قيل لك، اللهمّ إنّي قد وهبت ما افترضت عليه من حقّي، فهب له ما افترضت عليه من حقّك،

---

١. السُفُّود والسَفُّود بالتشديد: حديدة ذات شعب معقّفة معروف يشوي به اللحم. لسان العرب، ج ٣، ص ٢١٨، «سفد».

٢. الحبوة [مثلّثة الحاء]: الاحتباء. يقال: حلّ فلان حبوته، ما يحتبى به من ثوب وغيره. المعجم الوسيط، ص ١٥٤، «حبا».

٣. أُسد الغابة، ج ٤، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ العقد الفريد، ج ٢، ص ١٣٦.

فأنت أحقّ بالجود والكرم منّي[١].

وأسند الدينوري: أنّ ذرّ بن عمر بن ذرّ لمّا مات وقف أبوه على قبره، وقال: رحمك الله يا ذرّ، ما علينا بعدك من خصاصة، وما بنا إلى أحد مع الله حاجة، وما يسرّني أنّي كنت المقدّم قبلك، ولو لا هول المطّلع لتمنّيت أن أكون مكانك، وقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ماذا قلت، وماذا قيل لك، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهمّ إنّي قد وهبت له حقّي فيما بيني وبينه، فاغفر له من الذنوب ما بينك وبينه، فأنت أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، ثمّ انصرف وقال: فارقناك، ولو أقمنا ما نفعناك[٢].

وروى المبرّد، قال: لمّا هلك ذرّ بن عمر وقف عليه أبوه وهو مسجّى، وقال: يا بنيّ، ما علينا من موتك غضاضة، وما بنا إلى ما سوى الله من حاجة. فلمّا دفن قام على قبره، وقال: يا ذرّ، غفر الله لك، قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، لأنّا لا ندري ما قلت، ولا ما قيل لك، اللهمّ إنّي قد وهبت له ما قصّر فيه ممّا افترضت عليه من حقّي، فهب له ما قصّر فيه من حقّك، واجعل ثوابي عليه له، وزدني من فضلك، إنّي إليك من الراغبين. فسُئل عنه، فقيل: كيف كان معك؟ فقال: ما مشيت معه بليل قطّ إلّا كان أمامي، ولا بنهار قطّ إلّا كان خلفي، وما علا سطحاً قطّ وأنا تحته[٣].

وقدم على بعض الخلفاء قوم من بني عبس، فيهم رجل ضرير، فسأله عن عينيه، فقال: بتُّ ليلة في بطن واد، ولم أعلم عبسيّاً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد، غير بعير وصبيّ مولود، وكان بعيراً صعباً فنفر، فوضعت الصبيّ واتبعت البعير، فلم أُجاوز إلّا قليلا حتّى سمعت صيحة ابني، فرجعت

١. الفقيه، ج ١، ص ١٨٥ ـ ١٨٦، ح ٥٥٨؛ وأيضاً رواها الكليني في الكافي، ج ٣، ص ٢٥٠، باب النوادر، ح ٤.

٢. عيون الأخبار، ابن قتيبة، ج ٢، ص ٣١٣.

٣. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٦٦؛ الكامل، ج ١، ص ٨١ ـ ٨٢.

إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله، ولحقت البعير لأحبسه فنفحني[١] برجله على وجهي فحطّمه، وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بصر[٢].

روي أنّ عياض بن عقبة الفهري مات له ابن، فلمّا نزل في قبره قال له رجل: والله إنّه كان لسيّد الجيش فاحتسبه[٣]، فقال: وما يمنعني، وقد كان بالأمس زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات[٤].

وقال أبو عليّ الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسّماً قطّ إلّا يوم مات ابنه عليّ، فقلت له في ذلك، فقال: إنّ الله سبحانه وتعالى أحبّ أمراً، فأحببت ما أحبّ الله عزّ وجلّ[٥].

وأُصيب عمرو بن[٦] كعب الهندي بتستر[٧]، فكتموا أباه الخبر، ثمّ بلغه فلم يجزع، وقال: الحمد للّه الذي جعل من صلبي من أُصيب شهيداً[٨]، ثمّ استشهد له ابن آخر بجرجان[٩]، فلمّا بلغه الخبر، قال: الحمد للّه الذي توفّى منّي شهيداً آخر[١٠].

---

١. في «م، ح»: «فبعجني» بدل «فنفحني»، وما أثبتناه ـ ولعلّه الصحيح ـ من المصدر. ونفح الدابّة الشيء: ضربته بحدّ حافرها. المعجم الوسيط، ص ٩٣٨، «نفح».

٢. الأمالي، الطوسي، ص ١٥٢، المجلس السادس، ح ٢٥٠؛ التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٥٤ ـ ٥٥؛ كتاب التعازي، المدائني، ص ٤٥؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٨٢.

٣. احتسب فلان ولده: صبر على وفاته مدّخراً الأجر على صبره. المعجم الوسيط، ص ١٧١، «حسب».

٤. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٦٧ ـ ٦٨. ولكن فيه قال: مات عقبة بن عياض بن غنم الفهري فعزّى رجل أباه. وآخر كلامه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾. الكهف (١٨): ٤٦.

٥. حلية الأولياء، ج ٨، ص ١٠٠؛ نهاية الأرب، ج ٥، ص ١٦٧.

٦. في «ح»: «عمر بن كعب الهندي» بدل «عمرو بن كعب الهندي».

٧. تستر: من مدن خوزستان، وهو تعريب شوشتر. معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤، الرقم ٢٥١٧.

٨. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٢٤٠؛ كتاب التعازي، المدائني، ص ١٨.

٩. جرجان: مدينة مشهورة عظيمة، بين طبرستان وخراسان. معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٩، الرقم ٣٠٢٤.

١٠. كتاب التعازي، المدائني، ص ١٨؛ التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٢٤١.

وروى البيهقي: أنّ عبد الله بن مطرف مات، فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة، وقد ادّهن، فغضبوا وقالوا: يموت عبد الله وتخرج في ثياب حسنة مدّهناً! قال: أفأستكين لها؟ وقد وعدني ربّي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، قال الله تعالى:﴿الَّذِينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[1].

ودعا رجل من قريش إخواناً له، فجمعهم على طعام، فضربت ابناً له دابّة لبعضهم فمات، فأخفى ذلك عن القوم، وقال لأهله: لا أعلمن صاحت منكم صائحة، أو بكت منكم باكية، وأقبل على إخوانه حتّى فرغوا من طعامه، ثمّ أخذ في جهاز الصبيّ، فلم يفجأهم إلّا بسريره، فارتاعوا وسألوه عن أمره فأخبرهم، فتعجّبوا من صبره وكرمه.

وذكر: أنّ رجلاً من اليمامة دفن ثلاثة رجال من ولده، ثمّ احتبى في نادي قومه يتحدّث كأنْ لم يفقد أحداً فقيل له في ذلك، فقال: ليسوا في الموت ببديع، ولا أنا في المصيبة بأوحد، ولا جدوى للجزع، فعلام تلومونني[2]؟

وأسند أبو العبّاس، عن مسروق، عن الأوزاعي، قال: حدّثنا بعض الحكماء، قال: خرجت وأنا أُريد الرباط[3]، حتّى إذا كنت بعريش[4] مصر إذا أنا بمظلّة وفيها رجل قد ذهبت عيناه، واسترسلت يداه ورجلاه، وهو يقول: لك الحمد سيّدي ومولاي، اللهمّ إنّي أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضّلتني على كثير ممّن خلقت تفضيلاً.

١. شعب الإيمان، ج ٧، ص ٢٤٤؛ والآية في البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.
٢. نهاية الأرب، ج ٥، ص ١٦٦.
٣. الرباط: ملازمة ثغر العدوّ. القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٦٠، «ربط».
٤. العريش: مدينة كانت أوّل عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم. معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٨، الرقم ٨٣٥٣.

فقلت: والله لأسألنّه، أُعلمه أو أُلهمه إلهاماً، فدنوت منه، وسلّمت عليه، فردّ عليَّ السلام، فقلت له: رحمك الله، إنّي أسألك عن شيء، أتخبرني به أم لا؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به، فقلت: رحمك الله، على أيّ فضيلة من فضائله تشكره؟ فقال: أوليس ترى ما قد صنع بي؟ قلت: بلى، فقال: والله لو أنّ الله تبارك وتعالى صبّ عليَّ ناراً تحرقني، وأمر الجبال فدمّرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ازددت فيه سبحانه إلّا حبّاً، ولا ازددت له إلّا شكراً، وإنّ لي إليك حاجة، أفتقضيها لي؟ قلت: نعم، قل ما تشاء، فقال: بُنيّ لي كان يتعاهدني أوقات صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، فانظر هل تجده لي؟

قال: فقلت في نفسي: إنّ في قضاء حاجته لقربة إلى الله عزّ وجلّ، فقمت وخرجت في طلبه، حتّى إذا صرت بين كثبان الرمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله، فقلت: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح بخبر ابنه؟

قال: فأتيته، وسلّمت عليه، فرّد عليَّ السلام، فقلت: رحمك الله، إن سألتك عن شيء تخبرني به؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به، قال: فقلت: أنت أكرم على الله عزّ وجلّ وأقرب منزلة، أو نبيّ الله أيّوب ﷺ؟ فقال: بل نبيّ الله أكرم على الله تعالى منّي، وأعظم عند الله تعالى منزلة منّي، قال: فقلت له: إنّه ابتلاه الله تعالى فصبر، حتّى استوحش منه من كان يأنس به، وكان عرضاً لمُرّار الطريق، واعلم أنّ ابنك الذي أخبرتني به، وسألتني أن أطلبه لك، افترسه السبع، فأعظم الله أجرك فيه.

فقال: الحمد للّه الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثمّ شهق شهقة وسقط على وجهه، فجلست ساعة، ثمّ حرّكته فإذا هو ميّت، فقلت: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، فكيف أعمل في أمره؟ ومن يعينني على غُسله وكفنه وحفر قبره ودفنه؟

فبينما أنا كذلك إذا أنا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم فأقبلوا نحوي حتّى وقفوا عليّ، وقالوا: من أنت؟ ومن هذا؟ فأخبرتهم بقصّتي، فعقلوا رواحلهم، وأعانوني

حتّى غسّلناه بماء البحر، وكفّنّاه بأثواب كانت معهم، وتقدّمت، فصلّيت عليه مع الجماعة، ودفنّاه في مظلّته.

وجلست عند قبره آنساً به، أقرأُ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات، فغفوت غفوة[١]، فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زيّ، في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائماً يتلو القرآن، فقلت له: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: فما الذي صيّرك إلى ما أرى؟ فقال: اعلم أنّي وردت مع الصابرين على الله عزّ وجلّ في درجة لم ينالوها إلّا بالصبر على البلاء والشكر عند الرخاء، فانتبهت.

وحكى الشعبي، قال:

رأيت رجلاً وقد دفن ابنه، فلمّا حثا عليه التراب وقف على قبره؛ وقال: يا بنيّ، كنت هبة ماجد، وعطيّة واجد، ووديعة مقتدر، وعارية منتصر، فاسترجعك واهبك، وقبضك مالكك، وأخذك معطيك، فأخلفني الله عليك الصبر، ولا حرمني الله بك الأجر، ثمّ قال: أنت في حلّ من قبلي، والله أولى عليك التفضّل منّي.

ولمّا مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وأخوه سهل بن عبد العزيز، ومولاه مزاحم في أيّام متتابعة دخل عليه بعض أصحابه يعزّيه، وقال في جملة كلامه: والله ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى، فطأطأ رأسه ثمّ قال: أعد عليّ ما قلت، فأعاده عليه، فقال: لا والذي قضى عليهم، ما أحبّ أنّ شيئاً كان من ذلك لم يكن[٢].

وقيل: بينما عمر بن عبد العزيز ذات يوم جالس إذ أتاه ابنه عبد الملك، فقال: الله الله في مظالم بني أبيك فلان وفلان، فوالله لوددت أنّ القدور قد غلت بي وبك فيما يرضي الله، وانطلق فأتبعه أبوه بصره، وقال: إنّي لأعرف خير أحواله، قالوا:

١. غفا، غَفواً وغُفُوّاً: نام قليلاً. المعجم الوسيط، ص ٦٥٧، «غفا».

٢. حلية الأولياء، ج ٥، ص ٣٣٠.

وما خير أحواله؟ قال: أن يموت فأحتسبه[١].

ولمّا دخل عليه أبوه في مرضه فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني في الموت، فاحتسبني يا أبه، فإنّ ثواب الله عزّوجلّ خير لك منّي، فقال: والله يا بنيّ، لأن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال ابنه: لأن يكون ما تحبّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أحبّ.

فلمّا مات وقف على قبره، وقال: رحمك الله يا بنيّ، لقد كنت سارّاً مولوداً، وبارّاً ناشئاً، وما أُحبّ أنّي دعوتك فأجبتني[٢].

ومات له ابن آخر قبل عبد الملك، فجاء فقعد عند رأسه، وكشف الثوب عن وجهه، وجعل ينظر إليه ويستدمع، فجاء ابنه عبد الملك، فقال: يا أبه، ليشغلك ما أقبل من الموت عمّن هو في شغل عمّا حلّ لديك، فكأن قد لحقت بابنك وساويته تحت التراب بوجهك، فبكى عمر، ثمّ قال: رحمك الله يا بنيّ، فوالله إنّك لعظيم البركة، ما عَلِمْتُكَ على أنّك نافع الموعظة لمن وعظت.

فصل في ذكر جماعة من النساء نقل العلماء صبرهنّ

رويعن أنس بن مالك، قال:

كان ابن لأبي طلحة (رضي الله عنه) يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبيّ، فلمّا رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ فقالت أُمّ سليم ـ وهي أُمّ الصبيّ ـ (رضي الله عنها): هو أسكن ممّا كان، فقرّبت له العشاء فتعشّى، ثمّ أصاب منها، فلمّا فرغ قالت: وار[٣] الصبيّ، فلمّا أصبح أبو طلحة أتى رسول اللهﷺ فأخبره، فقال:

١. انظر حلية الأولياء، ج ٥، ص ٣٥٤.

٢. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٥٨؛ العقد الفريد، ج ٥، ص ١٨٥؛ كتاب التعازي، المدائني، ص ٢٣.

٣. في «ح» فارق الصبيّ. وما أثبتناه من «م» وهو موافق للمصادر.

«أعرستم الليلة؟» فقال: نعم، فقال: «اللهمّ بارك لهما» فولدت غلاماً.

قالت: فقلت لأبي طلحة: احمله حتّى تأتي رسول اللهﷺ، وبعثت معه بتمرات، فقال: «أمعه شيء؟» قال: تمرات، فأخذها النبيّﷺ فمضغها، ثمّ أخذهاﷺ من فيه فجعلها في فيّ الصبيّ، ثمّ حنّكه، وسمّاه عبد الله.

قال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلّهم قد قرؤا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود[١].

وفي رواية أُخرى: مات ابن لأبي طلحة من أُمّ سليم، فقالت لأهلها: لا تحدّثوا أبا طلحة بابنه حتّى يكون أنا أُحدّثه، قال: فجاء فقرّبت إليه عشاء، فأكل وشرب، ثمّ تصنّعت له أكثر ممّا كانت تتصنّع له من قبل ذلك، فلمّا رأت أنّه قد شبع وأصاب منها، قالت يا أبا طلحة، أرأيت قوماً أعاروا عارية أهل بيت فطلبوا عاريتهم؟ ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، ثمّ قال: تركتني حتّى إذا تلطّخت ثمّ أخبرتني بابني!![٢].

وفي حديث آخر: لمّا كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، إنّ آل فلان استعاروا عارية تمتّعوا بها، فلمّا طلبت منهم شقّ عليهم ذلك، قال: ما أنصفوا، قالت: فإنّ فلاناً ـ لابنها ـ كان عارية من الله عزّوجلّ، وقبضه الله، فاسترجع، ثمّ غدا إلى رسول اللهﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول اللهﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما».

قال: فحملت وذكر الحديث، وفيه، فولدت غلاماً، فمسح رسول اللهﷺ وجهه، وسمّاه عبد الله[٣].

---

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٣٨، ح ١٢٣٩؛ وج ٥، ص ٢٠٨٢، ح ٥١٥٣؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٦٨٩ ـ ١٦٩٠، ح ٢٤ ـ ٢١٤٤/٢٢.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٠٩، ح ٢١٤٤/١٠٧.

٣. مسند أحمد، ج ٣، ص ٥٤٣، ح ١١٦١٧؛ دلائل النبوّة، ج ٦، ص ١٩٨.

والحديث في عيون المجالس بزيادة غريبة في آخره، ولفظه:

عن معاوية بن قرّة، قال: كان أبو طلحة يحبّ ابنه حبّاً شديداً، فمرض فخافت أُمّ سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد، فبعثته إلى النبيّ ﷺ، فلمّا خرج أبو طلحة من داره توفّي الولد، فسجّته أُمّ سليم بثوب وعزّلته في ناحية من البيت، ثمّ تقدّمت إلى أهل بيتها، وقالت لهم: لا تخبروا أبا طلحة بشيء.

ثمّ إنّها صنعت طعاماً، ثمّ مسّت شيئاً من الطيب، فجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال: ما فعل ابني؟ فقالت له: هدأت نفسه، ثمّ قال: هل لنا ما نأكل؟ فقامت فقرّبت إليه الطعام، ثمّ تعرّضت له فوقع عليها، فلمّا اطمأنّ قالت له: يا أبا طلحة، أتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها إلى أهلها؟ فقال: سبحان الله، لا، فقالت: ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال أبو طلحة: فأنا أحقّ بالصبر منك.

ثمّ قام من مكانه، واغتسل، وصلّى ركعتين، ثمّ انطلق إلى النبيّ ﷺ، فأخبره بصنيعهما، فقال له رسول الله ﷺ: «فبارك الله لكما في وقعتكما»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «الحمد للّه الذي جعل في أُمّتي مثل صابرة بني إسرائيل»، فقيل: يا رسول الله، ما كان من خبرها؟

قال: «كانت في بني إسرائيل امرأة، وكان لها زوج، ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس ففعلت، واجتمع الناس في داره، فانطلق الغلامان يلعبان، فوقعا في بئر كان في الدار، فكرهت أن تنغّص على زوجها الضيافة، فأدخلتهما البيت، وسجّتهما بثوب، فلمّا فرغوا دخل زوجها، فقال أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، وإنّها كانت قد تمسّحت بشيء من الطيب، وتعرّضت للرجل حتّى وقع عليها، ثمّ قال: أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، فناداهما أبوهما، فخرجا يسعيان، فقالت المرأة: سبحان الله! والله لقد كانا ميّتين، ولكنّ الله تعالى أحياهما ثواباً لصبري».

وقريب من هذا ما رويناه في دلائل النبوّة عن أنس بن مالك، قال: دخلنا على

رجل من الأنصار وهو مريض، فلم نبرح حتّى قضى، فبسطنا عليه ثوباً، وأُمّ له عجوز كبيرة عند رأسه، فقلنا لها: يا هذه، احتسبي مصيبتك على الله عزّ وجلّ، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: حقّاً تقولون؟ قلنا: نعم، قال: فمدّت يدها، وقالت: اللهمّ إنّك تعلم أنّي أسلمت لك، وهاجرت إلى رسولكﷺ رجاءَ أن تعينني عند كلّ شدّة ورخاء، فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم، فكشف الثوب عن وجهه بيده، ثمّ ما برحنا حتّى طعمنا معه[1].

وهذا الدعاء من المرأة (رحمها الله) إدلال على الله، واستئناس به يقع منه للمحبّين كثيراً، فيقبل دعاءهم، وإن كان في التذكير بنحو ذلك ما يظهر منه قلّة الأدب، ولو وقع من غيرهم، ولذلك بحث طويل وشواهد من الكتاب والسنّة، يخرج ذكره عن مناسبة المقام.

ومن لطيف ما اتّفق فيه، ما روي من مناجاة «برخ الأسود» الذي أمر الله تعالى كليمه موسىﷺ أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين، وخرج موسىﷺ ليستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله إليه: «كيف أستجيب لهم وقد أظلّت عليهم ذنوبهم، وسرائرهم خبيثة، يدعونني على غير يقين، ويأمنون مكري، ارجع إلى عبد من عبادي، يقال له: برخ، يخرج حتّى أستجيب له.

فسأل عنه موسىﷺ فلم يُعرف، فبينما موسىﷺ ذات يوم يمشي في طريق، فإذن بعبد أسود بين عينيه تراب من أثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلّم عليه، فقال: ما اسمك؟ قال: اسمي برخ، فقال: أنت طلِبَتنا منذ حين، اخرج استسقِ لنا، فخرج، فقال في كلامه: اللهمّ ما هذا من فعالك، وما هذا من حلمك، وما الذي بدا لك؟ أنقصت عليك عيونك، أم عاندت الرياح عن طاعتك، أم نفد ما عندك، أم اشتدّ غضبك على المذنبين، ألست كنت غفّاراً قبل خلق الخاطئين؟!

---

١. دلائل النبوّة، ج ٦، ص ٥٠.

خلقت الرحمة، وأمرت بالعطف، أم ترينا أنّك ممتنع، أم تخشى الفوت فتعجّل بالعقوبة؟ فما برح برخ حتّى أفاضت وخاضت بنو إسرائيل بالقطر.

قال: فلمّا رجع برخ استقبله موسى عليه السلام فقال: كيف رأيت حين خاصمت ربّي، كيف أنصفني؟»[1]. رجعنا إلى أخبار الصابرات.

وروي أنّ أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) لمّا جاءها خبر ولدها ـ محمّد بن أبي بكر ـ أنّه قتل وأُحرق بالنار في جيفة حمار، قامت إلى مسجدها، فجلست فيه، وكظمت الغيظ حتّى تَشَخَّبَ ثدياها دماً[2].

وروي عن حَمْنَة بنت جحش (رضي الله عنها)، أنّها قيل لها: قتل أخوك، قالت: رحمه الله، وإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، قالوا: قتل زوجك، قالت: واحزناه، فقال رسول اللهﷺ: «إنّ للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء»[3].

وروي أنّ صفيّة بنت عبد المطّلب أقبلت لتنظر إلى أخيها لأبويها حمزة بن عبدالمطلب بأُحد وقد مُثِّلَ به، فقال النبيّﷺ لابنها الزبير: «القَها فأرجعها لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أُمّاه، إنّ رسول اللهﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: وَلِمَ، وقد بلغني أنّه قد مُثِّلَ بأخي؟ وذلك في الله عزّ وجلّ، فما أرضانا بما كان من ذلك، فلأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله.

فلمّا جاء الزبير إلى النبيّﷺ فأخبره بقولها، فقال له: «خَلِّ سبيلها» فأتته، ونظرت إليه، وصلّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له[4].

وعن ابن عبّاس (رضي الله عنه) قال: لمّا قتل حمزة (رضي الله عنه) يوم أُحد،

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٢. الإصابة، ج ٨، ص ٩.

٣. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٧، ح ١٥٩٠؛ المستدرك، الحاكم، ج ٤، ص ٦١، ح ٦٢؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ١١٠، ح ٧١٣٢.

٤. السيرة النبويّة، ابن هشام، ج ٣، ص ١٠٣؛ الإصابة، ج ٨، ص ١٢٩.

أقبلت صفيّة تطلبه، لا تدري ما صنع به، قال: فلقيت عليّاً والزبير، فقال عليّ عليه السلام للزبير: «اذكر لأُمّك»، فقال الزبير: لا، بل اذكر أنت لعمّتك، قالت: ما فعل حمزة؟ فأرياها أنّهما لا يدريان، قال: فجاءت النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إنّي أخاف على عقلها، قال: فوضع يده على صدرها، ودعا لها، فاسترجعت، وبكت، قال: ثمّ جاء صلى الله عليه وآله فقام عليه، وقد مُثِّلَ به، فقال: «لولا جزع النساء لتركته حتّى يحشر من حواصل الطيور وبطون السباع»[1].

واستشهد شابّ من الأنصار يقال له: خلّاد يوم بني قريضة، فجاءت أُمّه متنقّبة[2] فقيل لها: تتنقّبين يا أُمّ خلّاد وقد رزئت بخلّاد؟ فقالت: لئن كنت رزئت[3] خلّاداً، فلم أرزأ حيائي[4]، فدعا له النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: «إنّ له أجرين، لأنّ أهل الكتاب قتلوه»[5].

وعن أنس بن مالك، قال: لمّا كان يوم أُحد حاص أهل المدينة حيصة، فقالوا: قتل محمّد صلى الله عليه وآله، حتّى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزّنة، فاستُقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا تدري أيّهم استقبلت أوّلاً، فلمّا مرّت على آخرهم، قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك، قالت: ما فعل النبيّ صلى الله عليه وآله؟ قالوا: أمامك، فمشت حتّى جاءت إليه، فأخذت بناحية ثوبه، وجعلت تقول: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، لا أُبالي إذا سلّمت من عطب[6].

وروى البيهقي قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بامرأة من بني دينار وقد أُصيب زوجها وأبوها وأخوها معه صلى الله عليه وآله بأُحد، فلمّا نعوا إليها، قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: خيراً يا أُمّ

١. المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٤٢ ـ ١٤٣، ح ٢٩٣٥؛ مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١١٨، باب مقتل حمزة؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ١٩، ح ٦٨٠٥؛ المستدرك، الحاكم، ج ٣، ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

٢. تنقّبت المرأة: شدّت النقاب على وجهها. المعجم الوسيط، ص ٩٤٣، «نقب».

٣. رُزِئَ ولده وبولده: أُصيب به. المعجم الوسيط، ص ٣٤١، «رزى».

٤. في «ح، م»: حبابه، وما أثبتناه من المصدر.

٥. كنز العمّال، ج ٣، ص ٧٦١، ح ٨٦٧٧.

٦. المعجم الأوسط، ج ٨، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥، ح ٧٤٩٥؛ مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١١٥.

فلان، وهو بحمد الله كما تحبّين، قالت: أرونيه حتّى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتّى إذا رأته قالت: كلّ مصيبة بعدك جلل[١].

وخرجت السمراء بنت قيس ـ أُخت أبي حزام ـ وقد أُصيب ابناها، فعزّاها النبيّ ﷺ بهما، فقالت: كلّ مصيبة بعدك جلل، والله لهذا النقع[٢] الذي أرى في وجهك أشدّ من مصابهما[٣].

وروي أنّ صلة بن أشيم كان في مغزى له، ومعه ابن له، فقال لابنه: أي بنيّ، تقدّم فقاتل حتّى أحتسبك، فحمل فقاتل فقتل، ثمّ تقدّم أبوه فقاتل فقتل، قال: فاجتمع النساء عند أُمّه معاذة العدويّة زوجة صلة، فقالت لهنّ: مرحباً بكنّ إن كنتنّ جئتنّ لتهنئتي، وإن كنتنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعن[٤].

وروي أنّ عجوزاً من بني بكر بن كلاب كان يتحدّث قومها عن عقلها وسدادها، فأخبر بعض من حضرها، وقد مات ابن لها، وكان واحدَها، وقد طالت علّته، وأحسنت تمريضه، فلمّا مات قعدت بفنائها، وحضرها قومها، فأقبلت على شيخ منهم فقالت: يا فلان، ما حقّ من أُسبغت عليه النعمة، وأُلبس العافية، واعتدلت به النظرة، أن لا يعجز عن التوثّق لنفسه قبل حلّ عقدته والحلول بعقوته[٥]. ينزل الموت بداره، فيحول بينه وبين نفسه، ثمّ أنشأت تقول شعراً:

هو ابني وأُنسي أجره لي وعَزَّني ... على نفسه رَبٌّ إليه ولاؤها
فإن أحتسب أُوجَر وإن أبكه أكن ... كباكية لم يغنِ شيئاً بكاؤها

---

١. دلائل النبوّة، ج ٣، ص ٣٠٢. والجلل [من ألفاظ الأضداد]: الشيء الكبير العظيم، والصغير الحقير. والمراد هنا الثاني؛ راجع المعجم الوسيط، ص ١٣١، «جلل».

٢. النقع: الغبار. الصحاح، ج ٣، ص ١٢٥٢، «نقع».

٣. المغازي، الواقدي، ج ١، ص ٢٩٢.

٤. حلية الأولياء، ج ٢، ص ٢٣٩؛ تسلية أهل المصائب، ص ٣٤.

٥. العقوة: الساحة وما حول الدار. الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٣٣، «عقا».

فقال لها الشيخ: إنّنا لم نزل نسمع أنّ الجزع إنّما هو للنساء، فلا يجزعَنَّ أحد بعدك، ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء، فقالت له: إنّه ما ميّز امرؤ بين جزع وصبر، إلّا وجد بينهما منهجين بعيدي التفاوت في حالتيهما:

أمّا الصبر: فحسن العلانية، محمود العاقبة.

وأمّا الجزع: فغير معرض شيئاً مع إثمه.

ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة، وبحسن الصورة، وكرم الطبيعة في عاجل الدين وآجله في الثواب، وكفى بما وعد الله عزّ وجلّ لمن ألهمه إيّاه.

وعن جويريّة بن أسماء:

أنّ ثلاثة إخوة شهدوا تستر، واستشهدوا، وبلغ ذلك أُمّهم، فقالت: مقبلين أم مدبرين؟ فقيل لها: بل مقبلين، فقالت: الحمد للّه، نالوا والله الفوز، وحاطوا الذمار، بنفسي هم وأبي وأُمّي، وما تأوهت، ولا دمعت لها عين[1].

وعن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، ودعوت الناس للغزاة، ورغبتهم في الجهاد، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثمّ تفرّق الناس وركبت فرسي، وسرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تنادي يا أبا قدامة، فمضيت ولم أجب، فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت، فجاءت ودفعت إليّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية، فنظرت في الرقعة وإذا فيها مكتوب: أنت دعوتنا إلى الجهاد، ورغّبتنا في الثواب، ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ، وهما ضفير تاي، وأرسلتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك لعلّ الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله، فيغفر لي.

فلمّا كان صبيحة القتال، فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل حاسراً، فتقدّمت إليه

١. التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٤٦؛ كتاب التعازي، المدائني، ص ١٧.

وقلت: يا غلام، أنت فتى غِرٌّ[١] راجل، ولا آمن أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا فقال: أتأمرني بالرجوع، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ﴾[٢]. وقرأ الآية إلى آخرها.

فحملته على هجين كان معي، فقال: يا أبا قدامة، أقرضني ثلاثة أسهم، فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلحّ عليَّ حتّى قلت:بشرط إن منّ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك، قال: نعم، فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهماً في قوسه ورمى به، فقتل روميّاً، ثمّ رمى بالآخر فقتل روميّاً، ثمّ رمى بالآخر، وقال: السلام‌عليك يا أبا قدامة سلام مودّع، فجاءه سهم فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على قربوس سرجه، فتقدّمت إليه، وقلت: لا تنسها، فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة، إذا دخلت المدينة فأتِ والدتي، وسلّم خُرجي[٣] إليها وأخبرها، فهي التي أعطتك شعرها لتقيّد به فرسك، فسلّم عليها، فهي العامّ الأوّل أُصيبت بوالدي، وفي هذا العامّ بي، ثمّ مات، فحفرت له ودفنته.

فلمّا هممت بالانصراف عن قبره قذفته الأرض، فألقته على ظهرها، فقال أصحابه: غلام غِرّ، ولعلّه خرج بغير إذن أُمّه، فقلت: إنّ الأرض لتقبل من هو شرّ من هذا، فقمت وصلّيت ركعتين، ودعوت الله، فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة، اترك وليّ الله، فما برحت حتّى نزلت عليه طيور فأكلته.

فلمّا أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلمّا قرعت الباب خرجت أُخته إليّ، فلمّا رأتني عادت إلى أُمّها، وقالت: يا أُمّاه، هذا أبو قدامة، وليس معه أخي، وقد أُصبنا في العامّ الأوّل بأبي، وفي هذا العامّ بأخي، فخرجت أُمّه، فقالت أمعزّياً أم مهنّئاً؟ فقلت: ما

---

١. المؤمن غِرٌّ كريم: أي ليس بذي نُكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، يقال: فتىً غِرٌّ وفتاةٌ غِرٌّ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٥٤، «غرر».

٢. الأنفال (٨): ١٥.

٣. الخُرج: وعاءٌ من شعر أو جلد، ذو عِدلين يوضع على ظهر الدابّة؛ لوضع الأمتعة فيه. المعجم‌الوسيط، ص ٢٢٥، «خرج».

معنى هذا؟ قالت: إن كان ابني مات فعزّني، وإن كان استشهد فهنّئني، فقلت: لا، بل قد مات شهيداً، فقالت: له علامة، فهل رأيتها؟ فقلت: نعم، لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور، فأكلت لحمه وتركت عظامه، فدفنتها، فقالت: الحمد للّه.

فسلّمت إليها الخُرج، ففتحته وأخرجت منه مِسْحاً[١] وغُلًّا من حديد، قالت: إنّه كان إذا جنّه الليل لبس هذا المِسح، وغَلَّ نفسه بالغُلّ وناجى مولاه، وقال في مناجاته: إلهي احشرني من حواصل الطيور، فاستجاب الله سبحانه دعاءه، (رحمه الله).

وروى البيهقي عن أبي العبّاس السرّاج قال: مات لبعضهم ابن، فدخلت على أُمّه فقلت لها: اتّقي الله واصبري، فقالت: مصيبتي به أعظم من أن أفسدها بالجزع[٢].

وقال أبان بن تغلب (رحمه الله): دخلت على امرأة، وقد نزل بابنها الموت، فقامت إليه فغمّضته وسجّته، ثمّ قالت: يا بنيّ، ما الجزع فيما لا يزول؟ وإنّما البكاء فيما ينزل بك غداً. يا بنيّ تذوق ما ذاق أبوك، وستذوقه من بعدك أُمّك، وإنّ أعظم الراحة لهذا الجسد النوم، والنوم أخو الموت، فما عليك إن كنت نائماً على فراشك، أو على غيره، وإنّ غداً السؤال والجنّة والنار، فإن كنت من أهل الجنّة فما ضرّك الموت، وإن كنت من أهل النار فما تنفعك الحياة، ولو كنت أطول الناس عمراً، والله يا بنيّ، لولا أنّ الموت أشرف الأشياء لابن آدم لما أمات الله نبيّهﷺ، وأبقى عدوّه إبليس (لعنه الله).

وعن المبرّد قال:

أتيت امرأة أُعزّيها عن ابنها، فجعلت تثني عليه، فقالت: كان والله، ماله لغير بطنه، وأمره لغير عرسه، وكان رحب الذراع بالتي لا تشينه، فإن كانت الفحشاء ضاق به ذرعاً، فقلت لها: وهل لك منه خلف؟ وأنا أعني الولد، فقالت: نعم بحمد الله كثير

١. المِسح: الكساء من الشعر. المعجم الوسيط، ص ٨٦٨، «مسح».

٢. شعب الإيمان، ج ٧، ص ٢٥٠، ح ١٠١٩٨.

طيّب ثواب الله عزّ وجلّ عليه، ونعم العوض في الدنيا والآخرة.

وعنه: أنّه خرج إلى اليمن فنزل على امرأة لها مال كثير ورقيق وولد وحال حسنة، فأقام عندها مدّة، فلمّا أراد الرحيل، قال: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، كلّما نزلت هذه البلاد فانزل عليّ.

وإنّه غاب أعواماً، ثمّ نزل عليها، فوجدها قد ذهب مالها ورقيقها، ومات ولدها، وباعت منزلها، وهي مسرورة ضاحكة، فقال لها: أتضحكين مع ما قد نزل بك؟ فقالت: يا عبد الله كنت في حال النعمة في أحزان كثيرة، فعلمت أنّها من قلّة الشكر، فأنا اليوم في هذه الحالة أضحك شكراً للّه تعالى على ما أعطاني من الصبر[١].

وعن مسلم بن يسار، قال:

قدمت البحرين فأضافتني امرأة لها بنون ورقيق ومال ويسار، وكنت أراها محزونة، فغبت عنها مدّة طويلة، ثمّ أتيتها فلم أرَ ببابها إنساً، فاستأذنت عليها، فإذا هي ضاحكة مسرورة، فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: إنّك لمّا غبت عنّا لم نرسل شيئاً في البحر إلّا غرق، ولا شيئاً في البرّ إلّا عطب، وذهب الرقيق، ومات البنون، فقلت لها: يرحمك الله، رأيتك محزونة في ذلك اليوم، ومسرورة في هذا اليوم، فقالت: نعم، إنّي لمّا كنت فيما كنت فيه من سعة الدنيا، خشيت أن يكون الله تعالى قد عجّل لي حسناتي في الدنيا، فلمّا ذهب مالي وولدي ورقيقي رجوت أن يكون الله تعالى قد ذخر لي عنده شيئاً[٢].

وعن بعضهم قال:

خرجت أنا وصديق لي إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين

---

١. التعازي والمراثي، ص ٢٦١؛ كتاب التعازي، المدائني، ص ٧١ ـ ٧٢.

٢. حلية الأولياء، ج ٢، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، بتفاوت في العبارة.

الطريق فقصدنا نحوها فسلّمنا، فإذا بامرأة تردّ علينا السلام، وقالت: من أنتم؟ قلنا: ضالّون، فأتيناكم فاستأنسنا بكم، فقالت: يا هؤلاء، ولّوا وجوهكم عنّي، حتّى أقضي من حقّكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مِسْحاً وقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني.

ثمّ جعلت ترفع طرف الخيمة، وتردّها إلى أن رفعته مرّة فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أمّا البعير فبعير ابني، وأمّا الراكب فليس هو به، قال: فوقف الراكب عليها، وقال: يا أُمّ عقيل، (عظّم الله أجرك) في عقيل ولدك، فقالت: ويحك مات!؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في بئر، فقالت: انزل واقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه، وقرب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل، ونتعجّب من صبرها.

فلمّا فرغنا خرجت إلينا وقالت: يا قوم، هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئاً؟ فقلت: نعم، قالت: فاقرأ عليّ آيات أتعزّى بها عن ولدي، فقلت: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرينَ الَّذِينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]. قالت: بالله، إنّها في كتاب الله هكذا؟ قلت: والله، إنّها لفي كتاب الله هكذا، فقالت: السلام عليكم، ثمّ صفّت قدميها وصلّت ركعات، ثمّ قالت: اللهمّ إنّي قد فعلت ما أمرتني به، فأنجز لي ما وعدتني به، ولو بقي أحدٌ لأحدٍ ـ قال: فقلت في نفسي تقول: لبقي ابني لحاجتي إليه، فقالت ـ لبقي محمّدﷺ لأُمّته.

فخرجت وأنا أقول: ما رأيت أكمل منها ولا أجزل، ذكرت ربّها بأكمل خصاله وأجمل جلاله، ثمّ إنّها لمّا علمت أنّ الموت لا مدفع له، ولا محيص عنه، وأنّ

١. البقرة (٢): ١٥٥ ـ ١٥٧.

الجزع لا يجدي نفعاً، والبكاء لا يردّ هالكاً، رجعت إلى الصبر الجميل، واحتسبت ابنها عند الله تعالى ذخيرة نافعة ليوم الفقر والفاقة[١].

ونحوه ما أخرجه ابن أبي الدنيا، قال:

كان رجل يجلس إليّ، فبلغني أنّه شاكٍ[٢] فأتيته أعوده، فإذا هو قد نزل به الموت، وإذا أُمّ له عجوز كبيرة عنده، فجعلت تنظر حتّى غُمِّض وعُصِّب وسُجِّي، ثمّ قالت: رحمك الله، أي بُنيّ، فقد كنت بنا بارّاً، وعلينا شفيقاً، فرزقني الله عليك الصبر، فقد كنت تطيل القيام، وتكثر الصيام، لا حرمك الله تعالى ما أمّلت فيه من رحمته، وأحسن فيك العزاء، ثمّ نظرت إليّ وقالت: أيّها العائد قد رأيت واعظاً ونحن معك.

وروى البيهقي عن ذي النون المصري، قال: كنت في الطواف، وإذا أنا بجاريتين قد أقبلتا، وأنشأت إحداهما تقول:

صَبَرْتُ وكـان الصَّـبْرُ خَـيْرَ مَـغَبَّةٍ ... وهل جَزَعٌ مـنّي لِـيُجْدِي فَأَجْـزَعُ

صَبَرْتُ على مـا لو تَـحَمَّلُ بَـعْضَهُ ... جِبالُ بِـرَضْوَىَ أَصْـبَحَتْ تَـتَصَدَّعُ

مَلَكْتُ دُمُـوعَ العَـيْنِ ثُـمّ رَدَدْتُـها ... إلى ناظِري فَالعَيْنُ في القَلْبِ تَدْمَعُ

فقلت: ممّا ذا يا جارية؟ فقالت: من مصيبة نالتني، لم تصب أحداً قطّ. قلت: وما هي؟ قالت: كان لي شبلان يلعبان أمامي، وكان أبوهما ضحّى بكبشين، فقال أحدهما لأخيه: يا أخي، أُريك كيف ضحّى أبونا بكبشه؟ فقام وأخذ الآخر شفرة فنحره، وهرب القاتل فدخل أبوهما، فقلت: إنّ ابنك قتل أخاه وهرب، فخرج في طلبه فوجده قد افترسه السبع، فرجع الأب فمات في الطريق ظمأً وجوعاً[٣].

---

١. تسلية أهل المصائب، ص ١٤٢.

٢. شكا: تألّم ممّا به من مرض ونحوه. المعجم الوسيط، ص ٤٩٢، «شكا».

٣. شعب الإيمان، ج ٧، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١، ح ١٠٢٠١.

وروى بعضهم هذه الرواية، وزاد فيها، قال:

رأيت امرأة حسناء، ليس بها شيء من الحزن، وقالت: والله، ما أعلم أحداً أُصيب بما أُصبت به، وأوردت القصّة، فقلت لها: كيف أنت والجزع؟ فقالت: لو رأيت فيه دركاً ما اخترت عليه شيئاً، ولودام لي لدمت له.

وحكى بعضهم، قال:

أُصيبت امرأة بابن لها فصبرت، فقيل لها في ذلك، فقالت: آثرت طاعة الله تعالى على طاعة الشيطان.

الباب الثالث

في الرضى

قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَا فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾[1] ﴿رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[2].

اعلم أنّ الرضى ثمرة المحبّة للّه، من أحبّ شيئاً أحبّ فعله، والمحبّة ثمرة المعرفة، فإنّ من أحبّ شخصاً إنسانيّاً لاشتماله على بعض صفات الكمال أو نعوت الجمال، يزداد حبّه له، كلّما زاد به معرفة ولو تصوّراً.

فمن نظر بعين بصيرته إلى جلال الله تعالى وكماله ـ الذي يطول شرح تفصيل بعضه، ويخرج عن مقصود الرسالة ـ أحبّه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ﴾[3] ومتى أحبّه استحسن كلّ أثر صادر عنه، وهو يقتضي الرضى.

فالرضى ثمرة من ثمرات المحبّة، بل كلّ كمال فهو ثمرتها، فإنّها لمّا كانت فرع المعرفة استلزم تصوّر رحمته رجاءه، وتصوّر هيبته الخشية له، ومع عدم الوصول إلى المطلوب الشوق، ومع الوصول الأُنس، ومع إفراط الأُنس الانبساط، ومع مطالعة عنايته

---

١. الحديد (٥٧): ٢٣.

٢. المائدة (٥): ١١٩؛ التوبة (٩): ١٠٠؛ المجادلة (٥٨): ٢٢؛ البيّنة (٩٨): ٨.

٣. البقرة (٢): ١٦٥.

التوكّل، ومع استحسان ما يصدر عنه الرضى، ومع تصوّر قصور نفسه في جنب كماله، وكمال إحاطة محبوبه به، وقدرته عليه التسليم إليه، ويتشعّب من التسليم مقامات عظيمة، يعرفها من عرفها، وينتهي الأمر به إلى غاية كلّ كمال.

واعلم أنّ الرضى فضيلة عظيمة للإنسان، بل جماع أمر الفضائل يرجع إليها، وقد نبّه الله تعالى على فضله، وجعله مقروناً برضى الله تعالى وعلامة له، فقال: ﴿رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1] ﴿وَرِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ﴾[2] وهو نهاية الإحسان، وغاية الامتنان.

وجعله النبيّ ﷺ دليلاً على الإيمان، حين سأل طائفة من أصحابه: ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فقال: «ما علامة إيمانكم؟» قالوا: نصبر على البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال: «مؤمنون وربّ الكعبة»[3].

وقال النبيّ ﷺ: «إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن رضي اصطفاه»[4].

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أُمّتي أجنحة، فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها، ويتنعّمون كيف يشاؤون، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون: هل رأيتم جهنّم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: مِن أُمّة مَن أنتم؟ فيقولون: من أُمّة محمّد ﷺ، فيقولون: نشدناكم الله، حدّثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا؟ فيقولون: خصلتان كانتا فينا، فبلّغنا تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنّا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسير

---

١. المائدة (٥): ١١٩؛ التوبة (٩): ١٠٠؛ المجادلة (٥٨): ٢٢؛ البيّنة (٩٨): ٨.

٢. التوبة (٩): ٧٢.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦١ ـ ٦٢، ٣٤٤؛ المعجم الأوسط، ج ١٠، ص ١٩٤، ح ٩٤٢٣؛ مجمع الزوائد، ج ١، ص ٥٤.

٤. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٢٩، ٣٤٤.

ممّا قسم لنا، فتقول الملائكة: حقّ لكم هذا»[١].

وقال ﷺ: «أعطوا الله الرضى من قلوبكم، تظفروا بثواب الله تعالى يوم فقركم وإلّا فلا»[٢].

وفي أخبار موسى عليه السلام أنّهم قالوا: سل لنا ربّك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنّا، فأوحى الله تعالى إليه: «قل لهم: يرضون عنّي، حتّى أرضى عنهم»[٣].

ونظيره ما روي عن نبيّنا ﷺ: أنّه قال: «من أحبّ أن يعلم ما له عند الله عزّ وجلّ، فلينظر ما للّه عزّ وجلّ عنده، فإنّ الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه»[٤].

وفي أخبار داود عليه السلام: «ما لأوليائي والهمّ بالدنيا، إنّ الهمّ يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم. يا داود، إنّ محبّتي من أوليائي أن يكونوا روحانيّين لا يغتمّون»[٥].

وروي أنّ موسى عليه السلام قال: «يا ربّ، دلّني على أمر فيه رضاك عنّي أعمله، فأوحى الله تعالى إليه أنّ رضاي في كرهك، وأنت ما تصبر على ما تكره، قال: يا ربّ، دلّني عليه، قال: فإنّ رضاي في رضاك بقضائي»[٦].

وفي مناجاة موسى عليه السلام: «أي ربّ، أيّ خلقك أحبّ إليك؟ قال: من إذا أخذت حبيبه سالمني، قال: فأيّ خلق أنت عليه ساخط؟ قال: من يستخيرني في الأمر، فإذا قضيت له سخط قضائي»[٧].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
٢. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ١٩٩ و ٣٤٥؛ وبهذا المعنى أيضاً روى الكليني في الكافي، ج ٢، ص ٢٦٣، باب فضل فقراء المسلمين، ح ١٤.
٣. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥.
٤. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥؛ المعجم الأوسط، ج ٣، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤، ح ٢٥٢٢؛ المستدرك، الحاكم، ج ١، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥؛ وبهذا المعنى أيضاً روى ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي، ص ١٦٧.
٥. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥.
٦. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥؛ الدعوات، الراوندي، ص ١٦٤، ح ٤٥٣.
٧. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥

وروي ما هو أشدّ منه، وذاك أنّ الله تعالى قال: «أنا الله، لا إله إلّا أنا، من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتّخذ ربّاً سوائي»[١].

ويروى أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «يا داود، تريد وأُريد، وإنّما يكون ما أُريد، فإن سلّمت لما أُريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلّم لما أُريد أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلّا ما أُريد»[٢].

وعن ابن عبّاس: أوّل من يدعى إلى الجنّة يوم القيامة، الذين يحمدون الله تعالى على كلّ حال[٣].

وعن ابن مسعود: لأن أَلْحَسَنَّ[٤] جمرة أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت، أحبّ إليّ من أن أقول لشيء كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان[٥].

وعن أبي الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضى بالقدر[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضى واليقين، وجعل الغمّ والحزن في الشكّ والسخط»[٧].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «الزهد عشرة أجزاء: أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضى»[٨].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٥؛ الدعوات، الراوندي، ص ١٦٩، ح ٤٧١؛ الجامع الصغير، ص ٣٧٣، ح ٦٠٠٩.

٢. التوحيد، الصدوق، ص ٣٣٧، باب المشيئة والإرادة، ح ٤؛ إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٦.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٦؛ مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٩٥؛ المعجم الأوسط، ج ٤، ص ٤٤، ح ٣٠٥٧؛ الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٤٨.

٤. ألحسنّ: بصيغة المتكلّم وحده مع نون التأكيد.

٥ و ٦. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٦.

٧. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٧؛ المعجم الكبير، ج ١٠، ص ٢١٥ ـ ٢١٦، ح ١٠٥١٤؛ الجامع الصغير، ص ١٥٠، ح ٢٤٩٣؛ وبهذا المعنى أيضاً روى البرقي في المحاسن، ج ١، ص ٨٠ ـ ٨١، ح ٤٧.

٨. الكافي، ج ٢، ص ٦٢، باب الرضى بالقضاء، ح ١٠، وص ١٢٨، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها، ح ٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٣، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ١٣.

وقال الصادق ﷺ: «صفة الرضى أن ترضى المحبوب والمكروه، والرضى شعاع نور المعرفة، والراضي فانٍ عن جميع اختياره، والراضي حقيقة هو المرضيّ عنه، والرضى اسم يجتمع فيه معاني العبوديّة، وتفسير الرضى سرور القلب. سمعت أبي محمّد الباقر ﷺ يقول: تعلّق القلب بالموجود شرك، وبالمفقود كفر، وهما خارجان عن سنّة الرضى. والعجب ممّن يدّعي العبوديّة للّه كيف ينازعه في مقدوراته؟! حاشا الراضين العارفين عن ذلك»[١].

وروي أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) ابتلي في آخر عمره بضعف الهرم والعجز، فزاره محمّد بن عليّ الباقر ﷺ، فسأله عن حاله، فقال: أنا في حالة أُحبّ فيها الشيخوخة على الشباب، والمرض على الصحّة، والموت على الحياة. فقال الباقر ﷺ: «أمّا أنا يا جابر، فإن جعلني الله شيخاً أُحبّ الشيخوخة، وإن جعلني شابّاً أُحبّ الشبوبة، وإن أمرضني أُحبّ المرض، وإن شفاني أُحبّ الشفاء والصحّة، وإن أماتني أُحبّ الموت، وإن أبقاني أُحبّ البقاء».

فلمّا سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه، وقال صدق رسول الله ﷺ، فإنّه قال: «ستدرك لي ولداً اسمه اسمي، يبقر العلم بقراً كما يبقر الثور الأرض»؛ ولذلك سمّي باقر علم الأوّلين والآخرين، أي شاقّه.

وروى الكليني بإسناده إلى أبي عبد الله ﷺ، أنّه قال: «رأس طاعة الله الصبر والرضى عن الله فيما أحبّ العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ وكره، إلّا كان خيراً له فيما أحبّ أو كره»[٢].

وبإسناده عنه ﷺ قال: «أعلم الناس بالله تعالى أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ»[٣].

---

١. مصباح الشريعة، ص ٥٣٩، باب في الرضى.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠، باب الرضى بالقضاء، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٣، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ١٢.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٦٠، باب الرضى بالقضاء، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥١، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ٣.

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «قال الله تعالى: عبدي المؤمن لا أصرِفه في شيء إلّا جعلته خيراً له، فليرضَ بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمّد من الصدّيقين عندي»[١].

وعنه عليه السلام قال: «فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، فإنّي إنّما أبتليه لما هو خير له، وأُعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي، إذا عمل برضائي، وأطاع أمري»[٢].

وقيل للصادق عليه السلام: بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن؟ قال: «بالتسليم للّه، والرضى فيما ورد عليه من سرور أو سخط»[٣].

وروي في الإسرائيليّات: أنّ عابداً عبد الله تعالى دهراً طويلاً، فرأى في المنام: فلانة رفيقتك في الجنّة، فسأل عنها، واستضافها ثلاثاً لينظر إلى عملها، فكان يبيت قائماً، وتبيت نائمة، ويظلّ صائماً، وتظلّ مفطرة، فقال لها: أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقال: ما هو والله غير ما رأيت، ولا أعرف غيره فلم يزل يقول: تذكّري، حتّى قالت: خصيلة واحدة هي، إن كنت في شدّة لم أتمنّ أن أكون في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمنّ أن أكون في صحّة، وإن كنت في الشمس لم أتمنّ أن أكون في الظلّ، فوضع

١. الكافي، ج ٢، ص ٦١، باب الرضى بالقضاء، ح ٦؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ٢.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦١ ـ ٦٢، باب الرضى بالقضاء، ح ٧؛ الأمالي، المفيد، ص ٩٣، المجلس الحادي عشر، ح ٢؛ الأمالي، الطوسي، ص ٢٣٨، المجلس التاسع، ح ١٣؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٢، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ٩.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٦٢ ـ ٦٣، باب الرضى بالقضاء، ح ١٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٢، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ٧.

العابد يديه على رأسه، وقال: أهذه خصيلة؟ هذه والله، خصلة عظيمة يعجز عنها العباد[١].

فصل [في مرتبة الرضى]

مرتبة الرضى عالية جدّاً على مرتبة الصبر، بل نسبة الصبر إلى الرضى عند أهل الحقيقة نسبة المعصية إلى الطاعة، فإنّ المحبّة تقتضي اللذّة بالبلاء؛ لأنّه يجد في البلاء نفسَهُ على ذكر من محبوبه، فيزيد قربه وأُنسه. والصبر يقتضي كراهة البلاء واستصعابه حتّى يوجب الصبر عليه، والكراهة تنافي الأُنس، فتبيّن بذلك أنّ الصبر والمحبّة متنافيان.

وأيضاً، فإنّ الصبر إظهار التجلّد، وهو في مذهب المحبّة من أشدّ المنكرات نكراً، وأظهر علامات العداوة طرّاً، كما قيل:

ويحسن إظهارُ التجلّدِ للعِدى   ويقبح إلّا العجز عند الأحبّةِ[٢]

ومن هنا قال أهل الحقيقة: الصبر من أصعب المنازل على العامّة، وأوحشها في طريق المحبّة، وأنكرها في طريق التوحيد[٣].

وإنّما كان أصعب عند العامّة، لأنّ العامّي لم يتدرّب بالرياضة، ولم يتحنّك بالصبر على البلاء، ولم يتعوّد بقمع النفس، ولم يكن من أهل المحبّة حتّى يتلذّذ بالبلاء، فإذا امتحنه الحقّ سبحانه بالبلاء وهو في مقام النفس، لم يحتمل البلاء وغلبهُ الجزع، وصَعُب عليه حبس النفس عن إظهاره لعدم طمأنينتها.

وإنّما كان أوحش المنازل في طريق المحبّة؛ لأنّ المحبّة تقتضي الأُنس بالمحبوب، والالتذاذ بالبلاء؛ لشهود المبتلى فيه وإيثار مراد المحبوب، والصبر يقتضي كراهة البلاء كما مرّ، فيتنافيان.

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٦.

٢. القائل هو ابن الفارض في ديوان ابن الفارض، ص ٥٠.

٣. القائل هو خواجه عبد الله أنصاري في منازل السائرين، ص ١٩٦.

وإنّما كان أنكر في مقام التوحيد؛ لأنّ الصابر يدّعي قوّة الثبات، ودعوى الثبات والتجلّد من رعونات[١] النفس، والتوحيد يقتضي فناء النفس، فيكون أنكر؛ لأنّ إثبات النفس في طريق التوحيد من أقبح المنكرات، بل الرضى مع عظم قدره وعلوّ أمره عند أهل التحقيق في التوحيد من أوائل مسالكه؛ لأنّ سلوكهم في الفناء في التوحيد بذواتهم، والرضى هو فناء الإرادة في إرادة الحقّ تعالى، والوقوف الصادق مع مراد الله تعالى، وفناء الصفة قبل فناء الذات.

وقد تبيّن لك بذلك، ما بين الصبر والرضى من المراتب البعيدة والمسالك الشديدة.

فصل [في درجات الرضى]

للرضى ثلاث درجات، مترتّبة في القوّة ترتّبها في اللفظ:

الدرجة الأُولى: أن ينظر إلى موقع البلاء، والفعل الذي يقتضي الرضى، ويدرك موقعه، ويحسّ بألمه، ولكن يكون راضياً به، بل راغباً فيه، مريداً له بعقله، وإن كان كارهاً له بطبعه، طلباً لثواب الله تعالى عليه، ومزيداً لزلفى لديه، والفوز بالجنّة التي عرضها السماوات والأرض، وقد أُعدّت للمتّقين.

وهذا القسم من الرضى هو رضى المتّقين.

ومثاله، مثال من يلتمس الفصد والحجامة من الطبيب العالم بتفاصيل أمراضه وما فيه إصلاحه، فإنّه يدرك ألم ذلك الفعل، إلّا أنّه راضٍ به، وراغب فيه، ومتقلّد من الفَصّاد[٢] منّةً عظيمة بفعله.

ومثله من يسافر في طلب الربح، فإنّه يدرك مشقّة السفر، ولكن حبّه لثمرة سفره طَيَّب

١. الرعونة ـ عند الصوفيّة ـ: الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها. المعجم الوسيط، ص ٣٥٥، «رعن».

٢. فَصَدَ العِرق فصداً وفصاداً: شقّه، ويقال فَصَدَ المريض: أخرج مقداراً من دم وريده بقصد العلاج، وفَصَّدَ مبالغة في فَصَدَ. المعجم الوسيط، ص ٦٩٠، «فصد».

عنده مشقّة السفر، وجعله راضياً به، ومهما أصابته بليّة من الله تعالى، وكان له يقين بأنّ ثوابه الذي ادّخر له فوق ما فاته رضي به، ورغب فيه، وأحبّه، وشكر الله تعالى عليه.

الدرجة الثانية: أن يدرك الألم كذلك، ولكنّه أحبّه؛ لكونه مراد محبوبه ورضاه، فإنّ من غلب عليه الحبّ كان جميع مراده، وهواه ما فيه رضى محبوبه، وذلك موجود في الشاهد بالنسبة إلى حبّ الخلق بعضهم بعضاً، قد تواصفه المتواصفون في نظمهم ونثرهم، ولا معنى له إلّا ملاحظة حال الصورة الظاهرة بالبصر.

وما هذا الجمال إلّا جلد على لحم، ودم مشحون بالأقذار والأخباث، بدايته من نطفة مذرة، ونهايته جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

والناظر لهذا الجمال الخسيس هو العين الخسيسة التي تغلط في ما ترى كثيراً، فترى الصغير كبيراً، والكبير صغيراً، والبعيد قريباً، والقبيح جميلاً.

فإذا تصوّر الإنسان استيلاء هذا الحبّ، فمن أين يستحيل ذلك في حبّ الجمال الأزلي الأبدي، الذي لا ينتهي كماله المدرك بعين البصيرة، التي لا يعتريها الغلط، ولا يزيلها الموت، بل يبقى بعد الموت حيّاً عند الله، فرحاً مسروراً برزق الله، مستفيداً بالموت مزيد تنبّه واستكشاف؟! وهذا أمر واضح من حيث الاعتبار، وتشهد له جملة من الآثار، وردت من أحوال المحبّين وأقوالهم، يأتي بعضها إن شاء الله تعالى، وهذه مرتبة المقرّبين.

الدرجة الثالثة: أن يبطل إحساسه بالألم، حتّى يجري عليه المؤلم ولا يحسّ، وتصيبه جراحة، ولا يدرك ألمه.

ومثاله، الرجل المحارب، فإنّه في حال غضبه أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحسّ بها، حتّى إذا رأى الدم استدلّ به على الجراحة، بل الذي يعدو في شغل مريب قد تصيبه شوكة في قدمه، ولا يحسّ بألمه لشغل قلبه، بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالّة يتألّم بها، فإن كان قلبه مشغولاً بمهمّ من مهمّاته، يفرغ الحجّام أو الحالق، وهو لا يشعر به.

وكلّ ذلك؛ لأنّ القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الأُمور لم يدرك ما عداه.

ونظائر ذلك في هموم أهل الدنيا، واشتغالهم بها، وإكبابهم عليها، حتّى لا يتألّمون ولا يحسّون بالجوع والعطش والتعب؛ لذلك كثير مُشاهَد عياناً، فكذلك العاشق المستغرق الهمّ بمشاهدة محبوبه، قد يصيبه ما كان يتألّم به، أو يغتمّ لولا عشقه، ثمّ لا يدرك غمّه وألمه؛ لفرط استيلاء الحبّ على قلبه، هذا إذا أصابه من غير حبيبه، فكيف إذا أصابه من حبيبه.

وشغل القلب بالحبّ والعشق من أعظم الشواغل، وإذا تصوّر هذا في ألم يسير بسبب حبّ خفيف، تصوّر في الألم العظيم بالحبّ العظيم، فإنّ الحبّ أيضاً يتصوّر تضاعفه في القوّة، كما يتصوّر تضاعف الألم، وكما يقوى حبّ الصور الجميلة المدركة بحاسّة البصر، فكذا يقوى حبّ الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة الربوبيّة، وجلالها لا يقاس بها جلال، فمن انكشف له شيء منه فقد يبهره، بحيث يدهش ويغشى عليه، فلا يحسّ بما يجري عليه.

كما روي عن امرأة أنّها عثرت فانقطع ظفرها، فضحكت، فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إنّ لذّة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه[١].

وكان بعضهم يعالج غيره من علّة فنزلت به، فلم يعالج نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: ضرب الحبيب لا يوجع[٢].

فصل في ذكر جماعة من السلف، نقل العلماء رضاهم بالقضاء مضافاً إلى ما تقدّم

اعلم أنّ أكثر ما أوردناه في باب الصبر عن جماعة الأكابر تضمّن الرضى بالقضاء، بخصوص موت الولد ونحوه، ولنذكر هنا أُموراً عامّة:

١ و ٢. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٧.

لمّا اشتدّ البلاء على أيّوب عليه السلام قالت امرأته: ألا تدعو ربّك فيكشف ما بك؟ فقال لها: «يا امرأة، إنّي عشت في الملك والرخاء سبعين سنة، فأنا أُريد أن أعيش مثلها في البلاء؛ لعلّي كنت أدّيت شكر ما أنعم الله عليّ، وأولى بي الصبر على ما أبلى»[١].

وروي أنّ يونس عليه السلام قال لجبرئيل عليه السلام: «دلّني على أعبد أهل الأرض، فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وذهب ببصره وسمعه، وهو يقول: إلهي! متّعتني بهما ما شئت، وسلبتني ما شئت، وأبقيت لي فيك الأمل، يا بَرُّ يا وصول»[٢].

وروي أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى، أبرص، مقعد، مضروب الجنبين بالفالج، وقد تناثر لحمه من الجذام، وهو يقول: الحمد للّه الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه.

فقال له عيسى عليه السلام: «يا هذا، وأيّ شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟».

فقال: يا روح الله، أنا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته.

فقال له: «صدقت، هات يدك» فناوله يده، فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان به، فصحب عيسى عليه السلام، وتعبّد معه[٣].

وقال بعضهم:

قصدت عبّادان[٤] في بدايتي، فإذا أنا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع، والنمل يأكل لحمه، فرفعت رأسه، ووضعته في حجري وأنا أُردّد الكلام، فلمّا أفاق قال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربّي؟ فوحقّه لو قطّعني إرباً إرباً، ما ازددت له إلّا حبّاً[٥].

---

١. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٥١؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٤٠ بتفاوت في الألفاظ.
٢. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٨.
٣. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٩.
٤. عبّادان: بلد قرب البصرة. معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٣، الرقم ٨١٣٧.
٥. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٨.

وقطعت رجل بعضهم من ركبته من آكلة خرجت بها، فقال: الحمد للّه الذي أخذ منّي واحدة، وترك ثلاثاً، وعزّتك لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت، ثمّ لم يدع وِرده تلك الليلة[١].

وقال بعضهم:

نلت من كلّ مقام حالاً إلّا الرضى بالقضاء، فمالي منه إلّا مشامّ الريح، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلّهم الجنّة وأدخلني النار كنت بذلك راضياً[٢].

وقيل لبعض العارفين: نلت غاية الرضى عنه، فقال: أمّا الغاية فلا، ولكن مقام من الرضى قد نلته، لو جعلني الله جسراً على جهنّم، تعبر الخلائق عليّ إلى الجنّة، ثمّ ملأ بي جهنّم لأحببت ذلك من حكمه، ورضيت به من قسمه[٣].

وهذا كلام من علم أنّ الحبّ قد استغرق همّه، حتّى منع الإحساس بألم النار، واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه، لكنّه بعيد من الأحوال الضعيفة في هذا الزمان، ولا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم حال الأقوياء، ويظنّ أنّ ماهو عاجز عنه يعجز عنه غيره من الأولياء.

وكان عمران بن حصين[٤] (رضي الله عنه) استسقى بطنه، فبقي ملقىً على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سريره موضع لقضاء حاجته، فدخل عليه أخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله، فقال:

لِمَ تبكي؟ قال: لأنّي أراك على هذه الحالة العظيمة، قال: لا تبك، فإنّ ما أحبّه لي الله تعالى أُحبّه، ثمّ قال: أُحدّثك شيئاً لعلّ الله ينفعك به، واكتم عليّ حتّى أموت،

---

١ و ٢. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٩.

٣. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

٤. في «م، ح»: «عمر بن حصين» بدل «عمران بن حصين». وما أثبتناه من المصدر ولعلّه هو الصحيح. لمزيد التوضيح راجع الإصابة، ج ٤، ص ٥٨٤، الرقم ٦٠٢٤.

إنّ الملائكة لتزورني فآنس بها، وتسلّم عليّ فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أنّ هذا البلاء ليس بعقوبة؛ إذ هو سبب لهذه النعمة الجسيمة، فمن شاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضياً به[١].

وقال بعضهم:

دخلنا على سويد بن شعبة، فرأينا ثوباً ملقى، فما ظننّا أنّ تحته شيئاً حتّى كشف، فقالت امرأته: أهلك فداؤك، أما نطعمك، أما نسقيك؟ فقال: طالت الضجعة[٢]، ودبرت الحراقيف[٣]، وأصبحت نضواً[٤]، لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً منذ كذا فذكر أيّاماً وما يسرّني أنّي نقصت من هذا قلامة ظفر[٥].

وروي عن بعضهم، وكان قاسى المرض ستّين سنة، فلمّا اشتدّ عليه حاله دخل عليه بنوه، فقالوا:

أتريد أن تموت، حتّى تستريح ممّا أنت فيه؟ قال: لا، قالوا: فما تريد؟ قال: ما لي إرادة، إنّما أنا عبد، وللسيّد الإرادة في عبده، والحكم في أمره.

وقيل:

اشتدّ المرض بفتح الموصلي، وأصابه مع مرضه الفقر والجهد، فقال: إلهي وسيّدي، ابتليتنى بالمرض والفقر، فهذا فعالك بالأنبياء والمرسلين، فكيف لي أن أُؤدّي شكر ما أنعمت به عليّ؟[٦]

١. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٩.
٢. ضَجَعَ: وضع جنبه على الأرض. المعجم الوسيط، ص ٥٣٤، «ضجع». وهو هنا كناية عن طول المرض.
٣. الحرقفة: عظم الحجبة، وهي رأس الورك، والجمع الحراقف. لسان العرب، ج ٩، ص ٤٦، «حرقف».
٤. النِضو ـ بالكسر ـ: المهزول. لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٣٠، «نضو».
٥. إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
٦. راجع حلية الأولياء، ج ٨، ص ٢٩٢، الرقم ٤١٥.

فصل [في الدعاء ووظائف الداعي]

اعلم أنّ الدعاء يدفع البلاء، وزوال المرض وحفظ الولد لا ينافي الرضى بالقضاء، فقد تعبّدَنا الله سبحانه بالدعاء، وندبَنا إليه وحثّنا عليه، وجعل تركه استكباراً، وفعله عبادة، ووعد بالإجابة، ودعا الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمروا به، وما نقل عنهم خارج عن حدّ الحصر، وقد أثنى الله تعالى على الداعين من عباده، فقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾[1].

ومن وظائف الداعي أن يكون في دعائه ممتثلاً لأمر ربّه تبارك وتعالى بالدعاء في طلب ما أمره بطلبه، وأنّه لولا أمره به وإذنه له فيه لما اجترأ على التعرّض لمخالفة قضائه، وفي الحقيقة هذا نوع من الرضى لمن فهم مواضع الرضى، وأدّب نفسه، وقام بوظائف الدعاء.

ومن علاماته، أنّه إذا لم يجب إلى مطلوبه لا يتألّم من ذلك، من حيث عدم إجابته؛ لجواز أن يكون المدعوّ به مشتملاً على مفسدة لا يعلمها إلّا الله تعالى، كما ورد أنّ العبد ليدعو الله تعالى بالشيء حتّى ترحمه الملائكة وتقول: إلهي ارحم عبدك المؤمن، وأجب دعوته، فيقول الله تعالى: كيف أرحمه من شيء به أرحمه؟[2]

نعم، لو استوحش من حيث احتمال أن يكون السبب الذي أوجب ردّ دعائه بُعده عن الله تعالى، واستحقاقه للخيبة[3] والإجباه[4] والطرد والإبعاد، فلا حرج، فإنّ كمال المؤمن أن يكون ماقتاً لنفسه مزرياً عليها، حتّى لو أُجيبت دعوته فلا يظنّن أنّ ذلك من

---

١. الأنبياء (٢١): ٩٠.

٢. كنز الفوائد، الكراجكي، ج ١، ص ٣٧٩.

٣. خاب خيبةً: حُرِم ولم ينل ما طلب. المعجم الوسيط، ص ٢٦٤، «خاب».

٤. جَبَهَهُ جبهاً: قابله بما يكره، وردّه عن حاجته. المعجم الوسيط، ص ١٠٦، «جبه».

كرامته على الله تعالى وقربه منه، بل يجوز أن يكون ذلك من بغض الله تعالى وكراهته لصوته، وتأذّي الملائكة برائحته، فتسأل الله تعالى أن يعجّل بإجابته لتستريح منه.

وكذلك قد يكون سبب تأخير الإجابة من محبّة الله تعالى وملائكته لصوته، وتلذّذهم بمناجاته، فتسأل الله تعالى تأخير إجابته كذلك، كما ورد في الأخبار[١]، فالمؤمن أبداً بين رجاء وخوف، فإنّ بهما قوام الأعمال، والانزجار عن المعاصي، والرغبة في الطاعات.

---

١. راجع الكافي، ج ٢، ص ٤٨٨ ـ ٤٩١، باب من أبطأت عليه الإجابة.

الباب الرابع

في البكاء

اعلم أنّ البكاء بمجرّده غير مناف للصبر ولا للرضى بالقضاء، وإنّما هو طبيعة بشريّة، وجبلّة إنسانيّة، ورحمة رحميّة أو حبيبيّة، فلا حرج في إبرازها، ولا ضرر في إخراجها، ما لم تشتمل على أحوال تؤذن بالسخط، وتنبئ عن الجزع، وتذهب بالأجر، من شقّ الثوب ولطم الوجه وضرب الفخذ وغيرها.

وقد ورد البكاء في المصائب عن النبيّ ﷺ[1]، ومن قبله من لدن آدم عليه السلام، وبعده من آله وأصحابه مع رضاهم وصبرهم وثباتهم.

فأوّل من بكى آدم عليه السلام على ولده هابيل[2]، ورثاه بأبيات مشهورة، وحزن عليه حزناً كثيراً، وإن خفي شيء فلا يخفى حال يعقوب عليه السلام، حيث بكى حتّى ﴿ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[3] على يوسف عليه السلام.

ومن مشاهير الأخبار ما روي عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاء غلامه بطعامه

---

١. ستأتي رواياته.

٢. تفسير القمّي، ج ١، ص ١٧٤؛ الكافي، ج ٨، ص ١١٣، حديث آدم عليه السلام مع الشجرة، ح ٩٢.

٣. يوسف (١٢): ٨٤.

وشرابه، فيضعه بين يديه، ويقول: كُلْ يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله ﷺ جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرّر ذلك، ويبكي حتّى يبلّ طعامه من دموعه، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ»[١].

وروي عن بعض مواليه أنّه قال: برز يوماً إلى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، فأحصيت عليه ألف مرّة، وهو يقول: «لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله تعبّداً ورقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً وصدقاً» ثمّ رفع رأسه من سجوده وأنّ لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيّدي، ما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقلّ؟!

فقال لي: «ويحك، إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كان نبيّاً ابن نبيّ ابن نبيّ، له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحْدَوْدَبَ ظهره من الغمّ، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيّ في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني، ويقلّ بكائي؟!»[٢].

وعن أنس بن مالك قال: دخلت مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظِئراً[٣] لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ يقبّله، ويشمّه، ثمّ دخل عليه بعد ذلك وإبراهيم عليه السلام يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله تبكي! فقال: «يا ابن عوف إنّها رحمة»، ثمّ أتبعها بأُخرى، فقال رسول الله ﷺ: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا، وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٤].

---

١. اللهوف، ص ٩٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٨٢، الباب ٨٧ من أبواب الدفن، ح ١٠.
٢. اللهوف، ص ٩٢ ـ ٩٣؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، الباب ٨٧ من أبواب الدفن، ح ١١.
٣. الظئر: أي زوج مرضعته. راجع لسان العرب، ج ٤، ص ٥١٥، «ظئر».
٤. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٣٩، ح ١٢٤١.

وعن أسماء ابنة يزيد قالت: لمّا توفّي ابن رسول اللهﷺ إبراهيمﷺ بكى رسول اللهﷺ، فقال له المعزّي: أنت أحقّ من عظّم الله عزّ وجلّ حقّه، فقال رسول اللهﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ، لولا أنّه وعد حقّ، وموعد جامع، وأنّ الآخر تابع للأوّل، لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل ممّا وجدناه، وإنّا بك لمحزونون»[١].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) قال: أخذ رسول اللهﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فأتى إبراهيم وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره، فقال له: «يا بنيّ، إنّي لا أملك لك من الله تعالى شيئاً» وذرفت عيناه، فقال له عبد الرحمن: يا رسول الله تبكي، أوَلم تنه عن البكاء؟. فقالﷺ: «إنّما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، وخمش وجوه، وشقّ جيوب، ورنّة شيطان، إنّما هذه رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحم، ولولا أنّه أمر حقّ، ووعد صدق، وسبيل نأتيه، وأنّ آخرنا سيلحق أوّلنا، لَحَزنّا عليك حزناً أشدّ من هذا، وإنّا بك لمحزونون، تبكي العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ عزّ وجلّ»[٢].

وعن أبي أُمامة قال: جاء رجل إلى النبيّﷺ حين توفّي ابنه وعيناه تدمعان، فقال: يا نبيّ الله، تبكي على هذا السخل؟ والذي بعثك بالحقّ لقد دفنت اثني عشر ولداً في الجاهليّة كلّهم أشبّ منه، أدسّه في التراب، فقال النبيّﷺ: «فماذا إن كانت الرحمة ذهبت منك؟ يحزن القلب وتدمع العين، ولا نقول ما يسخط الربّ، وإنّا على إبراهيم لمحزونون»[٣].

---

١. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٦، ح ١٥٨٩؛ المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ١٧١، ح ٤٣٣.

٢. السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ١١٥، ح ٧١٥١؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٣٢٨، ح ١٠٠٥. فيه بعض الحديث.

٣. المعجم الكبير، ج ٨، ص ٢٣٠، ح ٧٨٩٩؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٧ ـ ١٨.

وعن محمود بن لبيد، قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول اللهﷺ، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فخرج رسول اللهﷺ حين سمع ذلك، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال: «أمّا بعد، أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله عزّ وجلّ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى المساجد» ودمعت عيناه، فقالوا: يا رسول الله تبكي، وأنت رسول الله! فقال: «إنّما أنا بشر، تدمع العين، ويفجع القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ، والله، يا إبراهيم، إنّا بك لمحزونون»[١].

وعن خالد بن معدان، قال: لمّا مات إبراهيم بن النبيّﷺ بكى، فقيل: أتبكي يا رسول الله؟ فقال: «ريحانة وهبها الله لي، وكنت أشمّها».

وقالﷺ يوم مات إبراهيم: «ما كان من حزن في القلب أو في العين فإنّما هو رحمة، وماكان من حزن باللسان وباليد فهو من الشيطان»[٢].

وروى الزبير بن بكار: «أنّ النبيّﷺ لمّا خرج بإبراهيم خرج يمشي، ثمّ جلس على قبره، ثمّ دُلّي، فلمّا رآه رسول اللهﷺ قد وضع في القبر دمعت عيناه، فلمّا رأى الصحابة ذلك بكوا حتّى ارتفعت أصواتهم، فأقبل عليه أبوبكر فقال: يا رسول الله، تبكي وأنت تنهى عن البكاء؟ فقال النبيّﷺ: «تدمع العين ويوجع القلب ولا نقول ما يسخط الربّ عزّ وجلّ».

وعن السائب بن يزيد، أنّ النبيّﷺ لمّا مات ابنه الطاهر ذرفت عيناه، فقيل: يا رسول الله، بكيت! فقالﷺ: «إنّ العين تذرف، وإنّ الدمع يغلب، وإنّ القلب يحزن ولا نعصي الله عزّ وجلّ»[٣].

---

١. مجمع الزوائد، ج ٢، ص ٢٠٧؛ وروي مختصراً في الكافي، ج ٣، ص ٢٠٨، باب غسل الأطفال و...، ح ٧؛ ومكارم الأخلاق، ص ٢٢.

٢. جامع الأحاديث، ج ٥، ص ٣٥٤، ح ١٩٢٦٣.

٣. جامع الأحاديث، ج ٣، ص ٤١، ح ٧١٥٠؛ المعجم الكبير، ج ٧، ص ١٥٣، ح ٦٦٦٧؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٨.

وروى مسلم في صحيحه: أنّ النبيّ ﷺ زار قبر أُمّه، فبكى وأبكى من حوله[١].

وروي: أنّ النبيّ ﷺ لمّا مات عثمان بن مظعون كشف الثوب عن وجهه، ثمّ قبّل ما بين عينيه، ثمّ بكى طويلاً، فلمّا رفع السرير قال: «طوباك يا عثمان، لم تلبسك الدنيا، ولم تلبسها»[٢].

واشتكى سعد بن عبادة شكوى، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فلمّا دخل عليه وجده في غشيته، فقال: «أو قد مات؟» فقالوا: لا، يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ، فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا، فقال: «ألا تسمعون؟ إنّ الله لا يعذّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذّب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم»[٣].

وروي: أنّ ابنة لرسول الله ﷺ بعثت إليه: إنّ ابنتي مغلوبة، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ للّه ما أخذ، وللّه ما أعطى». وجاءها في ناس من أصحابه، فأخرجت إليه الصبيّة، ونفسها يتقعقع[٤] في صدرها، فرقّ عليها، وذرفت عيناه، فنظر إليه أصحابه، فقال: ما لكم تنظرون إليّ؟ رحمة يضعها الله حيث يشاء، إنّما يرحم الله من عباده الرحماء[٥].

وعن أُسامة بن زيد قال: أُتي النبيّ ﷺ بأمامة بنت زينب، ونفسها يتقعقع في صدرها، فقال رسول الله ﷺ: «للّه ما أخذ، وللّه ما أعطى، وكلٌّ إلى أجل مسمّى»، وبكى، فقال له سعد بن عبادة: تبكي وقد نهيت عن البكاء! فقال رسول الله ﷺ: «إنّما هي رحمة يجعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»[٦].

---

١. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧١، ح ٩٧٦/١٠٥؛ سنن أبي داود، ج ٣، ص ٢١٨، ح ٣٢٣٤؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٩٠.

٢. جامع الأحاديث، ج ٦، ص ١٤٣، ح ١٣٩٦٠.

٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٣٩، ح ١٢٤٢؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٣٦، ح ٦٣٦/١٢.

٤. قعقع الشيء: أحدث صوتاً عند التحريك أو التحرّك. المعجم الوسيط، ص ٧٥٠، «قعقع».

٥. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٨؛ المعجم الكبير، ج ١، ص ١٣٥، ح ٢٨٤.

٦. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢، ح ١٢٢٤؛ وج ٥، ص ٢١٤١، ح ٥٣٣١؛ وج ٦، ص ٢٤٥٢، ح ٦٢٧٩، وص ٢٦٨٦، ح ٦٩٤٢، وص ٢٧١١، ح ٧٠١٠؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٣٥ ـ ٦٣٦، ح ٩٢٣/١١؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٦، ح ١٥٨٨.

ولمّا أُصيب جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، أتى رسول اللهﷺ أسماء (رضي الله عنها)، فقال لها: «أخرجي إليّ ولد جعفر»، فخرجوا إليه، فضمّهم إليه وشمّهم ودمعت عيناه، فقالت: يا رسول الله، أُصيب جعفر! قال: «نعم، أُصيب اليوم»[١].

قال عبد الله بن جعفر: أحفظ حين دخل رسول اللهﷺ على أُمّي، فنعى إليها أبي، ونظرت إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تهراقان الدموع، حتّى تقطر لحيته، ثمّ قال: «اللهمّ إنّ جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلفه في ذرّيته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذرّيته» ثمّ إنّهﷺ قال: «يا أسماء، ألا أُبشّرك؟» قالت: بلى بأبي أنت وأُمّي، فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة»[٢].

وعن أبي عبد اللهﷺ، عن أبيه، عن النبيّﷺ، أنّه قال: «لمّا جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته بكى عليهما جدّاً، وقال: كانا يحدّثاني ويؤنساني، فجاء الموت فذهب بهما»[٣].

وعن خالد بن سلمة، قال: لمّا جاء نعي زيد بن حارثة إلى النبيّﷺ، أتى النبيّﷺ منزل زيد، فخرجت إليه بُنيّة لزيد، فلمّا رأت رسول اللهﷺ خمشت في وجهها، فبكى رسول اللهﷺ، وقال: «هاه هاه»[٤]، فقيل: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «شوق الحبيب إلى حبيبه»[٥].

---

١. المغازي، ج ٢، ص ٧٦٦؛ المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ١٤٣ ـ ١٤٤، ح ٣٨٠؛ مسند أحمد، ج ٧، ص ٥١٣ ـ ٥١٤، ح ٢٦٥٤٦؛ مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١٦١.

٢. إعلام الورى، ص ١١١؛ كنز العمّال، ج ١١، ص ٦٦٤، ح ٣٣٢٠٩، وفيه صدر الحديث.

٣. الفقيه، ج ١، ص ١٧٧، ح ٥٢٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٨٠، الباب ٨٧ من أبواب الدفن، ح ٦.

٤. هاه هاه: حكاية النوح. المعجم الوسيط، ص ١٠٠٥، «هاه».

٥. مكارم الأخلاق، ص ٢٢، في وصف النبيّﷺ.

ولمّا مات سعد بن معاذ (رضي الله عنه)، بكى عليه رسول اللهﷺ كثيراً[١].

وقالﷺ لأُمّ سعد بن معاذ يوماً: «ألا يرقأُ[٢] دمعك، ويذهب حزنك؟ فإنّ ابنك اهتزّ له العرش»[٣].

قيل: وكان رسول اللهﷺ تذرف عيناه، ويمسح وجهه، ولا يسمع صوته.

وعن البراء بن عازب قال: بينما نحن مع رسول اللهﷺ إذ بصر بجماعة، فقال: «على ما اجتمع هؤلاء؟» فقيل: على قبر يحفرونه، قال: فبدر رسول اللهﷺ بين يدي أصحابه مسرعاً، حتّى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتّى بلّ الثرى من دموعه، ثمّ أقبل علينا فقال: «إخواني، لمثل هذا فأعدّوا»[٤].

وعنهﷺ: «العَبرة[٥] لا يملكها أحد، صبابة[٦] المرء على أخيه»[٧].

ولمّا انصرف النبيّﷺ من أُحد راجعاً إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش، فنعى لها الناس أخاها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثمّ نُعي لها خالها حمزة، فاسترجعت واستغفرت له، ثمّ نُعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال رسول اللهﷺ: «إنّ لزوج المرأة منها لمكان، لمّا رأى صبرها عن أخيها وخالها، وصياحها على زوجها».

---

١. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٣٠٩.

٢. رقأ الدمع: سكن وجفّ وانقطع بعد جريانه. المعجم الوسيط، ص ٣٦٣، «رقأ».

٣. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٣٠٩؛ مسند أحمد، ج ٧، ص ٦١٠، ح ٢٧٠٣٤؛ جامع الأحاديث، ج ٣، ص ٣٨٢، ح ٩٢٥٢؛ المستدرك، الحاكم، ج ٣، ص ٢٠٦؛ المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ١٨٥، ح ٤٦٧.

٤. المعجم الأوسط، ج ٣، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١، ح ٢٦٠٩؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٣، ص ٥١٧، ح ٦٥١٥.

٥. العبرة: الدمعة. المعجم الوسيط، ص ٥٨٠، «عبر».

٦. الصبابة: الشوق. المعجم الوسيط، ص ٥٠٥، «صبأ».

٧. الجامع الصغير، ج ٢، ص ٣١٦، ح ٥١٣٥؛ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٨١.

ثمّ مرّ رسول اللهﷺ على دار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه وبكى، ثمّ قال: «لكن حمزة لا بواكي له». فلمّا رجع سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بني عبدالأشهل، أمرا نساءهم أن يذهبن فيبكين على عمّ رسول اللهﷺ، فلمّا سمع رسول اللهﷺ بكاءهنّ على حمزة، خرج إليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين، فقال لهنّ رسول اللهﷺ: «ارجعن (يرحمكنّ الله) فقد واسيتنّ بأنفسكنّ»[١].

وروى الشيخ في «التهذيب بإسناده إلى الصادق عليه السلام: «أنّ إبراهيم خليل الرحمن سأل ربّه أن يرزقه ابنة تبكيه بعد موته»[٢].

فصل: [ما يحبط الأجر عند المصيبة]

عن ابن مسعود قال، قال رسول اللهﷺ: «ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب»[٣].

وعن أبي أُمامة أنّ رسول اللهﷺ قال: «لعن الله الخامشة وجهها، والشاقّة جيبها، والداعية بالويل والثبور»[٤].

وعنهﷺ، أنّه نهى أن تتبع جنازة معها رانّة[٥].

١. السيرة النبويّة، ابن هشام، ج ٣، ص ١٠٤ ـ ١٠٥؛ إعلام الورى، ص ٩٤ ـ ٩٥.
٢. تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٤٦٥، ح ١٥٢٤؛ وأيضاً رواه الكليني في الكافي، ج ٦، ص ٥، باب فضل البنات، ح ٣؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢، الباب ٧٠ من أبواب الدفن، ح ٣.
٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٣٥، ح ١٢٣٢، وص ٤٣٦، ح ١٢٣٥ ـ ١٢٣٦؛ ج ٣، ص ١٢٩٧، ح ٣٣٣١؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٩، ح ١٠٣/١٦٥؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٠ ـ ٢١؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥، ح ١٥٨٤.
٤. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٥، ح ١٥٨٥؛ جامع الأحاديث، ج ٥، ص ٣٧، ح ١٧٠٤٠؛ الجامع الصغير، ج ٢، ص ٤٤٥، ح ٧٢٥٢.
٥. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٤، ح ١٥٨٣؛ جامع الأحاديث، ج ٨، ص ١٧، ح ٢٤٠٧٨؛ المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٣٠٧، ح ١٣٤٨٤، وص ٣١٠، ح ١٣٤٩٨.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: كبر مقتاً عند الله الأكل من غير جوع، والنوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والرنّة عند المصيبة، والمزمار عند النعمة[١].

وعن يحيى بن خالد: أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ، فقال: ما يحبط الأجر عند المصيبة؟ قال: «تصفيق الرجل بيمينه على شماله، والصبر عند الصدمة الأُولى، من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط».

وعن أُمّ سلمة (رضي الله عنها) قالت: لمّا مات أبو سلمة (رضي الله عنه) قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكينّه بكاءً يُتحدّث عنه، فكنت قد تهيّأت للبكاء، إذ أقبلت امرأة تريد أن تسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ، فقال لها: «أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه؟» فكففت عن البكاء[٢].

وعن الباقر عليه السلام: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر، ومن أقام النواح فقد ترك الصبر، ومن صبر واسترجع وحمل الله جلّ ذكره فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله عزّ وجلّ، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله عزّ وجلّ أجره»[٣].

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ضرب الرجل يده على فخذه إحباط لأجره»[٤].

---

١. الجامع الصغير، ج ٢، ص ٣٨٨، ح ٦٢١٦.

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٣٥، ح ٩٢٢/١٠؛ مسند أحمد، ج ٧، ص ٤١٠ ـ ٤١١، ح ٢٥٩٣٣؛ المعجم الكبير، ج ٢٣، ص ٢٧٧، ح ٦٠١.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ١ ـ ٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢، الباب ٨٣ من أبواب الدفن، ح ١.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧٠، الباب ٨١ من أبواب الدفن، ح ١.

فصل [في استحباب الاسترجاع عند المصيبة]

ويستحبّ الاسترجاع عند المصيبة، قال الله تعالى: ﴿الَّذينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إنّا لِـلّهِ وَإنّـا إلَـيْهِ راجِـعُونَ * أُولئِكَ عَـلَيْهِمْ صَـلَواتٌ مِـنْ رَبِّـهِمْ وَرَحْـمَةٌ وَأُولئِكَ هُـمُ المُهْتَدُونَ﴾[1].

وقال النبيّ ﷺ: «أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كان عـصمة أمـره شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد للّه ربّ العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»[2].

وقال الباقر ﷺ: «ما من مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا، فيسترجع عند المـصيبة، ويصبر حين تفجأه المصيبة، إلّا غفر الله له ما مضى من ذنوبه، إلّا الكبائر التي أوجب الله تعالى عليها النار، وكلّما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها، وحمد الله عزّ وجلّ إلّا غفر الله له كلّ ذنب اكتسبه فيما بين الاسترجاع الأوّل إلى الاسترجاع الأخير، إلّا الكبائر من الذنوب»[3]. رواهما الصدوق.

وأسند الكليني، الثاني إلى معروف بن خرّبوذ، عن الباقر ﷺ، ولم يستثنِ منه الكبائر[4].

وروى الكليني بإسناده إلى داود بن زربي ـ بكسر الزاي المعجمة، ثمّ الراء السـاكنة ـ عن الصادق ﷺ: «من ذكر مصيبته ولو بعد حين، فقال: إنّـا للّـه وإنّـا إليـه راجـعون، والحمد للّه ربّ العالمين، اللهمّ آجرني على مصيبتي، واخلف عليَّ أفضل منها، كان له

---

١. البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢. الفقيه، ج ١، ص ١٧٥، ح ٥١٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٨، الباب ٧٣ من أبواب الدفن، ح ٨.

٣. الفقيه، ج ١، ص ١٧٥، ح ٥١٥؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠، الباب ٧٤ من أبواب الدفن، ح ٣.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ٥؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٩، البـاب ٧٤ مـن أبواب الدفن، ح ١.

من الأجر مثل ما كان عند أوّل صدمة»[١].

وروى مسلم، عن أُمّ سلمة (رضي الله عنها) قالت، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيهِ راجِعُون﴾، اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلّا أخلف الله له خيراً منها»، فلمّا مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أوّل بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثمّ إنّي قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ[٢].

وروى الترمذي بإسناده إلى رسول الله ﷺ، قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك، واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة، وسمّوه بيت الحمد»[٣].

ونحوه رواه الكليني عن الصادق عليه السلام، عن النبيّ ﷺ[٤].

فصل [في النوح]

يجوز النوح بالكلام الحسن، وتعداد الفضائل مع اعتماد الصدق؛ لأنّ فاطمة الزهراء عليها السلام فعلته في قولها: «يا أبتاه من ربّه ما أدناه! يا أبتاه، إلى جبرئيل أنعاه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه»[٥].

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ٦؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٩، الباب ٧٤ من أبواب الدفن، ح ٢.

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٣١ ـ ٦٣٢، ح ٩١٨/٣.

٣. الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٣٤١، ح ١٠٢١.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢١٨، باب المصيبة بالولد، ح ٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٤٦، الباب ٧٣ من أبواب الدفن، ح ١.

٥. إعلام الورى، ص ١٤٣؛ سنن الدارمي، ج ١، ص ٤١ ـ ٤٢؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٢٢، ح ١٦٣٠؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ١٣؛ المستدرك، الحاكم، ج ١، ص ٣٨٢.

وروي أنّها أخذت قبضة من تراب قبرهﷺ، فوضعتها على عينيها، وأنشدت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد　　أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها　　صبّت على الأيّام صرن لياليا[١]

ولما سبق من أمرهﷺ بالنوح على حمزة.

وعن أبي حمزة عن الباقر عليه السلام: «مات ابن المغيرة، فسألت أُمّ سلمة النبيّﷺ أن يأذن لها في المضيّ إلى مناحته، فأذن لها وكان ابن عمّها، فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد　　أبا الوليد، فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجداً　　يسمو إلى طلب الوتيرة
قد كان غيثاً للسنين　　وجعفراً غدقاً وميرة

ـ وفي تمام الحديث ـ فما عاب رسول اللهﷺ ذلك، ولا قال شيئاً»[٢].

وروى ابن بابويه أنّ الباقر عليه السلام أوصى أن يندب في الموسم عشر سنين[٣].

وروى يونس بن يعقوب، عن الصادق عليه السلام، قال: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: قف من مالي كذا وكذا لنوادب يندُبْنَنِي عشر سنين بمنى أيّام منى»[٤].

قال الأصحاب:

والمراد بذلك، تنبيه الناس على فضائله، وإظهارها ليقتدى بها، ويُعلَم ما كان عليه أهل هذا البيت عليهم السلام لتقتفى آثارهم؛ لزوال التقيّة بعد الموت[٥].

---

١. المعتبر، ج ١، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥؛ منتهى المطلب، ج ٧، ص ٤٢٣؛ ذكرى الشيعة، ج ١، ص ٤٣٩ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥).

٢. الكافي، ج ٥، ص ١١٧، باب كسب النائحة، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩، ح ١٠٢٧؛ وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ١٢٥ ـ ١٢٦، الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب، ح ٢.

٣. الفقيه، ج ١، ص ١٨٢، ح ٥٤٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٣٩، الباب ٦٩ من أبواب الدفن، ح ٢.

٤. الكافي، ج ٥، ص ١١٧، باب كسب النائحة، ح ١؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٥٨، ح ١٠٢٥؛ وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ١٢٥، الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب به، ح ١.

٥. من القائلين بهذه المقالة الشهيد في ذكرى الشيعة، ج ١، ص ٤٤٠ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥).

ويحرم النوح بالباطل، وهو تعداد ما ليس فيه من الخصال، واستماع الأجانب من الرجال، ولطم الخدود والخدش، وجزّ الشعر ونحوه، وعليه يحمل ما ورد من النهي عن النياحة.

وقال النبيّ ﷺ: «أنا بريء ممّن حلق وسلق»[١] أي حلق الشعر، ورفع صوته.

وقال ﷺ لفاطمة عليها السلام حين قتل جعفر بن أبي طالب: «لا تدعين بويل ولا ثكل ولا حَرَب، وما قلت فيه فقد صدقت»[٢].

وعن أبي مالك الأشعري عن النبيّ ﷺ: «النائحة إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة[٤].

وعنه ﷺ: «ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب»[٥].

وهذا النهي محمول على الباطل كما يظهر منها، وبه يجمع بينها وبين الأخبار السابقة.

---

١. صحيح مسلم، ج ١، ص ١٠٠، ح ١٠٤/١٦٧؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٠؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٥، ح ١٥٨٦؛ الجامع الصغير، ص ١٦٢، ح ٢٧٠٩.

٢. الفقيه، ج ١، ص ١٧٦، ح ٥٢١؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧٢، الباب ٨٣ من أبواب الدفن، ح ٤.

٣. الخصال، ص ٢٢٦، باب الأربعة، ح ٦٠؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٤٤، ح ٩٣٤/٢٩؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ١١٢، ح ١٥٨٢؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٥١، ح ١٢.

٤. سنن أبي داود، ج ٣، ص ١٩٣ ـ ١٩٤، ح ٣١٢٨؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٥١، ح ١٤؛ الجامع الصغير، ص ٤٤٦، ح ٧٢٧١.

٥. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦، ح ١٢٣٢، ١٢٣٥ ـ ١٢٣٦؛ وج ٣، ص ١٢٩٧، ح ٣٣٣١؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٩، ح ١٦٥/١٠٣؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ٢٠ ـ ٢١؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥، ح ١٥٨٤.

وأمّا الخاتمة

فتشتمل على فوائد مهمّة:

[استحباب تعزية أهل الميّت]

يستحبّ تعزية أهل الميّت استحباباً مؤكّداً، وهي تَفْعِلَة من العزاء ـ بالمدّ والقصر ـ وهو السُلُوّ وحسن الصبر على المصائب، يقال: عزّيته فتعزّى، أي صبّرته فتصبّر.

والمراد بها طلب التسلّي عن المصاب، والتصبّر عن الحزن والاكتئاب، بإسناد الأمر إلى الله عزّ وجلّ، ونسبته إلى عدله وحكمته، وذكر ما وعد الله تعالى على الصبر مع الدعاء للميّت، والمصاب بتسليته عن مصيبته. وقد ورد في استحبابها والحثّ عليها أحاديث كثيرة.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جدّه أنّ رسول اللهﷺ قال:

«أتدرون ما حقّ الجار؟ إن استغاثك أغثته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عُدته، وإن مات اتّبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلّا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا يخرج بها ولدك يغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قدرك، إلّا أن تُعرف له منها»[1].

---

١. إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٢١٣؛ الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٣٥٧، ح ٢٠.

وعن بهز بن حكيم بن معاوية بن جيدة القشيري، عن أبيه، عن جدّه، قال، قلت: يا رسول الله: ما حقّ جاري عليّ؟ قال: «إن مرض عدته»[1]. وذكر نحو الأوّل.

وأمّا الثواب فيها، فعن ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ، قال: «من عزّى مصاباً فله مثل أجره»[2].

وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال، قال رسول الله ﷺ: «من عزّى مصاباً كان له مثل أجره، من غير أن ينقصه الله من أجره شيئاً[3].

ومن كفّن مسلماً كساه الله من سندس وإستبرق وحرير[4].

ومن حفر قبراً لمسلم بنى الله عزّ وجلّ له بيتاً في الجنّة[5].

ومن أنظر معسراً أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[6].

وعن جابر أيضاً رفعه: «من عزّى حزيناً ألبسه الله عزّ وجلّ من لباس التقوى، وصلّى على روحه في الأرواح»[7].

وسئل النبيّ ﷺ عن التصافح في التعزية، فقال: «هو سكن للمؤمن. ومن عزّى مصاباً فله مثل أجره».

وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمر بن حزم، عن أبيه، عن جدّه، أنّه سمع

---

١. المعجم الكبير، ج ١٩، ص ٤١٩ ـ ٤٢٠، ح ١٠١٤؛ مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٦٥.

٢. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥١١، ح ١٦٠٢؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٤٤، ح ٦؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٣٨٥، ح ١٠٧٣.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٢٠٥، باب ثواب من عزّى حزيناً، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢١٣، الباب ٤٦ من أبواب الدفن، ح ٢.

٤. الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٣٨، ح ١؛ جامع الأحاديث، ج ٧، ص ٢٨٠، ح ٢٢٤٤٥.

٥. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٢٠.

٦. كنز العمّال، ج ٦، ص ٢١٤، ح ١٥٣٩٤، وص ٢١٦، ح ١٥٤٠٣.

٧. جامع الأحاديث، ج ٧، ص ٢٨٠، ح ٢٢٤٤٥؛ الترغيب والترهيب، ج ٤، ص ٣٣٨، ح ١؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٢٠ ـ ٢١؛ المعجم الأوسط، ج ١٠، ص ١٣٥ ـ ١٣٦، ح ٩٢٨٨.

رسول اللهﷺ وهو يقول: «من عاد مريضاً فلا يزال في الرحمة، حتّى إذا قعد عنده استنقع فيها، ثمّ إذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها، حتّى يرجع من حيث خرج، ومن عزّى أخاه المؤمن من مصيبة كساه الله عزّ وجلّ من حلل الكرامة يوم القيامة»[١].

وعن أبي برزة، قال، قال رسول اللهﷺ: «من عزّى ثكلى كُسي بُرداً في الجنّة»[٢].

وعن أنس، قال، قال رسول اللهﷺ: «من عزّى أخاه المؤمن من مصيبته كساه الله عزّ وجلّ حلّة خضراء، يحبر بها يوم القيامة، فقيل: يا رسول الله، ما يحبر بها، قال يُغبط بها»[٣].

وروي أنّ داودﷺ قال: «إلهي ما جزاء من يعزّي الحزين والمصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أكسوه رداءً من أردية الإيمان، أستره به من النار، وأدخله به الجنّة، قال: يا إلهي، فما جزاء من شيّع الجنائز ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيّعه الملائكة يوم يموت إلى قبره، وأن أُصلّي على روحه في الأرواح»[٤].

وروي أنّ موسىﷺ سأل ربّه: «ما لعائد المريض من الأجر؟ قال: أبعث له عند موته ملائكة يشيّعونه إلى قبره، ويؤانسونه إلى المحشر، قال: يا ربّ فما لمعزّي الثكلى من الأجر؟ قال: أظلّه تحت ظلّي ـ أي ظلّ العرش ـ يوم لا ظلّ إلّا ظلّي»[٥].

وروي أنّ إبراهيمﷺ سأل ربّه قال: «أي ربّ، ما جزاء من يبلّ الدمع وجهه من خشيتك؟ قال: صلواتي ورضواني، قال: فما جزاء من يصبّر الحزين ابتغاء وجهك؟ قال:

١. جامع الأحاديث، ج ٧، ص ٢٧٧، ح ٢٢٤٢٦؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ٩٨، ح ٧٠٨٧.
٢. الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨، ح ١٠٧٦؛ جامع الأحاديث، ج ٧، ص ٢٨٠، ح ٢٢٤٤٦، وفيه: عن أبي بردة كما في «ح».
٣. جامع الأحاديث، ج ٧، ص ٢٨٠، ح ٢٢٤٤٤؛ كنزالعمّال، ج ١٥، ص ٦٦٢، ح ٤٢٦٢٤.
٤. الدرّ المنثور، ج ٧، ص ١٧٣.
٥. إرشاد القلوب، ج ١، ص ١٠٢ باختلاف في ألفاظه؛ وورد بعضه في الكافي، ج ٣، ص ٢٢٦، باب ثواب التعزية، ح ١.

أكسوه ثياباً من الإيمان يتبوّأُ بها في الجنّة، ويتّقي بها النار، قال: فما جزاء من سدّد الأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: أُقيمه في ظلّي، وأدخله جنّتي، قال: فما جزاء من يتبع الجنازة ابتغاء وجهك؟ قال: تصلّي ملائكتي على جسده، وتشيّع روحه».

فصل [فيما تعزّى بها أهل المصيبة]

وأمّا كيفيّتها فقد تقدّم خبر المصافحة فيها.

وأمّا ما يقال فيها فما يتّفق من الكلمات، ويروى من الأخبار المؤدّية إلى السلوة، ولا شيء مثل إيراد بعض ما تضمّنته هذه الرسالة، فإنّ فيها شفاءً لما في الصدور، وبلاغاً وافياً في تحقيق هذه الأُمور.

وعن عليّ عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا عزّى قال: آجركم الله ورحمكم، وإذا هنّأ قال: بارك الله لكم، وبارك عليكم»[١].

وروي أنّه توفّي لمعاذ ولد، فاشتدّ وجده عليه، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وآله، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى معاذ، سلام عليك، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد، أعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإيّاك الشكر، فإنّ أنفسنا وأهلينا وموالينا وأولادنا من مواهب الله عزّ وجلّ الهنيئة، وعواريه المستودعة، نمتّع بها إلى أجل معلوم، وتقبض لوقت معدود، ثمّ افترض عليناالشكر إذا أعطانا، والصبر إذا ابتلانا؛ وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، متّعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك مصيبتين، فيحبط لك أجرك، وتندم على ما فاتك، فلو قدمت على ثواب

١. ذكر أخبار إصفهان، أبو نعيم، ج ١، ص ٨٦ ـ ٨٧؛ التعازي والمراثي، المبرّد، ص ٦٣.

مصيبتك علمت أنّ المصيبة قصرت في جنب الله عن الثواب، فتنجّز من الله موعوده، وليذهب أسفك على ما هو نازل بك، فكأن قد، والسلام»[١].

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، قال: «لمّا توفّي رسول اللهصلى الله عليه وسلم جاء جبرئيلعليه السلام، والنبيّصلى الله عليه وسلم مسجّى، وفي البيت عليّ وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْـمَوْتِ وإِنَّـما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾[٢]. الآية. ألا إنّ في الله عزّ وجلّ عزاء من كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، ودركاً لما فات، فبالله عزّ وجلّ فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّ المصاب من حرم الثواب، هذا آخر وطئي من الدنيا»[٣].

وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال: لمّا توفّي رسول اللهصلى الله عليه وسلم عزّتهم الملائكة، يسمعون الحسّ ولا يرون الشخص، فقالوا: السلام عليكم أهلَ البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزّ وجلّ عزاء من كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، فبالله فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّما المحروم من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٤].

وروى البيهقي في الدلائل قال: لمّا قبض رسول اللهصلى الله عليه وسلم أحدق به أصحابه، فبكوا حوله، واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية، جسيم صبيح، فتخطّى رقابهم، فبكى، ثمّ التفت إلى أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وسلم، فقال: إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة، وعوضاً من كلّ فائت، وخلفاً من كلّ هالك، فإلى الله فأنيبوا، وإليه فارغبوا، ونظره إليكم في البلاء

---

١. المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ١٥٥ ـ ١٥٦، ح ٣٢٤؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٣؛ المعجم الأوسط، ج ١، ص ٩٢، ح ٨٣؛ حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ المستدرك، الحاكم، ج ٣، ص ٢٧٣.

٢. آل عمران (٣): ١٨٥.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٢٢١، باب التعزّي، ح ٥.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٢١، باب التعزّي، ح ٦؛ دلائل النبوّة، ج ٧، ص ٢٦٩؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ٩٩، ح ٧٠٩١.

فانظروا، فإنّ المصاب من لم يؤجر، وانصرف، فقال بعضهم لبعض: أتعرفون الرجل؟ فقال عليّ عليه السلام: «نعم، هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، الخضر عليه السلام»[١].

فصل

وعن ابن عبّاس (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنّها من أعظم المصائب»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «من عظمت مصيبته فليذكر مصيبته بي، فإنّها ستهون عليه».

وعنه صلى الله عليه وآله، أنّه قال في مرض موته: «أيّها الناس، أيّما عبد من أُمّتي أُصيب بمصيبة من بعدي، فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإنّ أحداً من أُمّتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدّ عليه من مصيبتي»[٣].

وعن عبد الله بن الوليد بإسناده، لمّا أُصيب عليّ عليه السلام نعى الحسن إلى الحسين عليهما السلام، وهو بالمدائن، فلمّا قرأ الكتاب قال: «يا لها من مصيبة، ما أعظمها! مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أُصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابي، فإنّه لن يصاب بمصيبة أعظم منها»[٤].

وروى إسحاق بن عمّار، عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «يا إسحاق، لا تعدّنّ مصيبة أُعطيت عليها الصبر، واستوجبت عليها من الله عزّ وجلّ الثواب، إنّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها، إذا لم يصبر عند نزولها»[٥].

---

١. دلائل النبوّة، ج ٧، ص ٢٦٩؛ وأيضاً رواها الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ٥٨.

٢. جامع الأحاديث، ج ١، ص ٣٠٣، ح ٢٠٦٢؛ الجامع الصغير، ص ٣٣، ح ٤٥٢؛ ورواها الكليني في الكافي، ج ٣، ص ٢٢٠، باب التعزّي عن أبي عبد الله عليه السلام، ح ١.

٣. المعجم الأوسط، ج ٥، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥، ح ٤٤٤٥؛ جامع الأحاديث، ج ٣، ص ٤٣٠، ح ٩٥٨٥.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٠، باب التعزّي، ح ٣؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٧، الباب ٧٩ من أبواب الدفن، ح ٣.

٥. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن، ح ٢.

وعن أبي ميسرة[١] قال كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فجاء رجل وشكا إليه مصيبته، فقال له: «أمّا إنّك إن تصبر تؤجر، وإلّا تصبر يمضي عليك قدر الله عزّ وجلّ الذي قدّر عليك وأنت مذموم»[٢].

وعن جابر (رضي الله عنه) قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك ملاقيه»[٣].

وروي:

أنّه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عابد عالم مجتهد، وكانت له امرأة وكان بها معجباً، فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً، حتّى خلا في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس فلم يكن يدخل عليه أحد.

ثمّ إنّ امرأة من بني إسرائيل سمعت به، فجاءته فقالت: لي إليه حاجة استفتيه فيها، ليس يجزيني إلّا أن أُشافهه بها، فذهب الناس، ولزمت الباب، فأُخبر، فأذن لها، فقالت: استفتيك في أمر، فقال: ما هو؟ قالت: إنّي استعرت من جارة لي حليّاً، فكنت ألبسه زماناً، ثمّ إنّهم أرسلوا إليّ فيه، أفأردّه إليهم؟ قال: نعم، قالت: والله، إنّه قد مكث عندي زماناً طويلاً، قال: ذاك أحقّ لردّك إيّاه، فقالت له: رحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله عزّ وجلّ، ثمّ أخذه منك، وهو أحقّ به منك؟ فأبصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها[٤].

١. في المصدرين: «فضيل بن ميسرة» بدل «أبي ميسرة».

٢. الكافي، ج ٣، ص ٢٢٥، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح ١٠؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن، ح ٣.

٣. شعب الإيمان، ج ٧، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩، ح ١٠٥٤٠؛ الجامع الصغير، ص ٣٧٨، ح ٦٠٧٧؛ وأيضاً رواها مرسلاً الصدوق في الفقيه، ج ١، ص ٢٩٨، ح ١٣٦٣.

٤. موطّأ مالك، ج ١، ص ٢٣٧، ح ٤٣.

وعن أبي الدرداء، قال:

كان لسليمان بن داود عليه السلام ابن يحبّه حبّاً شديداً، فمات فحزن عليه حزناً شديداً، فبعث الله تعالى إليه ملكين في هيئة البشر، فقال: ما أنتما؟ قالا: خصمان، قال: اجلسا بمنزلة الخصوم، فقال أحدهما: إنّي زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده، فقال سليمان عليه السلام: ما يقول هذا؟ قال: أصلحك الله إنّه زرع في الطريق، وإنّي مررت به فنظرت يميناً وشمالاً فإذا الزرع، فركبت قارعة الطريق، فكان في ذلك فساد زرعه، فقال سليمان عليه السلام: ما حملك على أن تزرع في الطريق، أما علمت أنّ الطريق سبيل الناس، ولابدّ للناس من أن يسلكوا سبيلهم؟ فقال له أحد الملكين: أو ما علمت يا سليمان، أنّ الموت سبيل الناس، ولابدّ للناس من أن يسلكوا سبيلهم؟ قال: فكأنّما كشف عن سليمان عليه السلام الغطاء، ولم يجزع على ولده بعد ذلك.

رواه ابن أبي الدنيا.

وروي أيضاً:

أنّ قاضياً كان في بني إسرائيل مات له ابن فجزع عليه وصاح، فلقيه رجلان فقالا له: اقض بيننا، فقال: من هذا فررت، فقال أحدهما: إنّ هذا مرّ بغنمه على زرعي فأفسده، فقال الآخر: إنّ هذا زرع بين الجبل والنهر، ولم يكن لي طريق غيره، فقال له القاضي: أنت حين زرعت بين الجبل والنهر، ألم تعلم أنّه طريق الناس؟ فقال له الرجل: فأنت حين ولد لك، ألم تعلم أنّه يموت؟ فارجع إلى قضائك ثمّ عرجا، وكانا ملكين.

وروي:

أنّه كان بمكّة مقعدان، كان لهما ابن شابّ، فكان إذا أصبح نقلهما فأتى بهما المسجد، فكان يكتسب عليهما يومه، فإذا كان المساء احتملهما وأقبل بهما منزله،

فافتقدهما النبيّ ﷺ، فسأل عنهما، فقيل: مات ابنهما، فقال رسول الله ﷺ: «لو تُرِك أحد لأحد لترك ابن المقعدين».

رواه الطبراني[١].

وروى ابن أبي الدنيا: لو ترك شيء لحاجة أو فاقة، لترك الهديل لأبويه.

وروي عن بعض العابدات، أنّها قالت: ما أصابتني مصيبة فأذكر معها النار، إلّا صارت في عيني أصغر من التراب.

فصل

ليذكر من أُصيب بمصيبة، وأنّ المصائب والبلايا إنّما تخصّ في الأغلب مَن للّه به مزيد عناية، وله عليه إقبال وإليه توجّه. وليتحقّق ذلك قبل النظر في الكتاب والسنّة فيمن يبتلى في دار الدنيا، فإنّه يجد أشدّ الناس بلاءً أهل الخير والصلاح بعد الأنبياء والرسل.

والآيات الكريمة منبئة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا أنْ يَكُوْنَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾[٢] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّما نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَإذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذينَ كَفَرُوا لِلَّذينَ آمَنُوا أيُّ الْفَريقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأحْسَنُ نَدِيّاً * قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً﴾[٤].

---

١. المعجم الأوسط، ج ٦، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١، ح ٥٩٦٤؛ وأيضاً رواها البيهقي في السنن الكبرى، البيهقي، ج ٤، ص ١١٠، ح ٧١٣١.

٢. الزخرف (٤٣): ٣٣.

٣. آل عمران (٣): ١٧٨.

٤. مريم (١٩): ٧٣ ـ ٧٥.

وروى عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء، وما يخصّ الله عزّ وجلّ به المؤمن، فقال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: من أشدّ الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيّون، ثمّ الأمثل فالأمثل، ويبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه، ومن سخف إيمانه، وضعف عمله قلّ بلاؤه»[١].

وروى زيد الشحّام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ عظيم الأجر مع عظيم البلاء، وما أحبّ الله عزّ وجلّ قوماً إلا ابتلاهم»[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ للّه عزّ وجلّ عباداً في الأرض من خالص عباده، ما تنزل من السماء تحفة إلى الأرض إلّا صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا بليّة إلّا صرفها إليهم»[٣].

وعن الحسين بن علوان، عنه عليه السلام، أنّه قال: «إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً غتّه[٤] بالبلاء غتّاً، وإنّا وإيّاكم لنصبح به ونمسي»[٥].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً وثجّه بالبلاء ثجّاً[٦] فإذا دعاه قال: لبّيك عبدي لئن عجّلت لك ما سألت إنّي على ذلك

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٢، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦١، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٢، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٣؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٣، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٠.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٥؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٢٠٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٤.

٤. غتّه بالأمر: كدّه. وفي الحديث يغتّهم الله فى العذاب أي يغمسهم فيه غمساً متتابعاً. لسان العرب، ج ٢، ص ٦٣، «غتت».

٥. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٦؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٣، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١١.

٦. في «ح»: «سجّه بالبلاء سجّا» وفي «م»: «شجّه بالبلاء شجّاً». وما أثبتناه من المصدرين.

لقادر، ولكن ادّخرت لك فما ادّخرت خير لك»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عندالله تعالى الرضى، ومن سخط البلاء فله عندالله السخط»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه أو قال: على حسب دينه»[٣].

وعن ناجية قال، قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ المغيرة يقول: إنّ الله لا يبتلي المؤمن بالجذام ولا بالبرص، ولا بكذا ولا بكذا، فقال: «إن كان لغافلاً عن مؤمن آل ياسين، إنّه كان مكنّعاً[٤] ـ ثمّ ردّ أصابعه، فقال ـ: كأنّي أنظر إلى تكنيعه، أتاهم فأنذرهم، ثمّ عاد إليهم من الغد فقتلوه ـ ثمّ قال ـ: إنّ المؤمن يبتلى بكلّ بليّة، ويموت بكلّ ميتة، إلّا أنّه لا يقتل نفسه»[٥].

وعن عبد الله بن أبي يعفور قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع وكان مسقاماً، فقال لي: «يا عبد الله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب، لتمنّى أن يقرّض بالمقاريض»[٦].

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٥.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٨؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٢، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ١٠.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٩؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٦.

٤. المكنّع: مقفّع اليد، وقيل: مقفّع الأصابع، يابسها متقبّضها. لسان العرب، ج ٨، ص ٣١٤، «كنع».

٥. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٤، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ١٢؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٢٠٢.

٦. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ١٥؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٢٠٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ أهل الحقّ لم يزالوا في شدّة، أمّا إنّ ذلك إلى مدّة قليلة وعافية طويلة»[١].

وعن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ ليتعاهد المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالهديّة من الغيبة، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض»[٢].

وعن أبي عبد الله قال: «دعي النبيّ صلى الله عليه وآله إلى طعام، فلمّا دخل إلى منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة على وتد في حائط فتثبت عليه، ولم تسقط ولم تنكسر، فتعجّب النبيّ صلى الله عليه وآله منها، فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحقّ ما رزئت[٣] شيئاً قطّ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال: من لم يرزأ فما للّه فيه من حاجة»[٤].

وأشباه هذه الأخبار كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر.

[كتاب أبي عبد الله عليه السلام لجماعة من بني عمّه]

ونختم الرسالة بكتاب شريف، كتبه سيّدنا ومولانا أبوعبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام لجماعة من بني عمّه، حين أصابتهم شدّة من بعض الأعداء على وجه التعزية.

رويناها بإسنادنا إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي (قدّس الله روحه)، عن الشيخ المفيد محمّد بن النعمان، والحسين بن عبيد الله الغضائري، عن الصدوق أبي جعفر محمّد بن

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ١٦؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦١، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ٣.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ١٧؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٢٠٤؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٣، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ٩.

٣. الرزء: أصاب من ماله شيئاً. لسان العرب، ج ١، ص ٨٥، «رزأ».

٤. الكافي، ج ٢، ص ٢٥٦، باب شدّة ابتلاء المؤمن، ح ٢٠.

عليّ بن بابويه، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الثقة الجليل محمّد بن أبي عمير، عن إسحاق بن عمّار، قال: إنّ أبا عبد الله جعفر بن محمّدعليه السلام كتب إلى عبد الله بن الحسن، حين حُمل هو وأهل بيته يعزّيه عمّا صار إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الخلف الصالح والذريّة الطيّبة من ولد أخيه وابن عمّه.

أمّا بعد، فلئن كنت قد تفرّدتَ أنت وأهل بيتك ممّن حُملَ معك بما أصابكم، فما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني، ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل ما نالك، ولكن رجعتُ إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به المتّقين من الصبر وحسن العزاء، حين يقول لنبيّهﷺ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾[1].

وحين يقول: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ﴾[2].

وحين يقول لنبيّهﷺ، حين مُثّل بحمزة: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينَ﴾[3].

فصبر رسول اللهﷺ ولم يعاقب.

وحين يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعاقِبَةُ لِلتَّقْوى﴾[4].

وحين يقول: ﴿الَّذينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ

١. الطور (٥٢): ٤٨.
٢. القلم (٦٨): ٤٨.
٣. النحل (١٦): ١٢٦.
٤. طه (٢٠): ١٣٢.

عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[١].

وحين يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

وحين يقول عن لقمان لابنه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

وحين يقول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤].

وحين يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾[٥].

وحين يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٦].

وحين يقول: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِراتِ﴾[٧].

وحين يقول: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾[٨] وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم ـ أي عمّ وابن عمّ ـ أنّ الله عزّ وجلّ لم يبال بضرّ الدنيا لوليّه ساعة قطّ، ولا شيء أحبّ إليه من الضرّ والجهد واللأواء[٩] مع الصبر، وأنّه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوّه ساعة واحدة قطّ.

---

١. البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢. الزمر (٣٩): ١٠.

٣. لقمان (٣١): ١٧.

٤. الأعراف (٧): ١٢٨.

٥. العصر (١٠٣): ٣.

٦. البقرة (٢): ١٥٥.

٧. الأحزاب (٣٣): ٣٥.

٨. يونس (١٠): ١٩.

٩. اللأواء: الشدّة. الصحاح، ج ٤، ص ٢٤٧٨، «لأي».

ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخيفونهم ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون مطمئنّون عالون ظاهرون.

ولولا ذلك لما قتل زكريّا ويحيى بن زكريّا ظلماً وعدواناً في بغيّ من البغايا.

ولولا ذلك لما قتل جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا قام بأمر الله جلّ وعزّ ظلماً، وعمّك الحسين بن فاطمة عليهما السلام اضطهاداً وعدواناً.

ولولا ذلك لما قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾[1].

ولولا ذلك لما قال في كتابه: ﴿أيَحْسَبُونَ أنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ * نُسارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2].

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد، فلا يصدع رأسه أبداً».

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: أنّ الدنيا لا تساوي عند الله عزّ وجلّ جناح بعوضة.

ولولا ذلك ما سقى كافراً منها شربة ماء.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لو أنّ مؤمناً على قلّة جبل لابتعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث أنّه: إذا أحبّ الله قوماً، أو أحبّ عبداً، صبّ عليه البلاء صبّاً، فلا يخرج من غمّ إلّا وقع في غمّ.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: ما من جرعتين أحبّ إلى الله تعالى أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها، وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب.

---

١. الزخرف (٤٣): ٣٣.

٢. المؤمنون (٢٣): ٥٥ ـ ٥٦.

ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله ﷺ يدعون على من ظلمهم بطول العمر، وصحّة البدن، وكثرة المال والولد.

ولولا ذلك ما بلغنا: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا خصّ رجلاً بالترحّم عليه والاستغفار استشهد.

فعليكم يا عمّ، وابن عمّ وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضى والتسليم والتفويض إلى الله عزّوجلّ، والرضى والصبر على قضائه، والتمسّك بطاعته، والنزول عند أمره.

أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وختم لنا ولكم بالسعادة، وأنقذنا وإيّاكم من كلّ هلكة بحوله وقوّته، إنّه سميع قريب.

وصلّى الله على صفوته من خلقه، محمّد النبيّ وأهل بيته (صلوات الله وسلامه وبركاته ورحماته عليهم أجمعين)[١].

هذا آخر التعزية بلفظها، نقلتها من كتاب التتمات والمهمات، وعليها نختم الرسالة حامدين للّه تعالى على نواله، مصلّين على صاحب الرسالة، وعلى آله أهل العصمة والعدالة.

ولقد فرغ منها مؤلّفها العبد الفقير إلى الله تعالى زين الدين عليّ بن أحمد الشامي العاملي عامله الله بفضله وعفا عنهم بمنّه وسط نهار الجمعة، غرّة شهر رجب المرجّب الفرد الحرام، عام أربعة وخمسين وتسعمائة حامداً مصلّياً مسلماً مستغفراً والحمد للّه وحده، وصلاته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.

١. إقبال الأعمال، ص ٥٧٨.

(٥ و٦)

البداية في علم الدراية

و

الرعاية لحال البداية في علم الدراية

تحقيق

غلام حسين قيصريه‌ها

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الدراية ونشأتها

لا شكّ في أنّ الحديث الحاكي للسنّة مدار الاستنباط لأكثر الأحكام ومرجع الفتاوى في المسائل الفقهيّة، فلابدّ من علم يبيّن حالات الرواة من المدح والذمّ وماله دخل في قبول روايته وعدمه وهو علم الرجال. ومن علم يشرح لغاته ويبيّن حالاته من كونه نصّاً أو ظاهراً، عامّاً أو خاصّاً، مطلقاً أو مقيّداً، مجملاً أو مبيّناً، معارضاً أو غير معارض وهو فقه الحديث. ومن علم يبيّن صحيح الطريق وضعيفه، وسليم الإسناد وسقيمه، وغيرها من حالات مختلفة تعرض لمتن الحديث وطرقه ليعرف المقبول منه والمردود وهو علم الدراية.

ولكن لمّا كانت الشيعة في زمن الأئمّة عليهم السلام غير محتاجة إلى علم الدراية ـ لأنّهم مرتبطون بالأئمّة عليهم السلام ومعتمدون على الأُصول المصنّفة، وعندهم قرائن كانوا يعوّلون عليها، وكانت القرائن لا تزال موجودة عند المتقدّمين من الأصحاب ـ لم يهتمّوا بهذا العلم، ولم يدوّنوا أُصوله ولم يؤلّفوا فيه أيّ تأليفاً.

قال السيّد المرتضى في جواب المسائل التبّانيّات:

إنّ أكثر أخبارنا المرويّة في كتبنا معلومة مقطوع على صحّتها، إمّا بالتواتر من طريق الإشاعة والإذاعة، أو بأمارة وعلامة دلّت على صحّتها وصدق رواتها، فهي

موجبة للعلم، مقتضية للقطع وإن وجدناها مودعة في الكتب بسندٍ مخصوص معيّن من طريق الآحاد[١].

قال الحسن بن زين الدين ولد الشهيد الثاني في المنتقى بعد نقل كلام السيّد المرتضى:

وغير خاف أنّه لم يبق لنا سبيل إلى الاطّلاع على الجهات التي عرفوا منها ما ذكروا؛ حيث حظّوا بالعين، وأصبح حظّنا الأثر، وفازوا بالعيان، وعوّضنا عنه بالخبر، فلا جرم انسدّ عنّا باب الاعتماد على ما كانت لهم أبوابه مشرعة، وضاقت علينا مذاهب كانت المسالك لهم فيها متّسعة. ولو لم يكن إلّا انقطاع طريق الرواية عنّا من غير جهة الإجازة التي هي أدنى مراتبها لكفى به سبباً لإباء الدراية على طالبها[٢].

وقال الشيخ الطوسي في العدّة:

إنّي وجدتها [الفرقة المحقّة] مجمعة على العمل بهذه الأخبار التي رووها في تصانيفهم ودوّنوها في أُصولهم، لا يتناكرون ذلك ولا يتدافعونه، حتّى أنّ واحداً منهم إذا أفتى بشيءٍ لا يعرفونه سألوه: من أين قلت هذا؟ فإذا أحالهم على كتاب معروف، أو أصل مشهور وكان راويه ثقة لا ينكر حديثه سكتوا وسلّموا الأمر في ذلك وقبلوا قوله. وهذه عادتهم وسجيّتهم من عهد النبيّ ﷺ ومَن بعده من الأئمّة عليهم السلام، ومن زمن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام الذي انتشر العلم عنه وكثرت الرواية من جهته[٣].

ولكن إخواننا أهل السنّة والجماعة لمّا كانوا يعتمدون على السنّة المحكيّة عن رسول الله ﷺ اهتمّوا اهتماماً كثيراً بضبطه وكتابته وتدوينه؛ خوفاً من ضياعه بعد ما كان اعتمادهم أوّلاً على الحفظ والضبط في القلوب؛ لأنّهم نهوا عن كتابة الحديث من قِبَل بعض الخلفاء[٤].

---

١. حكاه عنه في منتقى الجمان، ج ١، ص ٢ ـ ٣.

٢. منتقى الجمان، ج ١، ص ٣.

٣. عدّة الأُصول، ج ١، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

٤. كنز العمّال، ج ١٠، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢، ح ٢٩٤٧٢ ـ ٢٩٤٧٧.

وقد أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة حديث رسول اللهﷺ؛ خوفاً من دروس العلم وذهاب العلماء[١].

وكان همّهم في الجمع والتدوين من غير التفات إلى صحّة الحديث وضعفه، وهل هو موضوع أم لا، وهل الراوي يصدق في روايته أم لا، وهل هو ضابط أم لا، بل جمعوا الأحاديث بالأسانيد التي وجدوها بها، ودعا هذا الأمر علماء أهل السنّة والجماعة إلى التأليف في علوم الحديث؛ ولهذا سبقونا في تدوين علم أُصول الحديث تعداداً وزماناً.

قال الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥):

أمّا بعد، فإنّي لمّا رأيت البدع في زماننا كثرت، ومعرفة الناس بأُصول السنن قلّت مع إمعانهم في كتابة الأخبار، وكثرة طلبها على الإهمال والإغفال دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث ممّا يحتاج إليه طلبة الأخبار المواظبون على كتابة الآثار[٢].

أوّل من صنّف في علوم الحديث

قد اشتهر أنّ أوّل من صنّف في أُصول الحديث أبو محمّد الرامهرمزي (م ٢٦٠). صنّف في ذلك كتاباً سمّاه المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي. ونُقل ذلك عن ابن حجر في أوّل شرحه لكتابه نخبة الفكر[٣].

ومن أهمّ ما كتبه علماء العامّة بعده في علوم الحديث:

١ـ معرفة علوم الحديث. للحاكم النيسابوري (م ٤٠٥).

٢ـ الكفاية في علم الرواية. للخطيب البغدادي (م ٤٦٣).

٣ـ علوم الحديث، المشتهر باسم «مقدّمة ابن الصلاح» لأبي عمرو عثمان بن

---

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٩، باب ٣٤ من كتاب العلم.

٢. معرفة علوم الحديث، ص ٢.

٣. معرفة علوم الحديث (مقدّمة المصحّح).

عبدالرحمن الشهرزوري الدمشقي الحافظ المعروف بابن الصلاح (م ٦٤٣).

قال بعضهم في وصف مقدّمة ابن الصلاح:

وقد رزق الله تعالى هذا الكتاب من الحظوة لدى فحول العلماء ما أنسى الناس ذكر من تقدّمه، فكم تجد له من شرح، وكم تجد له من اختصار، وكم تجد له من متعقّب. وقلّ أن تجد واحداً من الحفّاظ الذين جاؤوا من بعد ابن الصلاح إلّا وجدت له أثراً على مقدّمة ابن الصلاح[1].

٤ـ مقدّمة جامع الأُصول من أحاديث الرسول. لمبارك بن محمّد بن الأثير الجزري (م٦٠٦).

٥ـ الخلاصة في أصول الحديث. لحسين بن عبد الله الطيبي (م ٧٤٣).

٦ـ التقريب والتيسير. لأبي زكريّا يحيى بن شرف النووي (م ٧٧٦).

٧ـ نظم الدرر في علم الأثر المعروف بـ«ألفية العراقي». لأبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الحافظ العراقي (م ٨٠٦).

٨ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث. لشمس الدين محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد السخاوي (م ٩٠٢).

٩ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النووي. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (م ٩١١).

وغيرها من الكتب الكثيرة المؤلّفة عند أهل السنّة والجماعة في علم أُصول الحديث.

الشهيد الثاني وعلم الدراية

هناك اختلاف في وجهات النظر حول أوّل من كتب في علم الدراية من علماء الشيعة، فقد ذهب السيّد حسن الصدر (قدّس سرّه) إلى أنّه أوّل عالم شيعي ألّف في الدراية هو الحاكم النيشابوري (٤٠٥هـ). واعتبر السيّد عبدالعزيز الطباطبائي (طاب ثراه) أنّ أوّل مؤلّف شيعي في هذا العلم هو القطب الراوندي (٥٧٣هـ).

---

١. توضيح الأفكار، ج ١، ص ٣٨ ـ ٣٩، مقدّمة التحقيق.

ولكنّ المشهور: هو أنّ أوّل من ألّف في علم الدراية من علماء الشيعة هو الشهيد الثاني، ولم يكتب قبله أحد من علمائنا في هذا العلم. ومن جملة ما جاء فيه هذا الكلام الكتب التالية: الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٨؛ أمل الآمل، ج ١، ص ٨٥؛ رياض العلماء، ج ٢، ص ٣٦٨، ٣٦٩؛ روضات الجنّات، ج ٣، ص ٣٧٦؛ ريحانة الأدب، ج ٣، ص ٢٨٠؛ معجم رجال الحديث، ج ٧، ص ٣٧٢.

وهذا وإن لم يكن ثابتاً ولكن لا شكّ أنّ أوّل من جمع أكثر مسائل علم الدراية وتقدّم على سلفه في هذا المضمار، ورتّب أُصوله على نهج بديع واضح، وصار كتابه عند فحول العلماء مصدراً لهذا العلم يرجعون إليه عند الحاجة، هو الشهيد الثاني (قدّس الله نفسه الزكيّة).

قال آية الله النجفي المرعشي (رحمه الله):

> وممّن وفّقه المولى بالتأليف في علم الدراية العلامة السعيد الشيخ زين الدين بن عليّ العاملي الشهيد الثاني صاحب كتابي المسالك وشرح اللمعة، فإنّه (قدّس سرّه وطاب رمسه) جاء بكتاب قد أخذ السبق في السباق، وهو مع صغر حجمه حاوٍ لأكثر مسائل العلم. آجره ربّه بهذه الخدمة للدين والمذهب[1].

مؤلّفاته في علم الدراية

١ـ غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدّثين. وهو أكبرها. صرّح به في آخر رسالة البداية وقال:

> فهذه جملة موجزة في الإشارة إلى مقاصد هذا العلم إجمالاً. ومن أراد الاستسقاء فيها مع ذكر الأمثلة فعليه بكتابنا غنية القاصدين ... .

ومن المؤسف أنّه قد فقد ولم يصل إلينا.

٢ ـ البداية في علم الدراية. مختصر في علم دراية الحديث وبيان مصطلحاتهم على وجه الإيجاز والاختصار، مع الإشارة إلى الأقوال مرتّب على مقدّمة وأربعة أبواب:

---

١. شرح البداية، ص ١٣، المقدّمة بتحقيق محمّد عليّ بقّال.

المقدّمة في بيان أُصوله واصطلاحاته. الباب الأوّل في أقسام الحديث. الباب الثاني فيمن تقبل روايته وتردّ. الباب الثالث في تحمّل الحديث وطرق نقله. الباب الرابع في أسماء الرجال وطبقاتهم وما يتّصل به.

سمّاه الشهيد بهذا الاسم في عبارة عند فراغه من الشرح، وقال: فرغ من تسويد هذا التعليق المنزّل منزلة الشرح للرسالة الموسومة بالبداية في علم الدراية مؤلّفهما... .

وقد أشار إليه في الخطبة حيث قال: نحمدك اللهمّ على البداية في الدراية والرواية، وسمّاه ولد الشهيد الشيخ حسن في مقدّمة منتقى الجمان بـبداية الدراية كما أنّه كثيراً ما ينقل عن الشرح ويسمّيه شرح بداية الدراية. ولم يذكر الشهيد تأريخ تأليفه لهذه الرسالة، ونسخ هذه الرسالة كثيرة، حتّى قيل إنّه يوجد في المكتبات الإيرانيّة أكثر من عشرين نسخة.

وكتب العلماء عليها وعلى الشرح حواشٍ وتعليقات، وللاطّلاع عليها راجع رسائل في دراية الحديث، ج ١، ص ٢٧ ـ ٩٤: مصنّفات الشيعة في علم دراية الحديث.

٣ ـ الرعاية لحال البداية في علم الدراية. شرح مزجي متوسّط لرسالة البداية في علم الدراية. فرغ من تأليفه في هزيع ليلة الثلاثاء خامس شهر ذي الحجّة الحرام عام تسع وخمسين وتسعمائة. لم يذكر الشهيد الثاني اسماً لكتابه هذا في أوّله وآخره. والعلماء الذين جاؤوا من بعده يطلقون عليه كثيراً شرح البداية كابن العودي في الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٨، والشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين، ص ٣٥. ويطلقون عليه أيضاً شرح بداية الدراية كولده في منتقى الجمان، ج ١، ص ٤، ٨، ١٢، ١٩، والعلّامة الطهراني في الذريعة، ج ١٣، ص ١٢٤، الرقم ٣٩٨. ومنهم من سمّاه بداية الدراية كالمامقاني في مقباس الهداية، ج ١، ص ٤٥ و ٥١. علماً أنّ البداية اسم للمتن دون الشرح.

ومنهم من سمّاه الرعاية في علم الدراية كالمطبوع في مكتبة آية الله المرعشي النجفي بتحقيق الشيخ عبد الحسين محمّد عليّ البقّال (رحمه الله).

وهذا الاسم منقول من خطّ الشهيد الثاني في مخطوطة المكتبة الرضويّة المرقّمة ٧٣٢٥. وفي صدر مخطوطة مركز التراث الإسلامي بخطّ تلميذ الشهيد محمود بن محمّد

اللاهيجاني. وكتب في آخر النسخة ما هذا لفظه: «هذا جميع ما وجد بخطّه الشريف عقب شرحه لمتنه المسمّى بـالرعاية لحال البداية في علم الدراية وهو بخطّه أيضاً».

والنسخ الخطّيّة لهذا الكتاب كثيرة جدّاً حتّى ضبط منها في المكتبات الإيرانيّة ما يقرب مائة نسخة.

طبعاتهما: أمّا المتن (البداية في علم الدراية) فقد طبعت عدّة مرّات: في طهران، عام ١٣١٠هـ مع الشرح؛ وقم المقدّسة عام ١٤٢٣هـ، محقّقة مع الشرح في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة؛ وأيضاً في قم المقدّسة ضمن رسائل في دراية الحديث، عام ١٤٢٤هـ في مؤسّسة دار الحديث.

وأمّا الشرح فقد طبع عدّة مرّات:

الأُولى: في طهران على الحجر سنة ١٣١٠. قاله الطهراني في الذريعة، ج ٣، ص ٥٨، الرقم ١٥٩، وجاء مثله في فهرس مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ج ١٢، ص٢٠٣.

الثانية: قامت بنشرها مطبعة النعمان بالنجف، وبالأُوفست عنها مكتبة المفيد في إيران.

الثالثة: في مكتبة آية الله المرعشي النجفي، وهي بتحقيق الشيخ عبد الحسين محمّد عليّ البقّال (رحمه الله)، مع تعاليق السيّد الأُستاذ السيّد أحمد المددي (حفظه الله ورعاه).

الرابعة: قامت بنشرها منشورات الفيروز آبادي في قم المقدّسة، وهي بإعداد الأُستاذ السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالي (حفظه الله تعالى).

الخامسة: طبعت محقّقةً مع المتن في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة، عام ١٤٢٣هـ.

السادسة: طبعت مع المتن ضمن رسائل في دراية الحديث سنة ١٤٢٤هـ في مؤسّسة دار الحديث اعتماداً على الطبعة الخامسة.

❋ ❋ ❋

اعتمدنا في طبعهما ضمن هذه الموسوعة على طبعة مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة، عام ١٤٢٣هـ والتي تمّ تحقيقهما على المنهج التالي:

اعتمد في تحقيق المتن على مخطوطة المكتبة المركزيّة بجامعة طهران المرقّمة

١ / ١٠٤٤ والتي جاء في آخرها إنهاء الشيخ حسين بن عبد الصمد في سنة ٩٦٩. وعلى المخطوطات من شرحها التي اعتمد عليها في تحقيق الشرح، وبضمنها متن البداية.

واعتمد في تحقيق شرح البداية على النسخ التالية:

١ ـ مخطوطة مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي ضمن المجموعة المرقّمة ١١٧٥، نسخها تلميذ الشهيد محمود بن محمّد اللاهيجاني والمرموز لها بـ«ألف». جاء في آخرها:

وفرغ من تحريره أحوج الخلق إلى عفو ربّه الغني محمود بن محمّد بن عليّ بن حمزة اللاهيجاني غدوة نهار السبت لستّ ليال بقيت من شهر محرّم الحرام سنة ٩٦٦ بمكّة المشرّفة (زادها الله تعالى شرفاً)، الحمد للّه وحده وصلّى الله على محمّد وآله.

ثمّ كتب في أسفل الصفحة:

بلغت المعارضة بأصلها التي بخطّ [المصنّف (رحمه الله)] إلّا ما زاغ عنه البصر يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر صفر ـ ختم بالخير والظفر ـ سنة ستّ وسبعين وتسعمائة بمكّة المشرّفة (زادها الله تعالى شرّفاً، ورزقنا التشرّف بها أبداً)، الحمد للّه وحده وصلّى الله على محمّد وآله.

ثمّ كتب:

بلغت المقابلة بأصلها يوم الأربعاء لأربع ليال من شهر صفر ختم بالخير والظفر بمكّة المشرّفة (زادها الله شرفاً ورزقنا التشرّف مادام العمر)... الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وكتب في الحاشية:

بلغت المعارضة بأصلها التي بخطّ الشيخ (قدّس سرّه) يوم الخميس لثلاث ليال بقيت من شهر صفر ـ ختم بالخير والظفر ـ سنة ٩٦٦ بمكّة المشرّفة (زادها الله تعالى شرفاً ورزقنا التشرّف بها) بحقّ المصطفى وآله الطيّبين الطاهرين والحمد للّه وحده وصلّى الله على محمّد وآله.

وكتب في آخر النسخة:

هذا جميع ما وجد بخطّه الشريف عقب شرحه لمتنه المسمّى بـالرعاية لحال

البداية في علم الدراية، وهو بخطّه أيضاً، ونقله منه أحوج الخلق إلى عفو ربّه الغني محمود بن محمّد اللاهيجاني بمكّة المشرّفة (زادها الله تعالى شرفاً، ورزقني التشرّف بها مادام العمر...). وكان الفراغ منه بكرة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر ختم بالخير والظفر. سنة ٩٦٦. الحمد للّه وحده وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

٢ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي والمرموز لها بـ«ب». وهي المستنسخة على نسخة الأصل التي بخطّ المؤلّف: نسخها محي الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسي العاملي المجاز من الشهيد في حياته. جاء في آخرها:

صورة خطّ المؤلّف (أدام الله تعالى أيّامه وجلاله وبسط على مفارق العالمين إكرامه وظلاله، بمحمّد وآله المتحلّين بحلية المصفين خلاله، باليد الفانية الجانية الطامعة الراصية من العبد المحتاج إلى مزيد العفو محي الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسي العاملي عاملهم الله بجزيل الإفضال بمحمّد وآله... عشرين من رجب سنة اثنين وستّين من بعد تسعمائة. والحمد للّه ربّ العالمين.

٣ـ مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة في مجموعة رسائل الشهيد الثاني والمرموز لها بـ«ج». جاء في آخرها:

وقد وقع الفراغ من مطالعتها ومقابلتها وتصحيحها من النسخة المقروءة على مصنّفها (رحمه الله تعالى) في ضحوة يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأُخرى المنتظم في شهور سنة أربع وسبعين وتسعمائة بدار الحديث قزوين. والحمد للّه تعالى حقّ حمده أوّلاً وآخراً وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وأيضاً:

بلغ معارضته وتصحيحه بنسخة الأصل التي بخطّ المصنّف (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) بحسب الجهد والطاقة إلّا ما زاغ عنه البصر. وذلك في أوقات أخيرها يوم السبت الرابع والعشرون من شهر الله الأعظم شهر رمضان المبارك عام خمسة وأربعين بعد الألف...

٤ـ مخطوطة مكتبة العالم المجاهد الشهيد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي الخاصّة والمرموز لها بـ«د». جاء في آخرها:

تمّت الرسالة... على يد الخاطئ الراجي عفو ربّه الغنيّ محمّد حسين ابن المرحوم كاظم الكاظمي في دار المؤمنين أصفهان... في يوم الخميس عشرون من شهر جمادى الآخر من شهور سنة ١١١٥ ألف ومائة وخمسة عشر هجريّة على مشرّفها آلاف السلام والتحيّة، والحمد للّه ربّ العالمين.

ب: تخريج الأقوال والآراء. نظراً إلى أنّ أكثر الأقوال والآراء التي نقلها المصنّف (رحمه الله) من أهل السنّة والجماعة، وبلفظ «قيل» بذل الوسع والطاقة لتخريج الأقوال من مصادرها الأصليّة والإرجاع إليها، ولهذا اعتمدنا على كثير من مصادر التحقيق على كتب العامّة.

ثمّ إن وجد للقائل أثراً أُرجع إليه، وإن لم يكن أو لم يوجد لقائله تأليفاً أُرجع إلى المصادر التي نقلت عنه مع رعاية تقدّمها على الشهيد الثاني (رحمه الله). وكان الاعتماد على المصادر الرئيسيّة.

وأورد كلّ ما وجد من التعليقات والملاحظات للشهيد الثاني وابنه الشيخ حسن (رحمهما الله) في حواشي المخطوطات.

وفرزنا متن البداية من الشرح ووضع متن البداية ضمن الشرح بين الهلالين.

ج: أوردنا في هذه الطبعة تعاليق السيّد الأُستاذ آية الله السيّد أحمد المددي على الرعاية من طبعة مكتبة آية الله المرعشي النجفي (قدّس سرّه) بتحقيق الشيخ عبد الحسين محمّد عليّ البقّال (رحمه الله)، وذيّلنا هذه التعاليق بتوقيع «السيّد المددي» بين الهلالين هذا، ونشكر المحقّق الفاضل غلام حسين قيصريّه‌ها لجهوده في تحقيق هذا الكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

مركز إحياء التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم وعليك اتكالي يا حكيم

نحمدك اللهم على حسن توفيق البداية في علم الدراية والرواية ونسألك حسن الرعاية في جميع الأحوال
الى النهاية ونصلي على نبيك وحبيبك محمد المنقذ للخلق من الغواية المرشد لهم الى الحق وسبيل الهداية
وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار صلوة دائمة متصلة لا تبلغ لها غاية ونسلم تسليما وبعد
الحمد لله كما هو أهله والصلوة على مستحقها فهذا كتاب مختصر وضعناه في علم دراية الحديث
وهو علم يبحث فيه عن متن الحديث وطرقه من صحيحها وسقيمها وعليلها وما يحتاج اليه
ليعرف المقبول منه والمردود وموضوعه الراوي والمروي من حيث ذلك وغايته معرفة
ما يقبل من ذلك ليعمل به وما يرد منه ليجتنب ومسائله ما ذكر في كتبه من المقاصد وبيان مصطلحاتهم
في هذا العلم المفهومات المنقولة عن معانيها اللغوية الى المخصصة لها كما سيرد عليك إن شاء الله
جعلنا وضعه على وجه الإيجاز والاختصار دون الإطناب والإكثار ليسهل حفظه ويكثر نفعه
فإن طباع أهل الزمان لا تحمل أعباء الكثير من العلم خصوصا في هذا الشأن وهو مرتب
على مقدمة وأربعة أبواب سائلين من الله تعالى إلهام الحق والدلالة على صوب الصواب
فالمقدمة في بيان أصوله واصطلاحاته التي يحتاج طالبه الى معرفتها ومدارها على المتن والإسناد
والسند ونحوها الخبر والحديث مترادفان بمعنى واحد وهو اصطلاحا كلام يكون لنسبته خارج
في أحد الأزمنة الثلاثة أي يكون لها في الخارج نسبة ثبوتية أو سلبية تطابقه أي تطابق تلك
النسبة ذلك الخارج بأن يكونا سلبيين أو ثبوتيين أو لا تطابقه بأن يكون أحدهما ثبوتيا
والآخر سلبيا والكلام في التعريف بمنزلة الجنس وخرج بقوله لنسبته خارج الإنشاء فإنه
وإن اشتمل على النسبة إلا أنه لا خارج له عنها بل تلفظه سبب لنسبته من غير حيثية باعتبار الوضع
وذلك أن الكلام إما أن يكون لنسبته بحيث تحصل من اللفظ ويكون اللفظ موجدا لها من غير قصد
الى كونها دالة على نسبة حاصلة في الواقع بين الشيئين وهو الإنشاء أو يكون لنسبته بحيث
يقصد أن لها نسبة خارجية أي ثابتة في نفس الأمر مطابقة أو لا مطابقة وهو الخبر فإذا قلت
مثلا زيد قائم فقد أثبت لزيد في اللفظ نسبة القيام إليه ثم في نفس الأمر لا بد أن يكون بينه وبينها

صورة الصفحة الأولى من نسخة «ألف»

وقيل إن بني أعين كانوا عشرة ومثال الثمانية زرارة وبكير وحمران وعبد الملك وعبد الرحمن ومالك
وقعنب وعبد الله بنو أعين من رواة الصادق عليه السلام وورد في بعض الطرق [illegible] يكونون
من أمثلة التسعة ولو أضيفت إليهم أختهم أم الأسود صاروا عشرة وما زاد على هذا العدد نادر
فلذا وقف عليه الأكثر ومن أمثلة العشرة أولاد العباس بن عبد المطلب وهم الفضل وعبد الله
وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم ومعبد وعون والحارث وكثير وتمام وكان أصغرهم وكان العباس يحمله
ويقول تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراما بررة واجعل لهم ذكرا وانم الثمرة وكان له
ثلاث إناث أم كلثوم وأم حبيب وأميمة والله تعالى أعلم ومن المهم أيضا معرفة أوطانهم وبلدانهم
فإن ذلك ربما ميز بين الاسمين المتفقين في اللفظ وربما استدل به [illegible] إذا ذكر مكان
السماع على الإرسال بين الراويين إذا لم يعرف لهما اجتماع عند من لا يكتفي بالمعاصرة وقد كانت
العرب إنما تنتسب إلى قبائلها وإنما حدث لهم الانتساب إلى البلاد والأوطان لما توطنوا وسكنوا القرى
والمدائن وضاعت الأنساب فلم يبق لها غير الانتساب إلى البلدان والقرى فانتسبوا إليها
كما العجم فأما من ذكرنا فإن كان ينتقل من بلد إلى بلد وقيل شرط سكناه أربع سنين فمن كان
قد سكن بلدا آخر وانتسب إليهما [illegible] إليهما معا وقدم الأول على البلد الذي سكنه [illegible]
عند ذكره ترتيب البلد إليه ثم يقول مثلا البغدادي ثم الدمشقي وإن كان من قرية بلد ناحية إقليم نسب
إلى أيها شاء من القرية والبلد والناحية والإقليم فمن هو من أهل جبع مثلا له أن ينسب نفسه
الجبعي أو الصيداوي أو الشامي ولو أراد الجمع بينها فليبدأ بالأعم فيقول الشامي الصيداوي الجبعي
فهذه جملة موجزة في الإشارة إلى مقاصد هذا العلم أعني دراية الحديث وأنواعه إجمالا وأوردنا [illegible]
فيها من ذكر الأمثلة الموضحة لطالبيه [illegible] من معرفة اصطلاحات المحدثين
فإنه قد [illegible] في ذلك الغاية ووفق الله تعالى لإكماله بمحمد وآله والله تعالى الموفق للسداد والهادي إلى
سبيل الرشاد وهو حسبنا ونعم الوكيل فرغ من تسويده مؤلفه [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ألف»

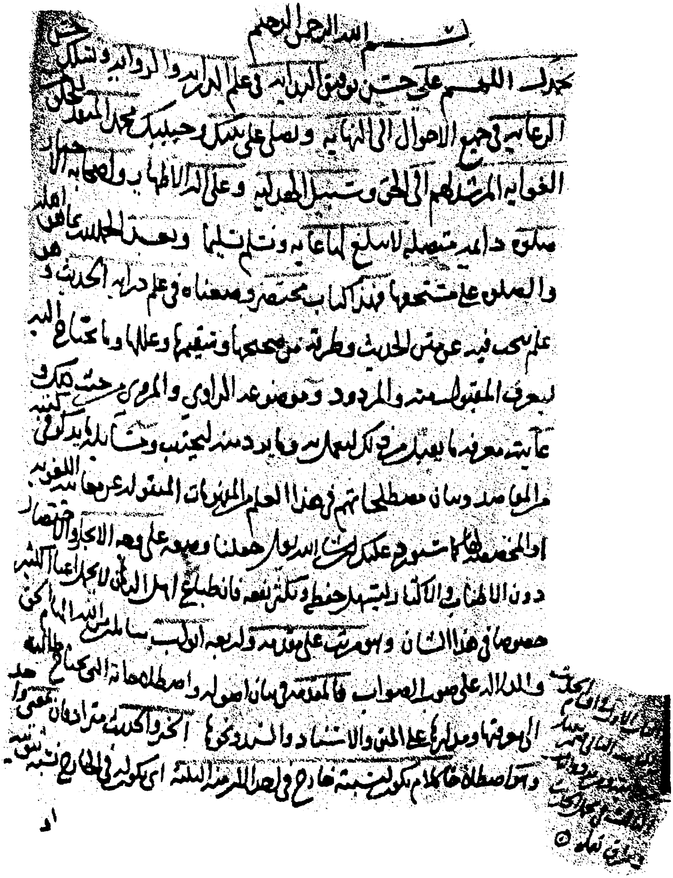

صورة الصفحة الأُولى من نسخة «ب»

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ب»

البداية

في علم الدراية

بسم الله الرحمن الرحيم

نَحمَدُك اللهمَّ على البِدايةِ في الدِرايةِ والروايةِ، ونَسألُكَ حسنَ الرِعاية إلى النهايةِ، ونصلّي على نبيِّك محمّدٍ المُنْقِذِ من الغَواية، المُرشدِ إلى سبيلِ الهِدايَةِ، وعلى آلهِ وأصحابهِ صلاةً لا تبلغ لها غايةٌ.

وبعد، فهذا مختصرٌ في علمِ دراية الحديث وبيانِ مصطلحاتهم على وجه الإيجازِ والاختصارِ مُرتَّبٌ على مقدِّمةٍ وأبوابٍ:

المقدّمةُ في بيان أُصولِه واصطلاحاته

الخبرُ والحديثُ: بمعنى، هو كلامٌ يكون لِنسبَتِه خارجٌ في أحدِ الأزمنةِ تُطابِقُه أو لا. وهو أعمُّ من أن يكون قولَ الرسولِ والإمامِ والصحابي والتابعي وغيرِهم. وفي معناه فعلُهم وتقريرُهم.

وقد يُخَصُّ الثاني بما جاء عن المعصومِ، والأوّلُ بما جاء عن غيرِه، أو يُجعل الثاني أعمَّ مطلقاً.

والأثرُ: أعمُّ مطلقاً.

والمتنُ: لفظُ الحديثِ الذي يَتَقَوَّمُ بِه المعنى.

والسندُ: طريقُ المتنِ. وقيل: الإخبارُ عن طَرِيقِه.

والإسنادُ: رَفعُ الحديثِ إلى قائلِه. والأولى ردُّ المعنى الثاني إليه أيضاً.

ثمّ الخبرُ، مُنحصِرٌ في الصدقِ والكذبِ في الأصحِّ؛ لأنّه إن طابَقَ الواقعُ المحكيَّ فالأوّلُ، وإلّا فالثاني، سواءٌ وافَقَ اعتقادَ المُخبِرِ أم لا، وسواءٌ قصد الخبرَ أم لا.

ثمّ قد يُعلم صِدقُه قطعاً ضرورةً، كالمتواتر، وما عُلِمَ وجودُ مخبَرِه كذلك. أو كَسْباً، كخبر اللهِ تعالى، والرسولِ، والإمامِ، والأُمّةِ، والمتواتِر معنى، والمحتفِّ بالقرائن، وما عُلِمَ وجودُ مُخبَرِه بالنظر. وقد يُعلم كذبُه كذلك بالمقايسةِ. وقد يحتمل الأمرين، كأكثرِ الأخبارِ.

وينقسم مطلقاً إلى متواترٍ، وهو ما بَلَغَتْ رُواتُه في الكثرةِ مَبْلَغاً أحالَت العادةُ تواطُؤهم على الكَذبِ، واستمرَّ ذلك في الطبقاتِ حيث تتعدّد، فيكون أوّلُه كآخِره، ووسطُه كَطَرَفَيْه. ولا يَنْحَصِرُ ذلك في عددٍ خاصٍّ.

وشرطُ العِلم به انتفاؤه اضطراراً عن السامعِ، وأن لا تَسْبِقَ شُبهةٌ إلى السامعِ أو تقليدٌ ينافي موجبَ خَبَرِه، واستنادُ المُخْبِرين إلى إحساسٍ.

وهو مُتَحَقِّقٌ في أُصولِ الشرائعِ كثيراً، وقليلٌ في الأحاديث الخاصّةِ وإن تَواتر مدلولُها، حتّى قيل: مَن سُئل عن إبرازِ مثالٍ لذلك أعياه طلبُه. وحديثُ «إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ» ليس منه وإن نقله عددُ التواترِ وأكثرُ؛ لأنّ ذلك طَرَأ في وَسَطِ إسناده. وأكثرُ ما ادّعي تواترُه من هذا القبيلِ.

نعم، حديثُ: «مَن كذب عليّ متعمّداً فَلْيَتَبَوّأ مقعدَه من النارِ» نَقَلَه مِن الصَحابَة الجمُّ الغفيرُ.

قيل: أربعون. وقيل: نَيِّفٌ وستّون، ولم يَزَل العددُ في ازديادٍ.

وآحادٍ، وهو ما لم يَنْتَهِ إلى المتواترِ منه.

ثمّ هو مستفيضٌ إن زادَتْ رُواتُه عن ثلاثةٍ، أو اثنين. ويقال له: المشهور أيضاً. وقد يُغايَر بينهما.

وغريبٌ إن انفردَ به واحدٌ.

وغيرُهما، وهو ما عدا ذلك. فمنه العزيزُ، ومنه المقبولُ، والمردودُ، والمُشْتَبَهُ.

والأخبارُ مطلقاً غيرُ منحصرةٍ. ومَن بالغ في تتبُّعِها وحَصَرَها في عددٍ فَبِحَسَبِ ما وَصَلَ إليه.

واعلم أنّ متنَ الحديث نفسِه لا يَدْخل في الاعتبار إلّا نادراً، بل يَكْتَسِبُ صفةً من القوّةِ والضعفِ وغيرِهما بِحَسَبِ أوصافِ الرواةِ مِنَ العَدالَةِ وعَدَمِها، أو الإسنادِ، مِن الاتّصالِ والانقطاعِ والإرسالِ وغيرِها.

وتحريرُ البحث عن ذلك ينجرُّ إلى بيان أنواعِه من الصِحَّةِ وأضدادِها، وإلى الجَرْحِ والتعديلِ. والنظرُ[١] إلى كيفيّةِ أخذِه، وطُرقِ تحمُّلِه والبحثِ عن أسماء الرواة وأنسابِهم، ونحوِ ذلك.

فهاهنا أبوابٌ:

الباب الأوّلُ في أقسامِ الحديثِ

وأُصولُها أربعةٌ:

الأوّلُ: الصحيحُ، وهو ما اتّصل سندهُ إلى المعصومِ بنقلِ العدلِ الإمامي عن مثلِه في جميعِ الطبقاتِ، وإن اعتراه شذوذٌ. وقد يُطلق على سَليمِ الطريقِ مِن الطَعْنِ بما يُنافي الأمرين، وإن اعتراه مع ذلك إرسالٌ أو قَطعٌ.

الثاني: الحَسَنُ، وهو ما اتّصل سندُه كذلك بإمامي ممدوحٍ من غيرِ نصٍّ على عَدالَتِه في جميعِ مَراتِبه أو في بَعضِها، مع كون الباقي مِن رجالِ الصحيح.

ويُطْلَقُ أيضاً على ما يَشمُل الأمرَينِ مع اتّصاف رُواته بالوَصْفَين كذلك.

الثالثُ: المُوَثَّقُ. ويقالُ له: القويّ، وهو ما دخل في طَرِيقه مَن نصَّ الأصحابُ على تَوثِيقِه مع فَساد عقيدته، ولم يَشْتَمِل باقيه على ضعفٍ.

وقد يُطلق القويّ على مرويّ الإمامي غيرِ الممدوحِ ولا المذمومِ.

الرابعُ: الضَعيفُ، وهو ما لا يَجْتَمِعُ فيه شروطُ أحدِ الثلاثةِ، بأن يشتملَ طريقُه على مجروحٍ، أو مجهولٍ، أو ما دونَ ذلك. ودَرَجاتُهُ مُتَفاوِتةٌ بِحَسَبِ بُعْدِه عن شُروطِ الصحّةِ، كما تتفاوَتُ درجاتُ الصحيحِ وأخَوَيْهِ بِحَسَبِ تَمكُّنِه مِن أوصافِها. وكثيراً ما يُطلق الضعيفُ على رِوايةِ المجروحِ خاصّةً.

---

١. أي ينجرّ النظرُ.

واعلم أنّ مَن جوّز العملَ بخبرِ الواحد في الجملةِ، قَطَع بالعملِ بـالخبرِ الصـحيحِ حيث لا يكون شاذّاً، أو مُعارَضاً.

واختلفوا في العملِ بالحَسَنِ، فمنهم: مَن عَمِلَ به مطلقاً كالصحيحِ، ومنهم: مَن ردَّه مطلقاً. وفَصَّل آخرون.

وكذا اختَلَفوا في العمل بالمُوثَّقِ نحوَ اختلافِهم في الحَسَنِ.

وأمّا الضعيفُ، فذهب الأكثرُ إلى مَنعِ العمل به مطلقاً. وأجازه آخرون مع اعتضادِه بالشهرةِ روايةً، أو فتوىً؛ لقوّة الظنِّ في جانِبِها وإن ضَعُف الطريقُ، كما تُعلَم مَـذاهبُ الفِرَقِ بإخبار أهلِها وإن لم يَبْلُغوا حدَّ التواترِ. وهذه حجّةُ مَن عَمِل بالموثَّقِ أيضاً.

وفيه نظرٌ يخرج تحريرُه عن وَضْعِ الرسالة.

وجَوَّز الأكثرُ العملَ به في نحو القَصَص والْمَواعِظ وفَضائِل الأعمالِ، لا في أحكامِ الحلالِ والحرامِ، وهو حَسَنٌ حيثُ لا يَبْلُغُ الضعفُ حدَّ الوضعِ.

بقي هنا عباراتٌ لمعانٍ شتّى:

منها: ما يشتركُ فيه الأقسامُ الأربعةُ.

ومنها: ما يَخْتَصُّ بالضَعيفِ.

فمِنَ [القسم][١] الأوّلِ أمورٌ:

أحدُها: المُسْنَدُ، وهو ما اتّصل سندهُ مرفوعاً إلى المعصومِ.

وثانيها: المُتَّصِلُ ـ ويُسمّى أيضاً الموصولَ ـ وهو ما اتّصل إسنادُه، وكان كلُّ واحدٍ من رُواتِه قد سَمِعَه ممّن فوقَه، أو ما في معنى السَماع. سواءٌ كان مرفوعاً أم موقوفاً.

وثالثُها: المرفوعُ، وهو ما أُضيف إلى المعصومِ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقرير. سـواءٌ كان متّصلاً أم منقطعاً.

---

١. يأتي القسم الثاني.

وقد تبيّن أنّ بين الأخيرين عموماً من وجهٍ، وأنّهما أعمٌّ من الأوّلِ مطلقاً.

ورابعُها: المُعَنْعَنُ، وهو ما يُقال في سنَدِه: «فلانٌ عن فلان». والصحيحُ أنّه مُتَّصِلٌ إذا أمكن اللِقاءُ، مع البَراءَةِ من التدليسِ. وقد استعمله أكثرُ المُحَدِّثين.

وخامسُها: المُعلَّقُ، وهو ما حُذِفَ من مَبْدَأ إسنادِه واحدٌ فأكثرُ. ولا يَخْرُجُ عن الصحيح إذا عُرِفَ المحذوفُ مِن جِهة ثِقَةٍ، وهو حينئذٍ في قوّةِ المذكورِ، وإلّا خرج.

وسادسُها: المُفْرَدُ، إمّا عن جميعِ الرُواةِ، أو بالنِسْبَةِ إلى جهةٍ، كتفرُّد أهلِ بلدٍ به. ولا يُضَعَّفُ بذلك.

وسابعُها: المُدْرَجُ، وهو ما أُدْرِج فيه كلامُ بعضِ الرُواةِ، فيُظَنُّ أنّه منه؛ أو مَتْنان بإسنادَين، فيُدرِجُهما في أحدِهما؛ أو يَسمع حديثَ واحدٍ من جماعةٍ مُختلِفين في سَنَدِه أو مَتْنِه فيُدْرِجُ روايتَهم على الاتّفاق.

وثامنُها: المشهورُ، وهو ما شاعَ عند أهلِ الحديثِ، بأن نَقَله رواةٌ كثيرون؛ أو عندَهم وعند غيرِهم، كحديثِ: «إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ»؛ أو عِندَ غيرِهم خاصّةً، وهو كثيرٌ.

وتاسعُها: الغَريبُ، إما إسناداً أو متناً، وهو ما تفرّد بروايةِ مَتْنِه واحدٌ؛ أو إسناداً خاصّةً، كحديثٍ يَعرف متنَه جماعةٌ إذا انفرد واحدٌ بروايته عن غيرِهم؛ أو متناً خاصّةً، بأن اشتهر الحديثُ المفرد، فرواه عمّن تفرّد به جماعة كثيرة، فإنّه يصير غريباً مشهوراً. وحديث: «إنَّما الأعمالُ بالنيّاتِ» غريبٌ في طَرَفِه الأوّلِ، مشهورٌ في الآخرِ. ونظائرُهُ كثيرةٌ. وقد يُطلق على الغَريبِ اسمُ الشاذّ.

وعاشرُها: المُصَحَّفُ، والتصحيفُ يكون في الراوي، وفي المتنِ؛ ومُتَعلَّقُه إمّا البصرُ، أو السَمعُ؛ في اللفظِ والمعنى.

وحادي عشرها: العالي سنداً، وطَلَبُه سُنَّةٌ. فَبِعُلُوِّه يَبْعُدُ عن الخَلَلِ المُتطرِّقِ إلى كلّ راوٍ، وأعلاه قربُ الإسناد من المعصوم، ثمّ مِن أحدِ أئمّةِ الحديث، ثمّ بتقدُّمِ زمانِ سَماعِ أحدِهما على الآخَر، وإن اتّفقا في العدد أو عدمِ الواسطة، فأوّلُهما أعلى.

وثاني عشرها: الشاذُّ، وهو ما رواه الثِقَةُ مخالِفاً لما رواه الجمهورُ، ثمّ إن كان المخالفُ له أحفظَ أو أضبطَ أو أعدلَ فشاذٌّ مردودٌ، وإن انعكس فلا، وكذا إن كان مِثْلَه. ومنهم: مَن رَدَّه مطلقاً. ومنهم: مَن قَبِلَه مطلقاً.

ولو كان المخالفُ غيرَ ثِقَةٍ فحديثُه مُنْكَرٌ مردودٌ.

ومنهم: مَن جَعَلهما مترادِفَين.

وثالث عشرها: المُسَلْسَلُ، وهو ما تتابع فيه رجالُ الإسناد على صفةٍ، أو حالةٍ في الراوي قولاً، كقوله: «سمعتُ فلاناً يقولُ: سمعت فلاناً يقول» إلى المنتهى؛ أو: «أخبرنا فلانٌ واللهِ، قال: أخبرنا فلانٌ واللهِ» إلى آخر؛ أو فعلاً، كحديثِ التشبيكِ باليد، والقيامِ والاتّكاءِ، والعدِّ باليدِ؛ أو بهما، كالمسلسلِ بالمصافحةِ، وبالتلقيمِ.

أو في الروايةِ، كالمُسَلْسَلِ باتّفاقِ أسماء الرواة وأسماء آبائهم، أو كُناهم، أو أنسابِهم، أو بُلدانِهم.

وقد يقع التسلسلُ في مُعظَمِ الإسنادِ، كالمُسَلْسَلِ بالأوّليّةِ. وهذا الوصفُ من فُنونِ الرِوايةِ، وضروبِ المُحافَظَةِ عليها. وفَضيلَتُه، اشتمالُه على مَزيدِ الضَبْطِ، وأفْضَلُه ما دلَّ على اتّصالِ السَماعِ. وقَلَّما تَسْلَمُ المُسَلْسَلاتُ عن ضَعفٍ في الوَصْفِ. ومنه ما ينقطع تَسَلْسُلُه في وَسَطِ إسنادِه، كالمُسَلْسَلِ بالأوّليّةِ على الصحيح.

ورابع عشرها: المَزيدُ. والزيادةُ تقع في المتنِ، والإسنادِ.

والأوّلُ، مقبولٌ مِن الثِقَةِ حيث لا يقعُ المزيدُ منافياً لما رواه غيرُه من الثقاتِ ولو في العمومِ والخصوصِ.

والثاني، كما إذا أسنَدَه وَأرسلوه، أو وَصَلَه وقَطَعُوه، أو رَفَعه ووَقَفوه، وهو مقبولٌ كالأوّل؛ لعدم المنافاة.

وقيل: الإرسال نوع قدحٍ فيُرجَّحُ، كما يُقدّم الجرحُ على التعديلِ. وفيه، منعُ الملازمة، مع وجودِ الفارقِ؛ فإنّ الجرحَ قُدّم بسببِ زيادةِ العِلْمِ، وهي هنا مع مَن وَصل.

وخامس عشرها: المُخْتَلَفُ، وهو أن يوجد حديثان مُتَضادّانِ في المعنى ظاهراً. وحكُمه الجمعُ بينهما حيث يُمكِن ولو بوجهٍ بعيدٍ، كحديثِ: «لا عَدْوى» وحديثِ: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ».

بِحَملِ الأوّلِ على الطبعِ الذي يعتقدُه الجاهلُ. والثاني على أنّ المؤثِّرَ هو الله تعالى، وإلّا رُجّح أحدُهما بِمُرَجِّحِه المُقَرَّرِ في الأُصولِ.

وهو أهَمُّ فنونِ علمِ الحديثِ، ولا يَمْلِكُ القِيامَ به إلّا المحقِّقُونَ مِن أهلِ البصائر، المُتَضلِّعونَ مِن الفِقْهِ والأُصولِ. وقد صنَّفَ فيه الناسُ، وجَمَعوا على حَسَبِ ما فَهِمُوه، وقَلَّما يتَّفِق.

وسادس عشرها: الناسخُ والمنسوخُ. والأوّلُ، ما دلَّ على رفعِ حكمٍ شرعيٍ سابقٍ. والثاني، ما رفع حكمُه الشرعي بدليلٍ شرعي متأخِّرٍ عنه. وطريقُ مَعْرِفَتِه النصُّ، أو نَقْلُ الصحابي، أو التاريخُ، أو الإجماعُ.

وسابع عشرها: الغريبُ لفظاً، وهو ما اشتَمل متنُه على لفظٍ غامضٍ بعيدٍ عن الفَهمِ؛ لقلّةِ استعمالِه. وهو فنٌّ مهمٌّ يجب أنْ يُتَثَبَّتَ فيه أشدَّ تَثَبُّتٍ. وقد صنَّف فيه جماعةٌ من العلماء شكر الله تعالى سعيَهم.

وثامن عشرها: المقبولُ، وهو ما تَلَقَّوْه بالقبولِ، والعملِ بالمضمون من غير التفاتٍ إلى صِحَّتِه وعدمِها، كحديث عُمَر بنِ حنظلةَ في حال المتخاصِمَين.

[و][1] القسم الثاني: ما يختصُّ بالضَعيفِ

وهو أُمورٌ:

الأوّلُ: الموقوفُ، وهو ما رُوي عن مُصاحِبِ المعصومِ من قولٍ، أو فعلٍ متّصلاً كان، أو منقطعاً. وقد يُطلق في غيرِ المُصاحِب مقيّداً، مثل: «وَقَفَه فلانٌ على فلانٍ».

---

١. عطف على قوله: «فمن القسم الأوّل».

وقد يُطلق على الموقوفِ الأثرُ، إن كان الموقوفُ عليه صحابيّاً للنبيّ ﷺ، وعلى المرفوعِ الخبرُ.

ومنه: تفسيرُ الصحابي، وقولُه: «كنّا نَفْعلُ كذا»، وإن أطلَقَه، أو لم يُضِفْه إلى زَمَنِه ﷺ، وإلّا فوجهان. من حيث إنّ الظاهرَ كونُه ﷺ قد اطَّلَع عليه وقَرَّره.

وكيف كان فليس بِحُجَّةٍ وإن صحّ سَنَدُه، على الأصحّ.

الثاني: المقطوعُ، وهو ما جاء عن التابعين، ومَن في حُكْمِهم، من أقوالِهم، وأفعالِهم موقوفاً عليهم. ويقال له: المُنْقَطِع أيضاً.

وقد يُطلق على الموقوفِ بالمعنى السابق الأعمِّ. وكيف كان فليس بحجّةٍ.

الثالث: المُرسَلُ، وهو ما رواه عن المعصومِ مَن لم يُدْرِكْه بغيرِ واسطةٍ، أو بواسطةٍ نسيَها، أو تَرَكَها، أو أبهَمَها. وقد يُخَصُّ المُرسَلُ بإسنادِ التابعي إلى النبيّ ﷺ مِن غير ذِكْرِ الواسطةِ.

ويُطلق عليه المُنقَطِعُ، والمقطوعُ بإسقاطِ شخصٍ واحدٍ. والمُعْضَلُ بإسقاطِ أكْثَرَ.

وليس بحجّةٍ مطلقاً في الأصحّ، إلّا أن يُعلَمَ تَحرُّزُ مُرْسِلِه عن الروايةِ عن غَيْر الثِقَةِ. وفي تَحقُّقِ هذا المعنى نَظَرٌ.

ويُعلم الإرسالُ بِعَدَمِ التلاقي؛ ومِن ثَمّ احتُيجَ إلى التاريخِ، وبصيغةٍ تَحتمل اللِقاءَ، وعدمُه مع عَدَمِه، كـ«عن» و«قال». وهو ضربٌ من التَدليسِ.

الرابع: المُعلَّلُ، وهو ما فيه أسبابٌ خفيّةٌ غامِضَةٌ قادِحةٌ، وظاهرُه السلامةُ. وإنّما يتمكَّنُ من معرفةِ ذلك أهلُ الخبرةِ الضابطةِ، والفَهْمِ الثاقِبِ.

ويُستعان على إدراكها بتفرُّدِ الراوي، وبمخالَفَةِ غيرِه له، مع قرائنَ تُنَبِّه العارفَ على إرسالٍ في الموصول، أو وقفٍ في المرفوعِ، أو دخولِ حديثٍ في حديثٍ، أو وَهْم واهمٍ، أو غيرِ ذلك، بحيث يَغْلِبُ على الظنِّ ذلك، فيُحكمُ به، أو يُتردّد فيُتَوقَّفُ.

الخامس: المُدَلَّسُ، وهو ما أُخفي عيبُه. إمّا في الإسناد، وهو أن يروي عمّن لَقِيه، أو

عاصَرَه ما لم يَسْمَعْه منه على وجهٍ يُوهِمُ أنّه سَمِعَه منه.

ومن حَقِّه أن لا يقولَ: «حدَّثنا» ولا: «أَخْبَرنا» وما أشبهَهُما، بل يقولُ: «قال فلانٌ» أو «عن فلانٍ» ونحوهُ.

وربما لم يُسقِط المدلِّس شَيْخَه لكن يسقط مِن بَعدِه رجلاً ضعيفاً، أو صغيرَ السنِّ لِيَحْسُنَ الحديثُ بذلك.

وأمّا في الشُيوخِ، بأن يروي عن شيخٍ حديثاً سَمِعَه، فيُسَمِّيه أو يُكَنِّيه أو يَنْسِبُه أو يَصِفُه بما لا يُعرَف به كي لا يُعْرَفَ. وأمْرُه أخفُّ، لكن فيه تضييعٌ للمرويّ عنه، وتوعير لطريقِ مَعْرفةِ حالِه.

والقسمُ الأوّلُ مذمومٌ جِدّاً. وفي جَرحِ فاعله بذلك قولان، والأجودُ القبولُ إن صرّحَ بما يقتضي الاتّصالَ، كـ: «حدّثنا» و«أخبرنا» دونَ المحتملِ، بل حكمُه حكمُ المُرْسَلِ.

السادس: المضطَرِبُ، وهو ما اختُلف راويه فيه. وإنّما يتحقَّقُ الوصفُ مع تساوي الروايتين، أمّا لو ترجّحت إحداهما على الأُخرى بوجهٍ من وُجوهِه، كأن يكونَ راويها أحْفَظَ، أو أكثرَ صُحْبَةً للمرويّ عنه فالحكمُ للراجِح، فلا يكون مُضْطرِباً.

ويَقَعُ في السندِ، والمتنِ، من راوٍ، ورُواةٍ.

السابع: المَقْلوبُ، وهو حديثٌ ورد بطريقٍ فيُروى بغيره أجودَ، ليُرغَبَ فيه، ونحوُه. وقد يقعُ ذلك مِن العلماءِ للامتحان.

الثامن: الموضوعُ، وهو المكذوبُ المُخْتَلَقُ المَصنُوعُ، وهو شرُّ أقسام الضَعيفِ، ولا تحلّ روايتُه إلّا مُبَيَّناً لِحالِه. ويُعرفُ بإقرارِ واضعِه، ورَكاكةِ ألفاظِه، وبالوقوفِ على غَلَطِه.

والواضعونَ أصنافٌ، أعظَمُهم ضرراً من انتُسب منهم إلى الزُهدِ، فاحتَسَب بِوَضْعِه. وَوَضَعَتِ الزَنادِقةُ، والغُلاةُ جملةً، ثمّ نَهَضَ جَهابِذَةُ النُقّاد بكشفِ عَوارِها، ومَحْوِ عارِها. وقد ذَهبتِ الكِرامِيّة، وبعضُ المُبتَدِعةِ إلى جَوازِ وَضْعِ الحديثِ للترغيبِ والترهيب.

وللصغاني كتاب الدرُّ المُلْتَقَطُ في تبيينِ الغَلط جيّدٌ. ولغيره دونَه.

تتمّةٌ

إذا وَجَدْتَ حديثاً بإسنادٍ ضعيفٍ فلك أنْ تقولَ: «هذا الحديثُ ضعيفٌ» بقولٍ مطلقٍ، أو تُصرِّحَ بأنّه ضعيفُ الإسنادِ، لا المتنِ؛ فقد يُروى بصحيحٍ. وإنّما يُضعَّفُ بحكمِ مُطَّلِعٍ على الأخبار، مُضْطَلِعٍ بها، أنّه لم يُروَ بإسنادٍ يثبت. وتساهَلوا في روايته بلا بيانٍ في غير الصفاتِ والأحكامِ.

ومُريد روايةِ حديثٍ ضعيفٍ أو مشكوكٍ في صحّته بغَيرِ إسنادٍ يـقول: «رُوي» أو «بَلَغنا» ونَحوُه، لا: «قال» ونَحوها مِن الألفاظِ الجازِمةِ. والله أعلم.

البابُ الثاني في مَن تُقبل روايتُه، ومَن تُردّ

وبه يَحصل التمييزُ بين صحيحِ الروايةِ وضَعيفها. وجُوِّز ذلك وإن اشتملَ على القَدْحِ في المُسلمِ؛ صيانةً للشريعةِ المُطهَّرةِ. نعم يَجبُ على المتكلِّم في ذلك التَثبُّتُ؛ لئلّا يَقْدَحَ في غَيرِ مَجْروحٍ بما ظَنَّه جَرحاً. فقد أخطأ في ذلك غيرُ واحدٍ.

وقد كفانا السلفُ مُؤنَةَ الجَرحِ والتعديل غالباً، ولكن ينبغي للماهر تَدَبُّر ما ذكروه، فلعلّه يَظْفَرُ بكثيرٍ ممّا أهْمَلوه، ويَطَّلِعُ على تَوجيهٍ أغْفَلوه، خصوصاً مع تَعارُضِ الأخبار في الجَرْحِ والْمَدْحِ؛ فإنّ طريقَ الجمعِ بينَهُما مُلْتَبِسٌ على كثيرٍ، حَسَبَ اختلافِ طُرُقِهِ وأُصولِه.

وفي هذا البابِ مسائلُ ثمانٍ:

[المسألة] الأُولى: اتّفَق أئمّةُ الحـديثِ والأُصـولِ عـلى اشـتراطِ إسـلامِ الراوي،

وبُلوغِه، وعَقلِه. وجُمهورُهم على اشتراطِ عَدالَتِه، بمعنى كونِه سليماً من أسبابِ الفِسْقِ، وخوارِمِ المُروءَةِ؛ وضَبْطِه، بمعنى كونِهِ حافظاً، متيقِّظاً إن حدّث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدّث منه؛ عارفاً بما يَخْتلُّ به المعنى إن روى به.

ولا يُشترط الذكورةُ، ولا الحرّيةُ، ولا العلمُ بفقهٍ وعربيّةٍ، ولا البَصَرُ، ولا العَدَدُ.

والمشهورُ بين أصحابنا اشتراطُ إيمانِه مع ذلك. قَطَعوا به في كُتُبِ الأُصولِ وغيرِها، مع عِلْمِهم بأخبارٍ ضعيفةٍ أو مُوثَّقَةٍ في أبوابِ الفِقْه، مُعْتَذِرين عن ذلك بانجبار الضَعْفِ بالشهرةِ ونحوِها من الأسباب، وقد تَقَدَّم.

وحينئذٍ، فاللازمُ اشتراطُ أحَدِ الأمرَين، من الإيمان والعَدالَةِ، أو الانجبارِ بُمرَجِّحٍ، لا إطلاق اشتراطِهما.

[المسألة] الثانيةُ: تُعرفُ العدالةُ بِتَنْصِيصِ عَدْلَين عليها، أو بالاستفاضةِ. وفي الاكتفاء بتزكيةِ الواحدِ في الروايةِ قولٌ مشهورٌ، كما يُكتفى به في أصلِ الروايةِ.

ويُعرفُ ضبطُه، بأن تُعتَبَرَ روايتُه بروايةِ الثِقات المعروفين بالضَبطِ والإتقانِ، فإن وافَقَهم غالباً عُرِفَ كونَه ضابطاً ثَبْتاً، وإن وُجِد كثيرَ المخالفةِ لهم، عُرِفَ اختلالُه.

[المسألة] الثالثةُ: التعديلُ مقبولٌ من غير ذكرِ سَبَبِه على المشهورِ؛ لأنّ أسبابَه كثيرةٌ يَصعُبُ ذكرُها. وأمّا الجرحُ، فلا يُقبَلُ إلّا مُفسَّراً مُبيَّنَ السَبَبِ؛ لاختلاف الناسِ فيما يُوجِبُه. نعم، لو عُلِمَ اتّفاقُ مَذْهَبِ الجارحِ والمُعْتَبِر في الأسبابِ، اتّجه الاكتفاءُ بالإطلاقِ كالعَدالَةِ.

وما أطْلَقَه الجارِحونَ في كُتُبِهم من غَيرِ بيانِ سَبَبِه وإن لم يَقْتَضِ الجَرْحَ، لكن يُوجِبُ الرِيبةَ القَوِيَّةَ المُفْضِيَةَ إلى تركِ الحديثِ إلى أن تَثْبُتَ العَدالةُ، أو يَتَبَيَّنَ سببُ زَوالِ مُوجِبِ الجَرْحِ.

[المسألة] الرابعةُ: يثبتُ الجرحُ في الرُواةِ بقولٍ واحدٍ، كتعديلِه، على الأشهرِ؛ لأنّ العدَدَ لم يُشْتَرَط في قبولِ الخَبَرِ، فَلَم يُشْترط في وَصْفِه.

ولو اجتَمع في واحدٍ جرحٌ وتعديلٌ، فالجرحُ مقدّمٌ وإن تَعدَّد المعدِّلُ، على الأصحِّ؛ لأنّ المعدِّلَ مُخبِرٌ عمّا ظهر مِن حالِه، والجارحُ يُخْبِر عن باطِنٍ خفيٍّ على المُعدِّلِ. هذا إذا أمكن الجمعُ، وإلّا تعارضا وطُلِبَ الترجيحُ.

[المسألة] الخامسةُ: إذا قال الثِقَةُ: «حَدَّثني ثِقَةٌ» لم يَكْفِ ذلك في العملِ بِروايَتِه؛ إذ لابُدَّ مِن تَعْيينِه وتَسْمِيتِه؛ لجوازِ كونه ثقةً عِنْدَه، وغيرُه قَدِ اطَّلعَ على جَرْحِه بما هو جارحٌ عنده لو عَلِمَ به. نعم، يكون ذلك منه تزكيةً حيثُ يَقْصُدها، ينفعُ مع ظُهورِ عَدَمِ المُعارِضِ.

ولو روى العدلُ عن رجلٍ سمّاه، لم تُجعل روايتُه عنه تعديلاً له على الأصحِّ. وكذا عَمَلُ العالِم وفُتْياه على وَفْقِ حَديثٍ ليس حُكماً بِصحَّته، ولا مُخالَفَتُه له قَدحاً فيه؛ لأنّه أعمُّ.

[المسألة] السادسةُ: ألفاظُ التعديلِ: عدلٌ، ثِقَةٌ، حُجَّةٌ، صَحِيحُ الحَدِيثِ، وما أدّى معناه.

أمّا، مُتْقِنٌ، ثَبْتٌ، حافِظٌ، يُحْتَجُّ بِحَدِيثِه، صَدُوقٌ، مَحلُّه الصِدقُ، يُكْتَبُ حديثُه، يُنْظَرُ فيه، لا بأس به، شَيْخٌ، جَلِيلٌ، صالِحُ الحَدِيثِ، مَشْكُورٌ، خَيِّرٌ، فاضلٌ، خاصٌّ، مَمْدُوحٌ، زاهدٌ، عالِمٌ، صالِحٌ، قَرِيبُ الأمرِ، مَسكُونٌ إلى رِوايَتِه، فالأقوى عدمُ الاكتفاء بها؛ لأنّها أعمُّ من المطلوب. نعم، يُفيدُ المدحَ، فيُلحق حديثُه بالحَسَنِ.

وألفاظُ الجَرْحِ:

ضعيف، كَذّابٌ، وَضّاعٌ، غالٍ، مُضْطَرِبُ الحَدِيثِ، مُنْكِرُه، لَيِّنُه، مَتْروكٌ، مُرتَفَعُ القولِ، مُتَّهَمٌ، ساقطٌ، واهٍ، لا شيءَ، ليس بذلك. ونحو ذلك.

[المسألة] السابعةُ: مَن خلّط بخُرْقٍ، أو فِسْقٍ وغَيْرِهما يُقبل ما روي عنه قَبْلَ الاختلاط، ويُرَدُّ ما بعدَه وما شُكّ فيه؛ للشكّ في الشرط.

[المسألة] الثامنةُ: إذا روى ثقةٌ عن ثِقَةٍ حديثاً، وروجع المرويُّ عنه فنفاه. فإن كان

جازماً بِنَفيِه، بأن قال: «ما رَوَيتُه» ونحوه وجب ردُّ الحديثِ. ولا يَقْدح في باقي رواياته عنه.

وإن قال: «لا أعْرِفُه» أو «لا أذْكُره» ونحوه، لم يَقْدَح، على الأصحِّ، بل يجوزُ للمرويّ عنه روايتُه عمّن سَمِعَه عنه، فيقول: «حدّثني فلانٌ عنّي أنّي حدّثتهُ بكذا».

وقد وقع مِن ذلك جملةُ أحاديث، جَمعها بعضُهم في كتابٍ.

البابُ الثالثُ في تَحمُلِ الحديثِ، وطُرُقِ نَقْلِه

وفيه فصولٌ:

[الفصلُ] الأوّلُ في أهليّةِ التَحمُّلِ

وشَرْطُه: التَمْييزُ إن تحمَّل بالسَماعِ وما في معناه، لا الإسلامُ، والبلوغُ على الأصحِّ.

وقد اتَّفق الناسُ على رواية جَماعةٍ من الصحابة عن النبيّ ﷺ قبلَ البلوغِ، كالحَسَنَيْنِ عليهما السلام، وابنِ عبّاسٍ، وابن الزُبيرِ، والنُعمانِ بنِ بشيرٍ، وغَيرهم. ولم يزل الناسُ يُسمِّعونَ الصِبيان.

نعم، تحديدُ قومٍ سنَّهم بِعَشْرِ سنين أو خمسٍ أو أربعٍ، خطأٌ؛ لاختلاف الناسِ في مراتب الفَهم والتمييز.

ولا يُشترط في المرويّ عنه أن يكون أكبرَ من الراوي سِنّاً، ولا رُتبةً. وقد اتَّفق ذلك للصحابَةِ (رضي الله عنهم) فَمَنْ دُونَهم.

الفصل الثاني في طُرُقِ التَحمُّلِ

وهي سبعةٌ:

أوّلها: السَماعُ مِن لفظِ الشيخِ، سواءٌ كان مِن حِفْظِه، أم مِن كِتابِه. وهو أرفعُ الطُرُق

عند جُمهورِ المحدِّثين. فيقول راوياً لغيره: «سَمِعْتُ» وهي أعلاها، ثمّ «حَدَّثَني» و«حدّثنا» وقيل: هما أعلى، ثمّ «أخبرنا» ثمّ «أنبأنا» و«نبّأنا» وهو قليلٌ هنا.

و«قال لنا» و«ذكر لنا» من قَبيلِ «حدَّثنا» لكنّه بما سَمِعَ في المذاكرةِ والمناظرةِ أشْبَه مِن «حدَّثنا».

وأدناها: «قال فلانٌ» ولم يَقُلْ: «لي» أو «لنا» وهو محمولٌ على السَماعِ إذا تَحقَّقَ لِقاؤه.

وثانيها: القراءةُ على الشيخ، وتُسمّى العرضَ، مِن حفظٍ أو كتابٍ لمايحفَظُه، والأصلُ بيده، أو يدِ ثِقَةٍ، وهي روايةٌ صحيحةٌ اتّفاقاً. وقيل: هو كتحديثه. وقيل: أعلى.

والعبارةُ عن هذه الطريقِ: «قرأتُ على فلانٍ» أو «قُرِئَ عليه وأنا أسمَعُ فأقَرَّبه».

ثمّ «حدّثنا» و«أخبرنا» مقيَّدَيْن بـ«قراءةً عليه» ونحوِه، أو مُطْلَقين على قولٍ.

وفي ثالثٍ؛ يجوز إطلاقُ الثاني دونَ الأوّلِ، وهوالأظهرُ.

وإذا قال له: «أخبرك فلانٌ» فلم يُنكِر صحَّ، وإن لم يتكلَّم على قولٍ.

وقيل: يقول: «قُرِئَ عليه» لا «حَدَّثني».

وما سَمِعَه وحدَه أو شَكَّ قال: «حدّثني» ومع غَيره «حدّثنا». ولو عكس فيهما جاز. ومُنِعَ في المصنَّفاتِ من إبدالِ إحدِهما بالأُخرى.

وأمّا المسموعُ، فيبنى على جوازِ الروايةِ بالمعنى. ولا تصحُّ والسامعُ أو المستمعُ ممنوعٌ منه ـ بنسخٍ ونحوِه ـ بحيث لا يُفْهَمُ المقروءُ، ويُعفى عن اليسير.

ولْيُجِزْ للسامعين روايتَه.

وإذا عظم مجلسُ المحدِّثِ فبلّغ مُسْتملٍ، روى عن المملي. وقيل: لا. وهو الأظهرُ.

ولا يُشترط الترائي إذاعرف الصوتَ،أو أخبَره ثِقَةٌ.وقيل: بلى. ولا عِلْمُه بالسامعين.

ولو قال: «أُخبرُكم ولا أُخبِرُ فلاناً» أو خَصّ قوماً بالسَماعِ فَسَمِعَ غيرُهم، أو قال بعدَ السَماع: «لا تَرْوِعنّي» غيرَ ذاكرٍ خَطأً للراوي، روى السامعُ عنه في الجميع.

وثالثُها: الإجازةُ، وهي مِن قولِهم: «استجزتُه فأجازني» إذا سَقاكَ لِما شِيَتِك أو أرْضِك. فالطالبُ لحديثٍ يستجيزُ العالمَ عِلْمَه فيُجيزُه له. وحينئذٍ فتتعدّى بغير حرفٍ، فيقولُ: «أجزتُه مسموعاتي» مثلاً.

وقيل: هي إذنٌ، فيقول: «أجزتُ له روايةَ كذا». وقد يُحْذَفُ المضافُ.

وأعلاها لِمُعيَّنٍ به، أو بِغَيْرِه. والخلافُ فيه أكثرُ. ثمّ لِغَيْرِه. وفيه خلافٌ.

ويُقَرِّبُه إلى الجوازِ تَقْييدُه بوصفٍ خاصٍّ.

وتَبْطُلُ بمجهولٍ، أولَه، كـ: «كتاب كذا» وله مرويّاتٌ كثيرةٌ بذلك الاسمِ، و«لمحمَّدِ بن فلانٍ» وله مُوافقون فيه.

وإجازتُه لجماعةٍ لا يُعرفُ أعيانُهم كإسماعِهم.

و«أجزتُ لِمَن شاء فلانٌ» باطلٌ. وقيل: لا. و«لِمَن شاء الإجازةَ» أو «الروايةَ» أو «لِفلانٍ إن شاء» أو «لكَ إن شئتَ» تصحُّ. لالمعدومِ، بل إن عُطفَ على موجودٍ.

وتصحُّ لغير مُمَيِّزٍ. وفيها للحملِ وجهان. وتَصِحُّ للكافِرِ، والفائدةُ إذا أسلم. وللفاسقِ والمُبْتَدِعِ بطريقٍ أولى.

لا بما لم يتحمَّلْه ليَروِيَه عنه إذا تحمّله، فيتعيّن في الروايةِ تحقيقُ ما تَحمّله قبلَها ليَرْوِيَه.

وتصحُّ إجازةُ المجازِ. وقيل: لا. ويَتأمَّلُها؛ ليروي ما دخل تحتَها، فإن أُجيزَ شَيخه بما صحَّ سَماعُه عنده لم يروِ إلّا ماتَحقَّق أنّه صَحّ عند شَيْخِه أنّه سَماع شَيْخِه.

وتُستحسنُ مع عِلمِ المجيز بما أجاز، وكونِ المُجازِ عالِماً. وقيل: يُشتَرطُ.

وإذا كتَبَ بِها وقَصَدَها صَحَّت بِغير تَلفُّظٍ، وبِه أولى.

ورابعُها: المناولةُ، وهي نوعان:

أحدُهما: المقرونةُ بالإجازةِ، وهي أعلى أنواعِها. ثمَّ لها مراتبُ: أن يُعْطِيَه تمليكاً، أو عاريةً لينسخَ أصلَه. ويقولُ: «هذا سَماعي مِن فلانٍ فارْوِه عنّي». ويُسمّى عَرْضَ

المناولة؛ إذ القراءةُ عَرْضٌ. وهي دونَ السَماعِ. وقيل: مِثْلهُ.

ثمّ أن يُناوِلَه سَماعَه ويجيزه له ويُمسكَه، فَيَروِيَه إذا وَجَده، أو ما قُوبل به. ولها مزيّةٌ على الإجازةِ. وقيل: لا.

فإن أتاه بكتابٍ، فقال: «هذا رِوايتُك فناوِلنيه» ففعل مِن غَير نظرٍ فباطلٌ إن لم يَثِق بمعرفةِ الطالبِ، وإلّا صَحَّ. وكذا إن قال: «حَدِّث عنّي بما فيه إن كان حديثي».

وثانيهما: المُجرَّدَةُ عن الإجازةِ، بأن يُناوِلَه كتاباً. ويقولُ: «هذا سَماعي» مُقْتَصِراً عليه. فالصحيحُ أنّه لاتجوزُله الروايةُ بها. وجَوَّزَها بعضُ المُحَدِّثينَ.

وإذا روى بِها قال: «حَدَّثنا مُناولةً». وقيل: يُطلقُ. وجوَّزه بعضهُم في الإجازةِ المجرَّدَةِ عنها.

وخَصَّ بعضُهم الإجازةَ شِفاهاً بـ«أنبأني» وكِتابةً بـ«كتب إليّ».

وبعضُهم استَعْمَلَ في الإجازةِ فوقَ الشَيخِ «عن».

ولا يَزُولُ المنعُ مِن «أخْبَرنا» و«حَدَّثنا» بإباحةِ المُجيزِ.

وخامِسُها: الكتابةُ، وهي أن يكتُبَ مَرْوِيَّه لغائبٍ أو حاضرٍ بِخَطِّه، أو يأذَن بكَتْبِه لَه. وهي أيضاً ضَربان: مقرونةٌ بالإجازةِ، وهي في الصحّةِ والقُوّةِ كالمناولة الْمَقْرُونَةِ بها.

ومجرّدةٌ عنها. والأشهرُ جوازُ الروايةِ بها؛ لتضمُّنها الإجازةَ معنىً، كما يُكتفى في الفتوى بالكتابةِ. نعم، يُعتبر معرفةُ الخَطِّ بحيثُ يأمنُ التَزْويرَ. وشَرَط بعضُهم البَيِّنَةَ. ويقول فيها: «كَتب إليّ فلانٌ، قال: حدّثنا فلانٌ» أو: «أخبرنا مكاتبةً». لا «حَدَّثَنا». وقيل: بلى.

وسادسُها: الإعلامُ، وهو أن يُعْلِمَ الشيخُ الطالبَ أنّ هذا الكتابَ روايتُه أو سَماعُهُ، مقتصراً عليه.

وفي جَوازِ الروايةِ به قولان. وفي ثالثٍ: يَروِيَه وإن نهاه. والأقوى عدمُه مطلقاً. وفي معناه ما لو أوصى له عِنْد مَوْتِه أو سَفَرِه بكتابٍ يَرْوِيَه وفيه القولان: والصحيحُ المنعُ.

وسابعُها: الوِجادةُ، وهي مصدر «وَجَد يَجِدُ» مُوَلَّدٌ غيرُ مَسْمُوعٍ، وهو أن يَجِدَ مرويَّ إنسانٍ بِخَطِّه، فيقولُ: «وَجَدتُ بِخَطِّ فلانٍ». وهومُنقَطِعٌ وفيه اتّصالٌ.

فإن لم يَتَحقَّق الخطَّ، قال: «بَلَغني» أو: «وَجَدتُ في كتابٍ أخبرني فلانٌ أنّه خطُّ فلانٍ».

وإذا نقل مِن نُسخةٍ موثوقٍ بها لمصنِّفٍ، قال فيه: «قال فلانٌ» وإلّا: «بلغني» إلّا أن يكون ممّن يَعرفُ الساقِطَ والمُغَيَّر.

وفي جَوازِ العَمَلِ بالوِجادَةِ قولان. ولا خلافَ في مَنْعِ الرِوايَةِ.

ولو اقترنت بالإجازةِ فلا إشكالَ.

[الفصلُ] الثالثُ في كيفيّةِ رِوايةِ الحديثِ

وأكْمَلُها ما اتّفق مِن حِفْظِه. ويجوزُ مِن كِتابه ـ وإن خَرَجَ مِن يَدِه مع أمْنِ التَغْيير على الأصحّ.

وأفرط قومٌ، فابطلوها. وفَرَّط آخرون، فَرَووا مِن غَيْرِ مُقابَلٍ، فَجُرحُوا بذلك.

والضَرِيرُ إذا لم يَحْفَظْ مَسموعَه يَستعين بِثِقَةٍ في ضَبطِ كِتابِه، ويَحْتاطُ إذا قُرِىء عليه حتّى يَغْلِبَ على ظَنِّه عدمُ التَغْييرِ، وهوأولى بالمنعِ مِن مِثله في البَصيرِ. وكذا الأُمّي.

ويَروي من نسخةٍ فيها سَماعُه، أو قُوبِلَتْ بها، أو سُمِعَت على شَيْخِه، أو فيها سَماع شَيْخِه، أو كُتِبَتْ عنه وسَكَنَتْ نفسُه إليها، وإلّا فلا. وإذا خالف كتابُه حِفْظَه منه رجع إليه، ومِن شَيْخِه اعتمده. وإن قال: «حفظي كذا وفي كتابي كذا» فَحَسَنٌ.

وإن خُولِفَ، قال: «حفظي كذا وغيري» أو «فلانٌ يقولُ كذا».

وإذا وَجَد خَطَّه، أو خَطَّ ثِقَةٍ بِسَماعٍ له لا يذكُره، رواه. وقيل: لا.

ومَن لا يَعْلَمُ مَقاصِدَ الألفاظِ وما يُحِيلُ مَعانيها لم يَرْوِ بالمعنى. فإن عَلِمَ جاز. وقيل: في غَيرِ الحديثِ النبويّ.

والمصنَّفاتُ لا تُغَيَّرُ.

ويقول عقيب المرويّ بالمعنى والمشكوك فيه: «أو كما قال».

ولم يُجَوِّزْ مانعو الروايةِ بالمعنى وبعض مُجوِّزيها تقطيعَ الحديثِ، إن لم يكن رَواه أوغيرُه تماماً. وجوَّزه آخرون مطلقاً، وهوالأصحُّ لِمَن عَرَفَ عدمَ تَعلُّقِ المتروكِ بالمرويّ.

وتقطيعُ المُصنِّفِ الحديثَ فيه أقربُ إلى الجواز.

ولا يُروى بقَراءةِ لَحّانٍ، ولا مُصحِّفٍ، ويَتَعلَّم مايَسْلَمُ به من اللَّحْنِ. ويَسْلَم مِن التصحيف بالأخذِ من أفواه الرجال.

وما وَقَع في روايتِه من لَحْنٍ وتَصْحِيفٍ وتُحَقِّقُه روايةً، رواه صواباً، وقال: «وروايتُنا كذا» أو يُقدِّمُها، ويقول: «وصوابُه كذا». وقيل: كما سَمِعَه فقط.

وجوّز بعضهم إصلاحَه في الكتابِ. وتَرْكُه وتَصويبُه حاشيةً أولى.

وأحسنُه الإصلاح بروايةٍ أُخرى. ويَسْتَثْبِتُ ما شَكَ فيه من كتابِ غيرِه، أوحِفْظِه.

ومارواه عَن اثنين فَصاعداً واتّفقا معنىً لا لفظاً، جَمَعهما إسناداً وساق لفظُ أحدِهما مبيِّنا. فإن تقاربا فقال: «قالا» جازعلى الروايةِ بالمعنى. وقول: «تقاربا في اللفظ» أولى.

ومُصنَّفٌ سُمِعَ مِن جَماعةٍ إذارواه عنهم مِن نُسْخَةٍ قُوبِلتْ بأصلِ بَعضِهم وذَكَره، فيه وجهان: الجوازُ، وعدمُه.

ولا يَزيدُ على ماسَمِعَ مِن نَسَبٍ، أو صِفَةٍ إلّا مُميِّزاً بـ«هو» أو «نعني».

وإذا ذكر شَيْخَه في أوّلِ حَديثٍ نَسَبه، ثمّ اقْتَصَر بعدُ على اسمِه أو بعضِ نَسَبِه. ولم يكتبوا «قال» بين رجالِ الإسناد، فيقولُها القارِئ.

و«قُرِئ على فلانٍ أخْبَرَكَ» يقول: «قيل له: أخْبَرَكَ» و«قُرِئَ على فلانٍ حدَّثنا» يقول: «قال: حدَّثنا».

وإذا تكرَّرتْ «قال» يحذفونَ إحداهما، فيقولها القارِئ. وبحذفها يُخَلُّ.

وما اشتَمل على أحاديثَ بإسنادٍ واحدٍ، يذكُره في كلِّ حديثٍ، أو يذكرُه أوّلاً ويقولُ بعدُ: «وبالإسناد» أو «وبه».

وإذا ذكر الشيخُ حَدِيثاً بإسنادٍ، ثمّ أتْبَعه إسناداً وقال: «مِثلُه» لم يُرو المتنُ بالإسناد الثاني. وقيل: بلى.

وإذا ذكر إسناداً وبعضَ متنٍ، وقال: «وذَكر الحديثَ» ففي جوازِ روايةِ كلِّه بالإسنادِ القولان، وأولى بالمنع.

وإذا سَمِعَ بعضَ حديثٍ عن شَيْخِه وبعضَه عن آخَرَ، روى جُملتَه عنهما مُـبيِّناً أنّ بعضَه عن أحدِهما وبعضَه عن الآخرِ، ثمَّ يصير مُشاعاً بينَهُما.

فإن كان أحدُهما مجروحاً لم يُحتَجَّ بشيءٍ منه.

البابُ الرابعُ في أسماءِ الرجالِ وطبقاتِهم ومايتَّصِلُ به

الصَحابي مَن لَقِي النبيَّ ﷺ مؤمناً بِه، ومات على الإسلامِ وإن تَخلَّلتْ رِدَّتُه، على الأظهرِ.

والتابعي من لقي الصحابي كذلك.

ثمَّ الراوي والمرويّ عنه إن استَوَيا في السنِّ أو في اللُقى فهو النوعُ الذي يقال له: روايةُ الأقران.

فإن رَوى كلٌّ منهما عن الآخَرِ فهو المُدَبَّجِ، وهو أخصّ من الأوَّلِ.

وإن روى عَمّن دونَه فهو رِوايةُ الأكابرِ عن الأصاغِر.

ومنه الآباءُ عن الأبناءِ، والأكثرُ العكسُ.

وإن اشترك اثنان عَن شَيخٍ وتَقَدَّم موتُ أحدِهما فهو السابقُ واللاحقُ.

والرواةُ إن اتَّفَقتْ أسماؤهم وأسماءُ آبائهم فصاعداً، واختلفت أشخاصُهم فهو المتَّفِقُ والمُفْتَرِقُ.

وإن اتَّفَقَت الأسماءُ خَطّاً واخْتَلَفَتْ نُطقاً فهو المُؤتَلِفُ والمُخْتَلِفُ.

وإن اتَّفَقَت الأسماءُ واختَلَفَت الآباءُ، أو بِالعَكس فهو المُتَشابِه.

ومِن المهمِّ في هذا البابِ مَعْرِفَةُ طَبَقاتِ الرُّواةِ ومَواليدِهم ووَفَياتِهم، فَبِمَعْرِفَتِها يَحْصُلُ الأمنُ من دعوى اللِّقاء وأمرُه ليس كذلك.

ومَعْرِفةُ الموالي منهم من أعلى ومن أسفلَ بالرقِّ، أو بالحِلْفِ، أو بالإسلامِ.

ومعرفةُ الإخوةِ والأخواتِ.

ومعرفةُ أوطانِهم وبُلدانِهم. وقد كانتِ العربُ تُنسب إلى القبائلِ فسكنوا القُرى، وضاعَت الأنسابُ، فانتَسبوا إليها كالعَجم، فاحتاجوا إلى ذِكرها. فالساكنُ ببلدٍ ـ وقيل: أربع سنين ـ بعدَ آخرَ يُنسب إلى أيِّهما شاءَ، أو إليهما مُقدِّماً للأوَّلِ، ويحسن ترتيبُ الثاني بـ«ثمَّ».

وبقريةِ بلدِ ناحيةِ إقليمٍ يُنسب إلى أيِّهاشاء.

فهذه جملةٌ مُوجزَةٌ في الإشارةِ إلى مَقاصِد هذا العلمِ إجمالاً. ومَن أرادَ الاستقصاءَ فيها مع ذِكْر الأمثلةِ فعليه بكتابِنا: غنيةُ القاصدينَ في مَعرفةِ اصطلاحاتِ المحدِّثين. واللهُ الموفِّق والهادي.

الرعاية

لحال البداية في علم الدراية

بسم الله الرحمن الرحيم

(نحمدك اللهمّ على) حُسن توفيق (البداية في) علم (الدراية والرواية، ونسألك حُسنالرعاية) فـي جـميع الأحـوال (إلى النـهاية. ونـصلّي عـلى نـبيّك) وحـبيبك (محمّد المُنقذ) للخلق (من الغَواية، المُـرشد) لهـم (إلى) الحـقّ و(سـبيل الهـدايـة، وعلى آله) الأطهار (وأصحابه) الأخيار (صلاةً) دائمةً متّصلةً (لاتبلغ لها غاية) ونسلّم تسليماً.

(وبعد) الحمد للّه بما هو أهلُه والصلاة على مستحقّها (فـهذا) كـتاب (مـختصر) وضعناه (في علم دراية الحديث).

وهو علم يُبحث فيه عن متن الحديث وطرقه، من صحيحِها وَسقيمِها وعَليلِها، وما يحتاج إليه؛ ليُعرفَ المقبولُ منه والمردودُ.

وموضوعه: الراوي والمرويّ من حيث ذلك.

وغايته: معرفة ما يُقبل من ذلك ليُعمل به، وما يُردّ منه ليُجتنب.

ومسائله: ما يذكر في كتبه من المقاصد.

(و[1]بيان مصطلحاتهم) في هذا العلم من المفهومات المنقولة عن معانيها اللغويّة، أو المخصّصة لها، كما سيرد عليك إن شاء الله تعالى.

---

١. عطف على قوله: «في علم دراية الحديث».

جعلنا وضعه (على وجه الإيجاز والاختصار) دون الإطناب والإكثار؛ ليسهُلَ حفظُه، ويكثُرَ نفعه؛ فإنّ طباعَ أهل الزمان لا تحمل أعباء[١] الكثير من العلم، خصوصاً في هذا الشأن.

وهو (مرتّب على مقدّمة و) أربعة (أبواب).

سائلين من الله تعالى إلهام الحقّ، والدلالة على صوب الصواب.

١. العبء ـ بالكسر ـ: الحمل والثقل من أيّ شيء كان، والجمع الأعباء، وهي الأحمال والأثقال. لسان العرب، ج ١، ص ١٧، «عبأ».

[المقدّمة]

فـ(المقدّمة في بيان أُصوله واصطلاحاته) التي يحتاج طالبه إلى معرفته

ومدارها على المتن والإسناد والسند ونحوها.

(الخبر والحديث) مترادفان (بمعنى) واحد (وهو) اصطلاحاً (كلام يكون لنسبته خارج في أحد الأزمنة) الثلاثة، أي يكون له في الخارج نسبة ثُبوتيّة أو سلبيّة (تطابقه) أي تطابق تلك النسبة ذلك الخارج، بأن يكونا سلبيّين أو ثبوتيّين (أو لا) تطابقه، بأن يكون أحدهما ثبوتيّاً والآخر سلبيّاً.

و«الكلام» في التعريف بمنزلة الجنس.

وخرج بقوله: «لنسبته خارج» الإنشاء، فإنّه وإن اشتمل على النسبة، إلّا أنّه لا خارجَ له عنها، بل لفظه سبب لنسبة غير مسبوقة بأُخرى.

وتوضيح ذلك: أنّ الكلام إمّا أن تكون نسبته بحيث تحصل من اللفظ، ويكون اللفظ موجداً لها، من غير قصد إلى كونها دالّة[1] على نسبة حاصلة في الواقع بين الشيئين، وهو الإنشاء.

أو تكون نسبته بحيث يقصد أنّ لها نسبة خارجيّة ـ أي ثابتةفي نفس الأمر ـ

١. في «الف، ب»: كونه دالاً.

تطابقه أو لا تطابقه، وهو الخبر.

فإذا قلت مثلاً: «زيد قائم» فقد أثبتّ لـ«زيد» في اللفظ نسبة القيام إليه، ثمّ في نفس الأمر لابدّ أن يكون بينَه وبين القيام نسبةٌ بالإيجاب أوالسلب، فإنّه في نفس الأمر لا يخلو من أن يكون قائماً أو غير قائم.

بخلاف قولنا: «قم» فإنّه وإن اشتمل على نسبة القيام إليه لكنّها نسبة حدثت من اللفظ، لا تدلّ على ثبوت أمر آخرَ خارج عنها تطابقه أو لا تطابقه[١]، ومن ثَمّ لم يحتمل الصدق والكذب، بخلاف الخبر.

(وهو) أي الخبر المرادف للحديث **(أعمّ من أن يكون قول الرسول**ﷺ**(والإمام)**عليه السلام **(والصحابي والتابعي وغيرهم)** من العلماء والصلحاء ونحوهم **(وفي معناه فعلهم وتقريرهم)**.

هذا هوالأشهر في الاستعمال، والأوفق لعموم معناه اللغوي.

(وقد يخصّ الثاني) وهو الحديث **(بما جاء عن المعصوم)** من النبيّﷺ، والإمامعليه السلام.

(و) يخصّ **(الأوّل)** وهو الخبر **(بما جاء عن غيره)** ومن ثَمّ قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها: الأخباري، ولمن يشتغل بالسنّة النبويّة: المحدِّث[٢]. وما جاء عن الإمام عندنا في معناه.

(أو يجعل الثاني) وهو الحديث **(أعمّ)** من الخبر **(مطلقاً)** فيقال لكلّ خبر: حديث، من غير عكس[٣].

ولكلّ واحد من هذه الترديدات قائل.

(والأثر أعمّ) منهما **(مطلقاً)** فيقال لكلّ منهما: أثر، بأيّ معنى اعتبر.

---

١. في «ألف، ب»: يطابق أو لا.

٢. حكاه قولاً في تدريب الراوي، ج ١، ص ٤٢.

٣. حكاه قولاً في تدريب الراوي، ج ١، ص ٤٢ ـ ٤٣.

وقيل: إنّ الأثر مساوٍ للخبر.

وقيل: الأثر ما جاء عن الصحابي، والحديث ماجاء عن النبيّ، والخبر هو الأعمّ منهما[١].

والأعرف ما اخترناه[٢].

(والمتن) لغةً: ما اكتنف الصُلب من الحيوان، وبه شُبّه المتن من الأرض. وَمَتُنَ الشيء، قوي متنه، ومنه: حبل متين، فمتن كلّ شيء ما يتقوّم به ذلك الشيء ويتقوّى به، كما أنّ الإنسان يتقوّم بالظَهر ويتقوّى به.

فمتن الحديث: (لفظ الحديث الذي يتقوّم به المعنى) وهو مقول النبيّﷺ، وما في معناه[٣].

(والسند: طريق المتن) وهو جملة مَنْ رواه، من قولهم: «فلان سند» أي معتمد. فسمّي الطريق سنداً؛ لاعتماد العلماء في صحّة الحديث وضعفه عليه.

(وقيل:) إنّ السند هو (الإخبار عن طريقه) أي طريق المتن[٤و٥].

والأوّل أظهر؛ لأنّ الصحّة والضعف إنّما يُنسبان إلى الطريق باعتبار رُواته لا باعتبار

١. قال النووي في التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ١، ص ١٨٤: وعند فقهاء خراسان تسمية الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر...وعند المحدّثين كلّ هذا يسمّى أثراً.

٢. أقول: يبدو لي بعد مراجعة المصادر الموثوق بها في هذا العلم: أنّ هذه الاحتمالات والأقوال إنّما حدثت عند المتأخّرين، خصوصاً بعد شيوع المنطق الأرُسطي في الأواسط العلميّة الدينيّة. وأمّا كتب المتقدِّمين فهي خاليةٌ عن هذه الاحتمالات والأقوال إن صحّ التعبير بأنّها أقوال. كما أنّه لافائدة مهمّةً في تحقيق ذلك، وأنّه متى ما دلّ الدليل على حجيّة الخبر و تحديدها، فهو عامّ بدلالته، وبالتالي يشمل الخبر والحديث والأثر، سواء تطابقت مفاهيمُها أم تخالفتْ. (السيّد المددي)

٣. في هامش المخطوطة: لأنّه شامل لفاطمة والأئمّةﷺ والحديث القدسي.

٤. القائل الطيبي في الخلاصة في أصول الحديث، ص ٣٣.

٥. أقول: الظاهر أنّه تعريف للإسناد دون السند، ولعلّ وحدة المادة الأصليّة هي التي سبّبَت الوقوع في مثل هذا الخطأ، بل قصد الإسناد هو مراد المؤلّف قدس‌سره ممّا سيأتي. (السيّد المددي)

الإخبار، بل قد يكون الإخبار بالطريق الضعيف صحيحاً؛ بأن رواه الثقة الضابط بطريق ضعيف، بمعنى صحّة الإخبار بكون تلك الرواةُ طريقَه، مع الحكم بضعفه.

(والإسناد: رفع الحديث إلى قائله) من نبيّ أو إمام أو ما في معناهما. (والأولى ردّ المعنى الثاني) للسند ـ وهو الإخبار عن طريق المتن ـ (إليه) أي إلى الإسناد (أيضاً) لا أن يُجعل تعريفاً للسند؛ لأنّ الإخبار عن الطريق ـ في الحقيقة ـ هو الإسناد، كما يظهر من تعريفه.

وعليه، فالسند والإسناد بمعنى. وعلى الأوّل هما غيران.[١]

(ثمّ الخبر) بأيّ معنى اعتبر (منحصر في الصدق والكذب) على وجه منع الجمع والخلوّ (في الأصحّ) من الأقوال.

وإنّما قلنا: إنّه منحصرفيهما؛ (لأنّه) ـ كما قد عرفت ـ يقتضي نسبةً في اللفظ ونسبةً في الواقع.

ثمّ (إن طابق الواقعُ المحكيَّ) باللفظ (فالأوّل) وهو الصدق، (وإلّا) يطابقه (فالثاني) وهو الكذب. وبذلك ظهر وجه الحصر.

ولا يرد على الأوّل مثل قول من قال: «محمّد ومُسيلمة صادقان» فإنّه صادق من إحدى الجهتين، وكاذب من أُخرى؛ لأنّا إن جعلناه خبراً واحداً فهو كاذب، وإن جعلناه خبرين ـ كما هو الظاهر ـ فهو صادق في أحدهما، كاذب في الآخر.

ونبّه بقوله: «في الأصحّ» على خلاف الجاحظ؛ حيث أثبت فيه واسطةً بينهما، وشرط في صدق الخبر مع مطابقته للواقع اعتقادَ المخبِر أنّه مطابق، وفي كذبه مع عدم مطابقته له اعتقادَ أنّه غير مطابق، وما خرج عنهما فليس بصدق ولا كذب.

---

١. أقول: أي صحّة المعنى الثاني للسند فالسند والإسناد متّحدان معنىً؛ وأمّا لوفسّرنا السند بالمعنى الأوّل فإنّه على هذا يختلف معناه عن معنى الإسناد، إذ هو بذلك يكون بمعنى الإخبار عن السند. (السيّد المددي)

وتحرير كلامه: أنّ الخبر إمّا مطابق للواقع أولا. وكلّ منهما إمّا مع اعتقاد أنّه مطابق، أو اعتقاد أنّه غير مطابق، أوبدون الاعتقاد. فهذه ستّة أقسام:

واحد منها صادق، وهو المطابق للواقع مع اعتقاد أنّه مطابق.

وواحد كاذب، وهو غير المطابق مع اعتقاد أنّه غير مطابق.

والأربعة الباقية ـ وهي المطابقة مع اعتقاد اللامطابقة، أوبدون الاعتقاد، وعدم المطابقة مع اعتقادها، أو بدون الاعتقاد ـ ليست بصدق ولا كذب.

فكلٌّ من الصدق والكذب بتفسيره أخصّ منه بتفسير الجمهور.

واستند الجاحِظ في قوله إلى قوله تعالى: ﴿افترى على الله كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[١]؛ حيث حصر الكفّارُ إخبار النبيّ ﷺ في الافتراء، والإخبار حال الجنّة، على سبيل منع الخلّو. ولا شُبهة في أنّ المراد بالثاني غير الكذب؛ لأنّهم جعلوه قسيمه، وهو يقتضي أن يكون غيره، وغير الصدق أيضاً؛ لأنّهم لا يعتقدون صدقه ﷺ.

ولمّا كانوا من أهل اللسان، عارفين باللغة، وقدأثبتوا الواسطة لزم أن يكون من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب؛ ليكون هذا منه بزعمهم وإن كان صادقاً في نفس الأمر.

وأُجيب: بأنّ الواسطة التي أثبتوها إنّما هي بين افتراء الكذب والصدق، وهو غير الكذب[٢]؛ لأنّه تعمّد الكذب، وحيث لا عمد للمجنون؛ كان خبره قسيماً للافتراء الذي هو أخصّ من الكذب[٣]، وإن لم يكن قسيماً للأعمّ، ومرجعه إلى حصر الخبر الكاذب في نوعيه وهما: الكذب عن عمد، والكذب لا عن عمد[٤].

ونبّه بقوله: (سواء وافق اعتقاد المخبر أم لا) على خلاف النظام؛ حيث جعل صدق

---

١. سبأ (٣٤): ٨.

٢ و٣. في «ج، د»: مطلق الكذب.

٤. ذكر كلام الجاحظ بتفصيله وجوابه التفتازاني في المطوّل، ص ٤٠ ـ ٤١.

الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر مطلقاً، وكذبه عدم المطابقة كذلك.

فجعل قول القائل: «السماء تحتنا» معتقداً ذلك، صدقاً، وقوله: «السماء فوقنا» غير معتقد ذلك، كذباً.

محتجّاً بقوله تعالى: ﴿إِذَا جاءَكَ المُنَافِقُونَ ـ إلى قوله ـ والله يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[١] حيث سجّل الله تعالى عليهم بأنّهم كاذبون في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ الله﴾[٢] مع أنّه مطابق للواقع؛ حيث لم يكن موافقاً لاعتقادهم فيه ذلك. فلوكان الصدق عبارة عن مطابقة الواقع مطلقاً لما صحّ ذلك.

وأُجيب: بأنّ المعنى لكاذبون في الشهادة، وادّعاءهم فيها مواطاة قلوبهم لألسنتهم، فالتكذيب راجع إلى قولهم: ﴿نشهد﴾ باعتبار تضمّنه خبراً كاذباً، وهو أنّ شهادتهم صادرة عن صميم القلب وخلوص الاعتقاد؛ بشاهد تأكيدهم الجملة بـ«إنّ» و«اللام» والجملة الاسميّة.

أو أنّ المعنى لكاذبون في تسميةهذاالإخبار شهادة، أو في المشهود به ـ أعني قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ الله﴾ في زعمهم ـ لأنّهم يعتقدون أنّه غير مطابق للواقع، فيكون كذباً عندهم، وإن كان صدقاً في نفس الأمر، لوجود مطابقته فيه.

أو في حلفهم أنّهم لم يقولوا: ﴿لاَ تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾[٣] لما روي عن زيد بن أرقم أنّه سمع عبد الله بن أُبي يقول ذلك، فأخبر النبيّ ﷺ به، فحلف عبدُ الله أنّه ما قال، فنزلت[٤].

---

١. المنافقون (٦٣): ١.

٢. أقول: أي اعتقادهم في النبيّ ﷺ الرسالة الإلهيّة. (السيّد المددي)

٣. المنافقون (٦٣): ٧.

٤. ذكر كلام النظّام بتفصيله، وجوابه التفتازاني في المطوّل، ص ٣٩ ـ ٤٠؛ وروي الحديث في صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤٦١٧، ح ١٨٥٩.

ونبّه بقوله: (وسواء قصد الخبر أم لا) على خلاف المرتضى (رحمه الله)[١]؛ حيث ذهب إلى أنّ الخبر لا يتحقّق إلّا مع قصد المخبر[٢]؛ استناداً إلى وجوده من الساهي والحاكي والنائم، ومثل ذلك لا يُسمّى خبراً.

والمحقّقون على عدم اشتراطه؛ لأنّه لفظ وُضع للخبريّة، فلايتوقّف على الإرادة، كغيره من الألفاظ.

(ثمّ) الخبر، إمّا أن يُعلم صدقه قطعاً، أو كذبه كذلك، أو يخفى الأمران.

والعلم بهما قد يكون ضرورياً، وقد يكون نظرياً.

فهذه خمسة أقسام، أشار إلى تفصيلها بقوله: إنّ الخبر (قد يعلم صدقه قطعاً ضرورةً، كالمتواتر) لفظاً، وسيأتي تفسيره.

والحكم بكون العلم به ضروريّاً مذهب الأكثر. ومستنده: أنّه لو كان نظريّاً لما حصل لمن لا يكون من أهله، كالصبيان والبُله، ولافتقر إلى الدليل، فلا يحصل للعوام، لكنّه حاصل لهم، فيكون ضروريّاً.

وذهب أبوالحسين البصري، والغزالي[٣]، وجماعة إلى أنّه نظري؛ لتوقّفه على مقدّمات نظريّة[٤]، كانتفاء المواطاة، ودواعي الكذب، وكون المخبر عنه محسوساً.

---

١. أقول: لعلّ نَظَرَ المرتضى (رحمه الله) في ذلك إلى أنّ الدلالة التصديقية تابعة للإرادة، كما نسب ذلك إلى الشيخ الرئيس أبي عليّ ابن سينا والمحقّق نصير الدين الطوسي وجمع ممّن تأخّر عنهما. (السيّد المددي)

٢. الذريعة إلى أصول الشريعة، ج ٢، ص ٤٧٨. وفي هامش «ب»: الظاهر أنّ المرتضى (رضي الله عنه) إنّما نظر إلى الخبر من حيث إنّه دالّ على حكمٍ ما من الأحكام الشرعيّة فذهب إلى ذلك، وغيره ينظر إليه من جهة اللفظ فلا اختلاف في المعنى.

٣. حكاه عنهما وغيرهما الفخر الرازي في المحصول، ج ٢، ص ١١٠.

٤. أقول: للاطّلاع على مذهب الغزالي في ذلك يراجع المستصفى، ج ١، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ و ١٤٠؛ فقد اعترف فيه بأنّ حصول العلم بالمتواتر ضروري بمعنى، وإن كان غير ضروري بمعنى آخر، وفي الحقيقة يفصّل بين معاني الضروري. (السيّد المددي)

وهو لا يستلزم المدّعى؛ لأنّ الاحتياج إلى النظر في المقدّمات البعيدة لا يوجب كون الحكم نظريّاً، كلازم النتيجة؛ ولأنّ المقتضي لحصول هذه، العلمُ بالمخَبر عنه، دون العكس.

(وما علم وجود مخبَره) بفتح الباء (كذلك) أي بالضرورة، كوجود مكّة.

(أو) يُعلم صدقه قطعاً، لكن (كسباً) لاضرورةً (كخبر الله تعالى) لقبح الكذب عليه، بالاستدلال.

(و) خبر (الرسول) أعمّ من خبر نبيّناﷺ (و) خبر (الإمام) عندنا كذلك؛ للعصمة المعتبرة فيهم، بالدليل أيضاً.

(و) خبر جميع (الأُمّة) باعتبار الإجماع الثابت حقيّة مدلوله بالاستدلال.

(و) الخبر (المتواتر معنىً) كشجاعة عليّ وكرمه؈، وكرم حاتم؛ فإنّه قد رُوي وقائع في شجاعته، وكرمهما، وإن لم يتواتر كلّ واحد، لكنّ القدر المشترك متواتر.

(و) الخبر (المحتفّ بالقرائن) ، كمن يُخبر عن مرضه عندالحكيم، ونبضُه ولونُه يدلّان عليه، وكذا مَنْ يُخبر عن موت أحد، والنياحُ والصياحُ في بيته، وكنّا عالمين بمرضه، وأمثال ذلك كثيرة.

وإنكار جماعة[١] أصل العلم به للتخلّف عنه خطأ؛ لجواز عدم الشرائط في صورة التخلّف، خصوصاً مع عدم الضبط لهذه الجهات بالعبارات.

(وما) أي الخبر الذي (عُلم وجود مخبَره بالنظر) كقولنا: «محمّدٌ رسول الله».

(وقد يعلم كذبه كذلك) أي بالضرورة أو النظر، وأمثلتهما تُعلم (بالمقايسة) على السابق.

---

١. أقول: منهم السيد المرتضى، اختاره في الذريعة إلى أُصول الشيعة، ج ٢، ص ٥١٧ ـ ٥١٨. (السيّد المددي)

فالمعلوم كذبه ضرورةً: ما خالف المتواتر، وما علم عدم وجود مخبَره ضرورةً حسّياً أو وجدانيّاً أو بديهيّاً.

وكسباً: الخبر المخالف لما دلّ عليه دليل قاطع بالكسب، ومنه الخبر الذي تتوفّرالدواعي على نقله ولم ينقل، كسقوط المؤذّن عن المَنارة، ونحو ذلك.

(وقد يَحتمل) الخبر (الأمرين) الصدق والكذب، لا بالنظر إلى ذاته؛ إذ جميع الأخبار يحتملهما كذلك، (كأكثرالأخبار) فإنّ الموافق منها للقسمين الأوّلين قليل.

[انقسام الخبر إلى المتواتر والآحاد]

(وينقسم) الخبر (مطلقاً) أعمّ من المعلوم صدقه وعدمه (إلى مُتواتر) وآحاد.

(و) الأوّل (هو ما بلغت رُواته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطؤهم) أي اتّفاقهم (على الكذب، واستمرّ ذلك) الوصف (في) جميع (الطبقات حيث تتعدّد) بأن يرويه قوم عن قوم، وهكذا إلى الأوّل (فيكون أوّله) في هذا الوصف (كآخره، ووسطه كطرفيه) ليحصل الوصف، وهو استحالة التواطؤ على الكذب، للكثرة في جميع الطبقات المتعدّدة.

وبهذا ينتفي التواتر عن كثير من الأخبار التي قد بلغت رواتُها في زماننا ذلك الحدّ، لكن لم يتّفق ذلك في غيره خصوصاً في الابتداء، وظنّ كونَها متواترة مَنْ لم يتفطّن لهذا الشرط.

(ولا ينحصر ذلك في عدد خاصّ) على الأصحّ، بل المعتبر العدد المحصِّل للوصف، فقد يحصل في بعض المُخبِرين بعشرة وأقلّ، وقد لا يحصل بمائة، بسبب قربهم إلى وصف الصدق وعدمه.

وقد خالف في ذلك قوم، فاعتبروا اثني عشر، عدد النقباء[1]. أو عشرين؛ لآية

١. لقوله تعالى في المائدة (٥): ١٢: ﴿وبَعَثْنا منهم اثْنَى عَشَرَ نقيباً﴾.

العشرين الصابرين[١]. أو السبعين؛ لاختيار موسى عليه السلام لهم[٢]، ليحصل العلم بخبرهم إذا رجعوا. أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، عدد أهل بدر[٣ و٤].

ولا يخفى ما في هذه الاختلافات من فنون الجزافات[٥]، وأيّ ارتباط لهذا العدد بالمراد؟ وما الذي أخرجه عن نظائره ممّا ذكر في القرآن من ضروب الأعداد؟

(وشرط) حصول (العلم به) أي بالخبر المتواتِر:

(انتفاؤه) أي انتفاء العلم المستفاد منه (اضطراراً عن السامع) لاستحالة تحصيل الحاصل، وتحصيل التقوية أيضاً محال؛ لأنّ العلم يستحيل أن يكون أقوى ممّا كان.

(وأن لاتسبق شُبهة إلى السامع، أو تقليد يُنافي موجَب خبره) بأن يكون معتقداً نفيه. وهذا شرط اختصّ به السيّد المرتضى (رحمه الله)[٦]، وتبعه عليه جماعة من

---

١. هي قوله تعالى في الأنفال (٨): ٦٦: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾.

٢. لقوله تعالى في الأعراف (٧): ١٥٦: ﴿وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَه سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا﴾.

٣. ذكر هذه الأقوال وغيرها الفخر الرازي في المحصول في علم أصول الفقه، ج ٢، ص ١٣٢ ـ ١٣٣؛ وذكر أكثرها السيوطي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٧٧.

٤. أقول: وقيل: بالأربعة قياساً على شهود الزنى، وقيل: بالخمسة قياساً على اللعان وتوقّف فيه القاضي الباقلاني، وقيل: سبعة قياساً على غسل الإناء من ولوغ الكلب سبع مرّات وقيل: عشرة لقوله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ وقيل: أربعون إمّا أخذاً من عدد الجمعة، أو لقوله صلى الله عليه وآله: خير السرايا أربعون، وقيل: خمسون قياساً على القسامة. ينظر: المستصفى، ج ١، ص ١٣٧ ـ ١٣٨؛ وفواتح الرحموت بشرح مُسلَّم الثبوت، ج ٢، ص ١١٦ ـ ١١٧ المطبوع بهامش المستصفى؛ وتدريب الراوي (شرح تقريب النواوي)، ج ٢، ص ١٧٧. (السيّد المددي)

٥. أقول: يلاحظ هنا أمران:

١. إنّ هذه الأقوال العجيبة لعلّ الأصحّ التعبير عنها بالمختلقة لم تنسب إلى قائل معيّن، بل في كلّ المصادر في أُصول الفقه ودراية الحديث تذكر هذه الأقوال مجهولة القائل.

٢. لعلّ الأصل في هذه الأقوال أنّها كانت من أهل التسنّن غير الإماميّة، ثمّ تسرّبت إلى كتب الإماميّة الاثني عشرية، وإلّا لم نجد في مصنّف من مصنّفاتنا شيئاً من هذه الأقوال. بل ولم يتوقّف أحد منهم في ترجيح قول أو تضعيف آخر. (السيّد المددي)

٦. الذريعة إلى أُصول الشريعة، ج ٢، ص ٤٩١.

المحقّقين[١]، وهو جيّد في موضعه.

واحتجّ عليه بأنّ حصول العلم عقيب الخبر المتواتِر ـ إذا كان بـالعادة ـ جـاز أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال، فيحصل للسامع، إذالم يكن قد اعتقدنقيض ذلك الحكم قبل ذلك، ولا يحصل إذا اعتقد ذلك.

وبهذا الشرط يحصل الجواب لمن خالف الإسلام من الفِرَق، إذا ادّعى عدم بلوغه التواتُر بدعوى نبيّناﷺ النبوّة، وظهور المعجزات على يده موافقة لدعواه؛ فـإنّ المـانع لحصول العلم لهم بذلك ـ دون المسلمين ـ سبق الشُبهة إلى نفيه.

ولولا الشرط المذكور لم يتحقّق جوابُنا لهم عن غير معجزة القرآن.

وبهذا أجاب السيّد عن نفي مَنْ خالف تواتر النصّ على إمامة عليّ عليه السلام؛ حيث إنّهم اعتقدوا نفي النصّ لشُبهة[٢].

(واستناد المخبرين إلى إحساس) بأن يكون المخبَر عنه محسوساً بالبصر أو غيره من الحواسّ الخمس.

فلو كان مستَنده العقل، كحدوث العالم، وصدق الأنبياء، لم يحصل لنا العلم.

(وهو) أي التواتر (متحقّق في أُصول الشرائع) كوجوب الصلاة اليـوميّة، وأعـداد ركعاتها، والزكاة، والحجّ، تحقّقاً (كثيراً). وفي الحقيقة مرجع إثبات تواترها إلى المعنوي لا اللفظي؛ إذ الكلام في الأخبار الدالّة عليه كغيرها.

(وقليل) تحقّقه (في الأحاديث الخاصّة) المنقولة بألفاظ مخصوصة؛ لعـدم اتّـفاق الطرفين والوسط فيها (وإنْ تواتر مدلولها) في بعض الموارد، كالأخبار الدالّـة عـلى شجاعة عليّ عليه السلام، وكرم حاتم، ونظائرهما. فإنّ كلّ فرد خاصٍّ من تلك الأخبار الدالّة على أنّ عليّاً عليه السلام قتل فلاناً، وفعل كذا، غير مُتواتِر.

---

١. كالشيخ في العدّة في أُصول الفقه، ج ١، ص ٨٠ ـ ٨١؛ والعلّامة في مبادئ الوصول، ص ٢٠٠.
٢. الذريعة إلى أُصول الشريعة، ج ٢، ص ٤٩١ ـ ٤٩٢.

وكذا الأخبار الدالّة على أنّ حاتماً أعطى الفرس الفلانية، والجمل والرُمح وغيرها، إلّا أنّ القدر المشترك بينها مُتواتر، تدلّ عليه تلك الجزئيّات المتعددّة آحاداً بالتضمّن.

وعلى هذا يُنزّل ما ادّعى المرتضى ومَنْ تبعه تواتره من الأخبار الدالّة على النصّ وغيره؛ إذ لا شبهه في أنّ كلّ واحد من تلك الأخبار آحاد. وقد أومأ إلى ذلك في مسائله التبانيّات[1].

ولم نتحقّق إلى الآن خبراً خاصّاً بلغ حدّ التواتُر إلّا ما سيأتي (حتّى قيل) ـ والقائل ابن الصلاح[2] ـ: (من سُئِلَ عن إبراز مثالٍ لذلك أعياه طلبه) هذا مع كثرة رواتهم قديماً وحديثاً، وانتشارهم في أقطار الأرض، قال: (وحديث: «إنّما الأعمال بالنيّات»[3] ليس منه) أي من المتواتر (وإن نقله) الآن (عدد التواتُر وأكثر) فإنّ جميع علماء الإسلام ورُواة الحديث الآن يروونه، وهم يزيدون عن عدد التواتر أضعافاً مُضاعفة؛ (لأنّ ذلك التواتُر المدّعى قد (طرأ في وسط إسناده) إلى الآن، دون أوّله[4]، فقد انفرد به جماعة مترتّبون، أو شاركهم مَنْ لا يخرج بهم عن الآحاد.

(وأكثر ما ادّعي تواتره من هذا القبيل) ينظر مدّعي التواتُر إلى تحقّقه في زمانه، أو هو وما قبله، من غير استقصاء جميع الأزمنة، ولو أنصف لوجد الأغلب خُلُوّ أوّل الأمر منه، بل ربما صار الحديث الموضوع ابتداءً متواتراً بعد ذلك، لكن شرط التواتر مفقود من جهة الابتداء[5].

١. رسائل الشريف المرتضى، ج ١، الرسالة الأُولى.

٢. أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوري المتوفّى سنة ٦٤٣.

٣. تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٨٣، ح ٢١٨؛ الأمالي، الطوسي، ص ٦١٨، المجلس ٢٩، ح ١٢٧٤؛ صحيح البخاري، ج ١، ص ٣، ح ١؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٥١٥ ـ ١٥١٦، ح ١٩٠٧/١٥٥؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٦٢، ح ٢٢٠١؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٤١٣، ح ٤٢٢٧.

٤. مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٦٢، وحكاه عنه الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٣٥.

٥. أقول: كما في قوله «إقرار العقلاء على أنفسهم» فإنّه اشتهر في أُلسنة الفقهاء سيّما المتأخّرين إسناده إلى النبيّ ﷺ، وادّعى الجواهري في كتاب الإقرار من كتب كتابه جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام أنّه ←

ونازع بعض المتأخّرين في ذلك وادّعى وجود المتواتِر بكثرة[١]. وهو غريب.

(نعم، حديث: «مَنْ كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار») [٢] يمكن ادّعاء تواتُره؛ فقد (نقله) عن النبيّ ﷺ (من الصحابة الجمّ الغفير) أي الجمع الكثير (قيل:) الرواة منهم له (أربعون[٣]. وقيل: نَيِّف) بفتح النون وتشديد الياء مكسورة، وقد تخفّف: ما زاد على العقد إلى أن يبلغ العقد الآخر، والمراد هنا اثنان (وستّون) صحابيّاً[٤] (ولم يزل العدد) الراوي لهذا الحديث (في ازدياد) وظاهر أنّ التواتُر يتحقّق بهذا العدد، بل بما دونه.

[أقسام الخبر الواحد]

(وآحادٍ، وهو ما لم ينتهِ إلى المتواتر منه) أي من الخبر، سواء كان الراوي واحداً أم أكثر.

(ثمّ هو) أي الخبر الواحد (مُسْتَفِيضٌ إن زادت رواته عن ثلاثة) في كلّ مرتبةٍ (أو زادت عن (اثنين) عند بعضهم. مأخوذ من فاض الماء يَفيض فيضاً. (ويقال له: المشهور أيضاً) حين تزيد رواته عن ثلاثة أو اثنين، سُمّي بذلك؛ لوضوحه.

(وقد يُغايَر بينهما) أي بين المستفيض والمشهور، بأن يُجعل المستفيض ما اتّصف

← مستفيض، بل متواتر. بل في السرائر، ص ٣٩١: «لإجماع أصحابنا المنعقِد أنّ إقرار العقلاء جائز فيما يوجب حكماً في شريعة الإسلام». فهو في الحقيقة معقِد الإجماع، وهكذا عند الجماعة، حيث لم نجد عندهم هذا المتن في مراجعهم الحديثية بكونه حديثاً ولو ضعيفاً. (السيّد المددي)

١. حكاه السيوطي عن شيخ الإسلام في تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

٢. الكافي، ج ١، ص ٦٢، باب اختلاف الحديث، ح ١؛ الفقيه، ج ٤، ص ٢٦٤، ح ٨٢٤؛ صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٢ ـ ٥٣، ح ١٠٧ ـ ١١٠؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ١٠، ح ٣/٣.

٣. القائل هو أبو بكر البزار، حكاه عنه ابن الصلاح في مقدمته، ص ١٦٢؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٣٥.

٤. حكاه عن بعض الحفّاظ ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٦٢؛ والطيبي في الخلاصة في أصول الحديث، ص ٣٥.

بذلك في ابتدائه وانتهائه على السواء، والمشهور أعمّ من ذلك. فحديث: «إنّما الأعمال بالنيّات»[١] مشهور غير مستفيض؛ لأنّ الشهرة إنّما طرأت له في وسطه كما مرّ.

وقد يُطلق المشهور على ما اشتهر على الألسنة وإن اختصّ بإسناد واحد، بل ما لا يوجد له إسناد أصلاً.

(وغريب إن انفرد به) راوٍ (واحد) في أيّ موضع وقع التفرّد به من السند وإن تعدّدت الطرق إليه أو منه[٢].

ثمّ إنْ كان الانفراد في أصل سنده فهو الفرد المطلق، وإلّا فالفرد النسبي[٣].

(وغيرهما) أي ينقسم الخبر الواحد إلى غير المستفيض والغريب (وهو ما عدا ذلك) المذكورمن الأقسام.

(فمنه: العزيز) وهو الذي لا يرويه أقلّ من اثنين عن اثنين، سُمّي عزيزاً؛ لقلّة وجوده، أو لكونه عزّ أي قوي؛ لمجيئه من طريق آخر.

(ومنه: المقبول) وهوما يجب العمل به عند الجمهور، كالخبر المحتفّ بالقرائن، والصحيح عند الأكثر، والحسن على قول[٤].

(و[منه:] المردود) وهو الذي لم يترجّح صدق المخبر به لبعض الموانع، بخلاف المتواتر، فكلّه مقبول؛ لإفادته القطع بصدق مخبره.

---

١. تقدّم تخريجه في ص ٤٠.

٢. أقول: مثاله: ما انفرد به أحمد بن هلال العبرتائي؛ وقد قال الشيخ في تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٢٠٤؛ والاستبصار، ج ٣، ص ٢٨، قال (قدّس سرّه): «لا يلتفت إلى حديثه فيما يختصُّ بنقله». (السيّد المددي)

٣. في هامش المخطوطة: سمّي نسبيّاً لكون المنفرد منه حصل بالنسبة إلى شخص معيّن وإن كان الحديث في نفسه مشهوراً. (منه).

٤. أقول: يراد بالقرائن هنا عمل الأصحاب به واعتمادهم عليه واعتناؤهم بشأنه بتدوينه فى كتبهم، وذكره في أكثر المجاميع الحديثية؛ هذا كلّه مضافاً إلى موافقته مع الكتاب العزيز والسنّة الشريفة، بأن تكون عليه شواهد من الكتاب والسنّة، فإنّ ـ كما في صحيحة محمّد بن مسلم على كُلِّ حقٍّ حقيقةً، وعلى كُلِّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فاطرحوه. (السيّد المددي)

(و) منه: (المشْتَبهُ) حالُه، بسبب اشتباه حال رُواته.

وهو مُلْحقٌ بالمردود عندنا؛ حيث نشترط ظهور عدالة الراوي، ولا نكتفي بظاهر الإسلام أو الإيمان[١].

(والأخبار مطلقاً) متواترةً كانت أم آحاداً، صحيحةً كانت أم لا (غيرُ منحصرةٍ) في عَدَدٍ معيّن بحيث لا تقبلُ الزيادة عليه؛ لإمكان وجود أخبار أُخرى بيد بعض الناس لم تصل إلى الجامع[٢].

(ومَنْ بالغَ في تتبّعها وحَصرَها في عدد) ـ كقول أحمد: صحّ من الأحاديث سبعمائة ألف وكسر[٣] ـ (فبحسب ما وصلَ إليه) لو سُلّم ذلك له.

وحَصْرُ أحاديث أصحابنا أبعدُ، لكثرة مَنْ روى عن الأئمّة‌ عليهم السلام منهم.

وكان قد استقرّ أمرُ المتقدّمين على أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف، سمّوها الأُصول. وكان عليها اعتمادُهم، ثمّ تداعت الحالُ إلى ذهاب معظم تلك الأُصول، ولخّصها جماعةٌ في كتب خاصّة؛ تقريباً على المتناول.

وأحسنُ ما جُمع منها: الكتاب الكافي، لمحمّد بن يعقوب الكُليني.

والتهذيب، للشيخ أبي جعفر الطوسي.

ولا يُستغنى بأحدهما عن الآخر؛ لأنّ الأوّلَ أجمعُ لفنون الأحاديث، والثاني أجمع للأحاديث المختصّة بالأحكام الشرعيّة.

وأمّا الاستبصار، فإنّه أخصّ من التهذيب غالباً، فيمكن الغَناء عنه به، وإن اختصّ

---

١. أقول: خلافاً لجمع من المحقّقين حيث اكتفوا بظاهرهما، وكأنّه مبنيٌّ على أصالة العدالة. (السيّد المددي)

٢. أقول: كما اطّلعنا على روايات كثيرة للإمامية منثورة في كتب الزيديّة، من قبيل: تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب و... وفي كتب غير الإمامية وهي مرويّة بطرق أصحابنا ومأخوذة عن أُصولنا الحديثية، إلّا أنّ أصحابنا لم يذكروها في المجاميع الحديثيّة. فتجد مثلاً روايات كثيرة مرويّة عن كتب البرقي والصفّار والحسين بن سعيد وغيرهم، كما في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني. (السيّد المددي)

٣. حكاه عنه السيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ١٠٥.

بالبحث عن الجمع بين الأخبار المختلفة؛ فإنّ ذلك أمر خارج عن أصل الحديث.

وكتاب من لا يحضره الفقيه حسن أيضاً، إلّا أنّه لا يخرج عن الكتابين غالباً.

وكيف كان، فأخبارُنا ليست منحصرةً فيها، إلّا أنّ ما خرج عنها قد صار الآن غيرَ مَضْبوطٍ، ولا يكلّف الفقيهُ بالبحث عنه[١].

(واعلم أنّ متن الحديث نفسه لا يدخل في الاعتبار) أي اعتبار أهل هذا الفنّ (إلّا نادراً) وإنّما يدخلُ في اعتبار الباحث عنه بخصوصه، كالفقيه في متون الأحاديث الفقهيّة، والشارح لها حيثُ يبحثُ عمّا يتعلّقُ به منها.

واستثني النادِرُ، ليدخُلَ مثلُ: الحديث المقلوب، والمصحّف، والمضطرِب، والمزيد؛ فإنّه يُبحثُ عنها في هذا العلم مع تعلّقها بالمتن.

(بل يكتسبُ) الحديثُ (صفةً من القوّة والضعف وغيرهما) من الأوصاف (بحسب أوصاف الرواة، من العدالة) والضبط والإيمان (وعدمها) كغير ذلك من الأوصاف.

(أو) بحسب (الإسناد، من الاتّصال والانقطاع والإرسال) والاضطراب (وغيرها).

(وتحرير البحث عن ذلك) في هذا العلم بذكر أوصافه، وتمييز بعضها عن بعض (ينجرّ إلى بيان أنواعه من الصحّة وأضدادها) : من الحُسْن والثقة والضعف، وغيرها، حتّى يقال: «حديثٌ صحيحٌ» أو «حَسَنٌ» أو «مُوَثَّقٌ» أو «ضعيفٌ».

(و) ينجرّ (إلى) بيان (الجرح) للرواة (والتعديل) لهم، فيقال: «فلانٌ ثقة» أو «غيرُ ثقة» أو «متّهمٌ» أو «مجهولٌ» أو «كذوبٌ» ونحو ذلك ليترتّب عليه ما سبقَ من الأنواع.

(و) إذا نظر إلى حال الطالب انجرّ (النظر إلى كيفيّة أخذه، وطُرق تحمّله) من القراءة والسماع والإجازة والمناولة، وغيرها.

---

١. أقول: في مثل هذا الإطلاق تأمّل، يتّضح بعد الاطّلاع على الكتب الفقهية الاستدلالية. (السيّد المددي)

(و) ينجرّ الكلامُ إلى (البحث عن أسماء الرواة) المتّفقة الاسم والمفترقة (وأنسابهم، ونحو ذلك).

وهذا التقرير يناسبُ إفراد كلّ مطلبٍ منها بباب يخصّه.

(فهاهُنا أبوابٌ) أربعة:

الأوّلُ في أقسام الحديث.

والثاني في من تُقْبلُ روايتُه أو تردُّ.

والثالثُ في طُرق تحمّله ومحلّه، وكيفيّة روايته.

والرابعُ في أسماء الرجال وطبقاتهم.

(الباب الأوّل

في أقسام الحديث)

(وأُصولها) المفتقرة إلى البحث عنها (أربعة) وباقي الأقسام ترجعُ إليها.

(الأوّل: الصحيح، وهو ما اتّصل سندُه إلى المعصوم بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات) حيثُ تكون متعدّدةً **(وإن اعتراه شذوذ)** [1].

فخرج بـ«اتّصال السند» المقطوعُ في أيّ مرتبة اتّفق، فإنّه لا يُسمّى صحيحاً وإن كان رواتُه من رجال الصحيح.

وشمل قوله: «إلى المعصوم» النبيّ والإمام[2].

و[خرج] بقوله: «بنقل العدل» الحسن.

وبقوله: «الإمامي» الموثّق.

وبقوله: «في جميع الطبقات» ما اتّفق فيه واحدٌ بغير الوصف المذكور؛ فإنّه بسببه يلحقُ بما يُناسبه من الأوصاف، لا بالصحيح.

وهو واردٌ على مَنْ عرّفه من أصحابنا ـ كالشهيد في الذكرى ـ بأنّه: ماااتّصلت

---

١. أورد ولد المصنّف جمال الدين على هذا التعريف إشكالاً في منتقى الجمان، ج ١، ص ٥.

٢. في «ألف» بإضافة: وفاطمة.

روايته إلى المعصوم بعدلٍ إماميّ[١]؛ فإنّ اتّصاله بالعدل المذكور لا يلزمُ أن يكونَ في جميع الطبقات بحسب إطلاق اللفظ، وإنْ كان ذلك مراداً.

ونبّه بقوله: «وإنْ اعتراه شذوذٌ» على خلاف ما اصطلَح عليه العامّةُ من تعريفه؛ حيثُ اعتبروا سلامَته من الشذوذ، وقالوا في تعريفه: «إنّه ما اتّصل سندُه بنقل العدل الضابِط عن مثله، وسلمَ عن شُذوذ وعلّة»[٢].

وشملَ تعريفُهم بإطلاق العدل جميع فرق المسلمين. فقبلوا روايةَ المُخالف العدل ما لم يبلغ خلافُه حدَّ الكفر[٣]، أويكن ذا بِدْعةٍ ويروي ما يقوّي بدعتَه؛ على أصحّ أقوالهم[٤].

وبهذا الاعتبار كثرت أحاديثُهم الصحيحة، وقلّت أحاديثُنا [الصحيحة].

مضافاً إلى ما اكتفوا به في العدالة من الاكتفاء بعدم ظهور الفسق والبناء على ظاهر حال المسلم.

فالأخبارُ الحسنةُ والموثّقةُ عندنا صحيحةٌ عندهم، مع سلامتها من المانِعَيْنِ المذكورَيْن[٥و٦].

---

١. ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٢ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥).

٢. الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٣٩.

٣. أقول: ادّعى النواوي الاتّفاق على عدم الاحتجاج بحديث من كُفِّر ببدعته من المسلمين، وتعقّبه السيوطي كما في تدريب الراوي، ج ١، ص ٣٢٤. بعدم ثبوت الاتفاق: قال فقد قيل أنه يقبل مطلقاً، وقيل: يُقبل إن اعتقد حرمةَ الكذب، وصحّحه صاحب المحصول. (السيّد المددي)

٤. أقول: حُكي عن مالك أنّه لايقبل أخبار أصحاب البِدَع والأهواء مطلقاً؛ والثوري والقاضي أبي يوسف وابن أبي ليلى: ما يوافق مافي المتن؛ وعن أحمد بن حنبل و ابن حبّان والنواوي والسيوطي: أنّه لا تقبل أخبار الداعية مطلقاً وتقبل أخبار غير الدعاة؛ وقيل: هذا قول الأكثر عندهم؛ يُنظر: الكفاية، الخطيب البغدادي، ص ١٩٤ ـ ١٩٥، وتدريب الراوي، ج ١، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥. (السيّد المددي)

٥. في هامش «ألف»: «وهما الشذوذ والعلّة».

٦. أقول: نسبه الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ١٤١، إلى أهل العراق، مخالفين بذلك الجمهور، القائلين بعدم الاكتفاء بظاهر حال المسلم؛ وللتفصيل ينظر: تدريب الراوي، ج ١، ص ٣١٦ ـ ٣٢٠. (السيّد المددي)

واحترزوا بـ«السلامة من الشذوذ» عمّا رواه الثقةُ ـ مع مخالفته ما روى النـاسُ ـ فلايكون صحيحاً.

وأرادوا بـ«العلّة» ما فيه أسباب خفيّة قادحة، يستخرجُها الماهُر في الفنّ.

وأصحابنا لم يعتبروا في حدّ الصحيح ذلك.

والخلاف في مجرّد الاصطلاح، وإلّا فقد يقبلونَ الخبر الشاذَّ والمعلّلَ[١] ونحنُ قـد لانقبلهما، وإن دخلا في الصحيح بحسب العوارض.

(وقد يُطلق) الصحيح عندنا (على سليم الطريق من الطعن بما يُـنافي الأمـرين) وهما كون الراوي باتّصالٍ عدلاً إماميّاً (وإنْ اعتراه مع ذلك) الطريق السالم (إرسالٌ، أو قطعٌ)[٢].

وبهذا الاعتبار يقولون كثيراً: روى ابنُ أبي عُمير في الصحيح كذا أو في صحيحته كذا مع كون روايته المنقولة كذلك مرسلةً[٣].

ومثله وقعَ لهم في المقطوع كثيراً[٤].

---

١. انظر إيراد ولد المصنّف على والده في هذا المقام في منتقى الجمان، ج ١، ص ٦ ـ ٧.

٢. أقول: بحسب إطلاق اللفظ، إذ الظاهر من «الاتّصال إلى المعصوم بعدلٍ إمامي».
باعتبار العدالة والإيمان في الراوي عن المعصوم مباشرة، ولايدلّ على اعـتبار العـدالة والإيـمان فـي جـميع الطبقات. (السيّد المددي)

٣. أقول: هذه العبارات وقعتْ كثيراً في كلام من تأخّر عن العلّامة الحلّي كثيراً، وأمّا قبله فلم يكن متعارفاً عند الأصحاب.
قال فخر المحقّقين وهو نجل العلّامة في إيضاح الفوائد، ج ١، ص ٢٥ ـ ٢٦، في مسألة العجين النجس وأنّه هل يجوز بيعه أم لا مانصّه: أقول: روايةُ البيع هي روايةُ محمّد بن عليّ بن محبوب في الصحيح عن محمّد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا... قال: قيل لأبي عبدالله عليه السلام العجين من الماء النجس كيف يصنع به؟ قال: يُباع ممّن يستحلّ أكل الميتة. وروى محمّد بن أبي عمير في الصحيح عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يُدفن ولايُباع.... (السيّد المددي)

٤. في هامش المخطوطة: كصحيحة عبد الرحمن بن الحجّاج التي احتجّ بها الفقهاء في مسألة: من دفـع إليـه مـال ليفرّقه في جماعة، هل يدخل فيهم أو لا؟ فسمّوها صحيحة مع كونها مقطوعة. (منه)

وبالجملة: فيُطلقون الصحيحَ على ما كان رجالُ طريقه المذكورون فيه عدولاً إماميّة وإنْ اشتملَ على أمرٍ آخر بعدَ ذلك، حتّى أطلقوا الصحيحَ على بعض الأحاديث المرويّة عن غير إمامي بسبب صحّة السند إليه. فقالوا: «في صحيحة فلان» ووجدناها صحيحةً بمن عداهُ.

وفي الخلاصة وغيرها: أنّ طريق الفقيه إلى مُعاوية بن ميسرة[١]، وإلى عائذ الأحْمَسي[٢]، وإلى خالد بن نجيح[٣]، وإلى عبدالأعلى مولى آل سام: صحيحٌ[٤].

مع أنّ الثلاثَة الأُوَلَ لم ينصَّ عليهم بتوثيق ولا غيره، والرابع لم يوثّقهُ وإنْ ذكره في القسم الأوّل[٥و٦].

وكذلك نقلوا الإجماع على تصحيح ما يصحّ عن أبان بن عُثمان[٧]، مع كونه فطحيّاً[٨].

وهذا كلّه خارجٌ عن تعريف الصحيح الذي ذكروه في التعريفين، خصوصاً الأوّل المشهور[٩].

---

١. خلاصة الأقوال، ص ٤٣٧.

٢. خلاصة الأقوال، ص ٤٣٨.

٣. خلاصة الأقوال، ص ٤٣٩.

٤. خلاصة الأقوال، ص ٤٣٨.

٥. خلاصة الأقوال، ص ٢٢٢، الرقم ٧٣٤.

٦. أقول: لكنّ العلّامة جعل القسم الأوّل مختصّاً بالثقات. (السيّد المددي)

٧. اختيار معرفة الرجال، ص ٣٧٥، ح ٧٠٥.

٨. أقول: الناقل هو الكشّي حيث قال: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عن هؤلاء وتصديقهم لما يقولون وأقرّوا لهم بالفقه... ستّة نفر: جميل بن درّاج، وعبدالله بن مسكان، وعبدالله بن بكير، وحمّاد بن عثمان، وحمّاد بن عيسى، وأبان بن عثمان.

وحول مغزى هذا الإجماع وقعتْ أبحاث عميقة في كتب الرجال ويعبّر عنهم بـ«أصحاب الإجماع». (السيّد المددي)

٩. لولد المصنّف ـ فيما قاله والده (رحمه الله) من قوله: «وقد يطلق...» ـ كلام في منتقى الجمان، ج ١، ص ١٢ـ١٤.

ثمّ في هذا الصحيح ما يُفيد فائدةَ الصحيح المشهور، كصحيح أبان[١].

ومنه ما يُراد منه وصفُ الصحّة دون فائدتها[٢]، كالسالم طريقه مع لحوق الإرسال به، أو القطع، أو الضعف، أو الجهالة بمن اتّصل به الصحيح. فينبغي التدبّر لذلك فقد زلّ فيه أقدام أقوام.

(**الثاني: الحَسَن**، وهو ما اتّصل سندُه كذلك) أي إلى المعصوم (بإمامي ممدوحٍ من غير نصٍّ على عدالته). مع تحقّق ذلك (في جميع مَراتبه) أي جميع رواة طريقه.

(أو) تحقّق ذلك (في بعضها) بأن كان فيهم واحدٌ إمامي ممدوح؛ غيرَ موثّق (مع كون الباقي) من الطريق (من رجال الصحيح) فيُوصَفُ الطريقُ بالحسن لأجل ذلك الواحد.

واحترز بـ«كون الباقي من رجال الصحيح» عمّا لو كان دونه؛ فإنّه يلحقُ بالمرتبة الدنيا، كما لو كان فيه واحدٌ ضعيفٌ، فإنّه يكون ضعيفاً، أو واحدٌ غيرُ إمامي عدل، فإنّه يكون من الموثّق.

وبالجملة: فيتّبعُ أخَسَّ ما فيه من الصفات حيثُ تتعدَّد.

وهذا كلُّه واردٌ على تعريف مَنْ عرّفه من الأصحاب، كالشهيد (رحمه الله) بأنّه: ما رواه الممدوح من غير نصٍّ على عدالته[٣].

فإنّه يشملُ ما كان في طريقه واحدٌ كذلك وإنْ كان الباقي ضعيفاً، فضلاً عن غيره.

ويَزيدُ أنّه لم يُقيّد الممدوح بكونه إماميّاً مع أنّه مرادٌ.

---

١. أقول: أي يصحّ الاعتماد عليه، والاحتجاج به، كسائر الروايات الصحاح. (السيّد المددي)

٢. أقول: يعني هذا القسم وإن صدق عليه أنّه صحيح، إلّا أنّه لايصحّ الاعتماد عليه، والعمل به؛ للإرسال أو الضعف أوغيرهما الطارئة له. (السيّد المددي)

٣. ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٣ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥).

(ويُطلق) الحَسَنُ (أيضاً على ما يشمل الأمرين) وهما: كون الوصف المذكور في جميع مراتبه وفي بعضها، بمعنى كون رواته متّصفين بوصف الحسن إلى واحد معيّن، ثمّ يصيرُ بعد ذلك ضعيفاً، أو مقطوعاً، أو مرسلاً، كما مرّ في الصحيح (مع اتّصاف رواته بالوصفين) وهما كون كلّ واحد إماميّاً وممدوحاً على وجه لا يبلُغ العدالة (كذلك) أي كما أنّ الصحيح يُطلقُ على سليم الطريق ممّا يُنافي الأمرين [وهما: كون الراوي عدلاً إماميّاً][1] وإن لم يتّصل.

ومن هذا القسم حُكْمُ العلّامةِ وغيرِهِ بكون طريق «الفقيه» إلى مُنْذِر بن جيفر حَسَناً[2]، مع أنّهم لم يذكروا حالَ مُنذرٍ بمدحٍ ولا قدحٍ، ومثله طريقُه إلى إدريسَ بن زَيدٍ[3].

وأنّ طريقه إلى سَماعة بن مِهْران حَسَن[4]، مع أنّ سَماعة واقفيٌّ، وإنْ كان ثقةً، فيكونُ من الموثّق، لكنّه حَسَّنه بهذا المعنى.

وقد ذكر جماعة من الفقهاء أنّ رواية زُرارة[5] في مُفْسد الحجّ إذا قضاه: «أنّ الأُولى حَجّة الإسلام» من الحَسَن[6]، مع أنّها مقطوعةٌ[7].

١. مابين المعقوفين ليس في النسخ التي بايدينا، وأثبتناه من المطبوعة في مطبعة النعمان ـ النجف.

٢. خلاصة الأقوال، ص ٤٤١. وفيه: «منذر بن جعفر» والصحيح ما في المتن؛ قال السيّد الخوئي في معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ٣٦٠ في ترجمة منذر بن جفير: واختلفت نسخ الرجال والفهرست، ففي بعضها: «جفير» وفي بعضها: «جيفر» والظاهر أنّ الثاني الصحيح؛ فإنّ المذكور في الروايات هو: «منذر بن جيفر» دون «جفير».

٣. خلاصة الأقوال، ص ٤٤٣.

٤. خلاصة الأقوال، ص ٤٣٧.

٥. الكافي، ج ٤، ص ٣٧٣، باب المحرم يواقع امرأته قبل أن ....، ح ١؛ تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٣١٧، ح ١٠٩٢.

٦. ذكر العلّامة في مختلف الشيعة، ج ٤، ص ١٦٦، المسألة ١٢٥؛ والحلّي في المهذّب البارع، ج ٢، ص ٢٧٨: أنّ رواية زرارة هذه صحيحة؛ والسيّد السند في مدارك الأحكام، ج ٨، ص ٤٠٧: أنّها حسنة.

٧. أقول: منهم المحقّق الثاني؛ كما في جامع المقاصد، ج ١، ص ١٨٤. رواية زرارة، هي ما رواه الكليني والشيخ عنه بإسناده عن زرارة، في ذيلها: «قلتُ: فأيّ الحجّتين لهما؟ قال: الأُولى التي أحدثا فيها ما أحدثا، والأُخرى

←

ومثل هذا كثير، فينبغي مراعاته، كما مرّ.

(الثالث: الموثّق) سُمّي بذلك؛ لأنّ راويه ثقةٌ وإن كان مخالفاً، وبهذا فارق الصحيح مع اشتراكهما في الثقة.

(ويقال له: القويّ) أيضاً؛ لقوّة الظنّ بجانبه بسبب توثيقه.

(وهو ما دخل في طريقه مَنْ نصّ الأصحابُ على توثيقه مع فساد عقيدته) بأن كان من إحدى الفرق المخالفة للإماميّة، وإن كان من الشيعة.

واحترزَ بقوله: «نصّ الأصحابُ على توثيقه» عمّا رواه المخالفون في صحاحهم التي وثّقوا رواتها، فإنّها لا تدخلُ في الموثّق عندنا؛ لأنّ العِبْرة بتوثيق أصحابنا للمخالِف لا بتوثيق غيرنا؛ لأنّا لا نقبلُ إخبارهم بذلك[١].

وبهذا يندفع ما يُتَوهّم من عدم الفرق بين رواية مَنْ خالفنا ممّن ذُكر في كتب حديثنا، وما رووه في كتبهم.

وحينئذٍ فذلك كلّه يلحقُ بالضعيف عندنا؛ لما سيأتي من صدق تعريفه عليه، فيُعمل منه بما يُعمل به منه.

(ولم يشتمل باقيه) أي باقي الطريق **(على ضعفٍ)** وإلّا لكان الطريقُ ضعيفاً، فإنّه يتبع الأخسّ، كما سبق.

وبهذا القيد سلم ممّا يرد على تعريف الأصحاب له، بأنّ الموثّق «ما رواه من نصّ على توثيقه مع فساد عقيدته»[٢]؛ فإنّه يشمل بإطلاقه ما لو كان في الطريق واحد كذلك،

← والأُخرى عليهما عقوبة»؛ ينظر: جامع أحاديث الشيعة، ج ١١، ص ١٧٧، ح ٢١٨٤. باعتبار اشتمال السند على إبراهيم بن هاشم، فهو وإن كان إمامياً، ممدوحاً، كثير الرواية، حتّى أنّه لا يوجد أكثر رواية منه في الكتب الأربعة؛ إلّا أنّه لم يُنَصّ على توثيقه صريحاً؛ وبذلك تكون الرواية باعتباره حسنة. (السيّد المددي)

١. أقول: لأنّ مرجع التوثيق، على ما هو المعروف عندهم، مردُّهُ إلى الشهادة؛ والعدالة معتبرة فيها. (السيّد المددي)

٢. ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٣ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥).

مع ضعف الباقي، وليس بمراد كما مرّ.

(وقد يُطلَق القويّ على مرويّ الإمامي غيرِ الممدوح ولا المذموم) كنُوح بن دَرّاج، وناجية بن عُمارة الصَيْداوي، وأَحمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، وغيرهم، وهم كثيرون.

وقولنا: «غير الممدوح ولا المذموم» خير من قول الشهيد (رحمه الله)، وغيره ـ في تعريفه ـ: «غير المذموم»[1] مقتصرين عليه، لأنّه يشمل الحَسَن؛ فإنّ الإمامي الممدوحَ غيرُ مذمومٍ.

ولو فُرِضَ كونه قد مُدح وذُمّ، كما اتّفق لكثير، وردَ على تعريف الحسن أيضاً.

والأولى أنْ يُطلبَ حينئذٍ الترجيحُ، ويُعملَ بمقتضاه، فإنْ تحقّقَ التعارضُ لم يكن حسناً.

وعلى هذا، فينبغي زيادة تعريف الحسن بكون المدح مقبولاً، فيقال: «ما اتّصل سنده بإمامي ممدوحٍ مدحاً مقبولاً» إلى آخره. أو «غير معارض بذمٍّ» ونحو ذلك.

(الرابع: **الضعيف**، وهو ما لا يجتمع فيه شروطُ أحد الثلاثة) المتقدّمة (بأن يشتملَ طريقهُ على مجروح) بالفسق ونحوه (أو مجهول) الحال (أو ما دونَ ذلك) كالوضّاع. ويمكن اندراجُه في المجروح، فيُستغنى به عن الشقّ الأخير[2].

(ودرجاته) في الضعف (متفاوتةٌ بحسب بُعده عن شروط الصحّة) فكلّما بَعُدَ بعضُ رجاله عنها كان أقوى في الضعف، وكذا ما كثر فيه الرواة المجروحون، بالنسبة إلى ما قلّ فيه.

---

١. ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٣ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥): وقد يراد بالقويّ مرويّ الإمامي غير المذموم ولا الممدوح. وهو كما ترى لم يقتصر على «غير المذموم».

٢. أقول: ولعلّ الأحسن إبقاءه؛ للفرق الواضح بين خبر شارب الخمر، وخبر الكذّاب الوضّاع. (السيّد المددي)

(كما تتفاوت درجاتُ الصحيح وأخويه) الحَسَن والموثّق (بحسب تمكّنه من أوصافها) فما رواه الإمامي الثقة الفقيه الورع الضابط؛ كابن أبي عمير، أصحُّ ممّا رواه مَنْ نَقَصَ في بعض الأوصاف، وهكذا إلى أن ينتهيَ إلى أقلّ مراتبه.

وكذلك ما رواه الممدوحُ كثيراً ـ كإبراهيمَ بن هاشم ـ أحسنُ ممّا رواه مَنْ هو دونَه في المدح، وهكذا إلى أنْ يتحقّقَ مُسمّاهُ.

وكذا القولُ في الموثّق، فإنّ ما كانَ في طريقه مثلُ عليّ بن فَضّال، وأبان بن عُثمان أقوى من غيره، وهكذا[١].

ويظهر أَثَرُ القوّة عند التعارض، حيثُ يُعمل بالأقسام الثلاثة أو يُخَرّجُ[٢] أحدُ الأخيرين شاهداً، أو يتعارضُ صحيحان أو حَسَنان، حيثُ يجوزُ العملُ به[٣].

(وكثيراً مّا يُطلق الضعيف) في كلام الفقهاء (على رواية المجروح خاصّة) وهو استعمال للضعيف في بعض موارده، وأمره سهل.

[العمل بخبر الواحد]

(واعلم أنّ) مَنْ منعَ العملَ بخبر الواحد مطلقاً ـ كالسيّد المرتضى (رحمه الله)[٤] ـ تنتفي عنده فائدةُ البحث عن الحديث غيرِ المتواتر مُطلقاً.

---

١. أقول: أبان بن عثمان، ثقةٌ جليلٌ، وقد عُدّ من أصحاب الاجماع، إلّا أنّه نوقش في مذهبه؛ فَعَنْ بعض نسخ الكشّي: وكان من الناووسيّة.

وعن المحقّق ـ والعلّامة في خاتمة الخلاصة ـ: أنّه فطحيٌ. كما نُسب إلى العلّامة محكي المختلف: أنّه واقفيٌ. ولم يثبت شيء من ذلك كُلّه، وللتفصيل مجالٌ آخر لا يسعه هذا المختصر. (السيّد المددي)

٢. بأن جعل الحسن أو الموثّق شاهداً للصحيح.

٣. أقول: أي بالقويّ (الموثّق)؛ فعند تعارض الصحيحين أو الحسنين، يُرجع إلى الموثّق ويُعمل به؛ ويكون مُرَجِّحاً لأحدهما على الآخر. (السيّد المددي)

٤. جوابات المسائل الموصليّات الثالثة، ضمن رسائل الشريف المرتضى، ج ١، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

و(مَنْ جوّز العمل بخبر الواحد) كأكثر المتاخّرين (في الجملة). فائدةُ القيد التنبيهُ على أنّ مَن عمِلَ بخبر الواحد لم يَعمل به مطلقاً، بَلْ منهم مَن خصّه بالصحيح، ومنهم مَنْ أضاف الحَسَنَ، ومنهم من أضاف الموثّقَ، ومنهم من أضاف الضعيفَ على بعض الوجوه، كما سننبّه عليه. فالعاملُ بخبر الواحد على أيّ وجهٍ كان (قطعَ بالعمل بالخبر الصحيح) لعدم المانع منه، فإنّ رواتَه عدولٌ صحيحو العقائد، لكن لم يعمل به مطلقاً، بل (حيث لا يكون شاذّاً، أو معارَضاً) بغيره من الأخبار الصحيحة، فإنّه حينئذٍ يطلبُ المرجّح.

وربما عملَ بعضُهم بالشاذّ أيضاً، كما اتّفق للشيخين في صحيحة زرارة[1] في مَنْ دخلَ في الصلاة بتيمّم ثمّ أحدثَ: «أنّه يتوضّأ حيثُ يُصيب الماءَ، ويبني على الصلاة»[2] وإن خصّاها بحالة الحَدَث ناسياً[3]. ومثل ذلك كثير.

(واختلفوا في العمل بالحَسَن، فمنهم: مَنْ عمل به مطلقاً كالصحيح) وهو الشيخ (رحمه الله) على ما يظهر من عَمَله، وكلّ مَنْ اكتفى في العدالة بظاهر الإسلام ولم يشترط ظهورَها.

(ومنهم: مَنْ ردّه مُطلقاً) وهم الأكثرون؛ حيثُ اشترطوا في قبول الرواية الإيمان والعدالة، كما قطع به العلّامةُ في كتبه الأُصوليّة[4] وغيره.

١. في هامش المخطوطة: قلت: صحيحة زرارة هذه إنّما هي من الشاذّ بالتفسير الذي فسّره به بعض العامّة، وهو ما تفرّد به راوٍ واحدٍ. وأمّا الشذوذ بالتفسير الذي ذكره أكثرهم، واعتمده الوالد (قدّس سرّه) فيما يأتي، وهو ما رواه الثقة مخالفاً لما رواه الأكثر، فليس ذلك بمتحقّق فيها؛ إذ لم ترو بخلافها رواية فضلاًعن رواية الأكثر له. نعم هي مخالفة للمعهود في نظائر الحكم من منافيات الصلاة، ولفظ التفسير كما لا يخفى غير متناول لمثل هذه المخالفة. فلينظر. ابن زين الدين (رحمهما الله).

٢. الفقيه، ج ١، ص ١٠٦، ح ٢١٥؛ تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٢٠٥، ح ٥٩٤ و٥٩٥؛ الاستبصار، ج ١، ص ١٦٧ ـ ١٦٨، ح ٥٧٠.

٣. المقنعة، ص ٦١؛ والشيخ في النهاية، ص ٤٨.

٤. مبادئ الوصول، ص ٢٠٦.

والعجبُ أنّ الشيخ (رحمه الله) اشترط ذلك أيضاً في كتب الأُصول[١]، ووقعَ له في الحديث وكُتب الفروع الغرائبُ، فتارةً يعمل بالخبر الضعيف مطلقاً، حتّى أنّه يخصّص به أخباراً كثيرةً صحيحةً حيثُ تُعارضه بإطلاقها[٢]. وتارةً يصرّح بردّ الحديث لضعفه[٣]. وأُخرى بردّ الصحيح معلّلاً بأنّه خبرٌ واحدٌ لا يُوجب علماً ولا عملاً[٤]، كما هي عبارة المرتضى (رحمه الله).

(وفصّل آخرون) في الحَسَن، كالمحقّق في المعتبر[٥]، والشهيد في الذكرى[٦]، فقبلوا الحَسَن بل الموثّق، وربما ترقّوا إلى الضعيف أيضاً إذا كان العملُ بمضمونه مشتَهراً بينَ الأصحاب، حتّى قدّموه حينئذٍ على الخبر الصحيح، حيث لا يكون العمل بمضمونه مشتَهراً.

(وكذا اختلفوا في العمل بالموثّق نحو اختلافهم في الحَسَن) فقبله قوم مطلقاً، وردّه آخرون، وفصّل ثالث[٧].

ويمكن اشتراك الثلاثة في دليلٍ واحد يدلّ على جواز العمل بها مطلقاً، وهو أنّ المانع من قبول خبر الفاسق هو فسقهُ؛ لقوله تعالى: ﴿إنْ جاءَكم فاسِقٌ بنبأٍ فتبيّنوا﴾[٨] فمتى لم يُعلم الفسقُ لا يجب التثبّت عند خبر المخبر مع جهل حاله، فكيف مع توثيقه

١. انظر عدّة الأُصول، ج ١، ص ٣٣٦ ومابعده.

٢. في هامش الرسائل الرجاليّة، ج ٤، ص ١٩٧: ربما جرى الشيخ في التهذيب عند الكلام في قراءة الحائض والنفساء على تخصيص الخبر الصحيح بالخبر الضعيف.

٣. تهذيب الأحكام، ج ١ ص ١٨، ذيل الحديث، ص ٤٢؛ الاستبصار، ج ١، ص ٢٣٧، ذيل الحديث ٨٤٦.

٤. تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٧٢، ذيل الحديث ٤٨٥؛ الاستبصار، ج ٢، ص ٧٢، ذيل الحديث ٢٢٠.

٥. المعتبر، ج ١، ص ٢٩: فما قبله الأصحاب أو دلّت القرائن على صحّته عمل به، وما أعرض الأصحاب عنه أو شذّ يجب إطراحه.

٦. ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٣ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥).

٧. في هامش المخطوطة: أي بالشهرة وعدمها.

٨. الحجرات (٤٩): ٧.

ومدحه، وإن لم يبلغ حدّ التعديل. وبهذا احتجّ مَنْ قبل المراسيل.

وقد أجابوا عنه: بأنّ الفسقَ لمّا كان علّة التثبّت وجبَ العلمُ بنفيه حتّى يُعلم وجود انتفاءِ التثبّتِ، فيجب التفحّصُ عن الفسق ليُعلم أو عدمُه، حتّى يُعلم التثبّتُ أو عدمُه.

وفيه نظر؛ لأنّ الأصلَ عدمُ وجود المانع في المسلم، ولأنّ مجهولَ الحال لا يمكن الحكمُ عليه بالفسق. والمرادُ في الآية المحكوم عليه بالفسق.

(وأمّا الضعيف، فذهبَ الاكثرُ إلى منع العمل به مطلقاً) للأمر بالتثبُّت عند إخبار الفاسق الموجب لردّه.

(وأجازه آخرون) وهم جماعةٌ كثيرةٌ، منهم مَنْ ذكرناه **(مع اعتضاده بالشُهرة روايةً)** بأن يكثر تدوينُها وروايتُها بلفظٍ واحد، أوألفاظٍ مُتغايرةٍ مُتقاربةِ المعنى **(أو فتوىً)** بمضمونها في كتب الفقه **(لقوّة الظنّ)** بصدق الراوي **(في جانبها)** أي جانب الشهرة **(وإن ضَعُفَ الطريقُ)** فإنّ الطريقَ الضعيفَ قد يَثْبُتُ به الخبرُ مع اشتهار مضمونه **(كما تُعلم مذاهب الفرق)** الإسلاميّة، كقول أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد **(بإخبار أهلها)** مع الحكم بضعفهم عندنا **(وإنْ لم يَبْلغوا حدَّ التواتُر)**.

وبهذا اعتُذِرَ للشيخ (رحمه الله) في عمله بالخبر الضعيف.

(وهذه حجّةُ من عمل بالموثّق أيضاً) بطريق أولى.

(وفيه نظر، يخرج تحريره عن وضع الرسالة) فإنّها مبنيّةٌ على الاختصار.

ووجهه على وجه الإيجاز: أنّا نمنع من كون هذه الشُهرة التي ادّعوها مؤثِّرةً في جَبْر الخبر الضعيف، فإنّ هذا إنّما يتمّ لو كانت الشهرةُ متحقّقةً قبلَ زمن الشيخ (رحمه الله)، والأمرُ ليس كذلك؛ فإن مَنْ قَبْله من العلماء كانوا بينَ مانعٍ مِن خبر الواحد مطلقاً، كالمرتضى والأكثر، على ما نقله جماعةٌ؛ وبينَ جامعٍ للأحاديث من غير التفاتٍ إلى تصحيح ما يَصحّ، وردّ ما يُردّ.

وكان البحثُ عن الفتوى مجرّدةً لغير الفريقين قليلاً جدّاً، كما لا يخفى على من اطّلع على حالهم.

فالعملُ بمضمون الخبرالضعيف قَبْلَ زمن الشيخ على وجهٍ يجْبرُ ضعفَه ليس بمتحقّقٍ[١].

ولمّا عملَ الشيخُ بمضمونه في كتبه الفقهيّة، جاء مَنْ بعده من الفقهاء واتّبعهُ منهم عليها الأكثر تقليداً له، إلّا من شذّ منهم، ولم يكن فيهم مَنْ يَسْبُرُ الأحاديث، وينقّبُ على الأدلّة بنفسه، سوى الشيخ المحقّق ابن إدريس، وقد كان لا يُجيز العملَ بخبر الواحد مطلقاً[٢].

فجاء المتأخّرون بعدَ ذلك ووجدوا الشيخَ ومَنْ تبعه قد عملوا بمضمون ذلك الخبر الضعيف لأمرٍ ما رأوه في ذلك، لعلّ الله تعالى يعذرهم فيه، فحسبوا العملَ به مشهوراً، وجعلوا هذه الشهرةَ جابرةً لضعفه.

ولو تأمّلَ المنصفُ، وحرّرَ المنقّبُ لوجدَ مرجعَ ذلك كلّه إلى الشيخ، ومثلُ هذه الشهرة لا تكفي في جَبْر الخبر الضعيف.

ومن هُنا يظهُر الفرقُ بينَه وبينَ ثبوت فتوى المخالفين بإخبار أصحابهم؛ فإنّهم كانوا منتشرينَ في أقطار الأرض من أوّل زمانهم، ولم يزالوا في ازديادٍ.

وممّن اطّلع على أصل هذه القاعدة ـ التي تبيّنتها وتحقّقتها من غير تقليدٍ ـ الشيخُ الفاضلُ المحقّق سديدُ الدين محمودُ الحِمّصي، والسيّدُ رضيّ الدين ابنُ طاوس، وجماعةٌ.

١. في هامش المخطوطة: قلتُ: في هذا الكلام نظر ظاهر؛ فإنّ الشيخ صرّح في الفهرست بأنّ في الأخبار الضعيفة ماهو معتمد بين الطائفة، وكذا الصدوق في من لا يحضره الفقيه.

وهذا عذر واضح لهم في العمل بها وإن كان لا يجدينا نفعاً، لما بيّنّاه من كثرة وقوع الخطاء في الاجتهاد، وأنّ مبنى الأمر على الظنّ لا على القطع فالموافقة لهم على ماقالوه لا يسوغ. والله أعلم. (لابنه رحمه الله).

٢. السرائر، ج ١، ص ٥١.

قال السيّد (رحمه الله) في كتاب البهجة لثمرة المهجة:

أخبرني جدّي الصالح ورّام بنُ أبي فراس (قدّس الله سرّه): أنّ الحمّصي حدّثه: أنّه لم يبق للإماميّة مُفْتٍ على التحقيق، بل كلّهم حاكٍ.

وقال السيّد عقيبه:

والآنَ فقد ظهرَ أنَّ الذي يُفتى به ويُجاب عنه على سبيل ما حُفِظَ من كلام العلماء المتقدّمين[١]. انتهى.

وقد كشفتُ لك بذلك بعضَ الحال، وبقي الباقي في الخيال، وإنّما يتنبّه لهذا المقال مَنْ عرفَ الرجالَ بالحقّ، ويُنكره من عَرَف الحقّ بالرجال.

(وجوّز الأكثرُ العملَ به) أي بالخبر الضعيف **(في نحو القصص والمواعظ وفضائل الأعمال، لا في)** نحو صفات اللهِ المتعال و**(أحكام الحلال والحرام، وهو حسنٌ حيثُ لا يبلغ الضعفُ حدَّ الوضع)** والاختلاق؛ لِما اشتهر بينَ العلماء المحقّقين من التساهُل بأدلّة السنن، وليس في المواعظ والقصص غيرُ مَحْضِ الخير، ولِما ورد عن النبيّ ﷺ ـ من طريق الخاصّة والعامّة ـ أنّه قال: «مَنْ بَلَغَهُ عن الله تعالى فضيلةٌ فأخَذَها وعَمِلَ بها فيها إيماناً بالله ورجاءَ ثوابِه أعطاهُ اللهُ تعالى ذلك، وإن لم يكن كذلك»[٢].

وروى هِشامُ بن سالم في الحَسَن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ سَمِعَ شيئاً من

---

١. أقول: انّ كتاب البهجة لثمرة المهجة، لم يصل إلينا؛ ولكنّ السيّد ابن طاوس، ذكر هذا الكلام بعينه في كتابه كشف المحجّة لثمرة المهجة، ص ١٢٧، المطبوع في النجف الأشرف. (السيّد المددي)

٢. لم نعثر على الرواية بهذا اللفظ من طريق الخاصّة، ولكن رواها ابن فهد من طريق العامّة في عدّة الداعي، ص ٩ ـ ١٠.

وبمعناها روايات في وسائل الشيعة، ج ١، ص ٨٠ ـ ٨٢، باب ١٨ من أبواب مقدّمة العبادات؛ ومن طريق العامّة رواه باختلافٍ يسير في كنز العمّال، ج ١٥، ص ٧٩١، ح ٤٣١٣٢؛ وتاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٩٦، الرقم ٤٣٩٨.

الثواب على شيءٍ فَصَنَعهُ كانَ له أجرٌ، وإن لم يكنْ على ما بَلَغَهُ»[١ و٢].

وإذا عرفتَ هذه المعانيَ الأربعةَ التي هي أُصولُ علم الحديث (بقيَ هُنا عبارات لمعانٍ شتّى:

منها: ما يشترك فيها الأقسامُ الأربعةُ) إمّا جميعُها، أو بعضُها بحيثُ لا يختصّ بالضعيف ليدخلَ فيه المقبولُ؛ فإنّه ليس من أقسام الصحيح، وإنّما يشتركُ فيه الثلاثةُ الأخيرةُ على ظاهر الاستعمال، وإن كان إطلاق مفهومه قد يفهمُ منه كونُه أعمَّ من الصحيح أيضاً. وجملة المشترك، ثمانية عشر نوعاً.

(ومنها: ما يختصّ بالضعيف) وهو ثمانية.

فجملةُ الأنواع الفروع ستّةٌ وعشرون. ومعَ الأُصول ثلاثون نوعاً، وذلك على وجه الحصر الجعلي أو الاستقرائي، لإمكان إبداء أقسامٍ أُخرَ.

[ما يشترك فيه الأقسام الأربعة]

(فمن) القسم (الأوّل)[٣] وهو المشترك (أُمور:)

أحدُها: المُسْنَد، وهو ما اتّصل سندُه مرفوعاً) من راويه إلى مُنتهاهُ (إلى المعصوم). وأكثر مايُستعمل فيما جاء عن النبيّ ﷺ.

فخرج بـ«اتّصال السَنَدِ»: المُرْسَلُ والمُعلّقُ والمُعْضَلُ.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٨٧، باب من بلغه ثواب من الله على عمل، ح ١.

٢. أقول: وصفه بالحسن باعتبار أنّ الكليني رواه بإسناد فيه إبراهيم بن هاشم، هو إماميٌّ ممدوح؛ إلّا أنّ البرقي رواه في المحاسن، ج ١، ص ٩٣، ح ٢/٥٣، بسندٍ صحيحٍ عن هشام بن سالم، مع اختلاف يسير في الألفاظ. وقال السيّد ابن طاوس: ووجدنا هذا الحديث، في أصل هشام بن سالم، رواه عن الصادق ﷺ. ينظر: بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥٦. (السيّد المددي)

٣. والقسم الثاني يأتي في ص ٨١.

وبـ«الغاية»[١] الموقوف، إذا جاء بسند متّصلٍ؛ فإنّه لا يُسمّى في الاصطلاح مسنداً.
وربما أطلقه بعضهُم على المتّصل مطلقاً[٢] و[٣].
وآخرون على ما رُفِعَ إلى النبيّ ﷺ وإن كان مُنقطعاً[٤].

و(ثانيها: المتّصل ـ ويُسمّى أيضاً الموصول ـ وهو ما اتّصل إسناده) إلى المعصوم أو غيره (وكان كلُّ واحدٍ من رُواته قد سمعه ممّن فوقه، أو ما) هو (في معنى السماع) كالإجازة، والمناولة.

وهذا القيد أخلّ به كثير، فوردَ عليهم ما تناوله (سواءٌ كان مرفوعاً) إلى المعصوم (أم موقوفاً) على غيره.

وقد يخصّ بما اتّصل إسناده إلى المعصوم أو الصحابي، دونَ غيرهم. هذا مع الإطلاق.

أمّا مع التقييد فجائزٌ مطلقاً، واقعٌ، كقولهم: «هذا متّصلُ الإسناد بفلانٍ» ونحو ذلك.

و(ثالثها: المرفُوع، وهو ما أُضيفَ إلى المعصوم[٥] من قولٍ) بأنْ يقولَ في الرواية: «إنّه ﷺ قال كذا» (أو فعلٍ) بأنْ يقولَ: «فعلَ كذا» (أو تقريرٍ) بأنْ يقولَ: «فعلَ فلانٌ بحضرته كذا ولم يُنكره عليه» فإنّه يكون قد أقرّه عليه، وأوْلى منه ما لو صرّح بالتقرير.

(سواءٌ كان) إسناده (متّصلاً) بالمعصوم بالمعنى السابق (أم مُنقطعاً) بترك بعض

---

١. في هامش المخطوطة: والمراد بالغاية هنا آخر التعريف، وهو قوله إلى المعصوم. (منه رحمه الله).
٢. كالخطيب البغدادي في الكفاية، ص ٢١.
٣. أقول: أي سواءٌ أكان مسنداً إلى رسول الله ﷺ، أم إلى الصحابة؛ وهو المسمّي بالموقوف. (السيّد المددي)
٤. حكاه النووي عن ابن عبد البرّ في التقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ١، ص ١٨٢.
٥. أقول: وعند العامّة خصوص ما أُضيف إلى النبيّ ﷺ. (السيّد المددي)

الرواة، أو إبهامِه، أو رواية بعض رجال سَنَدِه عمّن لم يَلْقه[١].

(وقد تبيّنَ) من التعريفات الثلاثة (أنّ بينَ الأخيرين) منها (عموماً من وَجْهٍ) بمعنى صِدْق كلّ منهما على شيءٍ ممّا صدقَ عليه الآخرُ، معَ عدم استلزام صدق شيءٍ منهما صدقَ الآخر.

ومادّةُ تصادقِهما هُنا فيما إذا كان الحديثُ متّصلَ الإسناد والرواية بالمعصوم، فإنّه يصدقُ عليه الاتّصالُ والرفعُ، لشمول تعريفهما له.

ويختصّ المتّصلُ بمتّصل الإسناد على الوجه المقرّر، معَ كونه مرفوعاً[٢] على غير المعصوم.

ويختصّ المرفوعُ بما أُضيفَ إلى المعصوم بإسنادٍ مُنقطعٍ.

(و) تبيّن أيضاً (أنّهما أعمُّ من الأوّل مُطلقاً) بمعنى استلزام صدقِه صدقَهما من غير عَكْسٍ.

ووجهُ عُمومهما كذلك: اشتراك الثلاثة في الحديث المتّصل الإسناد على الوجه السابق إلى المعصوم، واختصاصُ المتّصل بحالةِ كونهِ موقوفاً، والمرفوع بحالةِ انقطاعِه.

و(رابعها: **المُعَنْعَنُ**، وهو ما يُقال في سنده: «فلان عن فلان») من غير بيان للتحديث، والإخبار، والسماع، وبذلك يظهر وجه تسميته مُعنعناً.

وقد اختلفوا في حكم الإسناد المعنعن، فقيل: هو من قبيل المُرسل والمُنقطع حتّى يتبيّن اتّصاله بغيره[٣]؛ لأنّ العَنْعَنَةَ أعمُّ من الاتّصال لُغةً.

---

١. أقول: مثاله ما رواه الشيخ في تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٢٦، ح ١٠٣، بإسناده عن ابن أبي عُمير، عن زرارة، عن محمّد بن مسلم...؛ فإنّ ابن أبي عُمير لم يلق زرارة، فحديثه عنه مرفوع. (السيّد المددي)

٢. في «ج، د»: موقوفاً.

٣. مقدّمة ابن الصلاح، ص ٥٣.

(والصحيح) الذي عليه جمهُورُ المحدّثين، بل كادَ يكونُ إجماعاً (أنّه مُـتّصلٌ إذا أمكن اللقاء) أي ملاقاة الراوي بالعَنْعنة لِمنْ رواهُ عنه (معَ البراءة) أي براءتِه أيضاً (من التَدْليس) بأنْ لا يكونَ معروفاً به، وإلّا لم يكفِ اللقاء؛ لأنّ مَنْ عُرِفَ بـالتدليس قـد يتجوّز في العَنْعنة معَ عدم الاتّصال؛ نظراً إلى ظهور صدقه في الإطلاق وإنْ كانَ خلافَ الاصطلاحِ والمتبادرِ من مَعناها.

(وقد استعمله) أي المعنعن ـ والمرادُ استعمال المصدر، وهو العنعنة في الأحاديث ـ (أكثر المحدّثين) مُريدين به الاتّصال، وأكثرهم لا يقول بالمرسل.

وزاد آخرون في الشرائط: كونَ الراوي قد أدركَ المرويَّ عنه بالعنعنة إدراكاً بيّناً[١]. وآخرون على ذلك: كونَه معروفاً بالرواية عنه[٢]. والأظهر عدم اشتراطهما.

(وخامسها: المُعَلّق، وهو ما حُذِفَ من مبدإ إسناده واحدٌ فأكثر) كـقول الشـيخ (رحمه الله) «محمّد بن أحمد» إلى آخره، أو «محمّد بن يعقوب» أو «روى زُرارة عن الباقر أو الصادق عليهما السلام» أو «قال النبيّ صلى الله عليه وآله» أو «الصادق عليه السلام» أو نحو ذلك.

مأخوذ من تعليق الجدار أو الطلاق، لاشتراكهما في قطع الاتّصال.

ولم يستعملوه فيما سقط وسط إسناده أو آخره؛ لتسميتهما بالمُنقطع والمرسَل.

(ولا يخرجُ) المعلّق (عن الصحيح إذا عُرِفَ المحذوفُ من جهة ثقة) خُـصوصاً إذا كان العلم من جهة الراوي، كقول الشيخ في كتابيه والصدوقُ في الفـقيه: «محمّد بـن يعقوب» أو «أحمد بن محمّد» أو غيرهما ممّن لم يدركه، ثمّ يذكر في آخر الكـتاب طريقَه إلى كلّ واحدٍ ممّن ذكره في أوّل الإسناد.

١. حكاه ابن الصلاح عن أبي الحسن القابسي في مقدّمته، ص ٥٦.

٢. حكاه ابن الصلاح عن أبي عمرو المقري في مقدّمته، ص ٥٦.

(وهو حينئذٍ) أي حينَ إذ يُعلم المحذوفُ (في قُوّة المذكور) ؛ لأنّ الحذفَ إنّما هو من الكتابة، أو اللفظ حيثُ تكونُ الرواية به، والقصدُ ما ذُكِرَ.

(وإلّا) يُعلم المحذوفُ من جهة ثقة (خَرَج) المعلّقُ عن الصحيح إلى الإرسال، أو ما في حكمه[1].

(وسادسها: المُفْرَدُ) وهو قِسمان:

لأنّه (إمّا) أن ينفردَ به راويه (عن جميع الرُّواة) وهو الانـفرادُ المـطلقُ[2]، وألحـقه بعضُهم بالشاذّ، وسيأتي أنّه يُخالفه.

(أو) ينفردُ به (بالنسبة إلى جهة) وهو النِسْبِيُّ[3] (كتفرّد أهـل بَـلَدٍ) مُـعيّنٍ، كـمكّة والبصرة والكوفة، أو تفرّد واحد من أهلها (به. ولا يضعّف) الحديث (بذلك) من حيثُ كونه إفراداً، إلّا أنْ يلحقَ بالشاذّ، فيردّ لذلك.

(وسابعها: المُدْرَجُ، وهو ما أُدْرِجَ فيه كلامُ بعض الرواة؛ فيُظَنُّ) لذلك (أنّه منه) أي من الحديث.

---

١. أقول:كما أنّ الشيخ الصدوق (قدّس سرّه) روى في الفقيه عن جماعة كثيرة يـبلغ عـددهم ١٢٠ راوياً لم يـذكر طريقه إليهم، فتصبح تلك الروايات مرسلةً؛ وللوقوف على أسمائهم. يُنظر: المستدرك، ج ٣، ص ٧١٧ ـ ٧١٨. (السيّد المددي)

٢. أقول:مثاله: ما انفرد بنقله أحمد بن هلال العبرتائي، فإنّ المشهور عدم العمل بما ينفرد به مـن الروايـات. قـال الشيخ في الاستبصار، ج ٣، ص ٢٨، ذيل الحديث ٩٠، ما نصّه: ... لأنّ راويه أحمد بن هلال، وهو ضعيف فاسد المذهب، لا يُلتفت إلى حديثه فيما يختصّ بنقله؛ وقال أيضاً في ذيل الحـديث ٨١٢، مـن الجـزء التـاسع مـن التهذيب. (السيّد المددي)

٣. أقول:مثاله ما ينفرد بنقله الفطحية؛ فهناك روايات كثيرة بهذا السند: «أحمد بن الحسن بن عليّ بن فضال؛ عـن عمرو بن سعيد، عن مصدّق بن صدقة، عن عمّار الساباطي» وهؤلاء كلّهم من الفـطحية؛ ولذا اشـتهر حـديثهم بـ«حديث الفطحية». (السيّد المددي)

(أو) يكونُ عندَه (متنانِ بإسنادين، فيُدرجُهما في أحدهما) أي أحد إسنادي الحديثين، ويتركُ الآخرَ.

(أو يَسْمَعُ حديثَ واحدٍ من جماعة مُختلفين في سَنَدِهِ) ، بأنْ رواه بعضُهم بسندٍ، ورواه غيرهُ بغيره. (أو) مختلفين في (مَتْنِه) مع اتّفاقهم على سَنَدِهِ (فيُدرِجُ روايتَهم) جميعاً (على الاتّفاق) في المتن أو السند، ولا يذكرُ الاختلاف.

وتعمّد كلّ واحد من الأقسام الثلاثة حرامٌ.

(وثامنها: المشهورُ، وهو ما شاعَ عند أهل الحديث) خاصّةً دونَ غيرهم (بأن نَقَلَه) منهم (رواةٌ كثيرون) ولا يَعْلَمُ هذا القسمَ إلّا أهلُ الصناعة.

(أو عندهم وعندَ غيرهم، كحديث: «إنّما الأعمال بالنيّات»[1]) وأمرُه واضحٌ، وهو بهذا المعنى أعمّ من الصحيح.

(أو عندَ غيرهم خاصّةً) ولا أصْلَ له عندهم (وهو كثيرٌ)[2].

قال بعضُ العلماء:

أربعةُ أحاديث تدور على الألسن وليس لها أصْلٌ:

من بشّرني بخروج آذار بشّرته بالجنّة.

---

١. تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٨٣، ح ٢١٨؛ الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٦١٨، المجلس ٢٩، ح ١٢٧٤؛ صحيح البخاري، ج ١، ص ٣، ح ١؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٥١٥ ـ ١٥١٦، ح ١٩٠٧/١٥٥؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٦٢، ح ٢٢٠١؛ سنن أبن ماجة، ج ٢، ص ١٤١٣، ح ٤٢٢٧.

٢. أقول:كحديث «إقرار العقلاء على أنفسهم جائز». المشهور على ألسنة الفقهاء؛ كما في الوسائل، ج ١٦، ص ١١١، بل عَدَّهُ البعض من الحديث النبويّ المستفيض أو المتواتر؛ كما في جواهر الكلام، ج ٣٥، ص ٣، مع أنّه لا أصل له في كتب الحديث إطلاقاً. بل يبدو من السرائر أنّه معقد إجماعهم.

وكذا حديث «الصلاة لا تُترك بحال» فإنّه مع شهرته على ألسنة الفقهاء إلّا أنّه لا أصل له؛ بل هو ذيل لصحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام ....: وإلّا فهي مستحاضة تصنع مثل النفساء ثمّ تُصلّي ولا تدع الصلاة على حال. فهذه الجملة الأخيرة حُرِّفَتْ وأصبحت هكذا: «الصلاة لا تترك بحال». (السيّد المددي)

ومن آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة.

ويوم نحركم يوم صومكم.

وللسائل حقّ وإن جاء على فرس[١].

(وتاسعها: الغريب) بقولٍ مطلقٍ، وهو (إمّا) غريبٌ (إسناداً ومَتْناً) معاً (وهو ما تفرّد برواية متنِه واحدٌ؛ أو) غريبٌ (إسناداً خاصّة) لا مَتْناً (كحديثٍ يُعرف متنُه) عن (جماعةٍ) من الصحابة ـ مثلاً أو ما في حكمهم (إذا انفردَ واحدٌ بروايته عن) آخرَ (غيرهم) ويُعبّر عنه بأنّه غريبٌ من هذا الوجه[٢]. ومنه غرائبُ المُخرِجين في أسانيد المتون الصحيحة.

(أو) غريبٌ (متناً خاصّة، بأن اشتهَر الحديثُ المفردُ، فرواه عمّن تفرّد به جماعةٌ كثيرةٌ، فإنّه) حينئذٍ (يصيرُ غريباً مشهوراً) وغريباً متناً لا إسناداً بالنسبة إلى أحد طرفي الإسناد؛ فإنّ إسناده متّصفٌ بالغرابة في طرفه الأوّل، وبالشهرة في طرفه الآخرِ.

(وحديث: «إنّما الأعمال بالنيّات») من هذا الباب، فإنّه (غريبٌ في طرفه الأوّل) لأنّه ممّا تفرّد به من الصحابة عُمَرُ ـ وإن كان قد خَطَبَ به على المِنْبر فلم يُنْكَر عليه، فإنّ ذلك أعمُّ من كونهم سمعوه من غيره ـ ثمّ تفرّد به عنه عَلْقمةُ، ثمّ تفرّد به عن علقمة محمّدُ بن إبراهيم، ثمّ تفرّد به يحيى بنُ سعيد عن محمّد.

(مشهورٌ في) طرفه (الآخرِ) لتعدّد رُواته بعدَ مَنْ ذكرنا واشتهاره، حتّى قيل: إنّه رواه عن يحيى بن سعيد أكثرُ من مائتي نَفْسٍ. وحُكي عن أبي إسماعيل الهروي أنّه كتبه

١. حكاها عن أحمد بن حنبل ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٦١؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٥٣.

٢. أقول: عبّر الترمذي بهذا التعبير عن قيمة كثير من الأحاديث في سننه. (السيّد المددي)

من سبعمائة طريق عن يحيى بن سعيد[١ و٢].

وما ذكرناه من تفرّد الأربعة بهذا الحديث هو المشهور بين المحدّثين، ولكن ادّعى بعضُ المتأخِّرين: أنّه رُويَ أيضاً عن عليّ عليه السلام وأبي سعيد الخُدْري وأنس بلفظه، ومن حديث جمع من الصحابة بمعناه[٣]. وعلى هذا فيخرجُ عن حدّ الغرابة.

(ونظائرُهُ) في الأحاديث (كثيرةٌ) فإنّ كثيراً من الأحاديث ينفردُ به واحدٌ ثمّ تتعدّد رواتُه خصوصاً بعدَ الكُتب المصنّفة التي يُودع الحديثُ فيها، كما لا يخفى.

(وقد يُطلقُ على الغريب اسمُ الشاذّ) والمشهور المغايرة بينهما على ما ستعرفه في تعريف الشاذّ.

(وعاشرها: المُصَحَّفُ) وهذا فنٌّ جليلٌ إنّما ينهضُ بأعبائه الحُذّاقُ من العلماء.

(والتصحيفُ يكون في الراوي) كتصحيف «مُراجِم» ـ بالراء المهملة والجيم، أبو العوام ـ بـ«مُزاحِم» ـ بالزاي المعجمة والحاء ـ وتصحيف «حريز» بـ«جرير» و«بريد» بـ«يزيد» ونحو ذلك.

---

١. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤: حكى محمّد بن عليّ بن سعيد النقاش الحافظ أنّه رواه عن يحيى مائتان وخمسون نفساً، وسرد أسماء هم أبو القاسم بن منده فجاوز الثلاثمائة. وروى أبو موسى المديني عن بعض مشايخه مذاكرة عن الحافظ أبي إسماعيل الأنصاري الهروي قال: كتبته من حديث سبعمائة من أصحاب يحيى.

٢. أقول: قال ابن حجر في فتح الباري: وروى أبو موسى المديني عن بعض مشايخه مذاكرة عن الحافظ أبي إسماعيل الأنصارى الهروي قال: كتبته من حديث سبعمائة من أصحاب يحيى. ثمّ قال ابن حجر: قلت: وأنا أستبعد صحّة هذا، فقد تتبّعت طرقه من الروايات المشهورة والأجزاء المنثورة منذ طلبتُ الحديث، فما قدرت على تكميل المائة. (السيّد المددي)

٣. قال السيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٣٦: إنّ حديث النيّة لم ينفرد به عمر بل رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أبو سعيد الخدري، كما ذكره الدار قطني وغيره، بل ذكر أبو القاسم بن منده: أنّه رواه سبعة عشر آخر من الصحابة، عليّ بن أبي طالب و....

وقد صَحَّفَ العلّامةُ في كتب الرجال كثيراً من الأسماء، مَنْ أرادَ الوقوفَ عليها فليُطالع الخلاصة له، وإيضاح الاشتباه في أسماء الرواة، وينظر ما بينهما من الاختلاف[١]. وقد نبّه الشيخُ تقيّ الدين ابن داود على كثير من ذلك[٢].

(وفي المتن) كحديث: «مَنْ صامَ رمضان وأتبعه ستّاً من شوّال»[٣] صحّفه بعضُهم بالشين المعجمة، ورواه كذلك[٤]. (ومتعلّقهُ) أي التصحيفُ (إمّا البَصَرُ، أو السَمْع).

والأوّل ـ كما ذُكر من الأَمثلة ـ مَتْناً وإسناداً؛ لأنّ ذلك التصحيفَ إنّما يعرض للبَصر لتقارُب الحُروف لا للسمع، إذ لا يلتبسُ عليه مثلُ ذلك.

والثاني: تصحيفُ بعضهم «عاصم الأحْوَلَ» بـ«واصل الأحْدَب»؛ فإنّ ذلك لا يشتبه في الكتابة على البصر، وأشباه ذلك.

والتصحيفُ أيضاً يكون (في اللفظ) كما ذُكر.

(و) في (المعنى) كما حُكي عن أبي موسى محمّد بن المُثنّى العَنَزِي أنّه قال: «نحنُ قومٌ لنا شَرَفٌ، نحنُ من عَنَزَةَ صلّى إلينا رسولُ اللهﷺ» يُريد بذلك ما رُوي أنّهﷺ صلّى

---

١. في هامش المخطوطة: واعلم أنّه قد يكون هذا الاختلاف الذي وقع من العلّامة باعتبار جواز الأمرين في هذا الاسم، كاختلاف القراءة في القرآن، لا أن يكون هذا الاختلاف وقع من غير علم بجواز الوجه الآخر. فإن كان مراد المصنّف بجوازالاشتباه والاختلاف أعمّ مع العلم بجواز الوجه الآخر، أولا مع العلم فمسلّم، لكن ذلك لا يستلزم التصحيف. وإن كان مراده وقع الاختلاف من العلّامة لامع العلم، فهذا غير مسلّم؛ لأنّ التصحيف لا يكون إلّا مع عدم العلم. فتدبّر.

٢. تقيّ الدين الحسن بن عليّ بن داود الحلّي (قدّس سرّه) (٦٤٧ ـ ٧٤٠) وكتابه المسمّى ب ـ «رجال ابن داود» مطبوع في مطبعة جامعة طهران.

٣. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٨٢٢، ح ١١٦٤/٢٠٤؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣٢٤، ح ٢٤٣٣؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٤٧، ح ١٧١٦.

٤. قال الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٥٤... وأمّا في المتن: كحديث «من صام رمضان وتبعه ستّاً من شوّال» فصحّف أبو بكر الصولي فقال: «شيئاً» بالشين المعجمة.

إلى عَنَزةٍ، وهي حَرْبةٌ تُنْصبُ بين يديه سُتْرةً، فتوهَّمَ أنّهﷺ صلّى إلى قبيلتهم بني عَنَزة، وهو تصحيفٌ معنوي عجيبٌ[١].

(وحادي عشرها: العالي سَنَداً) وهو القليلُ الواسِطة معَ اتّصاله[٢].

(وطلبُه) أي طلب عُلُوّ الإسناد (سُنّةٌ) عند أكثرالسَلَف، وقد كانوا يَرْحَلُون إلى المشايخ في أقصى البلاد لأجل ذلك.

(فبِعُلوِّهِ) أي السند (يَبْعُدُ) الحديثُ (عن الخَلَل المتطرقِ إلى كلّ راوٍ) إذ ما من راوٍ من رجال الإسناد إلّا والخطأ جائزٌ عليه، فكلّما كَثُرتْ الوسائِطُ وطالَ السندُ كَثُرتْ مظانُّ التجويز، وكلّما قَلَّتْ قَلَّتْ.

ولكن قد يتّفقُ في النُزول مزيّةٌ ليستْ في العُلُوّ، كأنْ يكونَ رواتُه أوثقَ أو أحْفَظَ أو أضْبَطَ، أو الاتّصالَ فيه أظْهَرَ؛ للتصريح فيه باللقاء واشتمال العالي على ما يحتمله وعدمه؛ كـ«عن فلان» فيكون النزولُ حينئذٍ أولى.

ومنهم مَنْ رجّحَ النزولَ مطلقاً؛ استناداً إلى أنّ كثرةَ البحث يقتضي المشقّةَ، فيعظمُ الأجْرُ[٣]. وذلك ترجيحٌ بأمرٍ أجنبي عمّا يتعلّق بالتصحيح والتضعيف.

(و) العُلُوّ أقسامٌ، (أعلاهُ) وأشرفُه (قُرْبُ الإسناد من المعصوم)[٤] بالنسبة إلى

---

١. لاحظ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٥٤ ـ ٥٥.

٢. أقول: من قبيل ثلاثيات الكليني، فإنّه يروي روايات بهذا الإسناد: عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله ﷺ، مع العلم بأنّ الكليني توفّي بعد الإمام الصادق ﷺ بمائة وثمانين عاماً.
ثمّ إنّ جماعة من أصحابنا دوّنوا الأحاديث العالية، أشهرهم: الثقة الجليل عبدالله بن جعفر الحميرى، له كتاب قرب الإسناد، وهو مطبوع. (السيّد المددي)

٣. قال ابن الصلاح في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٦٠: وحكى ابن خلّاد عن بعض أهل النظر أنّه قال: التنزّل في الإسناد أفضل؛ واحتجّ له بما معناه: أنّه يجب الاجتهاد والنظر في تعديل كلّ راوٍ وتخريجه، فكلّما ازدادوا كان الاجتهاد أكثر، وكان الأجر أكثر.

٤. أقول: ويكثر ذلك في سلسلة إجازات العلماء وطرقهم إلى مصنّفات الأصحاب وكتبهم، كما يظهر من مراجعة إجازات البحار و مستدرك الوسائل. (السيّد المددي)

سَنَدٍ آخرَ يُروى بِهِ ذلك الحديثُ بعينه بعددٍ كثير، وهو العلوّ المُطْلَقُ. فإنْ اتّفقَ مع ذلك أنْ يكونَ سندُه صحيحاً ولم يُرجّحْ غيرهُ عليه بما تقدّم، فهو الغايةُ القُصوى.

وإلّا، فصورةُ العلُوّ فيه موجودةٌ مالم يكن موضوعاً، فيكون كالمعدوم.

(ثمّ) بعدَ هذه المرتبة في العُلُوّ قُرْبُ الإسناد المذكور (من أحد أئمّة الحديث) كالشيخ والصدوق والكليني والحُسين بن سعيد، وأشكالهم.

(ثمّ) بعده (بِتَقَدُّمِ زمانِ سماع أحدهما) أي أحد الراويين في الإسنادين (على) زمان سماع (الآخَر، وإنْ اتّفقا في العَدد) الواقع في الإسناد (أو) في (عَدَم الواسِطة) بأنْ كانا قد رَويا عن واحدٍ في زمانين مُختلفين (فأوّلُهما) سماعاً (أعلى) من الآخَر؛ لِقُرْب زمانه من المعصوم بالنسبة إلى الآخَر.

والعُلُوّ بهذين المعنيين يُعبّر عنه بالعُلُوّ النِسبي، وشَرَفُ اعتباره قليلٌ، خُصوصاً الأخير، لكن قد اعتبرهُ جماعةٌ من أئمّة الحديث، فذكرناه لذلك.

وزاد بعضُهم للعُلُوّ معنىً رابعاً وهو تَقَدُّمُ وفاة الراوي[١]، فإنّه أعلى من إسناد آخَر يُساويه في العدد مع تأخُّر وفاة مَنْ هو في طبقته عنه. مثاله: ما نرويه بإسنادنا إلى شيخنا الشهيد، عن السيّد عميد الدين، عن العلّامة جمال الدين ابن المطهّر؛ فإنّه أعلى ممّا نرويه عن الشهيد، عن فخر الدين ابن المطهّر، عن والده جمال الدين وإنْ تساوى الإسنادان في العدد، لتقدّمِ وفاة السيّد عميد الدين على وفاة فخر الدين بنحو خمس عشرة سنة.

والكلام في هذا العلوّ كالذي قبله، وأضعف.

١. هو ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٥٩.

(وثاني عشرها: الشاذّ، وهو ماروواه) الراوي (الثقةُ مخالِفاً لما رواه الجمهورُ) أي الأكثر[١].

سُمّي شاذّاً باعتبار ما قابله، فإنّه مشهورٌ، ويقالُ للطَرَف الراجِح: المحفوظُ.

(ثمّ إنْ كانَ المخالِفُ له) الراجِحُ (أحفظ أو أضْبَطَ أو أعدلَ) من راوي الشاذ (فشاذٌّ مردودٌ) لشُذوذه ومرجُوحِيّته بفَقْد أحد الأوصاف الثلاثة.

(وإنْ انعكسَ) فكانَ الراوي للشاذّ أحفظَ للحديث، أو أضبط له، أو أعدل من غيره من رواة مُقابله (فلا) يُردّ؛ لأنّ في كلٍّ منهما صفةٌ راجحةٌ وصفةٌ مرجوحةٌ فيتعارضان، فلا ترجيحَ.

(وكذا إنْ كانَ) المخالفُ أي راوي الشاذّ (مثلَه) أي مثلَ الآخَر في الحفظ والضبط والعدالة فلا يُردّ؛ لأنّ مامعه من الثقة يُوجبُ قبولَه، ولا رُجحان للآخَر عليه من تلك الجهة.

(ومنهم: مَنْ ردّه مطلقاً)[٢] نظراً إلى شُذوذه، وقوّة الظنّ بصحّة جانب المشهور.

(ومنهم: مَنْ قَبِلَه مطلقاً)[٣] نظراً إلى كون راويه ثقةً في الجملة.

(ولو كان) راوي الشاذّ (المخالِفِ) لغيره (غيرَ ثِقةٍ، فحديثُه مُنْكَرٌ مردودٌ) لجمعه بين الشُذوذ وعدم الثقة، ويُقال لمقابله: المعروفُ.

---

١. أقول: مثاله: ما رواه الشيخ في التهذيب و الاستبصار بأسانيد متعدّدة بعضها صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن رجل كان في أرض باردة، فتخوّف إن هو اغتسل أن يصيبه عنت من الغسل، كيف يصنع؟ قال: يغتسل، وإن أصابه، إلى آخر الحديث؛ كما في جامع أحاديث الشيعة، ج ٣، ص ٥٠ ـ ٥١. فإنّه مع صحّة سنده وكثرة طرقه أعرض عنه الجمهور ولم يفتوا بمضمونه. (السيّد المددي)

٢. حكاه ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٦١ ـ ٦٢ عن الحافظ أبو يعلى الخليلي القزويني.

٣. حكاه ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٦٢ عن الحاكم النيسابوري.

(ومنهم: مَنْ جعلهما) أي الشاذَّ والمنكَر (مُترادِفَينِ) [١] بمعنى الشاذّ المذكور. وما ذكرناه من الفرق أضبطُ.

(وثالث عشرها: المُسَلْسَل [٢]، وهو ما تتابَعَ فيه رجالُ الإسناد على صِفَةٍ) كالتشبيك بالأصابع، (أو حالةٍ) كالقيام (في الراوي) للحديث، سواء كانت تلك الصفةُ أو [٣] الحالة (قولاً، كقوله: «سمعت فلاناً يقولُ: سمعت فلاناً يقول» إلى المنتهى) أي منتهى الإسناد، (أو: «أخبرنا فلانٌ والله، قال: أخبرنا فلان والله» إلى آخر) الإسناد، وكالمسلسل بقراءة سورة الصفّ.

(أو فعلاً، كحديث التشبيك باليد، والقيام) حالة الرواية (والاتّكاء) حالَته (والعدّ باليد) في حديث تعليم الصلاة على النبيّ ﷺ [٤].

(أو بهما) أي بالقول والفعل (كالمسلسل بالمصافحة) فإنّه يتضمّن الوصفَ بالقول في قول كلّ واحد: «صافحني بالكفّ التي صافحت بها فلاناً» وقوله: «فما مسست خَزّاً ولا حَريراً ألْيَنَ من كفّه» والفعل، وهو نفسُ المصافحة من كلّ واحدٍ من رجال الإسناد.

(و) المسلسل (بالتلقيم) فإنّه يتضمّن الوصف بالقول، كقول كلّ واحد: «لقّمني فلان بيده لُقمة لُقمة» والفعل، وهو التلقيم.

---

١. كابن الصلاح في مقدّمته، ص ٦٤.

٢. قال السيوطي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٨٨: وقد جمعت فيما وقع في سماعاتي من المسلسلات بأسانيدها. وعلّق عليه بأنّ للسيوطي: المسلسلات الكبرى. وهي خمسة وثمانون حديثاً. وله أيضاً: جياد المسلسلات.

٣. في هامش المخطوطة: الظاهر أنّ لفظة «أو» لمنع الخلوّ لالمنع الجمع، أو المنفصلة الحقيقيّة.

٤. ذكر الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث، ص ٢٩ ـ ٣٤ أنواعاً من المسلسل، منها حديث التشبيك، والقيام، والعدّ باليد؛ وروى السيوطي حديث التشبيك في الحاوي للفتاوي، ج ٢، ص ١٥٣؛ وللمزيد راجع تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

ومثله المسلسل بـ«قرّبَ إليَّ جُبناً وجَوْزاً».

والمسلسل بـ«أطعمني وسقاني».

والمسلسل بـ«الضيافة على الأسودين: التمر والماء».

(أو) حالةً (في الرواية كـ) الحديث (المُسلسل باتّفاق أسماء الرواة) كالمسلسل بالمحمّدين والأحمدين (وأسماء آبائهم أو كُناهم أو أنسابهم أو بُلدانهم) وتسلسلُ هذه المذكورات وقعَ في جميع الإسناد.

(وقد يقعُ التسلسلُ في مُعظم الإسناد) دونَ جميعه (كالمُسلسل بالأوّليّة) وهو أوّلُ ما يسمعه كلّ واحدٍ منهم من شيخه من الأحاديث، فإنّ تسلسلَه بهذا الوصف ينتهي إلى سُفيان بن عُيَيْنة فقط، وانقطع في سماعه من عَمْرو، وفي سماعه من أبي قابوس، وفي سماعه من عبد الله، وفي سماعه من النبيّ ﷺ، ومَنْ رواه مُسلسلاً إلى مُنتهاه فقد وَهمَ[١].

(وهذا الوصفُ) وهو التسلسلُ ليس له مَدخَلٌ في قبول الحديث وعدمه، وإنّما هو فنّ (من فُنون الرواية، وضُروب المحافظة عليها) والاهتمام بها (وفضيلتُه: اشتمالُه على مزيد الضَبْط) والحِرْص على أداء الحديث بالحالة التي اتّفق بها من النبيّ ﷺ.

(وأفضلهُ ما دَلَّ على اتّصال السماع) لأنّه أعلى مراتب الرواية على ما سيجيءُ.

(وقلّما تَسْلَمُ المسلسلاتُ عن ضَعْفٍ في الوَصْف) بالتسلسل، فقد طعنَ في وَصْفِ كثيرٍ منها لا في أصْل المَتْن.

(ومنه) أي من الحديث المُسلسل (ما ينقطع تسلسُله في وسط إسناده، كالمُسلسل

---

١. أقول: رواه السيوطي في بُغية الوعاة، ج ٢، ص ٣٩٦: حدّثنا شيخنا الإمام نحوي العصر تقيّ الدين أحمد بن محمّد الشمّني من لفظه وهو أوّل حديث سمعته منه، حدّثنا الشيخ الفقيه النحوي ناصرالدين سليمان بن عبدالناصر الأبشيطي وهو أوّل حديث سمعته منه... إلى أن يقول: حدّثنا سفيان بن عيينة وهو أوّل حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص، عن عبدالله بن عمرو العاص أنّ رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء...» ؛ ثمّ عقّب عليه السيوطي بقوله: حديث صحيح مسلسل بالأوّليّة. (السيّد المددي)

بالأوّليّة على الصحيح) عندَ الناقِدين، وإنْ كانَ المشهورُ بينَهم خلافَهُ[١].

(ورابع عشرها: المَزيدُ) على غيره من الأحاديث المرويّة في مَعْناهُ.

(والزيادة تقع في المَتْن) بأنْ يرويَ فيه كلمةً زائدة تتضمّنُ معنىً لا يُستفاد من غيره[٢].

(و) في (الإسناد)[٣] كأنْ يرويه بعضُهم بإسنادٍ مشتملٍ على ثلاثة رجالٍ مُعيّنينَ مثلاً، فيرويه المزيدُ بأربعة، يتخلّلُ بينَ الثلاثة.

(والأوّلُ) وهو المزيدُ في المتن (مَقْبولٌ) إذا وقعت الزيادةُ (من الثقة) لأنّ ذلك لا يزيدُ على إيراد حديثٍ مستقلٍ (حيثُ لا يقع المزيدُ منافياً لما رواه غيره من الثِقات، ولو) كانت المنافاةُ (في العموم والخصوص) بأن يكونَ المرويُّ بغير زيادة عامّاً بدونها، فيصير بها خاصّاً، أو بالعكس، فيكون المزيدُ حينئذٍ كالشاذّ، وقد تقدّم حكمه.

مثاله حديث: «وجُعِلَتْ لنا الأرضُ مَسْجِداً وتُرابها طَهُوراً»[٤] فهذه الزيادةُ تفرّد بها بعضُ الرواة[٥]، وروايةُ الأكثر لفظُها: «جُعِلَتْ لنا مَسْجِداً وطَهُوراً»[٦].

---

١. للمزيد راجع تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٨٩؛ وفتح المغيث، السخاوي، ج ٣، ص ٥٤.

٢. أقول:كحديث أمّ عطية الماشطة، فإنّ ابن أبي عمير رواه مرسلاً عن أبي عبدالله وفي ذيله: «ولا تَصِلي الشعر بالشعر». ورواه محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله ﷺ، وليس فيه هذا الذيل، ينظر وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٩٢ـ ٩٤. (السيّد المددي)

٣. أقول:مثاله ما رواه الكليني في الكافي، ج ٤، ص ٣٠٦ بإسناده عن أيّوب، عن بريد العجلي؛ و رواه الشيخ في تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤١٤ بإسناده عن أيّوب، عن حريز، عن بريد العجلي... فزاد في السند حريزاً؛ وأمثال ذلك كثير في روايات حريز وابن أبي عمير والبرقي وغيرهم. (السيّد المددي)

٤. صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٧١، ح ٥٢٢ بتفاوت يسير في الحديث.

٥. قال الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٥٧: فهذه الزيادة تفرّد بها أبو مالك سعد بن طارق الأشجعي.

٦. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٢٨، ح ٣٢٨؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٧١، ح ٥٢٣/٥ بتفاوت يسير في المصدرين.

فما رواه الجماعة عامٌّ؛ لتناوله لأصناف الأرض منَ الحَجَر، والرَمْل، والتُراب. وما رواه المتفرّدُ بالزيادة مخصوصٌ بالتُراب. وذلك نوعٌ من المخالفة يختلفُ به الحكمُ.

(والثاني) وهو المزيدُ في الإسناد (كما إذا أسندهُ وأرسلوه، أو وصله وقطعوه، أو رفعه) إلى المعصوم (ووقفوه) على مَنْ دونَه، ونحو ذلك. (وهو مقبولٌ كـالأوّل) غـير المنافي (لعدم المُنافاة) إذْ يجوزُ اطّلاعُ المُسْنِدِ والمُوصِل والرافع على مالم يطّلع عليه غيرهُ، أو تحريرهُ لِما لم يُحرّروه. وبالجملة، فهو كالزيادة غير المُنافية، فَيقبلُ.

(وقيل: الإرسال نوعُ قدحٍ) في الحديث، بِناءً على ردّ المُـرْسَل (فـيرجَّـح) عـلى الموصول (كما يقدّم الجرحُ على التعديل) عندَ تعارُضهما[1].

(وفيه) أي في هذا الدليل (مَنْعُ الملازمة) بين تقديم الجرح على التعديل، وتقديم الإرسال على الوَصْل (معَ وُجود الفارِقِ) بينَهما (فإنّ الجرحَ) إنّما (قُدِّمَ) على التعديل (بِسَبب زيادةِ العِلم) من الجارح على المعدِّل؛ لأنّه بُنيَ على الظاهر، واطّلع الجـارحُ على مالم يطّلع عليه المُعدِّلُ.

(وهي) أي زيادة العلم التي أَوجبتْ تقديمَ الجارِح (هُنا) أي في صـورة تـعارُض الإرسال والوَصْل (مع مَنْ وَصَلَ) لامَعَ مَنْ أرسَلَ؛ لأنّ مَنْ وَصَلَ اطّلعَ على أنَّ الراويَ للحديثِ فلانٌ عن فلان... إلى آخره. ومَنْ أرسَلَ لم يطّلع على ذلك كلّه. فَترَكَ بعضَ السَنَد لجهله به، وذلك يقتضي ترجيحَ مَنْ وَصَلَ على مَنْ أرسَلَ، كما يُقدَّمُ الجارحُ على المُعدِّلِ بِقَلْب الدليلِ.

(وخامسُ عشرها: المُخْتَلِفُ) وَصَفَهُ بالاختلاف نظراً إلى صِنفه لا إلى شخصه؛ فإنّ الحديثَ الواحد نفسَه ليس بمختِلف، إنّما هومخالِفٌ لغيره ممّا قد أدّى معناه، كما ينبّه

---

١. لاحظ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٥٨.

عليه قوله: (وهو أنْ يُوجَدَ حديثانِ متضادّانِ في المعنى ظاهراً).

قيّد به؛ لأنّ الاختلافَ قد يُمكن معه الجمعُ بينَهما، فيكون الاختلافُ ظاهراً خاصّةً، وقد لا يُمكن، فيكونُ ظاهراً وباطناً، وعلى التقديرين فالاختلافُ ظاهراً متحقّقٌ.

(وحكمُه) أي حكم الحديث المختِلف: (الجمعُ بينَهما حيثُ يُمكن) الجمعُ (ولو بوجهٍ بعيدٍ) يُوجب تخصيصَ العامّ منهما، أو تقييد مطلَقه، أو حملهُ على خلاف ظاهره.

(كحديث: «لا عَدْوَى»[١]. وحديث: «لا يورِدُ») بكسرالراء (مُمْرِضٌ) بإسكان الميم الثانية وكسر الراء (على مُصِحّ)[٢] بكسر الصاد. ومفعول «يورد» محذوف، أي لا يوردُ إبلَه المِراضَ.

فـ«المُمْرِض» صاحبُ الإبل [المِراض] من أمْرَضَ الرجلُ إذا وقعَ في ماله المرضُ. «والمُصِحُّ» صاحبَ الإبل الصحاح.

وظاهر الخبرين الاختلاف؛ من حيثُ دلالة الأوّل على نفي العدوى، والثاني على إثباتها.

ووجهُ الجمع (بحمل الأوّل على) أنّ العدوى المنفيّة عدوى (الطَبْعِ) بمعنى كون المريض يُعْدِي بطبعه، لابفعل الله تعالى، وهو (الذي يعتقدُه الجاهلُ) ولذا قال النبيّ ﷺ: «فمن أعدى الأوّل»[٣].

(والثاني على) الإعلام بأنّ الله تعالى جعل ذلك سبباً لذلك، وحذّر من الضرر الذي يغلبُ وجوده عند وجوده مَعَ (أنّ المؤثّر هو الله تعالى).

---

١. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٦١، ح ٥٣٨٧ وص ٢١٧٧، ح ٥٤٣٧؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣، ح ١٠١/٢٢٢٠. والحديث بلفظ البخاري هكذا: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا صَفَرَ ولا هـامَةَ»، فـقال أعرابي يا رسول الله، فما بالُ إبلي، تكون في الرسل كأنّها الظباء، فيأتي البعيرُ الأجرب فيدخل بينها فيُجرِبُها؟ فقال: «فَمَن أعدى الأوّل».

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٧٧، ح ٥٤٣٧؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٤٣ ـ ١٧٤٤، ح ١٠٤/٢٢٢١.

٣. تقدّم لفظ الحديث.

ومثلُه قولُهﷺ: «فِرَّ من المجذوم فِرارك من الأسَد»[١] ونهيُه عن دخول بَلَدٍ يكونُ فيه الوباء[٢]، ونحو ذلك.

(وإلّا) يمكنُ الجمعُ بينَهما، فإنْ عَلِمنا أنّ أحدَهما ناسخٌ قدّمناه، وإلّا (رُجِّحَ أحدُهما بمرجِّحه المقرّر في) علم (الأُصُول) من صفة الراوي والرواية والكثرة، وغيرها.

(وهو أهمّ فُنون علم الحديث) لأنّه يَضْطرّ إليه جميعُ طوائف العلماء خصوصاً الفقهاءُ (ولا يملكُ القيامَ به إلّا المحقّقون من أهل البصائر) الغوّاصون على المعاني والبيان (المتضلّعون) أي المُكثِرون بقوّة (من الفقه والأُصول) الفقهيّة.

(وقد صنّف فيه الناسُ) كثيراً، وأوّلُهم الشافعي[٣]، ثمّ ابن قُتيبة[٤]، ومن أصحابنا، الشيخ أبو جعفر الطوسي كتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. (وجمعوا) بينَ الأحاديث (على حَسَب ما فهموه) منه (وقلّما يتّفق) فهمان على جمعٍ واحدٍ.

ومن أرادَ الوقوفَ على جليّة الحال فليُطالع المسائل الفقهيّة الخلافيّة التي وردَ فيها أخبار مختِلفة يطّلع على ما ذكرناه.

(وسادس عشرها: الناسِخُ والمنسوخ) فإنّ من الأحاديث ما ينسخُ بعضُها بعضاً، كالقرآن.

(والأوّل) وهو الناسِخ: (ما) أي حديثٌ (دلّ على رَفْع حكمٍ شرعي سابقٍ).

---

١. الفقيه، ج ٣، ص ٣٦٣، ح ١٧٢٧؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٥٨ ـ ٢١٥٩، ح ٥٣٨٠؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ١٩٠، ح ٩٤٢٩.

٢. مسند أحمد، ج ١، ص ٤٠٧، ح ١٦٦٦: «إذا كان الوباءُ بأرضٍ ولستَ بها فلا تَدخلها، وإذا كان بأرضٍ وأنت بها فلا تخرج منها».

٣. هو مختلف الحديث للإمام الشافعي طبع حاشيةً على كتابه الأمّ.

٤. هو تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

والحديث المدلول عليه بـ«ما» بمنزلة الجنس يشمل الناسِخَ وغيره، ومع ذلك خرجَ به ناسخُ القرآن.

و«الحكم المرفوع» شامل للوجودي والعدمي.

وخرجَ بـ«الشرعي» الذي هو صفةُ الحكمِ، الشرعُ المبتدأُ بالحديث؛ فإنّه يُرفع به الإباحة[1] الأصليّة لكن يُسمّى شرعيّاً.

وخرج بـ«السابق» الاستثناء، والصفة، والشرط، والغاية الواقعة في الحديث؛ فإنّها قدترفع حكماً شرعيّاً لكن ليس سابقاً.

(والثاني) وهو المنسوخُ: (ما رُفِعَ حكمُه الشرعي بدليل شرعي متأخّرٍ عنه) وقيودهُ تُعلَم بالمقايسة على الأوّل.

وهذا فنٌّ صَعْبٌ مهمّ، حتّى أدخلَ بعضُ أهل الحديث فيه ما ليس منه لخفاء معناهُ.

(وطريقُ معرفته النصُّ) من النبيّ ﷺ مثل: «كُنْتُ نهيتُكم عن زيارة القُبور، فُزوروها»[2].

(أو نقل الصحابي) مثل: «كانَ آخرُ الأمرين من رسول الله ﷺ تركَ الوضوءِ ممّا مسّت النار»[3].

(أو التاريخُ) فإنّ المتأخّر منهما يكون ناسخاً للمتقدّم؛ لما رُوي عن الصحابة: كُنّا نعملُ بالأحدث فالأحدث[4].

---

١. في هامش المخطوطة: لأنّ دليل الإباحة على القول بها عقلي، وهوعدم تضرّر المالك ـ وهو الله تعالى ـ به، وعدم حاجته إليه كما يباح الاستظلال بحائط الغير عقلاً كماهو مقرّر في الأُصول. (منه).

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧٢، ح ٩٧٧/١٠٧؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٠١، ح ١٥٧١؛ الجامع الصحيح، ج ٣، ص ٣٧٠، ح ١٠٥٤؛ سنن أبي داود، ج ٣، ص ٢١٨، ح ٣٢٣٥.

٣. سنن أبي داود، ج ١، ص ٤٩، ح ١٩٢؛ الجامع الصحيح، ج ١، ص ١١٩ ـ ١٢٠، ح ٨٠؛ سنن النسائي، ج ١، ص ١٠٨ باب ترك الوضوء ممّا غيّرت النار.

٤. في الفقيه والمتفقّه، الخطيب البغدادي، ج ١، ص ١٢٨ عن الزهري: يقول: يؤخذ بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ.

(أو الإجماع) كحديث: «قتل شارب الخمر في المرّة الرابعة»[١] نسخَه الإجماعُ على خلافه حيث لا يتخلّل الحدُّ.

والإجماعُ لا ينسخُ بنفسه، وإنّما يدلُّ على النَسخ.

(وسابع عشرها: الغريبُ لَفْظاً) احترز به عن الغريب المطلق، مَتْناً أو إسناداً، وقد تقدّم.

(وهو ماشتمل متنُه على لفظٍ غامِضٍ بعيدٍ عن الفهم؛ لقلّة استعماله) في الشائع من اللغة.

(وهو فَنٌّ مهمّ) من علوم الحديث (يجبُ أن يُتَثَبَّتَ فيه أشدَّ تثبُّتٍ) لانتشار اللغة، وكثرة معاني الألفاظ الغريبة، فربمّا ظهرَ معنىً مناسبٌ للمراد، والمقصودُ غيرهُ ممّا لم يَصِلْ إليه.

(وقد صنّف فيه جماعة من العلماء) قيل: أوّل من صَنَّفَ فيه النَضْر بن شُميْل[٢]. وقيل: أبو عُبَيْدَة مَعْمَربن المثنّى[٣]. وبَعدَهُما أبو عبَيْد القاسمُ بن سَلام ثمّ ابنُ قُتيبة ثمّ الخَطّابي. فهذه أُمّهاته. ثمّ تبعهم غيرُهم بزوائد وفوائد،كابن الأثير؛ فإنّه بلغَ بنهايته النهايةَ، ثمّ الزمخشري؛ ففاق في الفائق كلَّ غاية[٤]، والهروي؛ فزاد في غَريبيه غريبَ القرآن مع الحديث، وغير من ذُكِرَ من العُلماء (شَكَرَ الله تعالى سعيَهم).

(وثامن عشرها: المقبولُ، وهو ما) أي الحديث الذي (تلقّوْه بالقَبُول، والعملِ بالمضمون) «اللامُ» عوضٌ عن المضاف إليه؛ أي مضمونه (من غير التفات إلى صحّته

١. سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٦٤ ـ ١٦٥، ح ٤٤٨٢ ـ ٤٤٨٥؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٨٥٩، ح ٢٥٧٢ ـ ٢٥٧٣؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٤٨، ح ١٤٤٤.

٢. القائل هو الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث، ص ٨٨.

٣. نسبه إلى القيل أيضاً ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٥.

٤. لاحظ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٦٢؛ وللمزيد راجع تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٨٥.

وعدمها) وبهذا الاعتبار دَخلَ هذا النوعُ في القسم المشترك بين الصحيح وغيره.

ويمكنُ جعلُه من أنواع الضعيف؛ لأنّ الصحيحَ مقبولٌ مطلقاً إلّا لعارضٍ، بخلاف الضعيف؛ فإنّ منه المقبول وغيره.

وممّا يرجِّحُ دخولَه في القسم الأوّل، أنّه يشملُ الحَسَن والموثَّقَ، عندَ مَنْ لا يعملُ بهما مطلقاً؛ فقديعملُ بالمقبول منهما ـ حيثُ يعملُ بالمقبول من الضعيف ـ بطريق أولى، فيكون حينئذٍ من القسم العامّ، وإن لم يشمل الصحيح؛ إذ ليس ثَمَّ قسمٌ ثالِثٌ.

والمقبول (كحديث عُمَر بن حَنْظلة في حال المُتخاصِمين) من أصحابنا، وأمرهما بالرجوع إلى رجلٍ منهم قد روى حديثَهم، وعرفَ أحكامَهم...[١] إلى آخره.

وإنّما وَسَمُوه بالمقبول؛ لأنّ في طريقه محمّد بن عيسى، وداود بن الحصين، وهما ضعيفان[٢]. وعُمَر بن حَنْظلة لم ينصَّ الأصحابُ فيه بجرحٍ ولا تعديلٍ، لكن أمره عندي سَهْلٌ؛ لأنّي حَقّقتُ توثيقَه من محلٍّ آخر، وإنْ كانوا قد أهملوه[٣].

ومعَ ما ترى في هذا الإسناد قد قَبِلَ الأصحابُ متنَه، وعملوا بمضمونه، بل جعلوه

---

١. الكـافي، ج ١، ص ٦٧، بـاب اختلاف الحـديث، ح ١٠؛ الفـقيه، ج ٣،ص ٥، ح ١٨؛ تـهذيب الأحكـام، ج ٦، ص ٣٠١، ح ٨٤٥.

٢. أقـول:هو أيضاً ثقة، وتضعيفه يرجع إلى مذهبه، لأنّه واقفي، على ما قاله الشيخ (رحمه الله)؛ وإن قيل: لم يثبت وقفه. هو محمّد بن عيسى اليقطيني، ثقةٌ جليل القدر، وتوهم تضعيفه، من كلام ابن الوليد، وليس كذلك، يراجع المعاجم الرجالية. (السيّد المددي)

٣. أقول:قال ابن المؤلّف في منتقى الجُمان، ج ١، ص ١٧ ـ ١٨: ومن عجيب ما اتّفق لوالدي (رحمه الله) في هـذا الباب أنّه قال في شرح بداية الدراية: أنّ عمر بن حنظلة لم ينصّ الأصحاب عـليه بـتعديل ولاجـرح، ولكـنّه حقّق توثيقه من محلّ آخر؛ ووجدتُ بخطّه (رحمه الله) في بعض مفردات فـوائـده، مـا صـورته: «عـمر بـن حنظلة غيرمذكور بجرح ولا تعديل، ولكن الأقوى عندي أنّه ثقةٌ لقـول الصـادق عليه السلام فـي حـديث الوقت: اذاً لا يكذب علينا».

والحال أنّ الحديث الذي أشار إليه ضعيف الطريق، فتعلّقه به في هذا الحكم مع ما عُلِمَ من انفراده بـه ضـعيف؛ ولولا الوقوف على الكلام الأخير، لم يختلج في الخاطر أنّ الاعتماد في ذلك عـلى هـذه الحـجّة ... . انـتهى. (السيّد المددي)

عُمدةَ التفقّه، واستنبطوا منه شرائِطَه كلّها، وسمّوه مقبولاً. ومثلُه في تضاعيف أحاديث الفقه كثير.

[مايختصّ بالحديث الضعيف]

[و] (القسم الثاني[١]: مايختصّ) من الأوصاف (ب) الحديث (الضعيف، وهو أُمور:

الأوّل: الموقوفُ، وهو) قِسمان: مُطلق، ومُقيّد.

فإنْ أُخِذَ مُطلقاً فهو: (ما رُوِيَ عن مُصاحب المعصوم) من نبيّ أو إمامٍ (من قول أو فعل) أو غيرهما (متّصلاً كان) مَعَ ذلك سندُه (أو منقطعاً.

وقد يُطلق في غير المُصاحب) للمعصوم (مقيّداً) وهذا هو القسمُ الثاني منه (مثلُ: «وَقَفَه فلانٌ على فلان») إذا كان الموقوفُ عليه غيرَ مُصاحب.

(وقد يُطلق على الموقوف «الأثَرُ» إنْ كانَ الموقوفُ عليه صحابيّاً للنبيّ ﷺ، و) يُطلق (على المرفوع «الخبرُ») والمفصِّلُ كذلك بعضُ الفقهاء، وأمّا أهلُ الحديث فيُطلِقونَ «الأثَر» عليهما[٢]، ويجعلون الأثر أعمَّ منه مُطلقاً، وقد تقدّم.

(ومنه) أي من الموقوف: (تفسير الصحابي) لآيات القرآن، عملاً بالأصل، ولجواز التفسير للعالم بطريقه من نفسه، فلايكون ذلك قادحاً.

وقيل: هو مرفوع، عملاً بالظاهر؛ من كونه شَهِدَ الوحَي والتنزيل[٣].

وفيه: أنّه أعمُّ، فلا يدلّ على الخاصّ.

---

١. عطف على قوله: «فمن القسم الأوّل». تقدّم في ص ٦٠.

٢. قال النووي في التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ١، ص ١٨٤: وعند فقهاء خراسان تسمية الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر. وعند المحدّثين كلّ هذا يسمّى أثراً.

٣. حكاه عن الحاكم في المستدرك السيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

وفصّل ثالثٌ: إذْ قيّد قولَ الرافِع مُطلقاً بتفسير يتعلّق بسبب نُـزول آيـةٍ يُـخْبِرُ بـه الصحابي، أو نحو ذلك، فيكون مرفوعاً، وإلّا فلا. كقول جابر: كانت اليهودُ تقول: مَنْ أتى امرأته من دُبرها في قُبلها جاءَ الولدُ أحولَ، فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُم حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[١] فيكون مثلُ هذا مرفوعاً[٢].

وما لا يشتملُ على إضافة شيءٍ إلى رسول اللهﷺ فمعدودٌ في الموقوفات.

(وقولُه) أي قول الصحابي: (كُنّا نفعلُ كذا) أو نـقولُ كـذا، ونـحوه (إنْ أطـلقه فلم يقيّده بزمان (أو) قـيّده ولكـن (لم يُـضفه إلى زمـنهﷺ) فـموقوفٌ؛ لأنّ ذلك لا يستلزمُ اطّلاع النبيّﷺ عـليه ولا أمـرَه بـه، بـل هـو أعـمُّ، فـلا يكـون مـرفوعاً، على الأصحّ.

وفيه قولٌ نادرٌ أنّه مرفوعٌ[٣].

وإلّا يكن كذلك، بل أضافَه إلى زمنهﷺ فإنْ بيّنَ اطّلاعَهﷺ عليه ولم يُنكره، فـهو مرفوعٌ إجماعاً.

(وإلّا فوجهان) للمحدّثين والأُصوليّين (من حيثُ إنّ الظاهر كونُهﷺ قد اطّلع عليه، وقرّره) فيكونُ مرفوعاً، بل ظاهرُ كونُ جميع الصحابة كانوا يفعلون؛ لأنّ الصحابي إنّما ذكر هذا اللفظَ في معرض الاحتجاج، وإنّما يصحّ الاحتجاجُ إذا كانَ فِعْلَ جميعهم؛ لأنّ فعلَ البعضِ لا يكونُ حُجّةً. وهذا هوأصحّ القولين للأُصوليّين وغيرهم.

قيل عليه: لو كانَ فعلَ جميع الصحابة لما ساغَ الخلافُ بالاجتهاد؛ لامتناع مُخالفة

---

١. صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٥٨، ح ١٤٣٥؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٤٩، ح ٢١٦٣؛ الجـامع الصـحيح، ج ٥، ص ٢١٥، ح ٢٩٧٨؛ والآية في البقرة (٢): ٢٢٢.

٢. كالنووي في التقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ١، ص ١٩٢ ـ ١٩٣؛ والطيبي في الخـلاصة فـي أُصول الحديث، ص ٦٤.

٣. حكاه السيوطي عن الحاكم والرازي والآمدي في تدريب الراوي، ج ١، ص ١٨٥؛ وانظر الخلاصة فـي أُصـول الحديث، ص ٦٤.

الإجماع، لكنّه ساغَ، فلايكونُ فعلَ جميع الصحابة.

وأُجيب: بأنّ طريق ثُبوت الإجماع ظنّي؛ لأنّه منقولٌ بطريق الآحاد، فيجوزُ مخالفته.

وهذا مبنيّ على جواز الإجماع في زمنهﷺ، وفيه خلافٌ، وإنْ كان الحقُّ جوازَه.

(وكيف كان) الموقوفُ (فليس بحجّةٍ وإنْ صحَّ سندُه، على الأصحّ) ؛ لأنّ مرجعَه إلى قول مَنْ وُقِفَ عليه، وقولهُ ليس بِحجّةٍ.

وقيل: هو حُجّةٌ مطلقاً[1]. وضعفُه ظاهر.

(الثاني: المقطوعُ، وهو ما جاءَ عن التابعين، ومَنْ في حكمهم) وهو تابعُ مُصاحب الإمام أيضاً؛ فإنّه في معنى التابعي لصاحب النبيّﷺ عندنا (من أقوالهم) أي أقوال التابعين (وأفعالهم موقوفاً عليهم، ويُقال له: «المنقطع» أيضاً).

وهو مغايرٌ للموقوف بالمعنى الأوّل؛ لأنّ ذلك يُوقَف على مُصاحب المعصوم، وهذا على التابعي.

وأخصُّ من معنى الموقوف المقيّد؛ لأنّه حينئذٍ يشملُ غيرَ التابعي، والمقطوع يختصُّ به.

(وقد يُطلق) المقطوعُ (على الموقوف بالمعنى السابق الأعمّ) فيكون مرادفاً له، وكثيراً مّا يُطلقه الفقهاء على ذلك.

(وكيف كانَ) معناه (فليس بحجّةٍ) ؛ إذ لاحُجّةَ في قول مَنْ وُقِفَ عليه من حيث هو قولُه[2]، كما لا يخفى.

١. لاحظ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٦٤.

٢. في هامش المخطوطة: أي من حيث هو صحابي أو تابعي، واحترز بالحيثيّة عمّا لو كان أحدهما إماماً كزين العابدين ﷺ، فإنّه يعدّ من التابعين. وقوله حجّة لامن حيث هو تابعي، كما لا يخفى (منه).

(الثالثُ: المُرْسَلُ، وهو مارواه عن المعصوم من لم يُدْرِكه).

والمرادُ بالإدراك هُنا التلاقي في ذلك الحديث المحدَّث عنه، بأنْ رواه عنه بواسطة، وإنْ أدركه، بمعنى اجتماعه معه، ونحوه.

وبهذا المعنى يتحقّق إرسال الصحابي عن النبيّ ﷺ بأنْ يرويَ الحديثَ عنه ﷺ بواسطة صحابي آخر[١]. سواء كان الراوي تابعيّاً أم غيره، صغيراً أم كبيراً، وسواء كان الساقطُ واحداً، أم أكثر، وسواء رواه (بغير واسطةٍ) بأن قال التابعي: قال رسول الله ﷺ مثلاً (أو بواسطة نَسِيَها) بأن صرّحَ بذلك (أو تَرَكَها) مع علمه بها (أو أبْهَمَها) كقوله: «عن رجل» أو «عن بعض أصحابنا» ونحو ذلك.

هذا هو المعنى العامّ للمرسل المتعارف عند أصحابنا.

(وقد يُخَصّ المرسَل بإسناد التابعي إلى النبيّ ﷺ من غير ذكر الواسطة) كقول سعيد بن المسيّب: «قال رسولُ الله ﷺ كذا»، وهذاهو المعنى الأشهر له عند الجمهور.

وقيّده بعضُهم بما إذا كان التابعيّ المُرْسِلُ كبيراً، كابن المسيّب[٢]؛ وإلّا فهو مُنْقَطِعٌ.

واختار جماعة منهم معناه العامّ الذي ذكرناه[٣].

(ويُطلق عليه) أي على المرسَل (المنقطعُ، والمقطوع) أيضاً (بإسقاط شخص واحد) من إسناده.

(والمعْضل) بفتح الضاد المعجمة (بإسقاط أكثر) من واحد، قيل: إنّه مأخوذٌ من

١. أقول: كأحاديث ابن عبّاس، فإنّه كان صغيراً عند وفاة النبيّ ﷺ؛ فكلُّ ما يرويه عن رسول الله، فانّما يرويه عن صحابي آخر، إلّا أحاديث قليلة جدّاً؛ يقال: هي سبعة أو أربعة، أو ثلاثة؛ سمعها من النبيّ ﷺ. (السيّد المددي)

٢. مقدّمة ابن الصلاح، ص ٤٨؛ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٦٤.

٣. نسبه ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٤٨؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٦٤ إلى أبي بكر الخطيب البغدادي.

قولهم: «أمر عضَيل» أي مستغلق شديدٌ[١].

ومثاله: ما يرويه تابعيُ التابعي أو مَنْ دونَه قائلاً فيه: «قالَ رسول الله ﷺ».

(و) المرسَلُ (ليس بحجّة مطلقاً) : سواء أرسلَه الصحابي أم غيره. وسواء أُسقِطَ منه واحدٌ أم أكثر. وسواء كانَ المُرْسِلُ جليلاً أم لا. (في الأصحّ) من الأقوال للأُصوليّين والمحدّثين. وذلك؛ للجهل بحال المحذوف، فيُحتمل كونُه ضعيفاً. ويـزداد الاحـتمالُ بزيادة الساقط، فيقوى احتمالُ الضعف، ومجرّد روايته عنه ليس تعديلاً بل أعمّ.

(إلّا أنْ يُعلم تَحرُّز مُرْسِلِهِ عن الرواية عن غير الثقة) كابن أبي عُمير من أصحابنا على ماذكره كثير منهم، وسعيد بن المسيّب عند الشافعي[٢]، فيُقبلُ مرسَلُه، ويصيرُ في قوّة المُسْنَد.

(وفي تحقُّق هذا المعنى) وهو العلم بكون المرسِل لا يروي إلّا عن الثقة (نَظَرٌ) ؛ لأنّ مستَند العلم إن كانَ هو الاستقراء لمراسيله بحيث يجدون المحذوف ثقةً، فهذا في معنى الإسناد، ولا بحثَ فيه.

وإنْ كان لِحُسن الظنّ به في أنّه لا يُرسِل إلّا عن ثقةٍ، فهو غيرُ كـافٍ شـرعاً فـي الاعتماد عليه، ومعَ ذلك غير مختصّ بمن يخصّونه به.

وإنْ كان استنادُه إلى إخباره بأنّه لا يُرسِلُ إلّا عن الثقة، فمرجعُه إلى شهادته بعدالة الراوي المجهول، وسيأتي ما فيه. وعلى تقدير قبوله فالاعتمادُ على التعديل.

وظاهر كلام الأصحاب في قبول مراسيل ابن أبي عُمير هو المـعنى الأوّل، ودون

---

١. في هامش المخطوطة: القائل ابن الصلاح بعد اعترافه بأنّ أخذه مشكل من اللغة (منه رحمه الله).
وقال في مقدّمته، ص ٥٢: وأصحاب الحديث يقولون: أعضله فهومَعضل ـ بفتح الضاد ـ وهو اصطلاح مشكـل المأخذ من حيث اللغة. وبحثتُ فوجدتُ له قولهم: أمرٌ عضيل، أي مستغلق شديد. ولاالتفات في ذلك إلى معضل ـ بكسر الضاد ـ وإن كان مثل عضيل في المعنى.

٢. حكاه عنه الفخر الرازي في المحصول، ج ٢، ص ٢٢٨؛ وابن الصلاح في مقدّمته، ص ٤٩؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٦٥.

إثباته خَرط القَتاد. وقد نازعهم صاحبُ البُشرى في ذلك، ومَنَعَ تلك الدعوى[١].

وأمّا الشافعيّة فاعتذروا عن مراسيل ابن المسيّب، بأنّهم وجدُوها مسانيدَ من وُجوه أُخر.

وأجابوا عمّا أُورد عليهم ـ من أنّ الاعتماد حينئذٍ يقع على المُسْنَد دونَ المرسل فيقعُ لغواً ـ بأنّه بالمسند تبيّن صحّة الإسناد الذي فيه الإرسال حتّى يُحكم له مع إرساله بأنّه إسنادٌ صحيحٌ تقومُ بِهِ الحجّةُ[٢].

وتظهر الفائدةُ في صيرورتهما دليلَيْن يرجّح بهما عند مُعارضة دليلٍ واحدٍ.

ونبّه بـ«الأصحّ» على خلاف جماعةٍ من الجمهور[٣]، حيث قبلوا المرسَلَ مطلقاً إذا كان مُرْسِلُه ثقةً. ونقله الرازيّ في المحصول عن الأكثرين مُحتجّين بأنّ الفرعَ لا يجوزُ له أن يُخبر عن المعصومﷺ إلّا وله صحّة الإخبار عنه، وإنّما يكونُ كذلك إذا ظنَّ العدالة.

وبأنّ علّة التثبّت هو الفسقُ، وهي مُنتفية، فيجب القبول.

وبأنّ المسندَ جازأن يكون مُرسَلاً، فإنّه يُحتمل أنْ يكون بين فلان وفلان رواةٌ لم تذكر،فلايُقبل إلّا أن يستفصل.

وأُجيب: بأنّه ليس حَمْلُ إخباره عنهﷺ على أنّه قال، أولى من حمله على أنّه سمع أنّه قال. وإذا احتُمل الأمران لم يظهر حَملُه على أحدهما.

وانتفاءُ علّة التثبّت موقوف على ثُبوت العدالة.

وقول الراوي: «عن فلان» يقتضي بظاهره الروايةَ عنه بغير واسطة، وقد نُوزعَ في

---

١. قد فقد ولم يصل إلينا.

٢. ذكر الإيراد والجواب عنه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ٤٩.

٣. في هامش المخطوطة: أبوحنيفة ومالك وجمهور المعتزلة. (منه رحمه الله)؛ وحكاه عنهم الرازي في المحصول، ج ٢، ص ٢٢٤؛ والخطيب البغدادي في الكفاية، ص ٣٨٤.

ذلك وادّعي أنّ مثله غير متّصل، لكنّ الظاهَر خلافُه[١].

(و) طريق ما (يُعْلم) به (الإرسالُ) في الحديث أمران: جليّ، وخفيّ: فالأوّل (بعدم التلاقي) بين الراوي والمرويّ عنه، إمّا لكونه لم يُدرك عصره، أو أدركه لكن لم يجتمعا، وليست له منه إجازة ولا وجادة (ومن ثَمَّ احتيجَ إلى التاريخ) لتضمّنه تحرير مواليد الرواة، ووفياتهم، وأوقات طلبهم، وارتحالهم، وقد افتضحَ أقوامٌ ادّعوا الروايةَ عن شُيوخٍ ظَهَرَ بالتاريخ كِذْبُ دعواهم[٢].

(و) الثاني: أن يُعبّر في الرواية عن المرويّ عنه (بصيغةٍ تحتمل اللقاء وعدمه مع عدمه) أي عدم اللقاء (كعن) فلان (وقال) فلان: كذا؛ فإنّهما ـ وإن استُعملا في حالة يكون قد حدّثه ـ يحتملان كونَه حدّث غيره، فإذا ظَهَرَ بالتنقيب كونُه غيرَ راوٍ عـنه، تبيّن الإرسالُ. (وهو ضرب من التدليس) وسيأتي.

(الرابع: المعلَّلُ) ومعرفته من أجلّ علوم الحديث وأدقّها.

(وهو مافيه أسبابٌ خفيّةٌ غامضةٌ قادحةٌ) فيه في نفس الأمر (وظاهرُه السـلامة) منها بل الصحّة.

و(إنّما يتمكّن من معرفة ذلك أهلُ الخبرة) بطرق الحديث، ومُتونه، ومراتب الرواة (الضابطة) لذلك (و) أهل (الفهم الثاقِب) في ذلك.

(ويُستعان على إدراكها) أي العلل المذكورة (بتفرّد الراوي) بذلك الطريق، أو المتن الذي تظهر عليه قرائن العلّة.

---

١. لاحظ المحصول، ج ٢، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٨.

٢. أقـول: منهم: عثمان بن خطّاب. قال الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٣٣: حدَّث بقلّة حياء بعد الثـلاثمائة، عن عليّ بن أبي طالب، فافتضح بذلك وكذّبه النُّقاد.

ومنهم: إبراهيم بن هدبة أبوهدبة. قال الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٧١: حدَّث بُعيد المائتين، عن أنس بعجائب. (السيّد المددي)

(وبمخالفة غيره له) في ذلك (مع) انضمام (قرائنَ تنبّه العارفَ على) تلك العلّة من (إرسالٍ في الموصول، أو وقفٍ في المرفوع، أو دخول حديث في حديث، أو وهم واهم، أو غير ذلك) من الأسباب المُعلّة للحديث (بحيث يغلب على الظنّ ذلك) ولا يبلغ اليقينَ، وإلّا لحقه حكم ما تيقّن من إرسالٍ أو غيره (فيحكمُ به أو يتردّدُ) في ثبوت تلك العلّة من غير ترجيحٍ يُوجب الظنَّ (فيتوقّفُ).

وهذه العلّة عند الجمهور مانعةٌ من صحّة الحديث على تقدير كون ظاهره الصحّة لولا ذلك. ومن ثَمَّ شرطوا في تعريف الصحيح سلامتَه من العلّة[١].

وأمّا أصحابُنا فلم يشترطوا السلامَة منها، وحينئذٍ فقد ينقسمُ الصحيحُ إلى معلّل وغيره[٢]، وإنْ رُدَّ المعلّل كما يُردّ الصحيحُ الشاذّ[٣].

وبعضُهم وافَقنا على هذا أيضاً[٤] والاختلاف في مجرّد الاصطلاح.

واعلم أنّ هذه العلّة توجدُ في كتاب التهذيب متناً وإسناداً بكثرة[٥]، والتعرّض إلى

---

١. كما في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٣٩.

٢. في هامش المخطوطة: قلت: هذا منافٍ لعدّ المعلّل في أقسام ما يختصّ من الأوصاف بالحديث الضعيف. (لابنه رحمه الله).

٣. انظر ما أُورده ولد المصنّف على والده في هذا المقام في منتقى الجمان، ج ١، ص ٦ ـ ٧.

٤. حكاه عن الخطّابي السيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ٦٤.

٥. أقول: باعتبار أنّ الشيخ يروي في الكتاب المذكور أحاديث، عن الكتب المتقدّمة عليه، كالكافي والبصائر والمحاسن وغيرها؛ إلّا أنّه يوجد اختلاف كثير، سواءٌ في المتن أم الاسناد، حتّى قال المحدِّث البحراني، في الحدائق، ج ٤، ص ٢٠٩: والظاهر أنّ هذه الزيادة، سقطت من قلم الشيخ، كما لا يخفي على مَن له أُنس بطريقته، سيّما في التهذيب و ماوقع له فيه من التحريف والتصحيف، والزيادة والنقصان في الأسانيد والمتون، بحيث أنّه قلّما يخلو حديث من ذلك في متنه أوسنده، كما هو ظاهر للممارس. هذا، والذي يظهر لي بعد التأمّل في أحاديث التهذيب، أنّ الاختلاف المذكور مع الاعتراف بقصور الانسان وخطأه مهما بلغ من الاتقان والتحقيق يرجع إلى عوامل شتّى.

فمن جهة: يرجع إلى اختلاف نسخ الكتاب، فهناك أحاديث فيها خلل سنداً ومتناً في نسخة منه، وفي نسخة ←

تمثيلها يخرج إلى التطويل المنافي لغرض الرسالة.

(الخامس: المُدَلَّس) بفتح اللام، واشتقاقه من «الدَلَس» بالتحريك، وهو اختلاط الظلام، سُمّي بذلك؛ لاشتراكهما في الخفاء، حيثُ إنّ الراويَ لم يصرّح بَمنْ حدّثه، وأَوْهَمَ سماعه للحديث ممّن لم يُحدِّثه، كما يَظْهَرُ من قوله: (وهو ما أُخفيَ عيبُه، إمّا في الإسناد وهو أن يرويَ عمّن لقيَه، أو عاصرَه ما لم يَسْمعه منه على وجهٍ يُوهم أنّه سمعه منه.

ومن حقّه) أي حقّ المدلِّس وشأنه بحيثُ يصيرُ مُدلِّساً لا كذّاباً (أنْ لا يقول: «حدّثنا» ولا: «أخبرنا». وما أشبهَهما) لأنّه كِذْبٌ (بل يقول: «قال فلان» أو «عن

← أُخرى تخلو عنه؛ بل يبدو للمحقّق المتتبع أنّ نسخة التهذيب التي وصلت إلى صاحب الوافي وصاحب الوسائل وغيرهما، كانت مختلفة.

ومن جهة أُخرى: يرجع إلى اختلاف نسخ المصادر التي اعتمدها الشيخ، فحينما نرى اختلافاً بين التهذيب والكافي، مع أنّ الأوّل نقل عن الثاني ـ ليس معناه حتماً أنّ الشيخ سها عن ذلك، بل لعلّ نسخة الكافي التي وصلت إلى الشيخ، كانت تختلف عن النسخ التي بأيدينا، وهكذا في سائر موارد الاختلاف.

ومن جهة ثالثة: يرجع إلى تعدّد المصادر وتغايرها، فقد نرى الشيخ يروي روايةً وهي موجودة في الكافي بعينها، إلّا أنّ بينها اختلافاً، سنداً أومتناً، زيادةً أو نقيصةً، و هذا لا يعود إلى خطأ الشيخ؛ بل السرّ فيه أنّ الشيخ يرويها بطريق يخالف طريق الكافي، فالشيخ يرويها مثلاً عن كتاب أحمد بن محمّد بن عيسى، بينما الكليني يرويها عن الحسين بن سعيد؛ فالرواية وإن كانت واحدة إلّا أنّها من طريقين متغايرين.

ومن هذا القبيل أيضاً أنّه يروي الشيخ حديثاً في موضع من الكتاب، ويروي نفس الحديث في موضع آخر، مع الاختلاف سنداً و متناً، والوجه ما ذكرنا؛ يعني أنّه يرويه في الموضع الأوّل عن مصدر معيّن، وفي الموضع الثاني عن مصدر آخر.

والذي تحقّق لي من مراجعة التهذيب أنّ الشيخ الثقة الجليل رحمه‌الله كان يراعي في نقل الحديث كمال الدقّة والإتقان، وهو بعمله هذا يرشدنا أيضاً إلى اختلاف نسخ تلك المصادر، واختلافها فيما بينها، واحتفظ بشدّةٍ بنقل ما وقف عليه؛ ولذا ينبغي أن يُعدّ كتابه والحقّ أقول من أقلّ الكتب الحديثية، تحريفاً وتصحيفاً، زيادةً و نقصاناً، وأضبطها وأشملها وأتقنها، فللّه درُّهُ وعليه أجره. (السيّد المددي)

فلان» ونحوه) كـ: «حدّث فلان وأخبرَ» حتّى يُوهِم أنّه أخبره، والعبارةُ أعمُّ من ذلك، فلا يكونُ كاذباً.

(وربما لم يُسقط المدلّس شيخه) الذي أخبرَه، ولا يُوقع التدليس في ابتداء السَنَد (لكن يسقط مِنْ بَعْدِه رجلاً ضعيفاً، أو صغيرَ السنّ ليُحسِّنَ الحديثَ بذلك).

وهذان النوعان تدليسٌ في الإسناد.

(وأمّا) التدليسُ (في الشيوخ) لافي نفس الإسناد فذلك (بأن يَرويَ عن شيخٍ حديثاً سمعه) منه، ولكن لا يُحبُّ معرفةَ ذلك الشيخ لغَرَضٍ من الأغراض (فيُسمّيه أو يُكنّيه) باسمٍ أو كُنيةٍ غيرِ معروفٍ بهما[١] (أو يَنْسبُه) إلى بلدٍ، أو قبيلةٍ غيرِ معروفٍ بـهما (أو يَصِفُه بما لا يُعرفُ به كي لا يُعرفَ.

وأمرهُ) أي أمر القسم الثاني من التدليس (أخَفُّ) ضرراً من الأوّل؛ لأنّ ذلك الشيخَ مَعَ الإغْراب به إمّا أن يُعرفَ فيترتَّبُ عليه مايلزمه من ثقةٍ أو ضعفٍ، أو لا يُعرف فيصيرُ الحديثُ مجهولَ السند؛ فيرُدّ.

(لكنْ فيه تضييع للمرويّ عنه، وتَوْعيرٌ لطريق معرفة حاله) فلا ينبغي للـمحدّث فعلُ ذلكْ.

ونُقِلَ أنّ الحاملَ لبعضهم على ذلك كانَ مُنافرةً بينَهما اقـتضْته، ولم يَسَعْ له تـركُ حديثه صوناً للدين[٢]، وهو عُذْرٌ غيرُ واضحٍ.

(والقسمُ الأوّل) من التدليس (مذمومٌ جدّاً) لما فيه من إيهام اتّصال السند مَعَ كونه

---

١. أقول: ولعلّ من هذا القبيل ما يرويه محمّد بن الحسن بن سماعة و هو من رؤوس الواقفة عن ابن أبي عُمير؛ فهو وإن كان يروي عنه كثيراً، إلّا أنّه لا يذكره باسم «ابن أبي عمير» الذي اشتهر به إلّا قليلاً؛ والغالب عليه أن يذكره بعنوان «محمّد بن زياد» أو «محمّد بن زياد بن عيسى» ولعلّ ابن سماعة كان يأبى أن يورد اسم أحـد أعـلام الإماميّة الاثني عشرية، في كتبه ومصنّفاته. والله العالم. (السيّد المددي)

٢. راجع الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٧٢ ـ ٧٣؛ وتدريب الراوي، ج ١، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

مقطوعاً، فيترتّبُ عليه أحكامٌ غيرُ صحيحةٍ، حتّى قال بعضهم: «التدليسُ أخو الكِذْب»[١].

(وفي جرح فاعله بذلك قولان) بمعنى أنّه إذا عُرِفَ بالتدليس، ثمّ روى حديثاً غير ما دلّسَ به، ففي قبوله خلافٌ:

فقيل: لا يُقبل مطلقاً[٢]؛ لما ذكرناه من الضَرر المترتّب على التدليس الذي وقع منه، حيثُ أوجبَ وَصْلَ المقطوع، واتّصال المُرْسَل، ويترتّبُ عليه أحكامٌ شرعيّةٌ كانت منتفيةً لولاه، وذلك جَرْحٌ واضحٌ.

وقيل: لا يُجرح بذلك، بل ما عُلِمَ فيه التدليسُ يُرَدُّ، وما لا فلا؛ لأنّ المفروضَ كونُه ثقةً بدونه، والتدليسُ ليس كذباً بل تَمْوِيهاً[٣].

(والأجودُ) التفصيلُ، وهو (القبولُ) لحديثه (إنْ صرّح بما يقتضي الاتّصال، كحدّثنا وأخبرنا دونَ المحتمَل) للأمرين، كـ«عن» و«قال» (بل حكمُه حكمُ المرسَل)[٤].

ومرجعُ هذا التفصيل إلى أنّ التدليسَ غيرُ قادحٍ في العدالة، ولكن تحصلُ الرِيبةُ في إسناده لأجل الوصفِ، فلا يُحكم باتّصِال سَنَدِه إلّا مع إتيانه بلفظٍ لا يحتمِل التدليسَ، بخلاف غيره فإنّه يُحكم على سنده بالاتّصال عملاً بالظاهر حيثُ لا مُعارِض له.

واعلم أنّ عدمَ اللقاءِ الموجِب للتدليس يُعلم بإخباره عن نفسه بذلك، وبجزم عالمٍ مطّلعٍ عليه[٥]. ولا يكفي أن يقع في بعض الطرق زيادةُ راوٍ بينهما؛ لاحتمال

١. القائل هوشعبة بن الحجاج. رواه عنه الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ٣٥٥.

٢. حكاه عن فريق من أهل الحديث والفقهاء ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٦٠؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٧٢.

٣. انظر مقدّمة ابن الصلاح، ص ٦٠.

٤. لاحظ مقدّمة ابن الصلاح، ص ٦٠؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ٧٢.

٥. **أقول:** كما حكى النجاشي عن يونس بن عبدالرحمن أنّ حُريز بن عبدالله لم يروِ عن أبي عبدالله ﷺ إلّا حديثين، نعم ناقش السيّد الأُستاذ (رحمه الله) في ذلك. ينظر: معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨. (السيّد المددي)

أن يكونَ من المزيد؛ ولا يُحكم في هذه الصورة بحكمٍ كلّي؛ لتعارُض الاتّصال والانقطاع.

(السادسُ: المُضْطَرِبُ) من الحديث، (وهو ما اختلفَ راويه) المرادُ به الجنسُ، فيشمل الراويَ الواحدَ والأزيدَ (فيه) أي في الحديث: متناً أو إسناداً، فيروي مرّةً على وجهٍ، وأُخرى على وجهٍ آخرَ مخالفٍ له.

(وإنّما يتحقّقُ الوصف) بالاضطراب (مع تساوي الروايتين) المختلفتين في الصحّة وغيرها بحيث لم تَتَرجَّح إحداهما على الأُخرى ببعض المرجّحات[1].

(أمّا لو ترجّحتْ إحداهما على الأُخرى بوجهٍ من وجوهه، كأنْ يكونَ راويها أحْفَظَ) أو أضْبَطَ (أو أكثَر صُحبة للمرويّ عنه) ونحو ذلك من وجوه الترجيح (فالحكمُ للراجح) من الأمرين أو الأُمور (فلا يكونُ مُضْطَرِباً)[2].

(ويقعُ) الاضطرابُ (في السند) بأن يرويه الراوي تارةً: عن أبيه عن جدّه مثلاً،

١. لولد المصنّف في هذا المقام كلام في منتقى الجمان، ج ١، ص ٧.

٢. أقول: مثاله: روى الشيخ في التهذيب، ج ٣، ص ٢٣٣، بإسناده عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن عمر بن يزيد، قال، قال أبوعبدالله عليه السلام: وقت المغرب في السفر إلى ربع الليل. وهكذا رواه الكليني في الكافي، ج ٣، ص ٢٨١ (باب وقت المغرب والعشاء الآخرة)، عن محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن محمّد بن الوليد، عن أبان بن عثمان، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال، قال: وقت المغرب في السفر إلى ربع الليل.

ولكن رواه أيضاً في الكافي، ج ٣، ص ٤٣١ (باب وقت الصلاة في السفر والجمع بين الصلاتين)، عن الحسين بن محمّد، عن عبدالله بن عامر، عن عليّ بن مهزيار، عن فضالة بن أيّوب، عن أبان، عن عمر بن يزيد قال، قال أبوعبدالله عليه السلام: وقت المغرب في السفر إلى ثلث الليل؛ وروي أيضاً إلى نصف الليل.

قال ابن الشهيد الثاني في منتقى الجمان، ج ١، ص ٣٠٤: وربما يظنّ أنّه من قبيل الاضطراب في المتن، فينا في الصحّة وليس كذلك، لاشتراط الاضطراب بتساوي الروايتين المختلفتين كما مرّ، ولا مساواة هنا بين الطريقين كما هو واضح. ومراده (رحمه الله) أنّ سند رواية الشيخ أصحّ من طريق الكليني الثاني، ويؤيّده الطريق الأوّل للكليني. (السيّد المددي)

وتارةً: عن جدّه بلا واسطة، وثالثة: عن ثالث غيرهما[١]. كما اتّفق ذلك في رواية أمر النبيّ ﷺ بالخطّ للمُصلّي سُترةً، حيثُ لا يجدُ العَصا[٢و٣].

---

١. في هامش المخطوطة: قلت: هذا الكلام منظورٌ فيه؛ فإنّ ابن العراقي ذكر في شرح الألفيّة وجه الاضطراب في هذا الحديث، وأسبق في الطرق المقتضية لاضطرابه، وليس في شيءٍ منها الرواية عن أبيه عن جدّه تارةً، وعن جدّه بغير واسطة تارةً أُخرى، وعن غيرهما ثالثة. وأمّا محصّل الواقع فيه جعل المرويّ عنه تارةً أبا الراوي وأُخرى جدّه مع تشخيص الاسم الدائر بين الوصفين وتعيينه. وفي بعض الطرق المتضمّنة لذكر الجدّ تصريح بأنّه جدّ الأب على خلاف ما في الطريق الآخر حيث جعل فيه أبا الأب، وفي بعضها جعل الراوي ابناً للمرويّ عنه، ثمّ ذكر في الرواية أنّه جدّه، وهذا أسهل؛ لأنّه قد ينسب الابن إلى الجدّ، أو يشترك الأب والجدّ في الاسم. ومن جملة وجوه الاختلاف ذكر نسب المرويّ عنه. فتارةً قيل: إنّه ابن سليم، وأُخرى ابن سليمان، وفي طريق ثالث الاقتصار على اسمه ووصفه بأنّه رجل من بني عذرة هذا. وقد علّل العلّامة ضعف المضطرب بأنّه مشعرٌ بعدم ضبط من رواه، ولا يخفى أنّ ذلك متّجه في المثال الذي ذكروه. ولم يقع مثله في أخبارنا. ولو أُريد بيان حكمه في الجملة احتيج في تعريفه وتصويره إلى قيود زائدة على ما ذكره الوالد (قدّس سرّه)؛ إذ تحقّق الضعيف بدون ذلك القدر محلّ نظرٍ وتأمّل. فليتأمّل. نقل من خطّ ابن المصنّف الشيخ حسن (رحمهما الله تعالى).

٢. قال ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٤٤ ـ ٤٥: «ومن أمثلته: ماورويناه عن إسماعيل بن أُميّة عن أبي عمرو بن محمّد بن حريث، عن جدّه حريث، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في المصلّي: إذا لم يجد عصا ينصبها بين يديه فليخطّ خطّاً. فرواه بشر بن المفضّل وروح بن القاسم عن إسماعيل هكذا. ورواه سفيان الثوري عنه عن أبي عمرو بن حريث عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه حميد بن الأسود عن إسماعيل عن أبي عمرو بن محمّد بن حريث بن سليم عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه وهيب وعبدالوارث عن إسماعيل عن أبي عمرو بن حريث عن جدّه حريث».

٣. أقول: رواه أبو داود: ... عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا صلّى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً، فإن لم يجد فلينصِب عصاً، فإن لم يكن معه عصاً فليخطّط خطّاً ثمّ لا يضرّه ما مرّ أمامه»؛ كما في سنن أبي داود، ج ١، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، كتاب الصلاة، باب الخطّ إذا لم يجد عصا.

ولأبي داود كلام حول الحديث، ينظر أيضاً: نصبُ الراية، ج ١، ص ٨٠ ـ ٨١.

وقال صاحب المعالم نجل الشهيد الثاني مؤلّف الكتاب في شرح العبارة المذكورة أعلاه في المتن: وصورة الاضطراب الواقع في سند الحديث المذكور على ما حكاه بعض محقّقي أهل الدراية من العامّة: أنّ أحد رواية رواه تارةً: عن أبي عمرو محمّد بن حُريث، عن جدّه حرُيث بسائر الإسناد. وتارةً: عن أبي عمرو بن حُريث، بالإسناد. وثالثةً: عن أبي عمرو بن محمّد بن عمرو بن حُريث، عن جدّه حُريث بن سليم، بالإسناد. ورابعةً: عن أبي عمرو بن ←

(و) يقعُ الاضطرابُ في (المتن) دونَ السند، كخبر اعتبار الدم عند اشتباهه بالقرحة بخروجه من الجانب الأيمن فيكون حيضاً، أو بالعكس[١].

فرواه في الكافي بالأوّل[٢]، وكذا في التهذيب في كثير من النسخ[٣]. وفي بعضها بالثاني[٤ و٥]. واختلف الفَتوى بسبب ذلك، حتّى من الفقيه الواحد[٦]. مع أنّ الاضطراب يمنعُ من العمل بمضمون الحديث مطلقاً. وربما قيل بترجيح الثاني ودفع الاضطراب من حيثُ عَملِ الشيخ في النهاية بمضمُونه، فيرجّح على الرواية الأُخرى بذلك، وبأنّ الشيخَ أضبطُ من الكُليني وأعرفُ بوجوه الحديث[٧].

← حُريث، عن جده حُريث. وخامسةً: عن حُريث بن عمار، بالإسناد. وسادسةً: عن أبي عمرو بن محمّد، عن جدّه حريث بن سليمان. وسابعةً: عن أبي محمّد بن عمر و بن حريث، عن جدّه حُريث رجلٌ من بني عذرة. ينظر: مُنْتَقَى الجُمان، ج ١، ص ٩ ـ ١٠، والنسخة المطبوعة لا تخلو من اضطراب أيضاً. (السيّد المددي)

١. في وقوع الاضطراب في السند لولد المصنّف إيراد على والده في منتقى الجمان، ج ١، ص ٩ ـ ١٢.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٩٤ ـ ٩٥، باب معرفة دم الحيض والعذرة والقرحة، ح ٣.

٣. أقول: قال الشهيد الأوّل في ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥): ولو اشتبه بالقُرح، استلقت وأدخلت إصبعها، فمن الأيمن حيض. رفعه محمّد بن يحيى إلى أبان عن الصادق ﷺ، ذكره الكليني، وأفتى به ابن الجنيد، وفي كثير من نسخ التهذيب الرواية بلفظها بعينه.
قال الصدوق والشيخ في النهاية: الحيض من الأيسر؛ وقال ابن طاوس: هو في بعض نسخ التهذيب الجديدة كذلك، وقطع بأنّه تدليس. (السيّد المددي)

٤. تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ح ١١٨٥.

٥. أقول: وليلاحظ أنّ الشيخ ذكر في مشيخة التهذيب، ج ١٠، ص ٣٣ ـ ٣٤ طريقين إلى محمّد بن يحيى؛ أحدهما بطريق الكليني، والثاني برواية ابنه عنه. ولعلّ السرّ في اختلاف التهذيب والكافي هو التعدّد في الطريق، كما يحتمل أنّه أي الاختلاف نشأ من اختلاف نسخ التهذيب، كما في المتن، وسنذكره عن ابن طاوس. (السيّد المددي)

٦. أقول: قال المحقّق الثاني في جامع المقاصد، ج ١، ص ٣٦: واختلف قول شيخنا الشهيد؛ ففي بعض كتبه [ذكرى الشيعة، ج ١، ص ١٧٧ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥)] قال بالأوّل: [الأيسر: حيض]، وفي بعضها [البيان ص ٥٧ (ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢)]: بالثاني. (السيّد المددي)

٧. القائل هو المحقّق الثاني في جامع المقاصد، ج ١، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

وفيهما معاً نظرٌ بَيّنٌ[١]، يعرفُه من يَقِفُ على أحوال الشيخ وطرق فتواه.

وأمّا تسميةُ صاحب «البشرى»[٢] مثلَ ذلك تدليساً، فهو سَهْوٌ، أواصطلاح غير ما يعرفُه المحدّثون.

ويكونُ الاضطرابُ (من راوٍ) واحدٍ كهذه الروايـة، فـإنّها مـرفوعةٌ إلى أبـان فـي الجهتين.

(و) من (رواةٍ) أزيدَ من الواحد، فيرويه كلُّ واحدٍ بوجهٍ يُخالف ما رواه الآخر.

(السابعُ: المَقْلُوبُ، وهو حديث ورد بطريقٍ، فيُروى بغيره) إمّا بمجموع الطريق، أو ببعض رجاله، بأن يُقلبَ بعضُ رجاله خاصّةً، بحيثُ يكونُ (أجودَ) منهُ (ليُرغَبَ فيه).

وقد يقعُ سهواً، كحديثٍ يرويه محمّد بن أحمد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وكثيراً مّا يتّفق ذلك في إسناد «التهذيب». ومثله: محمّد بن أحمد بن يحيى، عن أبيه أحمد بن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن يحيى، فينقلب الاسم.

(ونحوه) من الأغراض الموجبة للقلب.

(وقد يقعُ ذلك) القلبُ (من العلماء) بعضهم لبعض (للامتحان) أي امتحان حِفْظهم

١. أقول: أي في أنّ عمل الشيخ مُرَجّحٌ وأنّه أضبط من الكليني.

أمّا الأوّل فلأنّا نجد الشيخ لايعمل برواية مثلاً مرسلة بينما يعمل بمثلها في مكان آخر؛ كما ناقش في التهذيب، ج ٨، ص ٢٥٧، ذيل الحديث ٩٣٢، بأنّه مرسل، وما هذا سبيله لا يعارض به الأخبار المسندة. بينما قال هو في العدة: وإذا كان أحد الراويين مُسنداً، والآخر مرسلاً، نُظر في حال المُرسِل، فإن كان ممّن يعلم أنّه لا يرسل إلّا عن ثقةٍ موثوق به، فلا ترجيح غيره على خبره؛ ولأجل ذلك سوّت الطائفة بين مايرويه محمّد بن أبـي عـمير، وصفوان بن يحيى، وأحمد بن محمّد بن نصر، وغيرهم من الثقات الذين عرفوا بأنّهم لا يروون و لا يرسلون إلّا عمّن يوثق به، وبين ما أسنده غيرهم... .

وأمّا الثاني فلما تقدّم في القسم المعلول من أنّ التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان، يـوجد فـي التـهذيب بكثرة، كما تقدّم مناقشتنا لذلك في التعليق. (السيّد المددي)

٢. قد فقد ولم يصل إلينا.

وضَبْطهم، كما اتّفق ذلك لبعض العلماء ببغداد[١].

وقد يقعُ القلبُ في المتن كحديث السبعة الذين يُظِلُّهم الله في عرشه؛ وفيه: «ورجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخْفاها حتّى لا تَعلم يمينُه ما تُنفق شمالُه»[٢]. فهذا ممّا انقلبَ على بعض الرواة، وإنّما هو: «حتّى لاتعلم شماله ما تُنفق يمينُه» كما ورد في الأُصول المعتبرة[٣].

(الثامن: الموضُوعُ، وهو المكذُوب المختلَق المصنُوع) بمعنى أنّ واضعَه اختلَقه وصنَعه، لا مُطلق حديث الكَذُوب، فإنّ الكذوبَ قد يصدُق.

(وهو) أي الموضوع (شرُّ أقسام الضعيف، ولا تحلّ روايتُه) للعالم به (إلّا مُبيّناً لحاله) من كونه موضوعاً، بخلاف غيره من الضعيف المحتمِل للصدق، حيثُ جوّزوا روايتَه في الترغيب والترهيب كما سيأتي.

(ويُعرفُ) الموضوع (بإقرار واضعه) بوضعه، فيُحكَم عليه حينئذٍ بما يُحكَم على الموضوع في نفس الأمر، لابمعنى القطع بكونه موضوعاً؛ لجواز كذبه في إقراره، وإنّما يُقطع بحُكمه؛ لأنّ الحكمَ يتبعُ الظنّ الغالبَ وهو هُنا كذلك، ولولاه لما ساغَ قتلُ المقرِّ بالقتل، ولا رجم المعترِفِ بالزنى لاحتمال أن يكونا كاذِبَيْنِ فيما اعترفا به.

---

١. هو البخاري. روى قصّته ابن الصلاح في مقدّمته والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث هكذا: إنّ البخاري قدم بغداد، فاجتمع قبل مجلسه قوم من أصحاب الحديث، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ثمّ حضروا مجلسه وألقوها عليه، فلمّا فرغوا من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة التفت إليهم فردّ كلّ متن إلى إسناده، وكل إسنادٍ إلى متنه؛ وروى القصّة بصورة مطوّلة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٢٠ ـ ٢١.

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧١٥، ح ١٠٣١.

٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ح ٦٢٩؛ وج ٢، ص ٥١٧، ح ١٣٥٧؛ الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٥٩٨، ح ٢٣٩١.

(و) قد يُعرفُ أيضاً بـ(ركاكة ألفاظه) ونحوها.

ولأهل العلم بالحديث مَلَكَةٌ قويّةٌ يميّزونَ بها ذلك، وإنّما يقوم به منهم مَنْ يكونُ اطّلاعه تامّاً، وذهنُه ثاقباً، وفهمُه قويّاً، ومعرفتُه بالقرائن الدالّة على ذلك متمكّنة.

(وبالوقُوف على غَلَطه) ووَضعه من غير تعمّد، كما وَقَعَ لثابت بن موسى الزاهد في حديث: «من كُثرت صلاتُه بالليل حُسنَ وجهُه بالنهار»[١] فقيل: كان شيخٌ يحدّث في جماعةٍ فدخَل رجلٌ حسن الوجه، فقال الشيخُ في أثناء حديثه: «من كُثرت صلاتُه بالليل...» إلى آخره فوقعَ لثبات بن موسى أنّه من الحديث فرواه[٢ و٣].

(والواضعونَ أصناف):

منهم: مَنْ قَصَدَ التقرّبَ به إلى الملوك وأبناء الدُنيا، مثل: غِياث بن إبراهيم[٤]، دَخَلَ على

١. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٢٢، ح ١٣٣٣.

٢. حكاه الطيبي في الخلاصة في أصول الحديث، ص ٧٥.

٣. أقول: وردت أحاديث كثيرة بهذا المتن، أو بهذا المضمون عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام مرسلةً ومسندةً، وبعضها معتبر سنداً، ينظر: جامع أحاديث الشيعة، ج ٧، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

إذن، فالقول: بأنّ الحديث موضوع، في غير محلّه؛ مضافاً إلى أنّ بعض العامّة أيضاً حكموا بأنّ حديث ثابت بن موسى الضرير الزاهد معتبر. ينظر: سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٢٣، ذيل الحديث ١٣٣٣. (السيّد المددي)

٤. أقول: وليعلم أنّ غياث بن إبراهيم ورد في أحاديث كثيرة من أحاديثنا؛ وقد اختلفت كلمات الأصحاب في حقّه، والمشهور على توثيقه؛ استناداً إلى قول النجاشي فيه، حيث قال: غياث بن إبراهيم التميمي الأسدي، بصري، سكن الكوفة، ثقةٌ؛ روى عن: أبي عبدالله، وأبي الحسن عليهما السلام ....».

وربما يظهر التنافي بين وثاقته، وبين هذه القصة الدالّة على أنّه كان كذّاباً وضاعاً ويمكن دفعه: أوّلاً: نُسبت هذه القصة كذلك إلى أبي البختري وهب بن وهب وكان كذّاباً؛ كما ذكره القرطبي في تفسيره، ج ١، ص ٧٩ ـ ٨٠؛ والتستري في قاموس الرجال، ج ٩، ص ٢٧١.

وثانياً: يمكن القول بالتعدّد؛ فإنّ غياث بن إبراهيم الذي تنسب إليه القصة نخعيٌ؛ كما في ميزان الاعتدال و غيره؛ و غياث بن إبراهيم الذي ورد في كلام النجاشي تميمي، أسدي، بصري.

وللتفصيل ينظر: معجم رجال الحديث، ج ١٣، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥؛ وقاموس الرجال، ج ٧، ص ٢٩٠؛ ومستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣. (السيّد المددي)

المهديّ بن المنصور، وكان يُعجِبهُ الحمام الطيّارةُ الواردةُ من الأماكن البعيدة، فـروى حديثاً عن النبيّ ﷺ قال: «لا سَبْقَ إلّا في خُفّ، أو حافِرٍ، أو نَصْل، أو جَناحٍ». فامَر له بعشرة آلاف درهم.

فلمّا خَرَجَ قال المهديّ: أشهدُ أنّ قفاهُ قفا كـذّاب عـلى رسـول اللـه ﷺ مـا قـال رسول الله ﷺ: «جناح» ولكن هذا أراد أن يتقرّبَ إلينا. وأمر بذبحها وقال: «أنا حملتُه على ذلك»[١].

ومنهم: قومٌ من السُوّال يضعُون على رسول الله ﷺ أحاديثَ يرتزقُون بها، كما اتّفق لأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين في مسجد الرصافة[٢].

و(أعظمهم ضرراً مَنْ انتسب منهم إلى الزُهْـد) والصـلاح بـغير عـلمٍ (فـاحتسبَ بوضعه) أي زَعَمَ أنّه وضعَه حِسْبةً للّه تعالى وتقرّباً إليه ليجذِبَ بها قلوب الناس إلى الله تعالى بالترغيب والترهيب، فقبلَ الناسُ موضوعاتِهم، ثِقةً منهم بهم، ورُكوناً إليهم، لظاهر حالهم بالصلاح والزُهْد.

ويظهرُ لك ذلك من أحوال الأخبار التي وضَعها هؤلاءِ في الوعظ والزهد وضمّنوها أخباراً عنهم، ونسبُوا إليهم أفعالاً وأحوالاً خارقةً للعادة، وكراماتٍ لم يتّفق مثلُها لأُولى العَزْم من الرسل؛ بحيثُ يَقطع العقلُ بكونها موضوعةً، وإن كانت كراماتُ الأولياء ممكنةً في نفسها.

ومن ذلك ما رُوي عن أبي عِصمة نُوح بن أبي مريم المَرْوَزِي أنّه قيل له: مِنْ أينَ لكَ عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس في فضائل القرآن سورة سورة، وليسَ عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إنّي رأيتُ الناسَ قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة،

---

١. جامع الأُصول، ج ١، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

٢. جامع الأُصول، ج ١، ص ١٣٨ ـ ١٣٩؛ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٧٧.

ومغازي محمّد بن إسحاق، فوضعتُ هذا الحديث حِسْبةً[١].

وكان يقال لأبي عِصمة: هذا الجامع، فقال أبوحاتم بن حِبّان: جمع كلّ شيء إلّا الصدق[٢].

وروى ابن حِبّان عن ابن مهدي قال، قلت لميسرة بن عبد ربّه: مِنْ أينَ جئتَ بهذه الأحاديث: «مَنْ قرأ كذا فله كذا»؟ فقال: وضعتُها أُرَغِّبُ الناسَ فيها[٣و٤].

وهكذا قيل في حديث أُبيٍّ الطويلِ في فضائل سور القرآن، سورة سورة[٥]. فُروي عن المؤمّل بن إسماعيل قال: حدّثني شيخٌ به، فقلتُ للشيخ: مَنْ حدّثك؟ قال: حدّثني رجل بالمدائن، وهو حيٌّ. فصرتُ إليه فقلتُ: مَنْ حدّثك؟. فقال: حدّثني شيخٌ بواسِط، وهو حيٌّ. فصرتُ إليه فقال: حدّثني شيخٌ بالبصرة. فصرتُ إليه فقال: حدّثني شيخٌ بعبّادان. فصرتُ إليه فأخذ بيدي، فأدخلني بيتاً، فإذا فيه قومٌ من المتصوّفة، ومعهم شيخٌ فقال: هذا الشيخ حدّثني.

فقلتُ: يا شيخُ، مَنْ حدّثك؟ فقال: لم يحدّثني أحدٌ، ولكنّا رأينا الناسَ قد رَغِبُوا عن

---

١. جامع الأُصول، ج ١، ص ١٣٧؛ مقدّمة ابن الصلاح، ص ٨١؛ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٧٦.

٢. تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٨٢؛ فتح المغيث، ج ١، ص ٢٨٥.

٣. تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٨٣؛ الموضوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

٤. أقول: رواه الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٢٣٠: عن محمّد بن عيسى الطباع: قلتُ لميسرة بن عبد ربّه... وقال في ص ٢٣١: قال أبوزرعة: وضع [ميسرة بن عبدربّه] في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول: إنّي أحتسبُ في ذلك.

ثمّ إنّه توجد بعض الأحاديث في كتب المشايخ العظام، ممّا ظاهرها أنّها من هذا القبيل، أي مركبة الأسانيد فيتوهّم أنّها موضوعة، ولكن الأمر ليس كذلك؛ إذ لعلّ الواقع كان كذلك؛ بمعنى أنّ الرواية كانت لها طرق عديدة بعضها ضعيف وبعضها صحيح؛ فذكر الضعيف في بعض المصادر، والصحيح في بعضها الآخر؛ وليس معنى ذلك أنّ الصحيح موضوع، علماً بأنّ الراوي للطريق الصحيح إن كان ثقةً فوثاقته أقوى شاهد على ذلك. نعم لمثل هذه الأُمور يجدر بنا التثبّت والتحقيق في الموضوع، وأن لانحكم بشيء قبل المراجعة والتأمّل. (السيّد المددي)

٥. رواه ابن الجوزي في الموضوعات، ج ١، ص ٢٣٩.

القرآن، فوضعْنا لهم هذا الحديثَ ليصرِفوا قلوبَهم إلى القرآن![1]

وكلّ مَنْ أودعَ هذه الأحاديثَ تفسيرَه، كالواحدي والثعلبي والزمخشري، فقد أخطأ في ذلك، ولعلّهم لم يطّلعوا على وضعه مع أنّ جماعةً من العلماء قد نبّهوا عليه. وخَطْبُ مَنْ ذكَره مُسْنَداً كالواحدي أسْهَلُ.

(ووضعت الزنادقةُ) كعبد الكريم بن أبي العوجاء، الذي أمرَ بضرب عنقه محمّد بن سليمان بن عليّ العباسي.

وبيان، الذي قتله خالد القَسْري وأحرقه بالنار[2].

(والغُلاة) من فِرَق الشيعة، كأبي الخطّاب، ويونس بن ظَبْيان، ويزيد الصائغ، وأضرابهم.

(جُملةً) من الحديث ليُفسدوا به الإسلامَ، وينصُروا به مذهبهم.

روى العُقَيلي عن حمّاد بن زيد قال: وضعت الزنادقةُ على رسول الله ﷺ أربعةَ عشر ألف حديث[3].

وروي عن عبد الله بن زيد المقري:

أنّ رجلاً من الخوارج رَجَعَ عن بدعته فجعلَ يقولُ: انظروا هذا الحديث عمّن تأخذونه، فإنّا كُنّا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً[4].

(ثمّ نَهَضَ جهابِذَةُ النُقّاد) جمع جَهْبَذ وهو الناقد البصير (بِكَشْفِ عَوارها) بفتح العين وضمّها، والفتح أشهر، وهو العَيْب (ومحو عارها) فللّه الحمد، حتّى قال بعض العلماء: ما ستر الله أحداً يكذبُ في الحديث[5].

١. الموضوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٢٤١؛ تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٨٨.

٢. تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٨٤. وهو بيان بن سمعان النهدي التميمي؛ وراجع أيضاً الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٩.

٣. الضعفاء الكبير، ج ١، ص ١٤. وفيه: «اثني عشر ألف حديث»؛ تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٨٤.

٤. تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٨٥.

٥. الموضوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٤٨.

(وقد ذهبت الكِرَاميّةُ) ـ بكسر الكاف وتخفيف الراء، أو بفتح الكاف وتشديد الراء، أو بفتح الكاف وتخفيف الراء، على اختلاف نقل الضابطين لذلك ـ وهم: الطائفة المنتسبون بمذهبهم إلى محمّد بن كرام (وبعضُ المبتدعة) من المتصوّفة (إلى جواز وضع الحديث للترغيب والترهيب) ترغيباً للناس في الطاعة، وزَجْراً لهم عن المعصية.

واستدلّوا بما رُوي في بعض طُرق الحديث: «مَنْ كَذِبَ عليَّ متعمّداً ليضلّ بِهِ النّاسَ، فليتبوّأ مقعدَه من النار» وهذه الزيادة قد أبطلَها نَقَلةُ الحديث[١].

وحملَ بعضُهم حديثَ «مَنْ كَذِبَ عليّ» على مَنْ قال: إنّه ساحرٌ أو مجنون[٢].

حتّى قال بعض المخذُولين: إنّما قال: «مَنْ كَذِبَ عليَّ» ونحن نكذِبُ له ونقوّي شَرْعَه![٣]

نسألُ الله السلامةَ من الخذلان.

وحكى القرطبي في المُفهِم عن بعض أهل الرأي: أنّ ما وافقَ القياسَ الجليّ جازَ أن يُعزى إلى النبيّ ﷺ[٤].

ثمّ المرويّ: تارةً يخترعُه الواضعُ. وتارةً يأخذُ كلامَ غيره، كبعض السلف الصالح، أو قدماء الحكماء، أو الإسرائيليّات. أو يأخذ حديثاً ضعيف الإسناد، فيركّب له إسناداً صحيحاً ليُرَوّج[٥].

---

١. الموضوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٩٦ ـ ٩٧.

٢. الموضوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٩٤.

٣. الموضوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٩٨.

٤. حكاه عن القرطبي في المفهم السخاوي في فتح المغيث، ج ١، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

٥. أقول: يعبّر عنه بـ«تركيب الأسانيد»، ومعرفته من أجلِّ مباحث الحديث و أغمضها، ولا يهتدي إليه إلاّ العارف الخبير الذي له اطّلاع عميق على متون الأحاديث وأسانيدها، وإلمامٌ واسعٌ بطبقات الرواة وأحوالهم؛ مثلاً: إذا كان ←

وقد صنّف جماعةٌ من العلماء كتباً في بيان الموضوعات.

(وللصغاني) الفاضل الحسن بن محمّد في ذلك (كتابُ الدرُّ الملتقَط في تبيين الغلط. جيّد) في هذا الباب.

(ولغيره) كأبي الفرج ابن الجوزي (دونَه) في الجودة؛ لأنّ كتابَ ابن الجوزي ذكرفيه كثيراً من الأحاديث التي ادّعى وضعها، لادليلَ على كونها موضوعةً، وإلحاقها بالضعيف أولى، وبعضُها قد يَلْحق بالصحيح والحسن عند أهل النقد، بخلاف كتاب الصغاني، فإنّه تامّ في هذا المعنى، مشتملٌ على إنصاف كثير.

(تتمّة)

لهذا القسم من الضعيف لالفرد الموضوع، تشتملُ على مباحثَ كثيرة من أحكام الضعيف:

(إذا وجدتَ حديثاً بإسناد ضعيف فلك أن تقول: «هذا الحديث ضعيف» بقولٍ مطلقٍ) وتعني به ضَعيفَ الإسناد (أو تصرّح بأنّه ضعيف الإسناد، لا) أنْ تعني بالإطلاق، أو تصرّح بأنّه ضعيفُ (المتن، فقد يُروى بصحيحٍ) يثبتُ بمثله الحديثُ.

(وإنّما يُضعّفُ) أي يُطلق عليه الضعيفُ، مطلقاً (بحكم) إمامٍ من أئمّة الحديث (مُطّلعٍ على الأخبار) وطُرقها (مُضْطلع بها، أنّه) أي ذلك الحديث الموجود بطريقٍ ضعيفٍ (لم يُروَ بإسناد يثبت) به، مصرِّحاً بهذا المعنى.

← لأحد المحدِّثين، طريقٌ صحيحٌ إلى كتاب حريز بن عبدالله الذي يعتبر من الكتب المشهورة المعوَّل عليها ثمّ وجد رواية عن حريز بسند ضعيف؛ فعند ذلك يحذف السند، ويذكر الرواية مع طريقه إلى حريز، وبذلك تصبح الرواية صحيحة السند.

ثمّ إنّه توجد بعض الأحاديث في كتب المشايخ العظام، ممّا ظاهرها أنّها من هذا القبيل، أي مركبة الأسانيد فيتوهّم أنّها موضوعة، ولكن الأمر ليس كذلك؛ إذ لعلّ الواقع كان كذلك؛ بمعنى أنّ الرواية كانت لها طرق عديدة بعضها ضعيف وبعضها صحيح؛ فذكر الضعيف في بعض المصادر، والصحيح في بعضها الآخر؛ وليس معنى ذلك أنّ الصحيح موضوع، علماً بأنّ الراوي للطريق الصحيح إن كان ثقةً فوثاقته أقوى شاهد على ذلك. نعم لمثل هذه الأمور يجدر بنا التثبّت والتحقيق في الموضوع، وأن لانحكم بشيء قبل المراجعة والتأمّل. (السيّد المددي)

فإنْ أطلقَ ذلك المطِّلعُ ضعفَه، ولم يُفسّره، ففي جوازه لغيره كذلك وجهان مرتّبانِ على أنّ الجرح هَلْ يثبت مجملاً؟ أم يفتقر إلى التفسير؟ وسيأتي إن شاءالله تعالى.

وقد تقدّم أنّه لاتجوزُ روايةُ الموضوع بغير بَيان حاله مُطلقاً.

وأمّا غيره من أفراد الضعيف فمنعوا روايتَه أيضاً في الأحكام والعقائد، لمـا يترتّبُ عليه من الضرر في الأحكام الدينيّة، فروعاً وأُصولاً.

(وتساهَلوا في روايته بلا بيان في غير الصفات) الإلهيّة (والأحكام) الشرعيّة، من الترغيب والترهيب والقصص وفضائل الأعمال ونحوها، على المشهور بين العلماء.

ويمكنُ أن يُستدلّ له بحديث: «مَنْ بَلَغَهُ شيءٌ من أعمال الخير فعمِلَ به أعطاه الله تعالى ذلك، وإنْ لم يكن الأمر على ما بَلَغَهُ»[1] ونحوه من عباراته[2].

ومنهم من منعَ العملَ به مطلقاً.

(ومُريدُ روايةِ حديثٍ ضعيفٍ أو مشكوكٍ في صحّته بغير إسناد يقولُ: «رُوِيَ» أو «بَلَغنا») أو «وَرَدَ» أو «جاءَ» (ونحوه) من صيغ التمريض، و(لا) يذكرهُ بصيغة الجـزم كـ(قالَ) رسولُ اللهﷺ و«فَعَلَ» (ونحوهامن الألفاظ الجازِمة) إذليس ثَمَّ ما يوجبُ الجزمَ.

ولو أتى بالإسناد معَ المتن لم يجب عليه بيانُ الحال؛ لأنّه قد أتى به عـندَ أهـل الاعتبار، والجاهلُ بالحال غيرُ معذور في تقليد ظاهره، فالتقصيرُ منه، ولو بَيّنَ الحالَ أيضاً كان أولى (والله أعلم).

---

١. قريب منه في عدّة الداعي، ص ٩. ولم أعثر على الرواية بهذا اللفظ.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٨٧، باب من بلغه ثواب من الله على عملٍ، ح ١ و٢.

(البابُ الثاني

في مَنْ تُقبلُ روايتُه، ومَنْ تُرَدّ)

ومعرفة ذلك من أهمّ أنواع علوم الحديث.

(وبه) أي بما ذُكر من العلم بحال الفريقين (يحصلُ التمييزُ بين صحيح الرواية وضعيفها.

وجُوّزَ ذلك) البحثُ (وإنْ اشتملَ على القدح في المسلم) المستور، واستلزم إشاعةَ الفاحشةِ في الذين آمنوا (صيانةً للشريعة المُطَهَّرةِ) من إدخال ما ليس منها فيها، ونفياً للخطأ والكذب عنها.

وقد رُوي أنّه قيل لبعض العلماء: أما تخشى أن يكونَ هؤلاء الذين تركتَ حديثَهم خُصماءَك عندَالله يومَ القيامة؟ فقال: لأن يكونوا خُصمائي أحبُّ إليَّ من أن يكونَ رسولُ اللهﷺ خصمي؛ يقول لي: «لِمَ لَمْ تذُبَّ الكذبَ عن حديثي»[1].

ورُوي أنَّ بعضَهم سمعَ من بعض العلماء شيئاً من ذلك، فقال له: يا شيخُ لاتغتاب العلماء. فقال له: ويحَك، هذه نصيحةٌ ليس هذا غِيْبَةً[2].

---

١. حكاه الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ٤٤ باب وجوب تعريف المزكّي ماعنده من حال المسؤول عنه؛ والسخاوي في فتح المغيث، ج ٣، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

٢. حكاه الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ٤٥ باب وجوب تعريف المزكّي ما عنده من حال المسؤول عنه؛ وفتح المغيث، ج ٣، ص ٢٦٦.

وهذا أمر واضح لامِرْيةَ فيه، بل هومن فروض الكفايات، كأصل المعرفة بالحديث.

(نعم يجب على المتكلّم في ذلك التَثَبُّتُ) في نظره وجرحه (لئلّا يقدح في) بَريءٍ (غير مجروح بما ظَنَّه جرحاً) فيجرح سليماً، ويَسِم بريئاً بسِمة سُوءٍ تُبقى عليه الدهر عارَها.

(فقد أخطأ في ذلك غيرُ واحد) فطعنوا في أكابر من الرواة استناداً إلى طعنٍ وَرَدَ فيهم، له مَحْمَلٌ، أو لا يثبتُ عنهم بطريقٍ صحيح.

ومن أراد الوقوف على حقيقة الحال فليُطالع كتاب الكشّي (رحمه الله) في الرجال.

(وقد كفانا السلفُ) الصالحُ من العلماء بهذا الشأن (مُؤْنَةَ الجرح والتعديل غالباً) في كتبهم التي صنّفوها في الضعفاء، كابن الغضائري، أو فيهما معاً كالنجاشي، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والسيّد جمال الدين أحمد بن طاوس، والعلامّة جمال الدين بن المُطَهّر، والشيخ تقيّ الدين بن داود، وغيرهم.

(ولكن ينبغي للماهر) في هذه الصناعة ومن وهَبه الله تعالى أحسنَ بِضاعةٍ (تدبُّر ما ذكروه) ومراعاة ماقرّروه (فلعلّه يظفَرُ بكثير ممّا أهملوه، ويطّلع على توجيهٍ) في المدح والقدح قد (أغفلوه) كما اطّلعنا عليه كثيراً، ونبّهنا عليه في مواضع كثيرة وضعناها على كتب القوم (خصوصاً مع تعارض الأخبار في الجرح والمدح) فإنّه وقعَ لكثيرٍ من أكابر الرُواة.

وقد أودعَه الكشّي في كتابه من غير ترجيحٍ، وتكلّم مَنْ بعدَه في ذلك، واختلفوا في ترجيح أيّهما على الآخر اختلافاً كثيراً.

فلا ينبغي لمن قَدَرَ على البحث تقليدُهم في ذلك، بل يُنفِقُ ممّا آتاه الله تعالى، فلكلّ مجتهدٍ نصيبٌ (فإنّ طريق الجمع بينَهما مُلتبس على كثير، حَسَبَ اختلاف طُرقه وأُصوله) في العمل بالأخبار الصحيحة والحسنة والموثّقة، وطرحها، أو بعضها.

فربما لم يكن في أحد الجانبين حديثٌ صحيح؛ فلايحتاج إلى البحث عن الجمع

بينَهما، بل يعملُ بالصحيح خاصّةً، حيثُ يكون ذلك من أُصول الباحث.

وربما يكون بعضُها صحيحاً، ونقيضُه حسناً أو موثّقاً، ويكون مِنْ أصلِه العملُ بالجميع؛ فيجمعُ بينَهما بما لا يُوافق أصلَ الباحث الآخر. ونحو ذلك.

وكثيراً ما يتّفق لهم التعديلُ بما لا يصلح تعديلاً، كما يعرفه مَنْ يُطالع كتبَهم سيّما خلاصة الأقوال التي هي الخُلاصة في علم الرجال.

(وفي هذاالباب مسائل ثمان:

[المسألة] الأُولى: اتّفق أئمّة الحديث والأُصول) الفقهيّة (على اشتراط إسلام الراوي) حالَ روايته، وإن لم يكن مُسلماً حالَ تحمّله، فلا تُقبل رواية الكافر وإنْ عُلم من دينه التحرّزُ عن الكذب؛ لوجوب التثبُّت عند خبر الفاسق[1]، فيلزمُ عدمُ اعتبار خبر الكافر بطريق أولى، إذْ يشملُ الفاسقُ الكافرَ.

وقبول شهادته في الوصيّة ـ معَ أنّ الروايةَ أضعفُ من الشهادة ـ بنصّ خاصّ[2]، فيبقى العامّ معتبراً في الباقي.

ويمكن القائس هُنا اعتبار القياس أو تعديته بالتنبيه بالأدنى على الأعلى.

وقريب منه القول بقبول أبي حنيفة شهادةَ الكفّار بعضهم على بعض[3]، فيلزمُ مثلُه في الرواية كذلك، فإنّه لا يقبلُ روايتَهم مطلقاً، وقَبِلَ شهادتَهم للضرورة صيانةً للحقوق؛ إذ أكثرُ معاملاتِهم لا يحضرُها مُسْلِمانِ.

(وبلوغه) عند أدائها، كذلك.

---

١. لقوله تعالى في الحجرات (٤٩): ٦: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾.

٢. راجع وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠، باب ٤٠ من أبواب كتاب الشهادات.

٣. المبسوط، السرخسي، ج ١٦، ص ١٣٣ ـ ١٣٤؛ المغني المطبوع مع الشرح الكبير، ج ١٢، ص ٥٥، المسألة ٨٣٧٤.

(وعقله) فلا تقبل رواية الصبيّ والمجنون مطلقاً؛ لارتفاع القَلَم عنهما[١]، الموجب لعدم المؤاخذة، المقتضي لعدم التحفّظ من ارتكاب الكذب على تقدير تَمْييزه، ومع عدمه لاعِبْرةَ بقوله.

(وجمهُورهم على اشتراط عدالته) لما تقدّم من الأمر بالتثبُّت عندَ خبر الفاسِق، فصارَ عدمُ الفسق شرطاً لقبول الرواية، ومع الجهل بالشرط يتحقّق الجهلُ بالمشروط، فيجب الحكم بنفيه حتّى يُعلم وجود انتفاء التثبُّت. كذا استدلّوا عليه.

وفيه نظر؛ لأنّ مقتضى الآية كون الفسق مانعاً من قبول الرواية، فإذا جُهِلَ حالُ الراوي لا يصحُّ الحكمُ عليه بالفسق، فلايجبُ التثبُّت عند خبره بمقتضى مفهوم الشرط.

ولا نسلّم أنّ الشرطَ عدمُ الفسق، بل المانعُ ظهورُه، فلا يجبُ العلمُ بانتفائه حيثُ يُجهل. والأصل عدمُ الفسق في المسلم، وصحّةُ قوله.

وهذا بعضُ آراء شيخِنا أبي جعفر الطوسي، فإنّه كثيراً ما يَقبلُ خبرَ غير العدْل، ولا يبيّنُ سببَ ذلك.

ومذهبُ أبي حنيفة قبولُ رواية المجهول الحال؛ محتجّاً بنحو ذلك، وبقبول قوله في تذكية اللحم، وطهارة الماء، ورقّ الجارية[٢].

والفرقُ بينَ ما ذُكر وبينَ الرواية واضحٌ.

وليسَ المرادُ من العدالة كونُه تاركاً لجميع المعاصي، بل (بمعنى كونه سليماً من أسباب الفسق) التي هي فعل الكبائر، أو الإصرار على الصغائر.

(وخوارم المُروءة) وهي الاتّصاف بما يحسنُ التحلّي به عادةً، بحسَب زمانه ومكانه وشأنه، فعلاً وتركاً على وجهٍ يصير ذلك له ملكةً.

---

١. الخصال، ص ٩٤، باب الثلاثة، ح ٤٠: «القلم رفع عن ثلاثة: عن الصبيّ حتّى يحتلم، وعن المجنون حتّى يفيق، وعن النائم حتّى يستيقظ».

٢. حكاه عن بعض أهل العراق الغزالي في المستصفى من علم الأُصول، ص ١٢٥، وذكر أدلّته في ص ١٢٦.

وإنّما لم يصرّح باعتبارها؛ لأنّ السلامة من الأسباب المذكورة لاتتحقّق إلّا بالملكة؛ فأغنى عن اعتبارها.

(وضبطه) لما يرويه (بمعنى كونه حافظاً) له (متيقّظاً) غير مُغَفَّل (إنْ حدّث من حفظه؛ ضابطاً لكتابه) حافظاً له من الغَلَط والتصحيف والتحريف (إنْ حدّث منه؛ عارفاً بما يختلُّ به المعنى إنْ روى به) أي بالمعنى، حيث نُجوّزُه.

وفي الحقيقة: اعتبارُ العدالة يُغني عن هذا؛ لأنّ العدل لا يُجازف برواية ماليس بمضبوطٍ على الوجه المعتبَر، وتخصيصُه تاكيدٌ، أو جَرْيٌ على العادة[١].

(ولا يُشْتَرَط) في الراوي (الذكورةُ) لأصالة عدم اشتراطها، وإطباق السلف والخلف على الرواية عن المرأة.

(ولا الحرّيّة) فتُقبل روايةُ العبد. ولقبول شهادتهما في الجملة، فالرواية أولى.

(ولا العلم بفقه وعربيّةٍ) لأنّ الغَرَضَ منه الروايةُ لا الدرايةُ، وهي تتحقّق بدونهما.

ولعموم قولهﷺ: «نَضَرَ الله امرأ سَمعَ مقالتي فوعاها وأدّاها كما سمعها، فرُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه»[٢].

ولكن ينبغي مؤكّداً معرفتُه بالعربيّة، حَذَراً من اللحن والتصحيف.

وقد روي عنهمعليهم السلام أنّهم قالوا: «أعْرِبُوا كلامَنا فإنّا قومٌ فُصَحاء»[٣]. وهو يشمَل إعراب القَلَم واللسان.

وقال بعضُ العلماء: جاءَتْ هذه الأحاديثُ عن الأصْل مُعْرَبةً[٤].

وعن آخر: أخْوَفُ ما أخافُ على طالب الحديث إذا لم يَعْرِف النحوَ أن يَدْخُلَ في

١. أورد ولد المصنّف جمال الدين على هذا الكلام إشكالاً في منتقى الجمان، ج ١، ص ٦.

٢. سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٢٢، ح ٣٦٦٠؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٨٤، ح ٢٣٠؛ سنن الدارمي، ج ١، ص ٧٥ باب الاقتداء بالعلماء.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥٢، باب رواية الكتب والحديث، ح ١٣. وفيه: «حديثنا» بدل «كلامنا».

٤. حكاه عن النضربن شميل السخاوي في فتح المغيث، ج ٢، ص ٢٢٤.

جُملة قول النبيّ ﷺ: «مَنْ كَذِبَ عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعدَه من النار»[١]؛ لأنّه ﷺ لم يكن يَلْحَن، فمهْما روي عنه حديثاً ولُحنَ فيه فقد كُذِبَ عليه[٢].

والمعتبر حينئذٍ أن يَعلم قدراً يَسْلَم معه من اللحن والتحريف.

(و) كذا (لا) يُعتبر فيه (البَصَرُ) فتصحّ رواية الأعمى، وقد وُجِدَ ذلك في السلف والخلف.

(ولا العددُ) بناءً على اعتبار خبر الواحد، وعلى عدم اعتباره لا يُعتبر في المقبول منه عددٌ خاصّ بل ما يحصلُ به العلم؛ فالعددُ غير معتبر في الجملة، مطلقاً.

وهل يُعتبر مع ذلك أمر آخر، ومذهبٌ خاصّ، أم لا يُعتر؟ فتقبلُ روايةُ جميع فِرق المسلمين، وإن كانوا أهلَ بدعةٍ. أقوالٌ:

أحدها: أنّه لا تُقبل رواية المبتدع مطلقاً؛ لفسقه، وإن كان بتأوُّلٍ، كما استوى في الكفر المتأوّل وغيرهُ.

والثاني: إنْ لم يستحلّ الكذبَ لنُصرة مذهبه قُبِلَ، وإن استحلّه ـ كالخطّابيّة من غُلاة الشيعة ـ لم يُقبلْ.

والثالث: إنْ كان داعيةً لمذهبه لم يُقبل؛ لأنّه مظنّة التُهمة بترويج مذهبه، وإلّا قُبِلَ. وعليه أكثر الجمهور[٣].

(و) الرابع ـ وهو (المشهورُ بينَ أصحابنا ـ: اشتراط إيمانه مَعَ ذلك) المذكور من الشروط، بمعنى كونه إمامياً (قطعوا به في كتب الأُصول) الفقهيّة (وغيرها) لأنّ مَنْ عداه عندهم فاسقٌ، وإنْ تأوّلَ ـ كما تقدّم ـ فيتناولُه الدليلُ.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٦٢، باب اختلاف الحديث، ح ١؛ الفقيه، ج ٤، ص ٢٦٤، ح ٨٢٤؛ صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٢ ـ ٥٣، ح ١٠٧ ـ ١١٠؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٩ ـ ١٠، ح ١.

٢. حكاه عن الأصمعي الطيبي في الخلاصة في أصول الحديث، ص ١١٧؛ والسيوطي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٠٦.

٣. ذكر الأقوال الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٩١.

هذا (مع عملهم بأخبار ضعيفةٍ) بسبب فَساد عقيدة الراوي (أو موثّقة) مع فساد عقيدته، أيضاً (في) كثير من (أبواب الفقه، مُعتذرين عن ذلك) العمل المخالف لما أفتوا به في أُصولهم من عدم قبول رواية المخالف (بانْجبار الضَعف) الحاصل للراوي بفسادعقيدته، ونحوه (بالشُهْرة) أي شُهْرة الخبر، والعمل بمضمُونه بينَ الأصحاب، فيمكن إثباتُ المذهب به وإن ضَعُفَ طريقه، كمايثبُت مذهبُ أهل الخلاف بالطريق الضعيف من أصحابهم (ونحوها) أي الشُهرة (من الأسباب) الباعثة لهم على قبول رواية المخالف في بعض الأبواب، كقبول ما دلّت القرائنُ على صحّته مَعَ ذلك، على ما ذهبَ إليه المحقّق في المعتبَر[1]. (وقد تقدّم) الكلامُ على هذا الدليل في أوّل الرسالة.

وكيف كان، فإطلاق اشتراط الإيمان مع استثناء مَن ذكر ليس بجيّد.

(وحينئذٍ، فاللازمُ) على ما قرّرناه عنهم (اشتراطُ أحد الأمرين، من الإيمان والعدالة، أو الانجبار بمرجّح، لا إطلاق اشتراطهما) أي الإيمان والعدالة، المقتضي لعدم قبول رواية غير المؤمن مطلقاً، ولا يقولُون به.

واقتصدَ قومٌ منّا، فاعتبروا سلامةَ السند من ذلك كلّه، واقتصروا على الصحيح، ولاريب أنّه أعدلُ.

ولايقدحُ فيه قولُ المحقّق في ردّه؛ من أنّ الكاذب قد يُلْصِقُ، والفاسق قد يَصْدُقُ، وأنّ في ذلك طعناً في عُلمائنا، وقدحاً في المذهب، إذْ لا مُصَنِّف إلّا وقد يعملُ بخبر المجروح كما يعملُ بخبر المعدّل[2].

وظاهر أنّ هذا غيرُ قادح. ومجرّد احتمال صِدْق الكاذب غيرُ كافٍ في جواز العمل بقوله مع النهي عنه. والقدحُ في المذهب غير ظاهرٍ؛فإنّ مَنْ لايعملُ بخبر الواحد من أصحابنا ـ كالسيّد المرتضى[3] وكثيرٍ من المتقدّمين ـ مُصَنّفاتُهم خاليةٌ عن خبر الثقة

١ و٢. المعتبر، ج ١، ص ٢٩.

٣. جوابات الموصليّات الثالثة، ضمن رسائل الشريف المرتضى، ج ١، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

على وجه التقليد ـ فَضْلاً عن المجروح ـ إلّا أن يبلغَ حدَّ التواتُر. والمصنّفاتُ المشتملة على أخبار المجروحين مبنيّةٌ على مذهب المفتي بمضمونها.

وإنْ كانَ ولابدَّ من تجاوز ذلك، فالعملُ على خبر المُخالِف الثقة؛ ليسلَم من ظاهر النهي عن قبول خبر الفاسق ظاهراً، ومنعُ إطلاقه على المُخالِف مُطلقاً. وقد تقدّمت الإشارةُ اليه.

أمّا المنصوص على ضعفه فلا عذر في قبول قوله، كما يتّفق ذلك للشيخ (رحمه الله) في موارد كثيرة. والله تعالى أعلم بحقائق أحكامه.

[المسألة] (الثانية: تُعرف العدالة) المعتبرة في الراوي (بتنصيص عدلين عليها، أو بالاستفاضة) بأن تَشتهر عدالتُه بين أهل النقل أو غيرهم من أهل العلم، كمشايخنا السالفين من عهد الشيخ محمّد بن يعقوب الكُليني وما بعدَه إلى زماننا هذا، لا يَحتاج أحدٌ من هؤلاء المشايخ المشهورين إلى تنصيصٍ على تزكية، ولا بيّنةٍ على عدالةٍ؛ لما اشتُهر في كلّ عصر من ثقتهم وضبطهم وورعهم زيادةً على العدالة.

وإنّما يتوقّف على التزكية غيرُ هؤلاء من الرواة الذين لم يشتهروا بذلك، ككثيرٍ ممّن سبق على هؤلاء، وهم طرق الأحاديث المدوّنة في الكتب غالباً.

(وفي الاكتفاء بتزكية الواحد) العدل (في الرواية قول مشهورٌ) لنا، ولمخالفينا (كما يكتفى به) أي بالواحد (في أصْل الرواية).

وهذه التزكية فرع الرواية، فكما لا يُعتبر العددُ في الأصل فكذا في الفرع.

وذهب بعضُهم إلى اعتبار اثنين[1] كما في الجرح والتعديل في الشهادات.

---

١. هو المحقّق في معارج الأُصول، ص ١٥٠؛ وقال ابن المؤلّف الشهيد في منتقى الجمان، ج ١، ص ١٦: الأقرب عندي عدم الاكتفاء في تزكية الراوي بشهادة العدل الواحد. وهو قول جماعة من الأُصوليّين، ومختار المحقّق أبي القاسم بن سعيد.

فهذا طريق معرفة عدالة الراوي السابق على زماننا.

والمعاصر يثبت بذلك، وبالمعاشرة الباطنة المُطَّلِعة على حاله واتّصافه بالملكة المذكورة.

(ويُعرف ضبطُه، بأنْ تُعتبر روايتُه برواية الثِقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإنْ وافقَهم) في رواياته (غالباً) ولو من حيث المعنى، بحيث لا يُخالفها، أو تكون المخالفة نادرةً (عُرِفَ) حينئذٍ (كونهُ ضابطاً ثَبْتاً. وإنْ وجد) ناه بعدَ اعتبار رواياته بروايـاتهم (كثيرَ المخالفة لهم، عُرِفَ اختلالُه) أي اختلال ضَبْطه، أو اختلال حاله في الضبط، ولم يحتجَّ بحديثه.

وهذا الشرط إنّما يُفتقر إليه في مَنْ يروي الأحاديث من حفظه، أو يُخَرِّجها بغير الطرق المذكورة في المصنّفات.

وأمّا رواية الأُصول المشهورة، فلا يُعتبر فيها ذلك، وهو واضح.

[المسألة] (الثالثة: التعديل مقبولٌ من غير ذكر سببه على) المذهب (المشهور؛ لأنّ أسبابه كثيرةٌ يصعُب ذكرُها) فإنّ ذلك يُحوِج المعدّلَ إلى أنْ يقولَ: «لم يفعل كذا، لم يرتكب كذا، فعل كذا وكذا» وذلك شاقٌّ جدّاً.

(وأمّا الجرح، فلا يُقبل إلّا مُفَسَّراً مبيَّن السبب) الموجبِ له (لاختلاف الناس فيما يُوجبه). فإنّ بعضَهم يجعلُ الكبيرةَ القادحةَ ما تُوُعِّدَ عليها في القرآن بالنار. وبعضهم يُعِمُّ التوعّدَ. وآخرون يُعِمّونَ المتوعَّدَ فيه بالكتاب والسنّة. وبعضهم يجعلُون جميعَ الذُنُوب كبائر، وصِغَرُ الذنبِ وكِبَرُه عندهم إضافي. إلى غير ذلك من الاختلاف[1].

فربما أطلقَ بعضُهم القدحَ بشيءٍ بِناءً على أمر اعتقده جرحاً، وليس بجرحٍ في نفس الأمر أو في اعتقاد الآخر.

١. راجع في معنى العدالة والأقوال فيها مفتاح الكرامة، ج ٣، ص ٨٠ ـ ٨٨، وفي معنى الكبائر والأقوال فيها، ص ٨٩ ـ ٩٤.

فلا بُدَّ من بيان سببه ليُنْظَر فيه أهو جرح أم لا؟

وقد اتّفق لكثير من العلماء جرحُ بعضٍ، فلمّا استُفْسرَ ذَكَرَ ما لا يصلُح جارحاً.

قيل لبعضهم: لِمَ تركتَ حديثَ فلان؟ فقال: رأيتُه يركُض على بِرْذَوْن[١].

وسُئل آخر عن رجلٍ من الرواة. فقال: ما أصنع بحديثه، ذُكِرَ يوماً عندَ حمّاد فامتخطَ حمّادٌ[٢].

ويُشْكَلُ، بأنّ ذلك آتٍ في باب التعديل؛ لأنّ الجرحَ كما تختلف أسبابه كذلك، فالتعديلُ يتبعه في ذلك؛ لأنّ العدالةَ تتوقّف على اجتناب الكبائر مثلاً فربما لم يعدّ المعدِّلُ بعضَ الذنوب كبائر، ولم يقدح عندَه فعلُها في العدالة، فيزكّي مرتكبَها بالعدالة، وهو فاسقٌ عندَ الآخر بناءً على كونه مرتكباً لكبيرة عندَه.

ومن ثَمَّ ذهبَ بعضُهم إلى اعتبار التفصيل فيهما[٣].

ومَنْ نَظَرَ إلى صعوبة التفصيل ونحوه اكتفى بالإطلاق فيهما[٤].

أمّا التفصيلُ باختلاف الجَرْح والتعديل في ذلك، فليس بذلك الوجه.

(نعم، لو عُلم اتّفاق مذهب الجارِح والمُعْتَبِر) بكسر الباء، وهو طالِبُ الجرح والتعديل، ليعملَ بالحديث أو يتركه (في الأسباب) الموجِبة للجرح، بأنْ يكونَ اجتهادُهما فيما به يحصلُ الجرح والتعديل واحداً، أو أحدهما مقلّد للآخر، أو كلاهما مقلّد لمجتهدٍ واحد. (اتّجه الاكتفاء بالإطلاق) في الجرح (كالعدالة). وهذا التفصيلُ هو الأقوى فيهما.

---

١. حكاه الخطيب في الكفاية، ص ١١٠ ـ ١١١؛ والسيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ٣٠٦.

٢. حكاه الخطيب في الكفاية، ص ١١٣؛ والسيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ٣٠٦.

٣. حكاه قولاً الغزالي في المستصفى في الأُصول، ص ١٢٩؛ والسخاوي في فتح المغيث، ج ١، ص ٣٣٣.

٤. حكاه عن القاضي الغزالي في المستصفى في علم الأُصول، ص ١٢٩؛ وعن أبي حنيفة الشيخ في الخلاف، ج ٦، ص ٢٢٠ المسألة ١٣؛ وعن أبي حنيفة وأحمد بن قدامة في المغني المطبوع مع الشرح الكبير، ج ١١، ص ٤٢٤، المسألة ٨٢٥٤.

واعلم أنّه يَرِدُ على المذهب المشهور ـ من اعتبار التفسير في الجرح ـ إشكالٌ مشهور؛ من حيث أنّ اعتماد الناس اليوم في الجرح والتعديل على الكتب المصنّفة فيهما، وقلّما يتعرّضون فيها لبيان السبب، بل يقتصرون على قولهم: «فلان ضعيف» ونحوه؛ فاشتراط بيان السبب يفضي إلى تعطيل ذلك، وسدّ باب الجرح في الأغلب.

(و) أُجيبَ بأنّ (ما أطلقه الجارحون في كتبهم من غير بيان سببه وإن لم يقتضِ الجرح) على مذهب مَنْ يعتبرُ التفسيرَ (لكن يوُجب الريبةَ القويّة) في المجروح كذلك (المفضية إلى ترك الحديث) الذي يرويه فيُتوقّف عن قبول حديثه (إلى أن تثبُتَ العدالةُ، أو يتبيّن سببُ زوال موجب الجرح).

ومَنْ انزاحت[١] عنه تلك الريبةُ، بحثْنا عن حاله بحثاً أوجبَ الثقةَ بعدالته فقبلنا روايتَه ولم نتوقّف، أو عدمها[٢].

[المسألة] (الرابعة: يثبُت الجرحُ في الرواة بقول واحدٍ، كتعديله) أي كما يثبتُ تعديله في باب الرواية بالواحد أيضاً، وقد تقدّم (على) المذهب (الأشهر).

وذلك (لأنّ العددَ لم يُشترط في قبول الخبر) كما سَلَفَ (فلم يُشترط في وصفه) من جرح وتعديل؛ لأنّه فرعه، والفرعُ لا يزيد على أصله، بل قد ينقص. كما في تعديل شهود الزنى؛ فإنّه يُكتفى فيه باثنين دون أصل الزنى.

وأمّا ما خرج عن ذلك، وأوجب زيادة الفرع ـ أعني الجرح والتعديل ـ على أصله؛ كالاكتفاء في الدعوى بالشاهد واليمين، دون التعديل.

ومذهب بعضهم في الاكتفاء بشاهد واحد في رؤية هلال رمضان[٣]، وشهادة الواحدة

---

١. زاح الشيء يزيح... وانزاح: ذهب وتباعد. لسان العرب، ج ٢، ص ٤٧٠، «زيغ».

٢. ذكر الإيراد والجواب عنه الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٨٦ ـ ٨٧.

٣. منهم السلّار في المراسم، ص ٩٦؛ تدلّ عليه ما رواه الصدوق في الفقيه، ج ٢، ص ٧٧، ح ٣٣٧؛ والشيخ في تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ٤٤٠، ح ١٥٨؛ والاستبصار، ج ٢، ص ٦٤، ح ٢٠٧.

في ربع الوصية[١]، وربع ميراث المستهلّ[٢]. فبدليل خارجي، ونصٍّ خاصّ.

(ولو اجتمع في واحد جرح وتعديل، فالجرحُ مقدَّم) على التعديل (وإنْ تعددّ المعدِّلُ) وزادَ على عدد الجارح (على) القول (الأصحّ؛ لأنّ المعدِّلَ مُخْبِرٌ عمّا ظهر من حاله، والجارحُ) يشتمل على زيادة الاطّلاع؛ لأنّه (يُخبر عن باطن خفيَ على المعدِّل) فإنّه لا يُعتبر فيه ملازمتُه في جميع الأحوال، فلعلّه ارتكب الموجبَ للجرح في بعض الأحوال التي فارقه فيها.

(هذا إذا أمكن الجمع) بين الجرح والتعديل، كما ذُكر.

(وإلّا) يمكن الجمع، كما إذا شهد الجارحُ بقتل إنسان في وقت، فقال المعدِّلُ: رأيتُه بعده حيّاً، أو يقذفه فيه، فقال المعدّل: إنّه كان ذلك الوقت نائماً أو ساكتاً. ونحو ذلك.

(تعارضا) ولم يمكن التقديمُ، ولم يتمّ التعليلُ الذي قُدّم به الجارح ثَمَّ.

(وطُلِبَ الترجيحُ) إنْ حصلَ المرجّحُ ـ بأنْ يكونَ أحدهُما أضبط، أو أورع، أو أكثر عَدداً، ونحو ذلك ـ فيعملُ بالراجح ويترك المرجوح.

فإنْ لم يتّفق الترجيحُ وجبَ التوقّف؛ للتعارض، مع استحالة الترجيح من غير مرجّحٍ.

[المسألة] (الخامسة: إذا قالَ الثقةُ: «حدّثني ثِقةٌ») ولم يبيّنْه (لم يكفِ ذلك) الإطلاق والتوثيق (في العمل بروايته) وإن اكتفينا بتزكية الواحد (إذ لابُدّ) على تقدير الاكتفاء بتزكيته (من تعيينه وتسميته) ليُنْظَر في أمره، هل أطلق القومُ عليه التعديل، أو تعارضَ كلامهم فيه، أو لم يذكروه (لجواز كونه ثقةً عندَه؛ وغيره قد اطّلع على جرحه

---

١. هذا الحكم إجماعي تدلّ عليه ما رواه الشيخ في تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨، ح ٧١٧ و٧١٨.

٢. الحكم إجماعي تدلّ عليه ما رواه الكليني في الكافي، ج ٧، ص ٣٩٢، باب ما يجوز من شهادة النساء و...، ح ١٢؛ والصدوق في الفقيه، ج ٣، ص ٣٢، ح ١٠١؛ والشيخ في تهذيب الأحكام، ج ٦، ٢٦٨، ح ٧٢٠؛ والاستبصار، ج ٣، ص ٢٩، ح ٩٢.

بما هو جارحٌ عندَه) أي عند هذا الشاهد بثقته، وإنّما وثّقه بناءً على ظاهر حاله و(لو عَلِمَ به) لما وثّقه.

وأصالة عدم الجارح مع ظُهور تزكيته غيرُ كافٍ في هذا المقام؛ إذ لابُدّ من البحث عن حال الرواة على وجهٍ يظهر به أحدُ الأُمور الثلاثة من الجرح، أو التعديل، أو تعارضهما حيث يمكن، بل إضرابه عن تسميته مريبٌ في القلوب.

(نعم، يكون ذلك) القولُ (منه تزكيةً) للمرويّ عنه (حيثُ يقصدُها) بقوله: «حدّثني الثقة» إذ قد يقصد به مجرّد الإخبار من غير تعديل، فإنّه قد يتجوّز في مثل هذه الألفاظ في غير مجلس الشهادة.

وهل يُنزّل الإطلاقُ على التزكية، أم لابُدّ من استعلامه؟ وجهان، أجودُهما تنزيله على ظاهره؛ من عدم مُجازفة الثقة في مثل ذلك.

وعلى تقدير تصريحه بقصد التزكية، أو حمل الإطلاق عليها (ينفع) قولُه (مع ظهور عدم المعارض).

وإنّما يتحقّق ظهوره مع تعيينه بعد ذلك والبحث عن حاله، وإلّا فالاحتمال قائمٌ كما مرّ.

وذهب بعضهم إلى الاكتفاء بذلك ما لم يظهر المعارِض أو الخلاف[1]، أو قد ظهر ضعفُه.

ومثله ما لو قال: «كلّ مَنْ رويتُ عنه فهو ثقة وإنْ لم أُسَمّه» ثمّ روى عمّن لم يسمّه. فإنّه يكونُ مزكّياً له، غيرَ أنّا لا نعمل بتزكيته هذه لما قرّرناه.

وقول العالم: «هذه الرواية صحيحةٌ» في قوّة الشهادة بتعديل رواتها. فأولى بعدم الاكتفاء بذلك.

(ولو روى العدلُ عن رجل سمّاه، لم تُجعل روايته عنه تعديلاً ـ له على) القول

١. انظر مقدّمة ابن الصلاح، ص ٨٨؛ فتح المغيث، ج ١، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩؛ تدريب الراوي، ج ١، ص ٣١٠ ـ ٣١١.

(الأصحّ) ـ بطريق أولى؛ لأنّه يجوز أن يرويَ عن غير عدلٍ، وقد وقعَ من أكثر الأكابر من الرواة والمصنّفين ذلك. خلافاً لشذوذ من المحدّثين ذهبوا إلى اقتضاء ذلك التعديل[١].

(وكذا عَمَلُ العالم) المجتهد في الأحكام (وفُتياه) لغيره بفتوىً (على وِفْق حديثٍ ليس حكماً) منه (بصحّته، ولا مخالفته له قدحاً فيه) ولا في رواته (لأنّه) أي كلّ واحد من العمل والمخالفة (أعمُّ) من كونه مستنِداً إليه وقدحاً فيه، فيجوز في العمل الاستناد إلى دليلٍ آخرَ من حديثٍ صحيحٍ أو غيره، وفي المخالفةِ كونها لشذوذه، أو معارَضته لما هو أرجحُ منه، أو غيرهما. والعامّ لا يدلّ على الخاصّ.

وقد تقدّم الخلافُ في اشتراط عدالة الراوي مُطلقاً، فلعلّه قَبِلَ رواية غير العدل لأمرٍ عارِضٍ.

[المسألة] (السادسة) في بيان الألفاظ المستعملة في الجرح والتعديل بينَ أهل هذا الشأن.

لمّا كان المعتبر عندنا في الراوي العدالةُ المستفادةُ من الملكة المذكورة، ولم نكتف بظاهر حال المسلم ولا الراوي؛ فلابدّ في التعديل من لفظ صريح يدلّ على هذا المعنى.

وقد استعملَ المحدّثون وعلماء الرجال ألفاظاً كثيرة في التزكية بعضها دالّ على المطلوب، وبعضها أعمُّ منه. فنحنُ نذكرها مفصّلةً، ونبيّن ما يدلّ منها عندَنا عليه، وما لا يدلّ. فنقول:

(ألفاظ التعديل) الدالّة عليه صريحاً:

قولُ المعدِّل: هو (عَدْلٌ) ،

أو: هو (ثِقةٌ) وهذه اللفظة وإنْ كانت مستعملةً في أبواب الفقه أعمَّ من العدالة لكنّها

---

١. حكاه عن ابن المنير السخاوي في فتح المغيث، ج ١، ص ٣٤٣.

هُنا لم تُستعمل إلّا بمعنى العدل، بل الأغلب استعمالها خاصّةً.

وقد يتّفق في بعض الرواة أن يكرّر في تزكيتهم لفظة «الثقة»[١] وهو يدلّ على زيادة المدح.

وكذلك قوله: هو (حُجّةٌ) أي ممّا يحتجّ بحديثه. وفي إطلاقه اسم المصدر عليه مبالغةٌ ظاهرةٌ في الثناء عليه بالثقة.

والاحتجاجُ بالحديث ـ وإنْ كانَ أعمَّ من الصحيح، كما يتّفق بالحسن والموثّق بل بالضعيف على ما سبق تفصيلُه، لكنّ الاستعمالَ العرفي لأهل هذا الشأن لهذه اللفظة ـ يدلّ على ما هو أخصّ من ذلك، وهو التعديل وزيادة.

نعم، لو قيل: «يُحتجُّ بحديثه» ونحوه، لم يدلّ على التعديل؛ لما ذكرناه. بخلاف إطلاق هذه اللفظة على نفس الراوي، بدلالة العُرف الخاصّ.

وكذا قوله: هو (صحيحُ الحديث) فإنّه يقتضي كونه ثقةً ضابطاً، ففيه زيادةُ تزكية.

(وما أدّى معناه) من الألفاظ الدالّة على التعديل.

(أمّا) قولُه: (مُتْقِنٌ، ثَبْتٌ، حافِظٌ) ، ضابطٌ، (يُحتجُّ بحديثه، صَدُوقٌ) مبالغةٌ في صادقٌ، (مَحَلُّه الصدق) بالخبريّة، أو الإضافة على التوسّع. (يُكْتَبُ حديثُه، يُنظر فيه) أي في حديثه، بمعنى أنّه لا يطرح بل يُنظر فيه ويُختبر حتّى يُعرف حاله، فلعلّه يُقبل.

(لا بأس به) بمعنى أنّه ليس بظاهر الضعف. وقد اتّفق هذا الوصف لجماعة منهم: أحمد بن أبي عوف البخاري، وابنه «محمّد» وذكرهما العلّامة في قسم مَنْ يُعتمد على روايته.

---

١. في هامش المخطوطة: قلت: ذكر جماعة من أهل اللغة منهم ابن دريد في الجمهرة أنّ من جملة الاتباع قولهم: «ثقة ثقة» وعلى هذا يحتمل أن يكون ما وقع فيه الجمع بين هاتين الكلمتين جرى على طريق الاتباع لا التكرير. ثمّ صحّف فاعتقد أنّه مكرّر. وأوّل من جزم فيه بالتكرير ابن داود في كتابه. وكلام السابقين عليه خال من التعرّض لبيان المراد منه. (لابنه رحمه الله).

(شيخٌ، جليلٌ، صالحُ الحديث، مشكورٌ، خَيّرٌ، فاضلٌ) اتّفق هذا الوصفُ لجماعة، كإبراهيم بن أبي الكرّام، وإلياس الصيرفي، وبُنان الجزري[١]، وعليّ بن قُتيبة القُتيبي، وعبد الرحمن بن عبد ربّه، وعَنْبسَة العابد، والقاسم بن هشام، وقيس بن عمّار.

ومنهم من جُمِعَ له بينَ اللفظين.

(خاصّ) كحيدر بن شُعيب الطالقاني. (ممدوح) كمحمّد بن قيس الأسدي. (زاهد، عالم) كإبراهيم بن عليّ الكوفي. وأولى بالحكم ما لو انفرد أحدهما.

(صالح) كإبراهيم بن محمّد الخُتلي، وأحمد بن عائذ، وشهاب بن عبد ربّه، وأخويه: عبد الخالق، ووهب.

(قريب الأمر) كالربيع بن سليمان، ومُصبح بن الهِلقام، وهَيْثم بن أبي مَسرُوق النَهدي.

(مسكون إلى روايته) كمحمّد بن بَدْران.

(فالأقوى) في جميع هذه الأوصاف (عدمُ الاكتفاء بها) في التعديل وإنْ كان بعضُها أقربَ إليه من بعض (لأنّها أعمُّ من المطلوب) فلا تدلّ عليه.

أمّا الأربعة الأُوَل؛ فظاهرٌ؛ لأنّ كلّ واحد منها قد يُجامع الضَعْف، وإنْ كان من صفات الكمال.

وأمّا الاحتجاج بحديثه؛ فقد عرفتَ أنّه قد يتّفق بالضعيف، فضلاً عن الحسن وما قاربه.

وأمّا الوصف بالصدق بلفظيه ـ فقد يُجامع عدمَ العدالة أيضاً؛ إذ شرطُها الصدقُ مع شيء آخر.

---

١. في هامش المخطوطة: بنان بضمّ المفردة والنونين في الخلاصة وأبي داود. والموجود في الكشّي أيضاً بالنونين إلاّ أنّه قيل: إنّه «بيان» بالمثنّاة تحته، وإنّه كان يؤوّل قول الله عزّ وجلّ، هذابيان للناس أنّه هو. وكان يقول: بالتناسخ والرجعة فقتله خالد بن عبد الله القسري. (منه رحمه الله).

وأمّا كَتْبة حديثه، والنظر فيه؛ فظاهرٌ أنّه أعمُّ من المطلوب، بل ظاهرٌ في عدم التوثيق.

وأمّا نفيُ البأس عنه، فقريبٌ من الخيّر، لكن لا يدلّ على الثقة، بل من المشهور: أنّ نفي البأس يُوهم البأس.

وأمّا ما نُقل عن بعض المحدّثين من أنّه إذا عبَّر به فمرادُه الثقة[١]؛ فذاك أمر مخصوصٌ باصطلاحه لا يتعدّاه، عملاً بمدلول اللفظ.

وأمّا «شيخٌ» فإنّه وإنْ أُريد به التقدّم في العلم ورئاسة الحديث لكن لا يدلّ على التوثيق، فقد تقدّم فيه مَنْ ليس بثقة. ومثله «جليل».

وأمّا «صالح الحديث» فإنّ الصلاح أمرٌ إضافي: فالموثّق بالنسبة إلى الضعيف صالح، وإن لم يكن صالحاً بالنسبة إلى الحَسَن والصحيح؛ وكذا الحَسَن بالإضافة إلى ما فوقَه، ومادونَه.

وأمّا «المشكور» فقد يكون الشُكْرانُ على صفاتٍ لا تبلُغ حدّ العدالة، ولا تدخل فيها. وكذا «خيّر». مع احتمال دلالة هاتين على المطلوب.

وأمّا «الفاضِل» فظاهرٌ عمومُه؛ لأنّ مرجع الفَضْل إلى العلم، وهو يُجامع الضعف بكَثْرةٍ.

وأمّا «الخاصّ» فمرجعُ وصفه إلى الدخول مع إمام معيّن، أو في مذهب معيّن وشدّةِ التزامه به، أعمَّ من كونه ثقةً في نفسه، كما يدلّ عليه العرف.

وظاهرٌ كون «الممدوح» أعمَّ، بل هو إلى وصف الحسن أقربُ. وكذا الوصف بالزهد والعلم والصلاح. مع احتمال دلالة «الصلاح» على العدالة وزيادة، لكن فيه: أنّ الشرطَ مع التعديل، الضبطُ الذي من جُملته عدم غلبة النسيان، والصلاح يُجامعه أكثريّاً.

---

١. في هامش المخطوطة: قيل لحيي بن معين: إنّك تقول: فلان ليس به بأس، وفلان ضعيف؟ قال: إذا قلت: ليس به بأس فهو ثقة. وهذا حكم مختصّ به (منه رحمه الله)، راجع تدريب الراوي، ج ١، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

وأمّا «قريبُ الأمر» فليسَ بواصل إلى حدّ المطلوب، وإلّا لما كان قريباً منه، بل ربما كان قريباً إلى المذهب من غير دخول فيه رأساً.

و«المسكون إلى روايته» قريبٌ من «صالح الحديث».

فقد ظهر أنّ شيئاً من هذه الأَوصاف ليسَ بصريحٍ في التعديل،وإن كان بعضُها قريباً منه.

(نعم) كلّ واحدٍ منها (يُفيد المدحَ، فيُلْحَق حديثه) أي حديث المتّصف بها (بالحَسَن) لما عرفتَ من أنّه روايةُ الممدوح من أصحابنا مدحاً لا يبلغُ حدَّ التعديل.

هذا إذا عُلم كونُ الموصوف بذلك من أصحابنا، أمّا معَ عدم العلم فيُشْكَل بأنّه قد يُجامع الاتّصاف ببعض المذاهب الخارجة عنّا، خصوصاً مَنْ يدخلُ في حديثنا، كالواقفي والفطحي.

وأمّا الجمهور، فَمَن لا يَعتبر منهم في العدالة تحقّقَها ظاهراً، بل يكتفي في المسلم بها حيثُ لا يظهر خلافُها، فيكتفي بكثيرٍ من هذه الألفاظ في التعديل، خصوصاً مثل: العالمُ والمُتْقِن والضابِط والصالحِ والفاضِل والصَدوق والثَبْت.

هذا ما يتعلّق بألفاظ التعديل.

(وألفاظ الجرح) مثل: (ضعيف، كذّاب، وَضّاع) للحديث من قبل نفسه، أي يختلقُه كذباً. (غالٍ، مضطرب الحديث، مُنْكَرهُ، لَيِّنُه) أي يتساهلُ في روايته عن غير الثقة. (متروك) أي في نفسه، أو متروك الحديث. (مُرتَفَعُ القول) أي لا يُعتبر قولُه، ولا يُعتمد عليه. (مُتَّهمٌ) بالكذب أو الغلوّ، أو نحوهما من الأوصاف القادحة. (ساقط) في نفسه، أو حديثه.

(واه) اسم فاعل من «وَهى» أي ضَعُفَ في الغاية، تقول «وهى الحائطُ» إذا ضَعُفَ وهَمَّ بالسقوط. وهو كناية عن شدّة ضعفه، وسقوط اعتبار حديثه.

(لا شيء) مبالغة في نفي اعتباره، أو لا شيء مُعتدّ به. (ليس بذاك) الثقة، أو العدل، أو الوصف المعتبر في ذلك. (ونحو ذلك).

[المسألة] (السابعة: مَنْ خَلَّطَ) بعد استقامةٍ (بخرق) بضم الخاء وسكون الراء، وهو الحمق وضعف العقل.

(أو فَسق) كالواقفة بعد استقامتهم في زمن الكاظم عليه السلام، والفطحيّة كذلك في زمن الصادق عليه السلام، وكمحمّد بن عبد الله أبي المفضّل، ومحمّد بن عليّ الشلمغاني، وأشباههم.

(وغيرهما) من القوادح.

(**يُقبَل** مارُويَ عنه قبل الاختلاط) لاجتماع الشرائط وارتفاع الموانع؛ (ويُردّ ما رُوِيَ عنه (بعدَه، وما شُكَّ فيه) هل وقعَ قبله أو بعده (للشكّ في الشرط) وهو العدالة، عندَ الشكّ في التقدّم والتأخّر.

وإنّما يُعلم ذلك بالتاريخ، أو بقول الراوي عنه: «حدّثني قبل اختلاطه» ونحو ذلك.

ومع الإطلاق وعدم التاريخ يقعُ الشكّ، فيردّ الحديثُ.

[المسألة] (الثامنة: إذا روى ثقةٌ عن ثقةٍ حديثاً، ورُوجِعَ المرويُّ عنه) في ذلك الحديث (فنفاه) وأنكر روايتَه.

(فإنْ كانَ جازماً بنفيه، بأن قالَ: «مارويته») على وجه القطع، أو: «كذب عليّ» (ونحوه) تعارضَ الجَزمان، والجاحِدُ هو الأصْل؛ فحينئذٍ (وَجَبَ ردّ الحديث).

ثُمّ، لا يكون ذلك جرحاً للفرع (ولا يقدحُ في باقي رواياته عنه) ولا عن غيره وإنْ كان مكذِّباً لشيخه في ذلك؛ إذ ليس قبولُ جَرْح شيخه له بأوْلى من قبول جرحه لشيخه، فتساقطا.

(وإنْ) لم يُنكر الروايةَ ولكن (قال: «لا أعرفه» أو: «لا أذكره» ونحوه، لم يقدح) في رواية الفرع (على الأصحّ) إذلايدلّ ذلك عليه بوجهٍ؛ لاحتمال السهو والنسيان من الأصل، والحالُ أنّ الفرع ثِقةٌ جازمٌ؛ فلا يردّ بالاحتمال.

(بل) كما لاتبطلُ روايةُ الفرع ويجوز لغيره أن يرويَ عنه بعدَ ذلك (يجوز للمرويّ عنه) أوّلاً، الذي لا يذكر الحديث (روايتُه عمّن) ادّعى أنّه (سمعه عنه؛ فيقولُ) هذا الأصل الذي قد صارَ فرعاً، إذا أراد التحديثَ بهذا الحديث: (حدّثني فلانٌ عنّي، أنّي حدّثتُه) عن فلان (بكذا) وكذا.

(وقد وقعَ من ذلك جملةُ أحاديث) لأكابر نَسُوها بعدَ ما حدّثوا بها، منها حديثُ ربيعة، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، يرفعه إلى النبيّ ﷺ: أنّه قضى بشاهدٍ ويمين[١].

قال عبدُ العزيز بن محمّد: لقيتُ سُهيلاً، فسألتهُ عنه فلم يعرفه. وكانَ يقولُ بعدَ ذلك: حدّثني ربيعةُ عنّي، عن أبي ويسوقُ الحديثَ[٢].

وقد (جَمعها) أي تلك الأحاديث التي نَسِيَها راويـها، ورواهـا عـمّن رواهـا عـنه (بعضُهم) وهو الخطيبُ البغدادي (في كتابٍ) مفرد[٣].

وبالجملة فالمانع مفقودٌ، والمقتضي للقبول موجودٌ، وصيرورةُ الأصل فـرعاً غـير قادحٍ بوجهٍ. والله تعالى أعلم.

---

١. صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٣٧، ح ١٧١٢/٣؛ سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٠٩، ح ٣٦١٠؛ سنن ابن مـاجة، ج ٢، ص ٧٩٣، ح ٢٣٦٨.

٢. سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٠٩، ح ٣٦١٠ و ٣٦١١.

٣. علّق عليه السيّد محمّد رضا الحسيني: اسمه: «مَن حدّث ونسي» في جزء واحد، ذكر فـي مـؤلّفات الخـطيب، ولم نجد له نسخة، وقد لخّصه السيوطي في جزءٍ باسم: «تذكرة المؤتسي في مَن حدّث ونسي» [مخطوط] يوجد في المكتبة الظاهريّة بدمشق. وراجع أيضاً الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٩٦.

(الباب الثالثُ

في تحمّلِ الحديثِ، وطُرُقِ نَقله)

وفيه فصولٌ:

[الفصلُ] (الأوّلُ في أهليّة التحمّل

وشرطُه التمييزُ، إنْ تحمَّلَ بالسَماع، وما في معناه) ليتحقّق فيه معناه.

والمراد بالتمييزِ هُنا: أن يُفَرِّقَ بين الحديثِ الذي هو بِصَدَدِ روايته وغيرِه، إنْ سمعه في أصلٍ مصحَّحٍ، وإلّا اعتُبِر مع ذلك ضبطُه. وفسّره بعضُهم بفَرْقِه بين البقرة والدابّـةِ والحمارِ، وأشباه ذلك؛ بحيثُ يميّز أدنى تميّزٍ. والأوّلُ أصحُّ.

واحترز بـ«تحمُّلِه بالسَماع» عمّا لو كان بنحو الإجازةِ، فلا يعتبر فيه ذلك، كما سيأتي.

والمرادُ بـ«ما في معنى السَماعِ» القراءةُ على الشيخِ ونـحوُها. (لا الإسـلامُ) فـلو تحمّل كافراً وأدّاه مُسلِماً، قُبِلَ.

وقد اتّفقَ ذلك للصَحابةِ، كروايةِ جُبَيْر بن مُطْعِم أنّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَقْرأ في المغربِ بالطُورِ[1]،

---

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٦٥، ح ٧٣١؛ وج ٤، ص ١٤٧٥، ح ٣٧٩٨ و٤٥٧٣؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٣٨، ح ٤٦٣/١٧٤.

وكان قد جاء في فِداء أُسارى بدرٍ[١]. فتحمّله كافراً ثمّ رواه بعد إسلامه.

وكذلك رؤيتهُ لهﷺ واقفاً بعرفة قبل الهجرة[٢]. وروايةِ أبي سُفيانَ في حديثه مع هِرَقْل[٣]. وغيرِها.

(و) لا (البلوغُ) فيصحُّ تحمُّل مَن دونَه (على الأصحِّ).

وقد اتّفقَ الناسُ على روايةِ جماعةٍ من الصَحابةِ عن النبيّﷺ قبل البلوغِ، كالحسنَين) عليهما السلام فقد كان سِنُّ الحسنِ عليه السلام عند موتِ النبيّﷺ نحوَ الثماني سنين، والحسين عليه السلام نحو السبع (و) عبد الله (بنِ عبّاس و) عبدِ الله (بنِ الزُبَيْر والنُعْمانِ بن بَشيرٍ) والسائِبِ بنِ يزيدَ، والمِسْوَر بن مَخْرَمةَ (وغيرِهم) وقبلوا روايتَهم من غير فرقٍ بين ما تحمّلوه قبلَ البلوغِ وبعدَه.

(ولم يزل الناس يُسمِعونَ الصِبيانَ) ويحضرونَهم مجالسَ التحديث، ويعتدّون برواياتهم لذلك بعد البلوغِ.

وخالفَ في ذلك شذوذٌ فشرطوا فيه البلوغَ.

(نعم، تحديدُ قومٍ سنَّهم) المسوّغَ للإسماع (بعشر سنين أو خمس) سنين، (أو أربع) ونحوه[٤] (خَطأٌ؛ لاختلاف الناسِ في مَراتِبِ الفهمِ والتمييز) فمن فَهِمَ الخطابَ وميّز ما يَسْمَعُه صحّ سَماعُه وإن كان دونَ خمسٍ، ومَنْ لم يكن كذلك لم يصحَّ وإن كان ابنَ خمسين.

وقد ذكر الشيخُ الفاضلُ تقيُّ الدين الحسنُ بنُ داودَ: أنّ صاحبَه ورفيقَه السيّد

---

١. المغازي، الواقدي، ج ١، ص ١٣٠ و١٣٩.

٢. في المغازي، الواقدي، ج ٢، ص ١١٠٢: وقال جبير بن مطعم: رأيت رسول اللهﷺ يقف بعرفةَ قبل النبوّة، وكانت قريشُ كلّها تقف بجَمْع إلّا شيبة بن ربيعة.

٣. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٤٦ ـ ٦٤٩؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١١ ـ ٢١٢، في ذكر ما كان من الأُمور سنة ستّ من الهجرة.

٤. نقل هذه الأقوال الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٩٧ ـ ٩٨.

غياثُ الدين ابن طاوُس استقلَّ بالكتابِة واستغنى عن المعلِّمِ وعمره أربعَ سنين[١].

وعن إبراهيمَ بنِ سعيدِ الجوهري قال: رأيتُ صبيّاً ابنَ أربع سنين قد حُمل إلى المأمون، وقد قرأ القرآن، ونظر في الرأي؛ غيرُ أنّه إذا جاعَ بكى[٢].

وقال أبو محمّد عبد الله بن محمّد الأصفهاني:

حفظتُ القرآن ولي خمس سنين، وحُملتُ إلى ابن المقري لأسمع منه ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تُسمِّعوا له فيما يقرأ فإنّه صبيٌّ صغير؛ فقال لي ابن المقري: اقرأ سورةَ الكافرون فقرأتُها فقال: اقرأ سورةَ التكوير فقراتُها؛ فقال لي غيرهُ: اقرأ سورةَ والمرسلات فقرأتها ولم أغلُط فيها، فقال ابن المقري: سمِّعوا له، والعهدةُ عليَّ[٣].

(ولا يُشترط في المرويّ عنه أن يكونَ أكبرَ من الراوي سنّاً، ولا رُتْبةً) وقدراً وعِلْماً، بل يجوزُ أن يرويَ الكبير عن الصغيرِ بعدَ اتّصافِه بصفاتِ الراوي.

(وقد اتّفق ذلك) كثيراً (للصحابة رضي الله عنهم فَمَن دونَهم) من التابعين والفقهاء.

والغرضُ من هذا النوعِ أن لا يُظنّ بناءً على الغالبِ مِن كونِ المرويّ عنه أكبرَ بأحد الأُمور دائماً، فيُجْهَل بذلك منزلتُهما. وقد قال النبيُّ ﷺ: «أُمرنا أن نُنزِّلَ الناسَ منازِلَهم»[٤].

(الفصل الثاني في طُرُقِ التحمُّل) للحديث

(وهي سبعةٌ:

أوّلُها: السَماعُ مِن لفظ الشيخِ، سواءٌ كان) إملاءً (مِن حفظه، أم) كان تحديثه (من كتابه.

---

١. رجال ابن داود، ٢٢٧، الرقم ٩٤٧، عبد الكريم بن أحمد بن موسى ... .

٢. الكفاية في علم الرواية، ص ٦٤؛ الخلاصة في أُصول الحديث، ص ٩٧.

٣. الكفاية في علم الرواية، ص ٦٤ ـ ٦٥؛ تدريب الراوي، ج ٢، ص ٧.

٤. صحيح مسلم، ج ١، ص ٦ (المقدّمة)؛ كشف الخفاء ومزيل الالتباس، ج ١، ص ٢٢٤، ح ٥٩٠. ولفظ الحديث فيهما: «أمرنا رسول اللهﷺ أن ننزّل الناس منازلهم».

وهو) أي السَماعُ من الشيخِ (أرْفَعُ الطُرقِ) الواقعةِ في التحمّلِ (عند جُمهورِ المحدّثين) لأنّ الشيخَ أعرفُ بوجوه ضبط الحديثِ وتأْدِيتِه.

ولأنّه خليفةُ رسولِ اللهﷺ وسفيرُه إلى أُمّته، والآخذُ منه كالآخذِ منه.

ولأنّ النبيَّﷺ أخبر الناسَ أوّلاً وأسمَعهم ما جاء به. والتقريرُ على ماجرى بحضرتهﷺ أولى.

ولأنّ السامعَ أربطُ جأشاً[1] وأوعى قلباً، وشغلُ القلبِ وتوزّع الفكرِ إلى القارئ أسرعُ.

وفي صحيحةِ عبد الله بن سَنان قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يجيئني القومُ فيسمعون منّي حديثكم فأضجر ولا أقوى. قال: «فاقرأ عليهم من أوّله حديثاً، ومن وسطه حديثاً، ومن آخره حديثاً»[2].

فعدولُه عليه السلام إلى قراءةِ هذه الأحاديثِ مع العجزِ، يدلُّ على أولويّته على قراءة الراوي، وإلّا لأمر بها.

(فيقول) الراوي بالسَماع من الشيخ في حالة كونه (راوياً لغيره) ذلك المسموعَ: («سمعتُ») فلاناً إلى آخره.

(وهي) أي هذه العبارةُ (أعلاها) أي أعلى العباراتِ في تأدية المسموعِ، لدَلالتِه نصّاً على السَماعِ الذي هو أعلى الطُرُقِ.

(ثمّ) بعدَها في المرتبة أن يقول: («حدّثني» و«حدّثنا») لدَلالتِهما أيضاً على قراءةِ الشيخِ عليه، لكنّهما يحتملان الإجازةَ، لما سيأتي من أنّ بعضَهم أجازَ هذه العبارةَ في الإجازة والمكاتبة، بخلاف «سمعتُ» فإنّه لايكادُ أحدٌ يقول: «سمعت» في أحاديث الإجازة والمكاتبة، ولا في تَدليسِ مالم يَسْمَعْه.

١. ربطا جأشُه رباطة: اشتدّ قلبه وثق وحزم. لسان العرب، ج ٧، ص ٣٠٣، «ربط».

٢. الكافي، ج ١، ص ٥١ ـ ٥٢، باب رواية الكتب والحديث، ح ٥.

ورُوِيَ عن بعضِ المحدِّثين أنّه كان يقول: «حدّثنا فلانٌ» ويتأوّل أنّه حدّث أهلَ المدينة وكان الراوي حينئذٍ بها، إلّا أنّه لم يَسْمَع منه شيئاً[١] مُدَلِّساً بذلك.

وكون «سمعتُ» في هذه الطريقِ أعلى منهما مذهبَ الأكثر؛ لما ذكرناه.

(وقيل: هما أعلى) منها؛ لأنّه ليس في «سمعتُ» دَلالةٌ على أنّ الشيخَ روى له الحديثَ وخاطَبَه به، وفي «حدّثنا وأخبرنا» دَلالةٌ على أنّه خاطَبَه ورواه له[٢].

وفيه: أنّ هذه وإن كانت مزيّةً، إلّا أنّ الخطبَ فيها أسهلُ من احتمالِ الإجازة والتدليسِ ونحوهما، فيكون تحصيل ما ينفي ذلك أولى من تخصيصه باللفظِ، أو كونِه من جملةِ المقصودين به؛ إذْ لا يفترق الحالُ في صحّة الرواية بهذه المرتبةِ بينَ قصدِه وعَدَمِه.

(ثُمّ) بعد «حدّثني» «وحدّثنا» في المرتبة قوله في هذه الحالةِ: («أخبرنا») لظهور الإخبار في القولِ، ولكنّه يُستعمل في الإجازةِ والمكاتَبَةِ كثيراً، فلذلك كان أدْونَ.

(ثُمّ «أنْبأنا» و«نَبّأنا») لأنّ هذا اللفظَ غالبٌ في الإجازة (وهو قليلُ) الاستعمالِ (هُنا) قبلَ ظُهورِ الإجازةِ فكيفَ بعدَها؟.

(و) أمّا قول الراوي: («قال لنا» و«ذكر لنا») فهو (من قبيل «حدّثنا») فيكون أولى من «أنبأنا» و«نبّأنا» لدَلالتِه على القولِ أيضاً صريحاً (لكنّه) ينقُصُ عن «حدّثنا» بأنه (بما سَمِعَ في المذاكرة) في المجالس (والمناظرة) بين الخصمين (أشْبَه) وألْيق (من «حدّثنا») لدَلالتهما على أنّ المقامَ لم يكن مقامَ التحديث، وإنّما اقتضاه المقامُ.

(وأدناها) أي أدنى العباراتِ الواقعةِ في هذهِ الطريقِ قولُ الراوي بالسَماعِ: («قالَ

---

١. حكاه عن الحسن ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٩٨؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٠؛ والسيوطي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٩.

٢. القائل هو ابن الصلاح في مقدّمته، ص ٩٩؛ وحكاه عنه الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠١؛ والسيوطي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٠.

فلان ولم يقل: «لي» أو «لنا») لأنّه بحسبِ مفهومِ اللفظِ أعمٌّ من كونه سَمِعَه منه، أو بواسطةٍ، أو وسائطَ (وهو) مع ذلك (محمولٌ على السَماعِ) منه عرفاً (إذا تحقّق لِقاؤه) للمرويّ عنه، لا سيّما ممَّنْ عُرف أنّه لا يقول ذلك إلّا فيما سَمِعَه.

وشَرَطَ بعضُهم في حَمله على السَماعِ أنْ يقعَ ممّن عُرِفَ من عادته أنّه لا يقولُ ذلك إلّا فيما سَمِعَه منه[١]، حَذَراً مِن التدليسِ، وهو أَولى. وإن كان عدمُ اشتراطِه أشهرَ.

(**وثانيها: القراءةُ على الشيخ**، وتسمّى) عند أكثرِ قدماءِ المحدّثين (العَرْضُ) لأنّ القارئَ يَعرضُه على الشيخِ، سواءٌ كانت القراءةُ (من حفظِ) الراوي (أو) من (كتابٍ) وسواءٌ كانَ المقروء (لِما يحَفظُه) الشيخُ، أو كان الراوي يقرأ (والأصلُ) الذي يُعارَضُ به (بيده) أي يد الشيخِ مِن غيرِ أنْ يحفَظَه (أو يدِ ثقةٍ) غيرِه، أمّا غيرُ الثِقَةِ فلا يُعتَدُّ بإمساكه؛ لاحتمالِ الغَلَطِ والتصحيفِ في مَقروء الراوي، وعدم ردِّ غيرِ الثقة. واحتمالُ سَهوِ الثِقَةِ نادرٌ فلا يقدح، كما لا يَقْدَحُ السهوُ لو قرأ الشيخُ أيضاً.

(وهي) أي هذه الطريقةِ (روايةٌ صحيحةٌ اتّفاقاً) من المحدّثين، وإنْ خالفَ فيه مَنْ لا يُعتدّ به[٢].

ولكن اختلفوا في أنّ القراءةَ على الشيخِ مثلُ السَماعِ مِن لَفظه في المرتبةِ، أو فوقَه، أو دونَه. فالأشهر ما تقدّم من أنّ السَماعَ أعلى، وقد عرفتَ وجْهَه.

(وقيل: هو) أي العَرْضُ (كتحديثه) أي تحديثِ الشيخِ بلفظه سواء.

وهو المنقولُ عن علماء الحجازِ والكوفةِ[٣]؛ لتحقُّقِ القَراءةِ في الحالتين، مع سَماعِ

---

١. القائل الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية، ص ٢٨٩؛ وحكاه عنه الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠١.

٢. في هامش المخطوطة: هو أبو عاصم النبيل ومحمّد بن سلام وعبد الرحمن بن سلام الجمحي. (منه رحمه الله)؛ وللمزيد راجع تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٣.

٣. قال الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٢ ويروى عن مالك وأصحابه وأشياخه من علماء المدينة أنّهما سواء. وهو مذهب معظم علماء الحجاز والكوفة والبخاري.

الآخِر، وقيامِ سَماعِ الشيخ مقامَ قراءته في مراعاةِ الضَبطِ.

ووردَ به حديثٌ عن ابن عبّاس أنّ النبيَّ ﷺ قال: «قراءتُك على العالِم وقراءةُ العالم عليك سَواءٌ»[١].

(وقيل) العَرضُ (أعلى) من السَماعِ مِن لفظ الشيخ[٢].

وما وقفتُ لهؤلاء على دليلٍ مُقْنِعٍ إلّا ملاحظةُ الأدبِ مع الشيخِ في عدم تكليفه القَراءةَ التي هي بصورة أن يكون تلميذاً لاشيخاً.

(والعبارةُ عن هذه الطريق) أن يقول الراوي ـ إنْ أراد روايةَ ذلك ـ: («قرأتُ على فلان» أو «قُرِئَ عليه وأنا أسمع، فأقرَّ) الشيخُ (بِهِ») أي لم يكتفِ بالقَراءةِ عليه، ولا بعدم إنكارِه، ولا بإشارته، بل تلفَّظَ بمايقتضي الإقرارَ بكونه مَرْوِيَّه.

وهذان أعلى عباراتِ هذه الطريقِ؛ لدَلالتِهما على الواقع صريحاً، وعدمِ احتمالهما غيرَ المطلوب.

(ثُمَّ) بعدهما في المرتبة أن يقول: («حدّثنا» و«أخبرنا» مقيَّدَيْن بـ) قوله: («قراءةً عليه» ونحوه) من الألفاظ الدالّة عليه.

(أو مُطْلَقَيْن) عن قوله: «قراءةً عليه» (على قولٍ) بعض المحدّثين[٣]؛ لأنّ إقرارَه به قائمٌ مقامَ التحديثِ والإخبارِ. ومِن ثَمَّ جازا مقترنَيْن بالقراءة عليه.

وقيل: لا يسوغُ هُنا الإطلاق[٤]؛ لأنّ الشيخَ لم يحدّث ولم يُخْبر وإنْ أقرّ، وإنّما سمع الحديث. ولا يلزم من جوازهما مقترنَين جوازُهما مُطْلَقَين؛ لأنّ الألفاظَ المستعملةَ على وجه المجاز يقترن بغيرها من القرائنِ الدالّةِ عليها، ولا تُطلق كذلك مقيّدة لمعناها.

---

١. الكفاية، ص ٢٦٣، ورواها أيضاً عن عليّ ﷺ في ص ٢٦٢ من الكفاية.

٢. حكاه الطيبي عن أبي حنيفة ومالك في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٢.

٣. حكاه الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٢ عن الزهري ومالك وسفيان بن عيينة، وقال: «وهو مذهب البخاري».

٤. حكاه عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل والنسائي وغيرهم الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٢.

(وفي) قولٍ (ثالثٍ: يجوز إطلاق الثاني) وهو «أخبرنا» (دون الأوّلِ) وهو «حدّثنا»[١]؛ لقوّة إشعاره بالنُطْق والمشافَهةِ دونَ «أخبرنا»، فإنّه يتجوّز بها في غيرِ النُطق كثيراً؛ ولأنّ الفرقَ قد شاع بين أهل الحديث وإن لم يكن بينَهما فرقٌ من جهة اللغةِ، ومَنْ فرّق بينهما لغةً فقد تكلّف عَناءً.

(و) القولُ بالفرقِ (هوالأظهرُ) في الأقوالِ، والأشهرُ في الاستعمال.

(وإذا قال) الراوي (له) أي للمرويّ عنه: («أخبركَ فلان») بكذا، وهو ساكتٌ، مُصْغٍ إليه، فاهِمٌ لذلك (فلم يُنْكِر) ذلك (صحَّ) الإخبار والتحديث عنه (وإن لم يتكلّم) بما يقتضي الإقرارَ به (على قولِ) الأكثرِ؛ لدلالة القرائن المتضافِرةِ على أنّه مُقِرٌّ به، ولأنّ عدالتَه تمنع من السكوت عن إنكار ما يُنْسَب إليه بغير صحّةٍ.

وشَرَطَ بعضُهم نُطقَه[٢]؛ ليتحقّق التحديث والإخبار، ولأنّ السكوت أعمّ من الإقرار، ولهذا يقال: لا يُنْسَبُ إلى الساكت مذهبٌ.

فعلى الأوّل يجوز للراوي أن يقول كالأوّل: «حدّثنا» و«أخبرنا» تنزيلاً لسكوته ـ مع قيام القرائن على إقراره ـ منزلةَ إخباره.

(وقيل) : إنّما (يقولُ: «قُرِىءَ عليه») وهويَسْمع، ونحوه، و(لا) يجوز أن يقول: («حدّثني») لأنّه كذب. وحينئذٍ، فله أن يعملَ به ويرويه كذلك[٣].

(وما سَمِعَهُ) الراوي مِن الشيخِ (وحدَه، أو شكَّ) هل سَمِعَه وحدَه أو مع غيره (قالَ) عند روايته لغيره: («حدّثني») و«أخبرني» بصيغة المتكلّم وحدَه؛ ليكون مُطابقاً للواقع مع تحقّق الوحدة، ولأنّه المتيقَّنُ مع الشكّ؛ لأصالة عدم سماع غيره معه.

---

١. حكاه عن الشافعي وأصحابه ومسلم وجمهور أهل المشرق الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٢.

٢. حكاه عن بعض الشافعيّة كسليم وأبي إسحاق الشيرازي وابن الصباغ وبعض الظاهريّة الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٣.

٣. حكاه عن ابن الصباغ الطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٣.

(و) ما سمعه (مع غيره) يقول: («حدّثنا») و«أخبرنا» بصيغة الجمع، للمُطابقة أيضاً.

وقيل: إنّه يقول مع الشكّ: «حدّثنا» لا «حدّثني» لأنّه أكملُ مرتبةً من «حدّثنا»[١] حيث إنّه يحتمل عدمَ قصده؛ بل التدليسُ بتحديثِ أهلِ بلده كما مرّ، فليقتصِر إذا شكّ على الناقص وصفاً؛ لأنّ عدمَ الزائد هوالأصلُ.

وهذا التفصيلُ بملاحظة أصل الإفراد والجمع هوالأولى.

(ولو عكسَ) الأمرَ (فيهما) فقال في حالةِ الوحدةِ والشكّ: «حدّثنا» بقصد التعظيمِ، وفي حالة الاجتماع «حدّثني» نظراً إلى دخوله في العموم، وعدمِ إدخالِ مَنْ مَعَهُ في لفظه (جازَ) لصحّته لغةً وعُرْفاً.

(ومُنعَ) أي مَنَعَ العلماءُ في الكلمات الواقعة (في المصنَّفات) بلفظ «أخبرنا» أو «حدّثنا» (من إبدال إحداهما بالأُخرى) لاحتمال أن يكونَ مَنْ قال ذلك لا يرى التسويةَ بينَهما، وقد عبّر بما يُطابِق مذهبَه. وكذا ليس له إبدالُ «سمعتُ» بإحداهما، ولا عكسه.

وعلى تقدير أن يكونَ المصنِّفُ ممّن يرى التسويةَ بينهما، فيُبنى على الخلافِ المشهورِ في نقلِ الحديثِ بالمعنى، فإن جوّزناه جازَ الإبدالُ، وإلّا فلا.

(وأمّا المسموعُ) منهما مِن غيرِ أن يُذكر في مصنَّفٍ (فيُبنى) جوازُ تعبيره بالآخَر (على جواز الرواية بالمعنى) وعدمه، فإن قلنا به جاز التعبيرُ، وإلّا فلا. سواءٌ قلنا بتساويهما في المعنى أم لا؛ لأنّه حينئذٍ يكون مُختاراً لعبارةٍ مؤدّيةٍ لمعنى

---

١. قال ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٠٢: فإن شكّ في شيءٍ عنده أنّه من قبيل «حدّثنا» أو «أخبرنا» أو من قبيل «حدّثني» أو «أخبرني» لتردّده في أنّه كان عند التحمّل والسماع وحده أو مع غيره، فيحتمل أن تقول، ليقل: «حدّثني» أو «أخبرني»؛ لأنّ عدم غيره هو الأصل. ولكن ذكر عليّ بن عبد الله المديني الإمام عن شيخه يحيى بن سعيد القطّان الإمام فيما إذا شكّ أنّ الشيخ قال: «حدّثني فلان» أو قال «حدّثنا فلان» أنّه يقول «حدّثنا». وهذا يقتضي فيما إذا شكّ في سماع نفسه في مثل ذلك أن يقول «حدّثنا» وهو عندي يتوجّه بأنّ «حدّثني» أكمل مرتبةً، و«حدّثنا» أنقص مرتبةً، فليقتصر إذا شكّ على الناقص؛ لأنّ عدم الزائد هو الأصل. وهذا لطيف. وانظر الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٣.

الأُخرى، وإن كانت أعلى رتبةً أو أدنى.

(ولا تصحّ) الروايةُ (و) الحالُ أنّ (السامعَ أو المستمعَ[١] ممنوعٌ منه) أي من السَماعِ (بنَسْخٍ ونحوِه) من الموانع، كالحديثِ والقَراءة المُفرِطة في الإسراع والخفية؛ بحيث يخفى بعضُ الكَلِمِ، والبعدِ عن القارئ، ونحوِ ذلك. والضابط كونُه (بحيث لا يَفهَم المقروءَ) لعدم تحقّقُ معنى الإخبار والتحديث معه؛ فلو اتّفق، قال: «حضرتُ» لا «حدّثنا وأخبرنا».

وقيل: يجوز (ويُعفى عن اليسير) من النسخِ ونحوهِ، على وجهٍ لا يمنعُ أصلَ السَماعِ، وإنْ منعَ وقوعَه على الوجه الأكملِ[٢].

ويختلف ذلك باختلافِ أحوال الناسِ في حُسن الفَهم وعدمه، واندفاعه بالشواغِل، فإنّ منهم مَنْ لا يمنعُه النَسْخُ ونحوُه مطلقاً، ومنهم مَنْ يمنعه أدنى عائقٍ.

وقد رُوي عن الحافظ أبي الحسن الدارقُطني، أنّه حضر في حَداثَتِه مجلسَ الصفّار، فجلس ينسخ جزءً كان معه، والصفّار يُملي، فقال له بعضُ الحاضرين: لا يصحّ سماعُك وأنتَ تنسخُ؛ فقال: فهمي للإملاء خلافُ فَهْمِك. ثمّ قال: تحفظُ كم أملى الشيخُ من حديثٍ، إلى الآن؟ فقال: لا؛ فقال الدارقُطني: أملى ثمانيةَ عشر حديثاً. فعُدّت الأحاديثُ فوُجِدَتْ كما قال. ثمّ قال أبو الحسن: الحديث الأوّلُ منها عن فلان ومتنه كذا، والحديث الثاني عن فلان ومتنه كذا. ولم يزل يذكر أسانيدَ الأحاديثِ ومتونَها على ترتيبها في الإملاء حتّى أتى على آخرها، فتعجّب الناسُ منه[٣].

(وليُجز) الشيخُ (للسامعين روايتَه) أي روايةَ المسموعِ أجمع، أو الكتاب، بعدَ الفراغ منه، وإن جرى على كلّه اسمُ السَماع.

---

١. في «ألف، ب»: أو المسموع.

٢. القائل ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٠٣، وحكى جوازه على الإطلاق عن موسى بن هارون الحمّال.

٣. مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

وإنّما كان الجمعُ أولى؛ لاحتمال غَلَط القارئ وغفلة الشيخِ، أو غفلةِ السامع عن بعضه، فيُجبَر ذلك بالإجازة لما فاتَه.

وإذا كتبَ لأحدِهم خَطّه حينئذٍ، كتبَ: «سمعه منّي وأجزتُ له روايتَه عنّي» جمعاً بين الأمرين.

(وإذا عَظُم مجلسُ المحدِّثِ) وكَثُرَ فيه الخلقُ، ولم يُمكن إسماعُه للجميع (فبلَّغ) عنه (مُسْتَمِلٍ، روى) سامعُ المستملي (عن المُمْلي) عندَ بعض المحدّثين؛ لقيام القرائنِ الكثيرةِ بصدقِه فيما بَلَّغه في مجلس الشيخ عنه، ولجريان السَلَفِ عليه، فقد كان كثيرٌ من الأكابر يَعْظُم الجمعُ في مجالسهم جدّاً حتّى يبلغ أُلوفاً مؤلّفةً، ويُبَلِّغُ عنهم المُستَمِلون، فيكتبون عنهم بواسطةِ تبليغهم. وأجازَ غيرُ واحدٍ روايةَ ذلك عن المُمْلي.

وأكثر ما بَلَغَنا في ذلك عن أصحابِنا أنّ الصاحبَ كافي الكُفاة إسماعيلَ بن عبّاد (قدّس الله سرّه)، لمّا جلس للإملاء، حَضَرَ خلقٌ كثيرٌ، فكان المُستملي الواحد لا يقومُ بالإملاءِ، حتّى انضافَ إليه ستّةٌ، كلٌّ يُبَلّغ صاحبَه[١].

وروى أبو سعيد السمعاني في أدب الاستملاء: أنّ المعتصم وَجَّهَ مَنْ يُحرز مجلسَ عاصم بن عليّ بن عاصم في رحبة النخل الذي في جامع الرصافة، قال: وكان عاصم يجلس على سطح المسقطات وينتشر الناسُ في الرَحبةِ وما يليها، فيعظُم الجمعُ جدّاً، حتّى سُمع يوماً يُستعاد اسمُ رجلٍ في الإسناد أربعَ عشرة مرّةً، والناسُ لا يَسْمعون، فلمّا بَلَغَ المعتصمَ كثرةُ الجمع أمر مَنْ يُحرزهم، فحرزوا المجلس عشرين ألفاً ومائة ألفٍ[٢].

ثمّ خمدتْ نارُ العلم، وبارَ، وولّتْ عساكرُه الأدبارَ.

---

١. إسماعيل بن عبّاد بن العبّاس أبو القاسم الطالقاني، وزير مؤيّد الدولة ابن بويه الديلمي. راجع ترجمته معجم الأُدباء، ج ٦، ص ١٦٨ ـ ٣١٧.

٢. أدب الإملاء والاستملاء، ص ١٦ ـ ١٧.

فكأنَّهُ بَـرْقٌ تألّـقَ بـالحِمى　　　ثمّ انْطوى، فكأنّه لم يَـلْمَع[١]

(وقيل: لا) يجوزُ لمن أخذ عن المستملي أن يَـروِيَه عـن المُـمْلي بـغير واسـطةِ المستملي[٢] (وهو الأظهرُ) لأنّه خلافُ الواقع.

(ولا يُشترطُ) في صحّةِ الرواية بالسماع والقَراءةِ (الترائي) بأن يَرى الراويُ المرويَّ عنه، بل يجوزُ، ولو من وراء حجابٍ (إذا عَرَفَ الصوتَ) إن حدّث بـلفظه، أو عـرف حضوره إن قُرِئَ عليه (أو أخبره ثقةٌ) أنّه هو فلانٌ المرويّ عنه.

ومن ثَمَّ صحّت روايةُ الأعمى كابن أُمّ مَكْتُومٍ، وقد كانَ السلفُ يسمعون مِن أزواجِ النبيّ ﷺ وغيرِهنّ من النساء من وراء حجاب، ويَروونه عنهنّ اعتماداً على الصوتِ.

واستدلّوا عليه أيضاً بقوله ﷺ: «إنّ بلالاً يُؤذّن بِلَيْلٍ، فكُلوا واشربوا حـتّى تسـمعوا أذانَ ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»[٣].

(وقيل: بلى) يُشترط الرؤيةُ؛ لإمكان المماثلةِ في الصوت، وقد كان بعض السلف يقول: «إذا حدّثك المحدّث فلم تَرَ وجهَه فلا تَرْوِ عنه، فلعلّه شيطان قـد تَـصوّر فـي صورتِه، يقول: حدّثنا وأخبرنا»[٤].

والحقّ أنّ العلم بالصوت يدفعُ ذلك، واحتمالُ تَصوُّرِ الشيطانِ مشتركٌ بين المُشافهةِ وَوراءِ الحجاب.

---

١. هامش المخطوطة: هذا البيت في قصيدة الشيخ أبو عليّ [سينا] في بيان نفس الناطقة باعتبار الوجود، فـيكون مراده من قوله: فكأنّه برق تأنّق بالحمى. تعلّق النفس الوجود بالعالم الوجود والبدن في زمان الحياة. ومراده من المصراع الثاني، انعدام الوجود بعد الموت، فتشبيه نفس الناطقة باعتبار التعلّق بالبدن بالبرق. حكاه عنه الذهبي في تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٤٦٦. وفيه: «فكأنّها».

٢. من القائلين النووي في التقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٥ ـ ٢٦؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٤.

٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٢٣، ح ٥٩٢؛ الجامع الصحيح، ج ١، ص ٣٩٢، ح ٢٠٣؛ سنن النسائي، ج ٢، ص ١٠، المؤذّنان للمسجد الواحد.

٤. حكاه عن شعبة بن الحجّاج في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٧؛ وفتح المغيث، ج ٢، ص ٥٧.

(و) كذا (لا) يُشترطُ (علمُه) أي علمُ المحدِّث (بالسامعين) فلو استمع مَنْ لم يعلمه بوجهٍ من الوجوه المانعةِ من العلم، جازَ للسامع أنْ يَروِيَه عنه؛ لتحقّق معنى السَماع المعتَبر.

(ولو قال) المحدِّثُ: («أُخبركم ولا أُخبرُ فلاناً» أو خَصَّ قوماً بالسَماع، فَسَمِعَ غيرُهم، أو قال بعدَ السماع: «لا تَرْوِ عنّي») والحالُ أنّه (غيرَ ذاكرٍ خَطَأً للراوي) أوجبَ الرجوعَ عن الرواية (روى السامعُ عنه في الجميع) لتحقّق إخبار الجميع، وإنْ لم يَقْصُد بعضَهم.

حتّى لو حَلَفَ، لا يُخبر فلاناً بكذا، فأخبرَ جماعةً هو فيهم واستثناهُ، حَنَثَ. بخلافِ مالو حَلَفَ.لا يُكلِّمه واستثناه.

وكذلك نهيُه عن الروايةِ لا يُزيلها بعد تحقُّقِها؛ لأنّه قد حدّثه وهو شيءٌ لا يُرجع فيه. وفي معناه ما لو قال: «رجعتُ عن إخباري إيّاك به» أو: «لاآذنُ لك في روايته» ونحوُ ذلك.

نعم، لو كان رجوعُه لتذكّره خطأً في الرواية تعيّن الرجوعُ، ويُقْبل قولُه فيه.

(وثالثُها: الإجازة) وهي في الأصلِ مصدُر «أجاز» وأصلُها «إجْوازة» تحرّكت الواوُ فتُوهِّم انفتاحُ ما قبلها فانقلبتْ أَلِفاً، وبقيت الألِفُ الزائدةُ التي بعدَها فحُذِفَت لالتقاء الساكنَين، فصارت «إجازة» وفي المحذوف من الألِفَيْنِ الزائدة أو الأصليّة قولان مشهوران: الأوّل قول سيبويه، والثاني قول الأخفش[1].

(وهي) مأخوذةٌ (من) جواز الماء الذي يُسقاه المال، من الماشيةِ والحرثِ، ومنه (قولُهم: «استجزتُه فأجازني» إذا سقاك) ماءً (لماشيتك أو أرضك[2].

فالطالبُ للحديث يَسْتجيزُ العالم علمَه) أي يطلبُ إعطاءه له، على وجهٍ يحصل به

١. مغني اللبيب، ص ٦٢١، الباب الخامس؛ كتاب التصريف، ضمن جامع المقدّمات، ص ١٠٩.

٢. كما في الكفاية، الخطيب، ص ٣١٢؛ ومقدّمة ابن الصلاح، ص ١١١.

الإصلاح لنفسه، كما يحصل للأرض والماشية الإصلاح بالماء (فيُجيزه له).

وكثيراً ما يُطلق على العلمِ اسمُ الماء، وعلى النفس اسمُ الأرض، وعليه بعضُ المفسّرين[١] لقوله تعالى: ﴿وترى الأرضَ هامِدةً فإذا أنزلنا عَليها الماءَاهتزّتْ ورَبَتْ﴾[٢].

(وحينئذٍ) أي حين إذ كان أخذها من الإجازة التي هي الإسقاء (فتتعدّى) إلى المفعول (بغير حرف) جرٍّ، ولا ذكرِ روايةٍ (فيقول: «أجزتُه مسموعاتي» مثلاً) كما تقولُ: «أجزتُه مائي».

(وقيل: هي) أي الإجازة (إذْنٌ) وتسويغٌ[٣]، وهو المعروفُ، وعلى هذا (فيقول: «أجزتُ له روايةَ كذا») كما يقول: «أذنتُ له، وسوّغت له».

(وقد يُحذفُ المضافُ) الذي هو متعلَّق الإذن، فيقول: «أجزت له مسموعاتي» مثلاً من غير ذكرِ «الرواية» على وجهِ المَجازِ بالحذف.

وإذا تقرّر ذلك؛ فاعلم أنّ المشهورَ بين العلماءِ من المحدّثين والأُصوليّين أنّه يجوزُ العمل بها، بل ادّعى جماعةُ الإجماعَ عليه[٤]، نظراً إلى شُذوذ المخالفِ.

وقيل ـ وهو يُعزى إلى الشافعي في أحدِ قَولَيه، وجماعةٍ من أصحابه، منهم القاضيان، حسين، والماوردي ـ: لا تجوزُ الروايةُ بها؛ استناداً إلى أنّ قولَ المحدّث: «أجزتُ لك أن تروي عنّي» في معنى: «أجزتُ لك ما لا يجوز في الشرع» لأنّه لا يُبيحُ روايةَ ما لم يُسْمع، فكانَ في قوّةِ: «أجزتُ لك أن تَكذِبَ عليَّ»[٥].

وأُجيبَ بأنّ الإجازة عُرفاً في قوّة الإخبار بمرويّاته جملةً، فهو كما لو أخبره تفصيلاً، والإخبار غيرُ متوقّفٍ على التصريح نُطقاً، كما في القِراءة على الشيخ، والغرضُ

١. كمحيي الدين بن عربي في تفسيره المنسوب إليه، ج ٢، ص ٩٧.

٢. الحجّ (٢٢): ٥.

٣. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١١؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٥.

٤. حكاه في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٩ عن أبي الوليد الباجي وعياض.

٥. كما في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٦؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٥.

حصولُ الإفهام، وهو يتحقّق بالإجازة[١].

وبأنّ الإجازةَ، والروايةَ بالإجازةِ مشروطان بتصحيحِ الخبر من المُخْبر، بحيث يوجَدُ في أصلٍ صحيحٍ، مع بقيّة ما يُعتبر فيها، لا الروايةَ عنه مطلقاً سواءٌ عُرِفَ أم لا، فلا يتحقّق الكذب.

ثمّ اختلف المجوّزون في ترجيح السَماع عليها أو العكس على أقوالٍ، ثالثها الفرقُ بينَ عصرِ السَلَفِ قبلَ جَمع الكُتُب المعتبرةِ التي يُعوَّلُ عليها ويُرجَع إليها، وبينَ عصر المتاخّرين:[٢]

ففي الأوّل السماعُ أرجحُ؛ لأنّ السلفَ كانوا يجمعون الحديث من صُحُف الناسِ وصُدورِ الرجال، فدعت الحاجةُ إلى السَماع خَوْفاً من التدليس والتلبيس. بخلاف ما بعدَ تدوينها؛ لأنّ فائدةَ الرواية حينئذٍ إنّما هي اتّصال سلسلة الأسنادِ بالنبيّ ﷺ، تبرّكاً وتيمّناً، وإلّا فالحجّة تقومُ بما في الكتب، ويُعرف القويّ منها والضعيفُ من كتبُ الجرح والتعديل. وهذا قويّ متينٌ.

ثمّ الإجازة تتنوّعُ أنواعاً أربعة؛ لأنّها إمّا أن تتعلّق بأمرٍ معينٍّ لشخصٍ معينٍّ، أو عكسه، أو بأمرٍ معيّنٍ لغيرهِ، أو عكسه.

(وأعلاها) الأوّلُ، وهو الإجازةُ (لمعيّنٍ به) أي بمعيّنٍ، كـ«أجزتُك الكتابَ الفلاني» أو «ما اشتمل عليه فِهْرستي هذا».

وإنّما كانت أعلى؛ لانضباطها بالتعيين، حتّى زعم بعضُهم: أنّه لا خلافَ في جوازها؛ وإنّما الخلافُ في غيرِ هذا النوعِ[٣].

(أو) الإجازة لمعيّن (بغيره) أي غير معيّن، كقولك: «أجزتُك مسموعاتي» أو

١. كما في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٦؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٦.
٢. حكاه عن الطوفي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣١.
٣. حكاه عن بعضهم ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٠٦؛ والسخاوي في فتح المغيث، ج ٢، ص ٦٤.

«مرويّاتي» وما أشبهه، وهذا أيضاً جائزٌ على الأشهر.

(و) لكنّ (الخلافَ فيه أكثر) من حيث عدم انضباط المجاز، فيبعد عن الإذن الإجمالي المسوِّغ له.

ولو قُيّدتْ بوصفٍ خاصٍ، كـ«مسموعاتي من فلان» أو «في بلد كذا» إذا كانت متميّزة، فأولى بالجواز.

(ثمّ) بعدهما في المرتبة: الإجازة (لغيره) أي غير معيّن، كـ«جميع المسلمين» أو «كلّ أحدٍ» أو «مَنْ أدرك زماني» وما أشبه ذلك، سواءٌ كانَ بمعيّن كـ«الكتاب الفلاني» أو بغير معيّن كـ«ما يجوز لي روايتُه» ونحوه.

(وفيه) أيضاً (خلافٌ) مرتّب في القوّة بحسب المرتبتين، فجوّزه على التقديرين جماعةٌ من الفقهاء والمحدّثين.

وممّن وقفت على اختياره لذلك من متأخّري أصحابنا شيخنا الشهيد، وقد طلبَ من شيخه السيّد تاج الدين بن مُعَيّة الإجازةَ له، ولأولاده، ولجميع المسلمين ممّن أدرك جُزءاً من حياته جميعَ مرويّاته، فأجازهم ذلك بخطّه[1].

(ويُقرّبه إلى الجواز تقييده بوصفٍ خاصٍ) كأهلِ بلدٍ معيّنٍ. فإن جوّزنا العامّ جاز هُنا بطريق أولى، وإلّا احتمَل الجوازُ هُنا للحصر.

(وتبطُل) الإجازةُ (بـ) مرويٍّ (مجهولٍ، أوله) أي لشخصٍ مجهولٍ.

فالأوّل: (كـ«كتابِ كذا» وله) أي للمُجيز (مرويّاتٌ كثيرةٌ بذلك الاسمِ).

(و) الثاني، كقوله: «أجزتُ (لمحمّدِ بن فلانٍ» وله موافقون فيه) أي في ذلك الاسمِ والنسبِ، ولا يُعيّن المُجازَ له منهم.

(و) ليست من هذا القبيل (إجازتُه لجماعةٍ) مسمّيين معيَّنينَ بأنسابهم، والمُجيزُ (لايعرفُ أعيانَهم) فإنّه غيرُ قادحٍ (كإسماعهم) أي كما لايقدحُ عدمُ معرفتِه بهم إذا

١. بحار الأنوار، ج ١٠٥، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

حضروا في السَماع منه، كما تقدّم؛ لحصول العلم في الجملة، وتميّز هم في التسمية[١] هُنا.

(و) تعليقُ الإجازة على الشرط كقوله: («أجزتُ لِمَن شاءَ فلانٌ» باطلٌ) لا يُفيدها عندَ جماعةٍ؛ للجهالةِ، والتعليق، كقوله: «أجزتُ لبعض الناس».

(وقيل: لا) لارتفاع الجهالة عندَ وجود المشيئة، بخلاف الجهالة الواقعة في الإجازة لبعض الناس[٢].

(و«لمن شاء الإجازةَ» أو «الروايةَ» أو «لفلانٍ إن شاءَ» أو «لك إن شئتَ» تصحُّ) لأنّها وإن كانت معلّقةً إلّا أنّها في قوّة المُطْلقة؛ لأنّ مقتضى كلِّ إجازةٍ تفويضُ الروايةِ بها إلى مشيئة المُجازِ له، فكانَ هذا ـ مع كونه بصيغة التعليق ـ في قوّة مايقتضيه الإطلاقُ، وحكايةً للحال، لا تعليقاً حقيقةً، حتّى أجاز بعضُ الفقهاء: «بعتُك إن شئتَ» فقال: «قبلتُ»[٣].

و(لا) تصحّ الإجازةُ (المعدومِ) كقوله: «أجزتُ لمن يُولد لفلانٍ» كما لا يصحّ الوقفُ عليه ابتداءً.

وقيل: (بل) تصحّ الإجازةُ للمعدوم (إن عُطِفَ) المعدومُ (على مَوجودٍ) كـ«أجزتُ لفلانٍ ومَنْ يُولد له»[٤] كالوقف.

ومنهم مَنْ أجازها للمعدوم مطلقاً، بناءً على أنّها إذنٌ لا محادَثةٌ[٥].

---

١. في «ألف، ب»: في أنفسهم.

٢. حكاه ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٠٨؛ والسيوطي في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣٥.

٣. حكاه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٨ عن بعض أئمّة الشافعيّة.

٤. حكاه عن أبي بكر بن داود السجستاني في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٩؛ والتقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣٧.

٥. في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٩: وأمّا الإجازة للمعدوم ابتداءً من غير عطف على موجود فقد أجازها الخطيب أبوبكر الحافظ، وذكر أنّه سمع أبايعلى بن الفراء الحنبلي وأبا الفضل بن عمروس المالكي يجيزان ذلك؛ وحكاه عنهم النووي في التقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣٧.

ورُدّ بأنّها لاتخرج عن الإخبار بطريق الجملة، كما سلف، وهو لا يُعقل للمعدوم ابتداءً، ولو سُلّم كونها إذناً فهي لا تصحّ للمعدوم كذلك، كما لا تصحّ الوَكالةُ للمعدوم[1].

(وتصحّ لغير مميّزٍ) من المجانين والأطفال بعد انفصالهم، بغير خلافٍ يُنقل في ذلك من الجانبين.

وقد رأيتُ خطوطَ جماعةٍ من فُضلائنا بالإجازة لأبنائهم عند ولادتهم، مع تاريخ وِلادتهم، منهم السيّدُ جمالُ الدين بن طاوس لولده غياثُ الدين، وشيخنا الشهيدُ استجاز من أكثر مشايخه بالعراق لأولاده الذين وُلدوا بالشام قريباً من وِلادتهم، وعندي الآن خطوطُهم لهم بالإجازة.

وذكر الشيخُ جمالُ الدين أحمد بن صالح السيبي (قُدّس سرّه): أنّ السيّد فخّار الموسوي اجتازَ بوالده مُسافراً إلى الحجّ قال، فأوقفني والدي بين يدي السيّد، فحفظتُ منه أنّه قال لي: يا ولدي، أجزتُ لك ما تجوز لي روايتُه، ثمّ قال: وستعلم فيما بعدُ حلاوةَ ما خصّصتُك به.

وعلى هذا جرى السلفُ والخلفُ، كأنّهم رأوا الطفلَ أهلاً لتحمّل هذا النوع من أنواع حملِ الحديث النبوي ليؤدّيَ به بعد حصول أهليّته حرصاً على توسّع السبيل إلى بقاء الإسناد الذي اختصّت به هذه الأُمّة، وتقريبه من رسول اللهﷺ بعلوّ الإسناد.

(وفيها) أي في الإجازة (للحَمْل) قبلَ وضعه (وجهان) بل قولان بالصحّةِ؛ نظراً إلى وجودِه. وعدمِه؛ نظراً إلى عدمِ تميّزه. وقد تقدّم أنّه غيرُ مانع، فيتّجه الجوازُ.

(وتصحّ للكافر) كما يصحّ سَماعُه، للأصل. (و) تظهرُ (الفائدةُ إذا أسلم) ، وقد وقع ذلك في قريبٍ من عصرنا، وحصل بها النفعُ.

(وللفاسق والمبتدع، بطريقٍ أولى) فرجاءُ زوال فِسْق المسلم أقربُ، ورواية المبتدع تُقْبل على بعض الوجوه، وقد تقدّم.

---

[1]. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٠٩.

و(لا) تجوز الإجازةُ (بما لم يتحمّله) المجيز من الحديث (ليرويه عنه إذا تحمّله) المجيزُ بعدَ ذلك، لما عرفتَ من أنّها في حكم الإخبار بالمُجازِ جملةً، أو إذنٌ. ولا يُعقل أن يخبر بما لم يُخْبَر به، ولا أن يأذنَ فيما لا يَملِكُ، كما لو وَكَّلَ في بيع العبد الذي يُريد أن يشتريَه.

وذهبَ بعضُهم إلى جوازه؛ بناءً على جواز الإذن كذلك حتّى في الوكالة[١].

وحينئذٍ (فيتعيّن) مَنْ يريد الإجازة بجميع مسموعاته مثلاً (في الرواية تحقيق ما تحمّله) منها (قبلَها ليرويَه) لكن لو قال: «أجزتُ لك ما صحّ ويصحُّ عندك من مسموعاتي» مثلاً صحّ أن يروي بذلك عنه ما صحّ عندَه بعد الإجازة أنّه سمعه قبلَ الإجازة[٢].

وأجاز بعضُهم إجازةَ ما يتجدّد روايته ممّا لم يتحمّله، ليرويَه المُجازُ له إذا تحمّله المُجيزُ بعدَ ذلك، وقد فعلَه جماعةٌ من الأفاضل.

(وتصحّ) للمُجازِ له (إجازةُ المُجازِ) لغيره فيقول: «أجزتُ لك مُجازاتي» أو «رواية ما أُجيز لي روايتُه»؛ لأنّ روايتَه إذا صحّت لنفسه جازَ له أن يرويَها لغيره.

(وقيل: لا) يجوزُ إجازتُها، وإنّما يجوزُ للمُجازِ العملُ بها لنفسه خاصّةً[٣]. وهو متروكٌ.

(و) ينبغي لمنْ يروي بالإجازةِ أن (يتأمّلها) أي إجازة شيخ شيخه التي أجازها له شيخه (ليروي) المُجازُ الثاني (ما دَخَلَ تحتها) ولا يتجاوزها[٤].

---

١ و٢. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٠.

٣. حكاه عن ابن الأنماطي في فتح المغيث، ج ٢، ص ٩٠؛ وتدريب الراوي، ج ٢، ص ٤٠.

٤. في هامش المخطوطة: تقريره أنّه إذا كان مثلاً صورة إجازة شيخ شيخه لشيخه: «أجزت له ما صحّ عنده من مسموعاتي» فرأى المجازله الثاني شيئاً من مسموعات شيخ شيخه فليس له أن يروي ذلك عن شيخه عنه حتّى يتيقّن أنّه ممّا كان قد صحّ عند شيخه كونه من مسموعات شيخه، ولا يكتفي بعلمه هو بذلك من دون أن يكون قد علم به شيخه؛ لأنّ الشرط الواقع في إجازة شيخ شيخه كونه معلوماً لشيخه المجاز له لا لغيره. (نقلت من خطّه أسكنه الله أعلى غرف الجنان).

(فإن أُجيز شيخُه بما صحّ سَماعُه عنده) من مسموعات شيخه (لم يَرْو) هذا المُجازُ الثاني عن شيخه ـ وهوالأوسط ـ (إلّا ماتَحقّقَ) عندَ الراوي الأخير (أنّه صحّ عند شيخه) وهو الأوسط (أنّه سَماعُ شيخه) الأوّل، ولا يكتفي بمجرّد صحّة ذلك عنده الآن، من غير أن يكون قد صحّ سَماعُه عند شيخه؛ عملاً بمقتضى لفظه وتقييده، فينبغي التنبّهُ لذلك وأشباهه.

(و) إنّما (تُستحسن) الإجازةُ (مع علم المجُيز بما أجازَ) هُ (وكونِ المُجاز) له (عالماً) أيضاً، لأنّها توسّعٌ وترخيصٌ يتأهّلُ له أهلُ العلم لمسيس حاجتهم إليها.

(وقيل: يُشترط) العلمُ فيهما[1]، والأشهرُ عدمُه.

(وإذا كتبَ) المجيزُ (بها) أي بالإجازة (وقصدَها صحّتْ) الإجازةُ (بغير تلَفّظٍ) بها، كما صحّت الروايةُ بالقراءة على الشيخ، معَ أنّه لم يتلفّظ بما قُرئ عليه (وبهِ) أي باللفظ مع الكتابة (أولى) منها بدون اللفظ؛ ليتحقّقَ الإخبارُ الذي متعلّقه اللفظ، أو الإذن.

والمقتصرُ على الكتابة، ينظر إلى تحقّقِ الإذنِ والإخبارِ بالكتابة مع القصد، كما تتحقّق الوكالةُ بالكتابةِ مع قصدِها عند بعضهم؛ حيثُ إنّ الغرضَ مجرّد الإباحة، وهي تتحقّق بغير اللفظ، كتقديم الطعام إلى الضَيْف، ودفعِ الثوبِ إلى العُريان ليلبسَه، ونحو ذلك، والأخبار يتوسّع بها في غير اللفظ عُرفاً.

(ورابعها: المناولةُ؛ وهي نوعان:

أحدهما) : المناولةُ (المقرونةُ بالإجازة، وهي أعلى أنواعها) أي أنواع الإجازة على الإطلاق؛ حتّى أنكر بعضُهم إفرادَها عنها، لرجوعها إليها. وإنّما يفترقان في أنّ المناولةَ تفتقرُ إلى مشافهة المجيز للمجازِ له، وحضوره، دونَ الإجازة.

---

١. حكاه عن مالك في الكفاية، ص ٣١٧؛ ومقدّمة ابن الصلاح، ص ١١١.

وقيل: إنّها أخفض من الإجازة؛ لأنّها إجازةٌ مخصوصةٌ في كتابٍ بعينه، بخلاف الإجازة [١].

(ثمّ لها مراتب:) منها: (أن يُعطيه تمليكاً، أو عاريةً لينسخَ أصلَه) أي أصلَ سَماعِ الشيخ ونحوه (ويقول) له: («هذا سَماعي من فلان) أو روايتي عنه (فاروه عنّي») أو «أجزتُ لك روايتَه عنّي» ثمّ يُملّكه إيّاه، أو يقول: «خُذه وانْسخه وقابِلْ به ثُمّ رُدّه إليّ» ونحو هذا.

(ويُسمّى) هذا (عَرْضَ المُناولةِ؛ إذ القَراءةُ عَرْضٌ) ويقال لها: «عرضُ القراءة».

(وهي) أي المناولةُ المقترنةُ بالإجازة (دونَ السَماعِ) في المرتبة، على الأصحّ؛ لاشتمال القراءة على ضَبْطِ الروايةِ وتفصِيلها بما لا يتّفق بالمناولة.

(وقيل) : إنّ المناولةَ مع الإجازه (مثلُه) أي مثلُ السَماع [٢]، من حيث تحقّق أصل الضبط من الشيخ، ولم يحصل منه ـ مع سماعه من الراوي ـ إخبار مفصّل بل إجمالي، فتكونُ المناولةُ بمنزلته.

(ثمّ) دونَ هذه في المنزلة (أنْ يُناوله سَماعَه ويُجيزهَ له ويُمسِكَه) الشيخُ عندَه، ولا يُمكّنه منه (فيرويه) عنه (إذا وجدَه) وظَفَرَ به (أو بما قُوبِلَ به) على وجهٍ يثقُ معه بموافقته لما تناولتْه الإجازةُ، على ما هو معتبرٌ في الإجازات المجرّدةِ عن المناولة.

(و) هذه المرتبةُ تتقاعد عمّا سبقَ، لعدم احتواء الطالب على ما تحمّله، وغَيْبته عنه؛ فلهذا لا يكاد يظهر لها مزيّةٌ على الإجازة الواقعة في معينّ كذلك من غير مناولةٍ،إلّا أنّ المشهورَ أنّ (لها مزيّةٌ على الإجازة) المجرّدة في الجملة، باعتبار تحقّق أصل المناولة.

---

١. القائل هو ابن الأثير الجزري في جامع الأُصول، ج ١، ص ٨٦؛ وحكاه عنه السخاوي في فتح المغيث، ج ٢، ص ١٠١.

٢. حكاه عن جماعة الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ ونقل ما حكاه الحاكم في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٢.

(وقيل: لا) مزيّة لها عليها أصلاً[١]، وهو قريب.

(فإنْ أتاه) أي أتى الطالبُ الشيخَ (بكتابٍ؛ فقالَ) الطالبُ للشيخ: («هذا روايتُك فناولنيه) وأجِزْلي روايتَه» (ففعلَ من غيرنَظَرٍ) في الكتاب، وتحقيقٍ لكونه رواه جميعه أم لا (فباطلٌ؛ إنْ لم يَثِقْ بمعرفة الطالب) بحيث يكون ثقةً متيقّظاً. (وإلّا صَحَّ) الاعتمادُ عليه، وكانت إجازةً جايزةً، كما جاز في القراءة على الشيخ الاعتمادُ على الطالب حتّى يكونَ هو القارئَ من الأصل، إذا كان مَوثوقاً به معرفةً وديناً.

(وكذا) يجوزمطلقاً (إنْ قال) الشيخُ: («حدّث عنّي بما فيه إن كانَ حديثي) مع براءتي من الغَلَط والوَهْم» لزوال المانع السابق، مع احتمال بقاء المنع، للشكّ عند الإجازة، وتعليقها على الشرط.

(وثانيهما) : المناولةُ (المجرّدةُ عن الإجازة، بأن يناوِلَه كتاباً ويقول: «هذا سَماعي») أو «روايتي» (مقتصراً عليه) أي من غير أن يقول: «اروه عنّي» أو «أجزتُ لك روايته عنّي» ونحو ذلك.

وهذه مناولةٌ مُختلّة (فالصحيحُ أنّه لا تجوز له الرواية بها. وجوّزها) أي الرواية بذلك (بعضُ المحدّثين) لحصول العلم بكونه مرويّاً له، مع إشعارها بالإذن له في الرواية.

واستُدلّ لها من الحديث بما رُوي عن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ بعثَ بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حُذافة، وأمره أن يدفَعَه إلى عظيم البحرين، ويدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى[٢].

---

١. قال في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٣: فهذا يتقاعد عمّا سبق لعدم احتواء الطالب على ما تحمّله وغيبته عنه، وجائز له رواية ذلك عنه إذا ظفر بالكتاب... ثمّ إنّ المناولة في مثل هذا لا يكاد يظهر حصول مزيّة بها على الإجازة الواقعة في معيّن كذلك من غير مناولة. وقد صار غير واحد من الفقهاء والأُصوليّين إلى أنّه لا تأثير له ولا فائدة. غير أنّ شيوخ أهل الحديث في القديم والحديث أو من حكي ذلك عنه منهم يرون لذلك مزيّة معتبرة.

٢. رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث، ص ٢٥٨؛ وعنه في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٤٤ ـ ٤٥.

وفي أخبارنا، روي في الكافي بإسناده إلى أحمد بن عمر الحلّال، قال، قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: الرجلُ من أصحابنا يُعطيني الكتابَ ولا يقول: اروه عنّي، يجوزُ لي أن أرويَه عنه؟ قال، فقال: «إذا علمتَ أنّ الكتابَ له فاروه عنه»[١].

وسيأتي أنّ منهم مَنْ أجاز الروايةَ بمجرّد إعلام الشيخِ الطالبَ أنّ هذا الكتابَ سَماعُه مِن فلانٍ، وهذا يزيدُ على ذلك ويترجّحُ بما فيه من المناولة، فإنّها لاتخلو من إشعارٍ بالإذن.

(وإذا روى بها) أي بالمناولة، بأيّ معنىً فُرِضَ (قالَ: «حدّثنا) فلانٌ (مناولةً) و«أخبرنا مناولةً» غيرَ مقتصرٍ على «حدّثنا وأخبرنا» لإيهامه السَماع، أو القراءَة.

(وقيل:) يجوز أن (يُطلق) خصوصاً في المناولة المقترنة بالإجازة[٢]؛ لما عرفتَ من أنّها في معنى السَماعِ (وجوّزه) أي إطلاق «حدّثنا» و«أخبرنا» (بعضُهم في الإجازه المجرّدة عنها) أي عن المناولة[٣].

والأشهر اعتبار ضميمة القيد بالمناولة أو الإجازة أو الإذن، ونحوها.

وكان قد خصّص قومٌ الإجازة بعباراتٍ لم يسلموا فيها من التدليس، كقولهم في الإجازة: «أُخبرنا» أو «حُدّثنا مُشافهةً» إذا كانَ قد شافَهه بالإجازة لفظاً، وكعبارة مَنْ يقول: «أخبرنا فلان كتابةً» أو «فيما كَتَبَ إليّ» إذا كان قد أجازه بخطّه.

وهذا ونحوه لا يخلو عن التدليس؛ لما فيه من الاشتراك والاشتباه بما هو أعلى منه، كما إذا كَتَبَ إليه ذلك الحديثَ نفسَه.

(و) لأجل السلامة من ذلك (خَصّ بعضُهم الإجازة شفاهاً بـ«أنبأني» و) ما كتبَ

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٢، باب رواية الكتب والحديث، ح ٦.

٢. حكاه عن الزهري ومالك في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٣ ـ ١١٤؛ والطيبي في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٩.

٣. حكاه عن أبي نعيم الأصبهاني في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٤؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٠٩.

إليه المحدّثُ من بلده (كتابةً) ولم يُشافهه بالإجازة (بـ«كَتَبَ إليَّ) فلان كذا»[١].

(وبعضُهم استعمل في الإجازة) الواقعة في رواية مَنْ (فوقَ الشيخ) المستمع بكلمة («عن») فيقولُ أحدهم إذا سمع على شيخ بإجازته عن شيخه: «قرأتُ على فلانٍ عن فلانٍ»[٢] ليتميّز عن السَماع الصريح، وإن كان «عن» مشتركاً بين السَماع والإجازة.

(و) اعلم أنّه (لايزولُ المنعُ من) إطلاق («أخبرنا» و«حدّثنا») في الإجازة (بإباحة المُجيز) لذلك، كما اعتاده قومٌ من المشايخ من قولهم في إجازاتهم لمن يُجيزون له: «إن شاءَ قالَ حدّثنا» و«إن شاء قالَ أخبرنا»؛ لأنّ الإجازةَ إذا لم تدلَّ على ذلك، لم يُفِدْه إذْنُ المُجيز.

(وخامسها: الكتابة؛ وهي أن يكتبَ) الشيخُ (مرويّه لغائبٍ أو حاضرٍ بخطّه، أو يأذَنَ) لثقةٍ يعرف خطَّه (بِكَتْبه له) أو مجهول، ويكتب الشيخُ بعده ما يدلّ على أمره بكتابته.

(وهي أيضاً ضربان) :

أحدهما: أن تقعَ (مقرونةً بالإجازة) بأن يكتبَ إليه، ويقول: «أجزتُ لك ماكتبتُه لك» أو «كتبتُ به إليك» ونحو ذلك من عبارات الإجازة.

(وهي) أي المكاتبة بهذه الصفة (في الصحّة والقوّة كالمناولة المقرونة بها) أي بالإجازة.

(و) الثاني: أن تقعَ (مجرّدةً عنها) وقد اختلف المحدّثون والأُصوليّون في جواز الرواية بها، فمنعها قومٌ[٣]؛ من حيث أنّ الكتابة لاتقتضي الإجازة؛ لما تقدّم من أنّها إخبار أو إذن، وكلاهما لفظيٌّ؛ ولأنّ الخطوطَ تشتبه فلايجوز الاعتماد عليها.

---

١. هو الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث، ص ٢٦٠؛ وحكاه عنه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٤ ـ ١١٥.
٢. حكاه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٥.
٣. حكاه في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٥٥ عن قوم، منهم القاضي أبو الحسن الماوردي والآمدي وابن القطان.

(والأشهر) بينهم (جوازُ الرواية بها؛ لتضمّنها الإجازةَ معنىً) وإن لم تقترن بها لفظاً؛ لأنّ الكتابة للشخص المعيّن وإرساله إليه أو تسليمه إيّاه قرينةٌ قويّةٌ، وإشارة واضحةٌ تُشعر بالإجازة للمكتوب، وقد تقدّم أنّ الإخبار لا ينحصر في اللفظ، (كما يُكتفى في الفتوى) الشرعيّة (بالكتابة) من المفتي، مع أنّ الأمر في الفتوى أخطرُ، والاحتياطَ فيها أقوى.

(نعم، يُعتبر معرفةُ الخطّ) أي خطّ الكتابِ للحديثِ (بحيث يامنُ) المكتوبُ إليه (التزويرَ.

وشرطَ بعضُهم البيّنةَ) على الخطّ[١]، ولم يكتفِ بالعلم بكونه خطَّه، حذراً من المشابهة؛ إذ العلمُ في مثل ذلك عاديٌ لا عقليٌ.

والأوّل أصحّ وإن كانَ هذا أحوطَ.

ثمّ على تقدير حُجيّة المكاتبة، فهي أنزلُ من السَماع، حتّى يرجّح ما رُوي بالسَماع على ما رُوي بها، مع تساويهما في الصحّةِ وغيرِها من المرجِّحات، وإلّا فقد تُرجَّح المكاتبةُ بوجوهٍ أُخَرَ.

وقد وقع في مثل ذلك مناظرةٌ بين الشافعي وإسحاقَ بن راهوَيْه في جلود المَيتة إذا دُبِغتْ، هل تطهرُ أم لا؟ يُناسب ذكرها هاهنا، لفوائد كثيرة. قال الشافعي: دباغها طهورها فقال إسحاق: ما الدليل؟ فقال: حديثُ ابن عبّاس عن ميمونة: «هلّا انتفعتم بجلدها؟» يعني الشاة المَيتة، فقال إسحاق: حديث ابن عكيم[٢]: كتبَ إلينا النبيّ ﷺ قبل موته بشهرٍ: «لا تنتفعوا من المَيْتة بإهابٍ ولا عَصَبٍ» أشبه أن يكون ناسخاً لحديث ميمونة؛ لأنّه قبل موته بشهر، فقال الشافعي: هذا كتابٌ وذاك سَماعٌ. فقال إسحاق: إنّ النبيّ ﷺ كتَب إلى كسرى وقيصر، وكان حُجّةً عليهم، فسكت الشافعي[٣].

١. كالغزالي في المستصفى في علم الأُصول، ص ١٣١؛ وحكاه عنه السخاوي في فتح المغيث، ج ٢، ص ١٢٥.

٢. في النسخ التي بأيدينا: ابن حكيم. وما أثبتناه وهو الصحيح من المصادر.

٣. حكاه السيوطي في الحاوي للفتاوي، ج ١، ص ٢١ ـ ٢٢.

(و) حيث يَروي المكتوبُ إليه مارواه بالكتابةِ (يقول فيها: «كَتَبَ إليّ فلان، قال: حدَّثنا فلانٌ» أو: «أخبرنا مكاتبةً» لا «حدّثنا») ولا «أخبرنا» مجرّداً، ليتميّز عن السَماعِ وما في معناه.

(وقيل: بل) يجوز إطلاقُ لفظهما؛[1] حيث إنّها إخبارٌ في المعنى، وقد أُطلق الإخبارُ لُغةً على ما هو أعمُّ من اللفظ، كما قيل:

وتُخبرني العينانِ ما القلبُ كاتِمُ[2]		....

(وسادسها: الإعلام، وهو أن يُعلم الشيخُ الطالبَ أنّ هذا الكتابَ) أو هذا الحديثَ (روايتُه أو سماعُه) من فلان (مقتصِراً عليه) من غير أن يقولَ: «اروه عنّي» أو «أذنتُ في روايته» ونحوه.

(وفي جواز الرواية به قولان):

أحدهما: الجوازُ[3]؛ تنزيلاً له منزلةَ القَراءة على الشيخ؛ فإنّه إذا قرأ عليه شيئاً من حديثه وأقرّ بأنّه روايتُه عن فلان، جاز له أن يرويَه عنه، وإن لم يسمعْه من لفظه، ولم يقل له: «اروه عنّي» أو «أذنتُ لك في روايته عنّي».

وتنزيلاً لهذا الإعلام منزلَة مَنْ سمع غيرَه يُقرّ بشيءٍ، فله أن يشهدَ عليه، وإن لم يُشْهده، بل وإن نهاه. وكذا لو سمع شاهداً شهد بشيءٍ، فإنّه يصيرُ شاهدَ فرعٍ، وإن لم يستشهده.

ولأنّه يُشعر بإجازته له، كما مرّ في الكتابة، وإن كانَ أضعفَ.

والثاني: المنع[4]؛ لأنّه لم يُجزه، فكانت روايتُه عنه كاذبةً.

---

١. حكاه عن جماعة منهم الليث بن سعد ومنصور في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٦؛ والتقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٥٨.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٤٦. تمامه: وما جنّ بالبغضاء والنظر الشزر.

٣. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٦؛ تدريب الراوي، ج ٢، ص ٥٨ ـ ٥٩.

٤. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٦ ـ ١١٧؛ تدريب الراوي، ج ٢، ص ٥٨ ـ ٥٩.

وربما قيس أيضاً على الشاهد إذا ذكر في غير مجلس الحكم شهادتَه بشيء، فإنّه ليس لمن سمعه أن يشهد على شهادته، إذا لم يأذن له ولم يشهده على شهادته. والأصل ممنوعٌ.

(وفي) قول (ثالثٍ) له أن (يرويَه) عنه بالإعلام المذكورِ (وإن نهاه) كما لو سمع منه حديثاً، ثمّ قال له: «لا تروه عنّي ولا أُجيزُه لك» فإنّه لا يضرّه ذلك[١].

(والأقوى عدمه مطلقاً) لعدم وجود ما يحصل به الإذنُ، ومنعِ الإشعار به، بخلاف الكتابة إليه.

(وفي معناه) أي معنى الإعلام (ما لو أوصى له عند موته أو سفره بكتابٍ يرويه، وفيه القولان.

و) لكنّ (الصحيحَ) هُنا (المنعُ) لبُعد هذا القسم جدّاً عن الإذن، حتّى قيل: إنّ القول بالجواز: إمّا زَلّةُ عالمٍ، أو متأوَّلٌ بإرادةِ الرواية على سبيل الوِجادةِ التي تأتي[٢].

وهو غلطٌ؛ فإنّ القائل بهذا النوع دونَ الوجادة متحقّقٌ.

ووجّهوه بأنّ في دفع الكتابِ إليه نوعاً من الإذن. وشَبَهاً من العَرْض والمُناولةِ.

وروى حمّادُ بنُ يزيدَ عن أيّوب السختياني، قال، قلتُ لمحمّد بن سيرين: إنّ فلاناً أوصى إليَّ بكتُبه، أفأُحدّثُ عنه؟ قال: نعم.

قال حمّاد: وكان أبو قُلابة يقول: ادفعوا كُتبي إلى أيّوبَ إن كان حيّاً، وإلّا فاحرِقوها[٣].

(وسابعها: الوِجادة) بكسر الواو (وهي مصدر «وَجَدَ يَجدُ» مولَّدٌ) من غير العرب (غيرُ مسموع) من العرب الموثوق بعربيّتهم، وإنّما ولّده العلماءُ بلفظ الوِجادة، لِما أُخِذَ

---

١. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٦؛ تدريب الراوي، ج ٢، ص ٥٨ ـ ٥٩.

٢. القائل ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١١٧.

٣. رواه السخاوي في فتح المغيث، ج ٢، ص ١٣٢.

من العلم من صحيفةٍ، من غير سَماعٍ، ولا إجازةٍ، ولا مناولةٍ؛ حيثُ وجَدوا العرب قد فرّقوا بين مصادر «وَجَدَ» للتمييز بينَ المعاني المختلفة؛ فإنّهم قالوا: «وَجَدَ ضالّته وِجْداناً» بكسر الواو، و«إجداناً» بالهمزة المكسورة. و«وَجَدَ مطلوبَه وجُوداً» وفيالغضب: «مَوْجِدَةً» و«وجِدَةً». وفي الغنى: «وجداً» مثلّث الواو، و«جِدَةً» وقُرِئَ بالثلاثة في قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهنَّ مِنْ حيثُ سكنتُم مِن وجدكُم﴾[1]. وفي الحُبِّ: «وَجْداً».

فلمّا رأى المولّدون مصادَر هذا الفعل مختلفةً بسبب اختلافِ المعاني ولّدوا لهذا المعنى «الوِجادة» للتمييز.

(وهو) أي هذا النوع من أَخْذِ الحديث ونقِله (أنْ يجدَ) إنسانٌ كتاباً أو حديثاً (مرويَّ إنسانٍ بخطّه) معاصرٍ له، أو غير معاصرٍ، ولم يسمعه منه هذا الواجِدُ، ولا له منه إجازةٌ، ولا نحوها.

(فيقولُ: «وَجَدْتُ») أو: «قرأتُ (بخطّ فلانٍ») أو: «في كتاب فلان بخطّه: حدّثنا فلان» ويسوق باقي الإسنادوالمتن. أو يقول: «وجدتُ بخطّ فلان عن فلان» إلى آخره.

هذا الذي استقرّ عليه العملُ قديماً وحديثاً.

(وهو منقطعٌ) مرسَلٌ (و) لكنْ (فيه) شوبُ (اتّصالٍ) بقوله: «وجدتُ بخطّ فلانٍ» وربما دلّس بعضُهم، فذَكَر الذي وَجَدَ بخطّه وقال فيه: «عن فلان» أو «قال فلان» وذلك تدليسٌ قبيحٌ، إن أوْهَمَ سَماعَه منه.

وجازفَ بعضُهم، فأطلقَ في هذا «حدّثنا» و«أخبرنا» وهو غَلَطٌ منكر[2].

هذا كلّه إذا وَثَقَ بأنّه خطُّ المذكور أو كتابُه (فإن لم يتحقّق) الواجدُ (الخطَّ قال: «بلغني) عن فلانٍ». (أو «وجدتُ في كتابٍ، أخبرني فلانٌ أنّه: خطُّ فلانٍ») إن كانَ

١. الطلاق (٦٥): ٦.

٢. لاحظ مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٧ ـ ١١٨.

أخبره به أحدٌ. أو «في كتابٍ ظننتُ أنّه بخطّ فلانٍ»، أو «في كتاب ذكر كاتبه أنّه فلانٌ»، أو «قيل: إنّه بخطّ فلانٍ». ونحو ذلك.

(وإذا نقلَ من نُسْخةٍ موثوقٍ بها) في الصحّة، بأن قابَلها هو، أو ثقةٌ، على وجهٍ وَثَقَ بها (لمصنّفٍ) من العلماء (قالَ فيه) أي في نَقْله من تلك النسخة: («قال فلان») يعني ذلك المصنِّف (وإلّا) يَثِق بالنسخة قال: («بلغني) عن فلان أنّه ذكر كذا وكذا» و«وجدتُ في نسخةٍ من الكتاب الفلاني» وما أشبه ذلك من العبارات.

وقد تسامح أكثرُ الناس في هذا الزمان بإطلاق اللفظ الجازم في ذلك من غير تحرُّزٍ وتثبُّتٍ؛ فيطالُع أحدُهم كتاباً منسوباً إلى مصنِّفٍ معيّن، وينقلُ منه عنه من غير أن يَثِقَ بصحّة النُسخة، قائلاً: «قال فلان كذا» و«ذكر فلان كذا». وليس بجيّد، بل الصوابُ ما فصّلناه[١].

(إلّا أن يكونَ) الناقلُ (ممّن يعرفُ الساقِطَ) من الكتاب (والمُغيَّر) منه المُصحَّف، فإنّه إذا تأمّل، ووَثَقَ بالعبارة يُرجى له جوازُ إطلاق اللفظِ الجازم فيما يحكيه من ذلك، والظاهر أنّه إلى هذا اسْتَرْوَح كثيرٌ من المصنّفين فيما نقلوه من ذلك، والله أعلم.

(وفي جواز العمل بالوِجادة) الموثوق بها (قولان) للمحدّثين والأُصوليّين:

فنُقل عن الشافعي وجماعةٍ من نُظّار أصحابه جوازُ العمل بها، ووجّهوه بأنّه لو توقّف العملُ فيها على الرواية، لانسدّ بابُ العمل بالمنقول؛ لتعذُّر شرط الرواية فيها[٢].

وحجّةُ المانع واضحةٌ؛ حيثُ لم يحدّث به لفظاً ولا معنىً.

(ولا خلافَ) بينَهم (في منع الرواية) بها؛ لما ذكرناه من عدم الإخبار.

(ولو اقترنت) الوِجادةُ (بالإجازة) بأنْ كان الموجودُ خطُّه حيّاً وأجازه، أو أجازه غيرهُ عنه ولو بوسائطَ (فلا إشكال) في جواز الرواية والعمل، حيث يجوزُ العمل بالإجازة.

---

١. لاحظ مقدّمة ابن الصلاح، ص ١١٧ ـ ١١٨.

٢. حكاه عنهم ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١١٨ ـ ١١٩.

الفصل (الثالثُ في كيفيّة رواية الحديث)

اعلم أنّ العلماء بهذا الشأن قد اختلفوا فيما تجوز به روايةُ الحديث، فأفرط قومٌ فيه، وفرّط آخرون، وقد تقدّمَ في باب الوِجادة، والإعلام، والوصيّة النقلُ عمّن فرّط واجتزى بروايته بمثل ذلك.

وأمّا من أفرط وشدّد؛ فمنهم مَنْ قال: لا حجّةً إلّا فيما رواه الراوي من حفظه وتَذَكُّرِه، وهذا المذهبُ مرويٌ عن مالك، وأبي حنيفة، وبعضِ الشافعيّة[1].

ومنهم مَنْ أجاز الاعتمادَ على الكتاب، بشرط بقائه في يده[2]، فلو أخرجه عنها ولو بإعارةِ ثقةٍ لم تجزالروايةُ منه، لغيبته عنه المجوّزةُ للتغيير، وهو دليلُ مَنْ يمنع الاعتمادَ على الكتاب.

والحقّ المذهبُ الوسَطُ، وهو جواز الرواية بهما.

(و) لكن (أكملها ما اتّفق من حفظه) لأمنْ التغيير والتبديل (ويجوز من كتابه وإن خرجَ من يده ـ مع أمن التغيير، على الأصحّ) لأنّ الاعتمادَ في الروايةِ على غالبِ الظنّ، فإذا حصل أَجزأَ.

(و) قد عرفتَ أنّه قد (أفرط قومٌ، فأبطلوها) من الكتاب مطلقاً، أو بالقيد.

(وفرّط آخرون فرَووا من) كتابٍ (غيرِ مُقابلٍ، فجُرحوا بذلك) وكُتبوا في طبقات المجروحين.

ومن طريف ما نُقل عن بعض المتساهلين، وهوعبد الله بن لَهيعة المصري: أنّ يحيى بن حسّان رأى قوماً معهم جُزْءٌ سمعوه من ابن لهيعة، فنظَر فيه، فإذا ليس فيه حديثٌ واحد من حديث ابن لهيعة، فجاءَ إليه فأخبره بذلك فقال: ما أصنع؟ يجيئوني بكتابٍ،

١. حكاه عنهم ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٣٣.
٢. حكاه قولاً في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٣.

فيقولون: «هذا من حديثك» فأُحدّثُهم به![1]

وهذا خطأٌ عظيمٌ، وغفلةٌ فاحشةٌ.

(والضَرِيرُ إذا لم يحفظ مسموعَه) من فَمِ مَن حدّثه (يستعينُ بثقةٍ في ضبط كتابه) الذي سمعه وحفظه (ويحتاطُ إذا قُرِئَ عليه) على حسب حاله (حتّى يغلبَ على ظنّه عدمُ التغيير) فتصحّ حينئذٍ روايتُه.

(وهو أولى بالمنع) من الرواية بالكتاب (من مثله) أي المنع الواقع (في البصير) عند بعضهم.

(وكذا) القول في (الأُمّي) الذي لا يقرأ الخطّ، ولم يحفظ ما رواه.

(و) إذا سمع كتاباً ثمّ أراد روايتَه من غيرِ حفظٍ، فعليه أن (يروي من نُسخةٍ فيها سَماعُه) ، وهذا هو الأَوْلى.

(أو) من نسخةٍ (قُوبلتْ بها) أي بنسخة سَماعه، مقابلةً موثوقاً بها.

(أو) من نسخةٍ (سُمعتْ على شيخه، أو فيها سَماعُ شيخه، أو كتبت عنه) إذا وَثِقَ بكونها ليستْ مُغايرةً لنسخةِ سَماعِه (وسكنتْ نفسُه إليها) أو كان له من شيخه إجازةٌ عامّةٌ لمرويّاتِه.

(وإلّا، فلا) يجوزُ له الروايةُ من نسخةٍ ليس فيها سماعه مطلقاً؛ لإمكان مخالفتها لنسخةٍ سَماعِه، وإن كانت مسموعةً على شيخِه ونحوهِ، أو كونِها غيرَ مصحّحةٍ.

وكذا القولُ فيما إذا كانت النسخةُ مسموعةً على شيخِ شيخه أو مرويّة عنه، فالمجوّز لروايته منها أن تكون له إجازة شاملةٌ من شيخه لهذه النسخة، ولشيخه إجازةٌ شاملةٌ من شيخه لها، على الوجه السابق، فتدبّره.

(وإذا خالف كتابُه حفظَه منه) أي حفظِ المستندِ إلى ذلك الكتاب (رَجَعَ إليه) أي إلى الكتاب؛ لأنّه الأصلُ، وتبيّن أنّ الخطأ من قِبَلِ الحفظِ.

---

١. حكاه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٤؛ وتدريب الراوي، ج ٢، ص ٩٤.

(و) إن كان حفظه (من شيخه) لا من كتابه (اعتمدَه) أي اعتمدَ حفظَه دونَ ما في كتابه، إذ لم يتشكّك.

(وإن قال) في روايته حينئذٍ: («حِفْظي كذا وفي كتابي كذا») منبّهاً على الاختلاف بينَهما (فحسنٌ) لاحتمال الخطأ على كلٍّ منهما، فينبغي التخلّص بذلك.

(و) كذا (إن خُولف) ما يحفظه من بعض الحفّاظ أو المحدّثين من كتاب (قال) في روايته على الأفضل: («حفظي كذا، وغيري» أو «فلان يقول كذا») وشِبْهَ هذا من الكلام، ليتخلّص من تَبِعَتِه.

ولو أطلقَ وروى ما عنده جازَ، لكنّ الأوّل هو الوَرَعُ.

(وإذا وجدَ خطَّه أو خطّ ثقةٍ بسَماعٍ له) أو روايةٍ بأحدِ وجوهها وهو (لا يذكرُه، رواه) على الأقوى، كما يعتمد على كتابه في ضبط ما سمعه؛ فإنّ ضبط أصلِ السَماع كضبط المسموع، فإذاً جازاعتمادُه وإن لم يذكره حديثاً حديثاً فكذا هنا. هذا إذا كان الكتابُ مصوناً، بحيث يغلبُ على الظنّ سلامتُه من تَطَرُّقِ التزويرِ والتغيير، بحيث تسكُن إليه نفسه كما مرّ.

(وقيل: لا) تجوزُ له روايتُه مع عدم الذُكر، وقد تقدّم أنّه قولُ أبي حنيفة وبعضِ الشافعيّة[1].

(ومَنْ لا يعلم مقاصد الألفاظ وما يُحيل معانيها) ومقادير التفاوُت بينها (لم) يَجُزْ له أن (يرو) يَ الحديثَ (بالمعنى) بل يقتصر على روايةِ ما سَمِعَه باللفظ الذي سمعه، بغير خلافٍ.

(فـ) أمّا (إن عَلِمَ) بذلك (جازَ) له الروايةُ بالمعنى، على أصحّ القولين؛ لأنّ ذلك هو الذي تشهدُ به أحوال الصحابة والسلف الأوّلين، وكثيراً ما كانوا ينقلون معنىً واحِداً في أمر واحدٍ بألفاظٍ مختلفةٍ، وما ذاك إلّا لأنّ معوّلهم كان على المعنى دونَ اللفظ؛ ولأنّه

---

١. حكاه عنهم في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٥؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١١٣.

يجوزُ التعبير بالعجميّة للعَجَمي فبالعربي أولى.

وفي صحيحة محمّد بن مسلم قال، قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديثَ منك فأزيد وأنقص؟ قال: «إن كنتَ تُريد معانيَه فلا بأسَ»[١].

وعن داود بن فَرْقد قال، قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أسمع الكلامَ منك فأُريدُ أن أروِيَه كما سمعتُه منك فلا يجيءُ. قال:«فتتعمّد ذلك؟» قلتُ: لا، فقال: «تريد المعاني» قلت: نعم، قال: «فلا بأس»[٢].

وفي خبرٍ آخَر عنه عليه السلام حين سئل: أسمع الحديثَ منك فلعلّي لا أرويه كما سمعته؟ فقال: «إذا حفظتَ الصُلْبَ منه فلا بأس، إنّما هوبمنزلة تعالَ، هَلُمَّ، واقعد، واجلس»[٣].

(وقيل) : إنّما تجوز الروايةُ بالمعنى (في غيرِ الحديثِ النبويّ)؛ لأنّه صلى الله عليه وآله أفصحُ مَنْ نَطَقَ بالضاد، وفي تراكيبه أسرارٌ ودقائقُ لا يُوقَفُ عليها إلّا بها كما هيَ؛ فإنّ لكلّ تركيبٍ من التراكيب معنىً بحسب الفَصْل والوَصْل والتقديم والتأخير، لو لم يُراعَ لذهب مقاصدُها، بل لكلّ كلمةٍ مع صاحبتِها خاصيّةٌ مستقلّةٌ، كالتخصيص والاهتمام وغيرِهما، وكذا الألفاظُ التي تُرى مشتركةً أو مترادفةً إذا وُضِعَ كلٌّ موضِعَ الآخرِ فاتَ المعنى الذي قُصِدَ به، ومن ثَمَّ قال صلى الله عليه وآله: «نَضرَ الله عبداً سمعَ مقالتي فحفظها ووعاها، وأدّاها كما سَمِعَها. فربَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه»[٤].

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥١، باب رواية الكتب والحديث، ح ٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٥١، باب رواية الكتب والحديث، ح ٣.

٣. حكاه عن كتاب الإجازات لابن طاوس في وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٠٥، باب ٨ من أبواب صفات القاضي، ح ٨٧؛ وبحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٤٤، وفيهما: «إذا أصبت» بدل «إذا حفظت».

٤. حكاه الطيبي عن قومٍ واختاره في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١١٣ ـ ١١٤؛ والحديث في تحف العقول، ص٣٦؛ سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٢٢، ح ٣٦٦٠؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٨٤ ـ ٨٦، ح ٢٣٠، ٢٣١ و٢٣٦؛ الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٣٤ ـ ٣٥، ح ٢٦٥٧ ـ ٢٦٥٨؛ وللعلّامة المامقاني كلام في ردّ الحديث متناً وسنداً؛ راجع مقباس الهداية، ج ٣، ص ٢٣٩ ـ ٢٤١.

ولا ريبَ أنّه أولى، وإن كان الأصحُّ الأوّل؛ عملاً بتلك النصوص.

وهذه المحذوراتُ تندفعُ بما شرطناه، وإن بقي مزايا لا يفوت معها الغرضُ الذاتي من الحديث.

وهذا كلّهُ في غيرالمصنَّفات (والمصنَّفات لا تُغَيَّر) أصلاً، وإن كان بمعناه؛ لأنّه يخرجُ بالتغيير عن وضعه ومقصود مصنِّفه؛ ولأنّ الروايةَ بالمعنى رُخِّصَ فيها؛ لما في الجمودِ على الألفاظِ من الحَرَجِ، وذلك غيرُ موجود في المصنَّفات المُدوَّنةِ في الأوراقِ.

(و) ينبغي أن (يقولَ عقيبَ) الحديثِ (المرويّ بالمعنى، والمشكوكِ فيه) هل وقع باللفظ أو المعنى: («أو كما قالَ») ونحوُه من الألفاظ الدالّةِ على المقصود؛ لما فيه من التحرُّز من الزَلَل، من حيث اشتمال الرواية بالمعنى على الخَطَر، وقد رُويَ فعلُ ذلك من الصحابة عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأنس (رضي الله عنهم)[1].

(ولم يُجوّز مانعو الرواية) للحديث (بالمعنى، وبعضُ مجوّزيها) أيضاً (تقطيعَ الحديثِ) بحيث يُروى بعضُه دون بعضٍ (إن لم يكن) هذا المقطِّعُ قد (رواه) في محلٍّ آخرَ (أو) رواه (غيرُه تماماً) ليرجعَ إلى تمامه من ذلك المحلّ.

ومنهم مَنْ منعه مطلقاً؛ لتحقُّقِ التغييرِ، وعدم أدائه كما سمعه.

(وجوّزه آخرون مطلقاً) سواءٌ كان قد رواه غيرهُ على التمام، أم لا (و) هذا القولُ (هو الأصحُّ) إن وقعَ ذلك (لَمِن عرفَ عدمَ تعلّقِ المتروكِ) منه (بالمرويّ) بحيث لا يختلّ البيانُ، ولا تختلف الدلالةُ فيما نقله بترك ما تركه، فيجوز حينئذٍ، وإن لم تَجُز الروايةُ بالمعنى؛ لأنّ المرويَّ والمتروكَ حينئذٍ بمنزلة خبرين منفصلين.

(و) أمّا (تقطيع المصنِّفِ الحديثَ فيه) أي في مصنَّفه المدلول عليه بالاسم، بحيث فرّقه على الأبواب اللائقة به؛ للاحتجاج المناسب، مع مُراعاة ما سَبَقَ من تماميّة معنى

١. حكاه عنهم في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٦؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١١٥.

المقطوع، فهو (أقربُ إلى الجواز) لأجل الغرض المذكور، وقد فعله غيرُ واحد من أئمّةِ المحدِّثين منّا ومن الجمهور.

(ولا يُروى) الحديثُ (بقراءة لحّانٍ، ولا مُصَحِّفٍ) بل لا يتولّاه إلّا مُتْقِنُ اللغة والعربيّة؛ ليكون مطابقاً لما وقعَ من النبيّ والأئمّة (صلوات الله عليهم)، ويتحقّق أداؤه كما سمعه؛ امتثالاً لأمرِ الرسول ﷺ.

وفي صحيحةِ جميل بن درّاج قال، قال أبو عبد الله ﷺ: «أعْرِبوا حديثَنا فإنّا قومٌ فُصَحاء»[١].

(ويتعلّم) مَنْ يريد قراءة الحديث قبل الشروع فيه من العربيّةِ واللغةِ (ما يَسْلَم به من اللحن. و) لا (يَسْلَمُ من التصحيف) بذلك، بل (بالأخذِ من أفواه الرجالِ) العارفين بأحوال الرُواة، وضبطِ أسمائهم.

(وما وقع في روايته من لحنٍ وتصحيفٍ. وتحقّقهُ روايةً) أي في الرواية (رواه) هو (صواباً وقال: «وروايتُنا كذا» أو يقدّمها) أي الروايه الملحونة أو المصحّفة (ويقول) بعد ذلك: («وصوابُه كذا».

وقيل) والقائل ابن سيرين وجماعةٍ: يرويه (كما سمعه)[٢] باللحن أو التصحيف (فقط) . وهو غلوٌّ في اتّباع اللفظِ، والمنع من الرواية بالمعنى. والأجودُ التنبيهُ عليه، كما سبق.

(وجوّز بعضُهم إصلاحَه في الكتاب)[٣] وهو يُناسب مجوّز الرواية بالمعنى.

(وتركه) في الأصل على حاله (وتصويبُه حاشيةً) أي بيانُ صوابه في الحاشية (أولى) من إبقائه بغير تنبيهٍ على حاله، وأجمعُ للمصلحة، وأنفى للمفسدة.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٢، باب رواية الكتب والحديث، ح ١٣.
٢. حكاه عنهم في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٨؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١١٦.
٣. حكاه عن أبي الوليد هشام بن أحمد الكناني في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٨.

وقد رُويَ أنّ بعض أصحاب الحديث رؤي في المنام وكأنّه قد ذَهَبَ شيء من لسانه أو شفته، فُسئل عن سببه؟ فقال: لفظةٌ من حديث رسول الله ﷺ غيرّتُها برأيي، ففُعِلَ بي هذا[١].

وكثيراً ما نرى ما يتوهّمه كثيرٌ من أهل العلم خطأً، وهو صوابٌ ذو وجهٍ صحيحٍ خفيٍّ.

هذا إذا كان التحريف في الكتاب. وأمّا في السَماع: فالأولى أن يقرأه على الصواب، ثمّ يقول: «وفي روايتنا» أو «عند شيخنا» أو «في طريق فلان كذا» وله أن يقرأ ما في الأصل ثمّ يذكر الصوابَ. كما مرّ.

(وأحسنه) أي أحسن (الإصلاح) إصلاحُه بما جاءَ صحيحاً (بروايةٍ أُخرى) إن اتّفق.

ولو رآه في كتاب، وغلبَ على ظنّه أنّه من الكتّاب لا من الشيخ اتّجه إصلاحُه في كتابه، وروايته.

(ويَسْتثبتُ ما شَكَّ فيه) لاندراسٍ ونحوه، في الإسناد أوالمتن ويُصلحه (من كتاب غيره أو) من (حفظه) إذا وثقَ بهما، وعلى كلّ حالٍ فالأوْلى سدُّ باب الإصلاح ما أمكن، لئلّا يجسُرَ على ذلك من لا يُحسن وهم يحسبون أنّهم يحسنون صُنعاً، مع تبيينِ الحالِ.

(وما رواه) الراوي من الحديث (عن اثنين فصاعداً، واتّفقا) في الروايةِ (معنىً لا لفظاً، جمعهما إسناداً وساق لفظ أحدهما مبيّناً) فيقول: «أخبرنا فلانٌ وفلانٌ واللفظ لفلانٍ» أو «وهذا لفظُ فلانٍ قال» أو «قالا:أخبرنا فلانٌ» وما أشبه ذلك من العبارات.

(فإن تقاربا) في اللفظ مع اتّفاق المعنى (فقال) في روايته: («قالا» كذا») (جاز) أيضاً (على) القول بجواز (الرواية بالمعنى) وإلّا فلا (و) لكن (قول: «تقاربا في اللفظ») ونحوه ممّا يدلّ على الاختلاف اليسير (أولى) من إطلاق نسبته إليهما.

(ومُصَنِّفٌ سَمِعَ من جماعةٍ إذا رواه عنهم من نسخةٍ قوبلتْ بأصل بعضِهم) دونَ

---

١. رواه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٣٨؛ وعنه في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١١٥.

بعضٍ، وأرادَ أن يذكر جميعَهم في الإسناد (وذكره) أي المـقابَل بـنُسْخَتِهِ وحـدَه بأن يقول: «واللفظ لفلانٍ» كما سبقَ؛ فهذا (فيه وجهان:

الجواز) كالأوّل؛ لأنّ ما أورده قد سمعه ممّن ذكره أنّه بلفظه.

(وعدمه) لأنّه لا علمَ عنده بكيفيّة رواية الآخرين حتّى يُخبرَ عنها، بخلاف ما سبقَ؛ فإنّه اطّلع على رواية غير مَنْ نَسَبَ اللفظَ إليه، وعلى مُوافقتها معنى، فأخبر بذلك.

(ولا يَزيدُ) الراوي (على ما سَمِعَ من نَسَب) شيخ شيخه من رجال الإسناد على ما ذكره شيخُه مُدرِجاً عليه (أو صفةٍ) له كذلك (إلّا مميّزاً بـ«هو» أو «نعني») ونحو ذلك، مثاله: أن يروي الشيخُ عن «أحمدَ بن محمّدٍ» كما يتّفق للشيخ أبي جعفر الطوسي، والكليني (رحمهما الله) كثيراً، فليس للراوي أن يرويَ عنهما ويقول: قال: «أخـبرني أحمد بن محمّد بن عيسى» بل يقول: «أحمد بن محمّد هو ابن عيسى» أو «نعني ابن عيسى» ونحوه؛ ليتميّز كلامُه وزيادتُه عن كلام الشيخ.

(وإذا ذكر شيخَه في أوّلِ حديثٍ نَسَبَه) إلى آبائه بحيث يتميّز، ووَصَفَه بما هو أهلُه (ثمّ اقتصرَ بعد) ذلك (على اسمه أو بعض نسبه. ولم يكتبوا«قالَ» بينَ رجال الإسناد) في كثيرٍ من الأحاديث (فيقولُها القارئ) لفظاً.

(و) إذا وجد في الإسناد ما هذا لفظه: («قُرِئَ على فلانٍ أخبرك) فـلانٌ» (يـقول) القارئ بلفظه: («قيل له: أخبرك) فلان».

(و) إذا وجد («قُرِئَ على فلانٍ:حدّثنا) فلان»(يقول: «قال حدّثنا) فلانٌ».

(وإذا تكرّرت) كلمةُ («قال») كما في قوله: «عن زرارة قال، قال الصادق عليه السلام» ـ مثلاً ـ فالعادة أنّهم (يحذفون إحداهما) خطّاً (فيقولها القارئُ، وبحذفِها يُخَلُّ) بالمعنى؛ لأنّ ضميرَ الأُولى للراوي الأوّل وهو الفاعل، وفاعل الفعل الثاني هو الاسم الظاهر الذي بعدَه، فإذا اقتصرَ على واحدٍ، صار الموجودُ فعلَ الاسم الظاهر الثاني، فلا يرتبط الإسناد بالراوي السابق.

(وما اشتمل) من النُسَخِ أو الأبوابِ ونحوها (على أحاديثَ) متعدّدةٍ (بإسنادٍ واحدٍ) فإن شاء أن (يذكره) أي الإسناد (في كلّ حديثٍ) منها، وذلك أحوط، إلّا أنّ فيه طولاً (أو يذكره أوّلاً) أي عند أوّل حديثٍ منها، أو في أوّل كلّ مجلسٍ من مجالس سَماعِها (ويقول بعدَ) الحديثِ الأوّل: («وبالإسناد» أو) يقول: («وبه») أي بالإسناد السابق، وذلك هو الأغلب الأكثر في الاستعمال.

وعلى هذا، فلو أراد مَنْ كان سَماعُه على هذا الوجه تفريقَ تلك الأحاديث، وروايةَ كلّ حديثٍ منها بالإسناد المذكور في أوّلها، جازَ له ذلك؛ لأنّ الجميعَ معطوفٌ على الأوّلِ، فالإسناد في حكم المذكور في كلّ حديثٍ، وهو بمثابة تقطيع المتن الواحد في أبوابٍ بإسناده المذكورِ في أوّله. ومنهم مَنْ منع ذلك إلّا مبيّناً للحال[1].

(وإذا ذكرالشيخُ حديثاً بإسناد، ثمّ أتبعه إسناداً) آخرَ (وقال) عندَ انتهاء الإسناد: («مثله» لم) يكن للراوي عنه أن (يرو) يَ (المتنَ) المذكورَ بعد الإسناد الأوّل (بالإسناد الثاني) لاحتمال أن يكونَ الثاني مماثلاً للأوّل في المعنى، ومغايراً له في اللفظ.

(وقيل: بل) يجوز إذا عرف أنّ المحدِّثَ ضابطٌ، متحفِّظٌ، يميّز الألفاظَ المختلفةَ، وإلّا فلا[2].

وكانَ غيرُ واحدٍ من أهل العلم إذا روى مثلَ هذا يُوردُ الإسناد، ويقول: «مِنْ حديثٍ قبلَه متنُه كذا وكذا» ثمّ يسوقه.

وكذلك إذا كان المحدّث قد قال: «نحوه».

(وإذا ذكر) المحدّثُ (إسناداً وبعضَ متنٍ، وقال) بعدَه: («وذكر الحديث») أو قال: «وذكر الحديثَ بطوله» (ففي جواز رواية) الحديثِ السابق (كلّه بالإسناد) الثاني

---

١. مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٤٣.

٢. حكاه عن بعض أهل العلم الخطيب البغدادي في كتاب الكفاية، ص ٢١٢؛ وابن الصلاح عنه في مقدّمته، ص ١٤٤.

(القولان) السابقان في قوله «مثله» و«نحوه»؛ من حيث إنّ الحديثَ الثاني قد يُغاير الأوّل في بعض الألفاظ وإن اتّحد المعنى، ومن أنّ الظاهرَ أنّه هو بعينه.

(وأولى بالمنع) هنا؛ لأنّه لم يصرّح بالمماثَلة، ويُمكن أن تكونَ اللامُ في «الحديث» للعهد الذهني، وهو الحديث الذي لم يُكْمله، وإنّما اقتصر عليه، لكونه بمعنى الأوّل.

والأولى أنْ يبيّنَ ذلك، بأن يقصَّ ما ذكره الشيخ على وجهه، ثمّ يقول: «قال» وذكر الحديث، ثمّ يقول: «والحديث هو كذا وكذا» ويسوقه إلى آخره.

(وإذا سمع بعضَ حديثٍ عن شيخه وبعضَه عن) شيخٍ (آخر، روى جملته عنهما) في حال كونه (مبيّناً أنّ بعضَه عن أحدهما وبعضَه عن الآخر، ثمّ يصير) الحديثُ بذلك (مُشاعاً بينَهما) حيثُ لم يتبيّن مقدارُ ما رُوي منه عن كلٍّ منهما. فإذا كانا ثقتين فالأمرُ سهلٌ؛ لأنّه يُعمل به على كلّ حالٍ.

(فإن كان أحدهما مجروحاً لم يحتجّ بشيءٍ منه) لاحتمال كون ذلك الشيء مرويّاً عن المجروح إذا لم يتميّز مقدارُ ما رواه عن كلٍّ منهما ليحتجّ بالجزء الذي رواه عن الثقةِ إن أمكن، ويُطرحُ الآخرُ. والله الموفّق.

(الباب الرابع

في أسماء الرجال وطبقاتهم وما يتّصل به)

وهو فنٌّ مهمٌّ يُعرف به المرسَلُ والمتّصلُ؛ ومزايـا الإسـناد، وتـحصل بـه مـعرفةُ الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى الآخِر.

(الصحابيُ مَنْ لقيَ النبيَّﷺ مؤمناً به، وماتَ على الإسلام وإن تخلّلت رِدَّتهُ) بين لقائه مؤمناً به وبين موته مُسلماً (على الأظْهر).

والمراد باللقاء ما هو أعمُّ من المجالَسةِ، والمُماشاةِ، ووصولِ أحدِهما إلى الآخـر، وإن لم يُكالمه ولم يَرَه.

والتعبيرُ به أولى من قولِ بعضِهم في تعريفه: إنّه مَنْ رأى النبيّﷺ[1]؛ لأنّه يخرج منه الأعمى كابنِ أُمِّ مكتومٍ؛ فإنّه صحابي بغير خلافٍ.

واحترز بقوله: «مؤمناً» عمّن لَقِيَه كافراً، وإن أسلم بـعد مـوته، فـإنّه لا يـعدُّ مـن الصحابة.

وبقوله: «به» عمّن لَقِيَه مؤمناً بغيره من الأنبياء، ومَنْ هو مؤمنٌ بأنّه سـيُبعث ولم

---

١. قال في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٧٥: فالمعروف من طريقة أهل الحديث أنّ كلّ مسلم رأى رسول اللهﷺ فهو من الصحابة؛ وكذا في الخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٢٣.

يُدرِك بعثتَه، فإنّه حينئذٍ لم يكنﷺ نبيّاً. وإن حَصَلَ شكٌّ في ذلك فليَزد التعريفَ بعد قوله: «لَقِيَ النبيّ»: «بعدَ بِعثته».

وبقوله: «ومات على الإسلام» عمّن ارتدّ ومات عليها، كعُبيد الله بن جحش، وابن خطل[1].

وشمل قوله: «وإن تخلّلت ردّته» ما إذا رجعَ إلى الإسلام في حياته وبعده، سواءٌ لقيه ثانياً[2] أم لا.

ونبّه بـ«الأصحّ»[3] على خلافٍ في كثير من تلك القيود، ومنها تخلّل الرِدّة.

فإنّ بعضَهم اعتبر فيه روايةَ الحديث، وبعضَهم كثرةَ المجالسةِ وطولَ الصُحبة، وآخرون الإقامة سنةً وسنتين، وغزوةً معه وغزوتين، وغيرَ ذلك[4].

وتظهر فائدةُ قيد الردّةِ في مثلِ الأشعثِ بنِ قَيس، فإنّه كان قد وَفَدَ على النبيّﷺ ثمّ ارتدّ، وأُسِرَ في خلافة الأوّل، فأسلم على يده، فزوّجه أُختَه وكانت عوراء، فولدت له محمّداً الذي شهد قتلَ الحسينعليه السلام.

فعلى ما عرّفنا به يكون صَحابيّاً، وهو المعروفُ، بل قيل: إنّه متّفق عليه.

ثمّ الصَحابةُ على مراتبَ كثيرةٍ، بحسب التقدُّم في الإسلامِ، والهجرةِ، والملازمةِ، والقتالِ معه، والقتلِ تحتَ رايتِه، والروايةِ عنه، ومكالمتِه ومشاهدِته، ومماشاتِه، وإن اشتركَ الجميعُ في شرف الصُحْبة.

ويُعرف كونه صَحابياً بالتواتُر، والاستفاضة، والشهرة، وإخبارِ ثقةٍ.

وحكمهُم ـ عندنا ـ في العدالةِ حكم غيرِهم.

---

١. في نسخة «د»: ابن حنظل.

٢. في هامش «د»: تائباً.

٣. هو قوله قبيل هذا: «على الأظهر».

٤. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٧٥؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٢٣.

وأفضلُهم أمير المؤمنين عليٌّ ﷺ، ثمّ وَلَداه، وهو أوّلُهم إسلاماً.

وآخرُهم موتاً على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة، مات سنة مائة من الهجرة.

وبالإضافة إلى النواحي فآخر هم بالمدينة، جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري، أو سهلُ بنُ سعدٍ، أو السائب بن يزيدَ.

وبمكّةَ، عبدُ الله بنُ عمرَ، أو جابرٌ.

وبالبصرة، أنس.

وبالكوفة، عبدُ الله بنُ أبي أوفى.

وبمصر، عبدُ الله بنُ الحارث بنِ جَزْء الزبيدي.

وبفلسطين، أبو أُبَيّ بن أُمّ حرام.

وبدمشق، واثلة بن الأسقع.

وبحمص، عبد الله بن بُسر.

وباليمامة، الهرماس بن زياد.

وبالجزيرة، العُرس بن عمَيرة.

وبأفريقيّة، رُويفع بن ثابت.

وبالبادية في الأعراب، سلمة بن الأكوع.

قيل: وقُبض رسولُ اللهﷺ عن مائة وأربعة عشر ألف صحابي[1]. والله أعلم.

(والتابعيُ مَنْ لقيَ الصحابي كذلك) أي بالقيود المذكورة، واستثني منه قيدُ الإيمان به، فذلك خاصٌ بالنبيّﷺ.

والخلاف فيه كالسابق، فإنّ منهم مَنْ اشترط فيه أيضاً طولَ الملازمة، أو صحّةَ السَماع من الصحابي، أو التمييز[2].

---

١. حكاه عن أبي زرعة في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٧٨؛ والخلاصة في أُصول الحديث، ص ١٢٣.

٢. راجع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥؛ وفتح المغيث، ج ٣، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

وبقي قسمٌ ثالثٌ بين الصحابي والتابعي، اختلف في إلحاقه بأيّ القسمين وهو المُخَضْرَمون[١] الذين أدركوا الجاهليّةَ والإسلام، ولم يلقوا النبيَّ ﷺ، سواءٌ أسلموا في زمن النبيّ ﷺ كالنجاشي أم لا. واحدُهم مُخَضْرَمٌ ـ بفتح الراء ـ كأنّه خُضْرِمَ أي قُطِعَ عن نظرائه الذين أدركوا الصُحبة.

وذكرهم بعضهم فبلغ بهم عشرين نفساً[٢]، منهم: سويد بن غفلة صاحب عليّ ﷺ، وربيعة بن زُرارة، وأبو مسلم الخولاني، والأحنف بن قيس.

والأَوْلى عدّهم في التابعين بإحسان.

[أقسام الحديث باعتبار الراوي والمرويّ عنه]

[١] (ثمّ الراوي والمرويّ عنه إن استويا في السنّ أو في اللُقى) وهو الأخذ عن المشايخ (فهو النوع) من علم الحديث (الذي يقالُ له: رواية الأقران) لأنّه حينئذٍ يكون راوياً عن قرينه. وذلك كالشيخ أبي جعفر الطوسي والسيّدالمرتضى؛ فإنّهما أقرانٌ في طلب العلم والقراءة على الشيخ المفيد. والشيخ أبو جعفر يروي عن السيّد المرتضى بعدَ أن قرأ عليه مصنّفاته، ذكر ذلك في كتاب الرجال. وله أمثالٌ كثيرةٌ.

[٢] (فإنْ روى كلّ منهما) أي من القرينين (عن الآخر فهو) النوع الذي يقال له: (المُدَبَّج) ـ بضمّ الميم، وفتح الدال المهملة، وتشديد الباء الموحّدة، وآخره جيم ـ مأخوذ من ديباجتي الوجه، كأنّ كلَّ واحدٍ من القرينين يبذل دِيباجةَ وَجْهه للآخر، ويروي عنه.

(وهو) أي المدبّج (أخصّ من الأوّل) وهو رواية الأقران؛ فكلّ مُدَبَّجٍ أقران،

---

١. راجع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ وفتح المغيث، ج ٣، ص ١٣١ ـ ١٣٦.

٢. حكاه عن مسلم بن الحجّاج ابن الصلاح في مقدّمته، ص ١٨٠؛ والنووي في التقريب والتيسير المطبوع مع تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٣٩.

ولا ينعكس، وذلك كرواية الصحابة بعضهم عن بعضٍ من الطرفين. وقد وقع ذلك لهم كثيراً[١].

[٣] (وإن روى عمّن دونه) في السنّ، أو في اللُّقى، أو في المقدار (فهو) النوع المسمّى بـ(روايةالأكابر عن الأصاغر) كرواية الصحابي عن التابعي، وقد وقعَ منه روايةُ العبادلة[٢] وغيرهم، عن كعب الأحبار[٣]. ورواية التابعي عن تابع التابعي، كعمرو بن شعيب لم يكن من التابعين، وروى عنه خلقٌ كثيرٌ منهم. قيل: إنّهم سبعون[٤].

وممّن رأيتُ خطَّه من العلماء بذلك السيّد تاج الدين بن معيّة الحسيني الديباجي، فإنّه أجاز لشيخِنا الشهيد روايةَ مرويّاته، وكان معدوداً من مشيخته، واستجاز في آخر إجازته منه. وهو يصلح مثالاً لهذا القسم من حيث الكِبرَ والنَّسَب واللُّقى، ومن قسم المدبّج من حيث العلم وتعارُضِ الروايتين.

(ومنه) أي من هذا القسم ـ وهو أخصّ من مطلقه ـ روايةُ (الآباء عن الأبناء) ومنه عن الصحابة روايةُ العبّاس بن عبد المطّلب عن ابنه الفضل: أنّ النبيّ ﷺ جمع بين الصلاتين بالمزدَلِفَة[٥].

وروي عن مُعْتَمِر بن سليمان التَيْمِي، قال: حدّثني أبي قال: حدّثتني أنتَ عنّي، عن

---

١. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٨٣.

٢. قال في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٧٧: ورَوّينا عن أحمد بن حنبل أيضاً أنّه قيل له: من العبادلة؟ فقال: عبدالله بن عبّاس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو. قيل له: فابن مسعود؟ قال: لا، ليس عبد الله بن مسعود من العبادلة. قال الحافظ أحمد البيهقي فيما روّيناه عنه وقرأته بخطّه: وهذا لأنّ ابن مسعود تقدّم موته، وهؤلاء عاشوا حتّى احتيج إلى علمهم، فإذا اجتمعوا على شيءٍ قيل: هذا قول العبادلة، أو هذا فعلهم.
وفي حاشية «ب»: العبادلة ثلاثة: وهم عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن زبير. (منه رحمه الله)

٣. راجع مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٨٢.

٤. قال في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٨٢: وقرأت بخطّ الحافظ أبي محمّد الطبسي في تخريج له، قال: عمرو بن شعيب ليس بتابعي، وقد روى عنه نيف وسبعون رجلاً من التابعين.

٥. رواه عن الخطيب في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٨٤؛ وتدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٥٤.

أيّوب، عن الحسن، قال: وَيْحَ كلمةُ رحمة. وهذا طريف يجمع أنواعاً[١]. وغير ذلك.

(والأكثر العكس) وهو رواية الأبناء عن الآباء، لأنّه هو الجادّةُ المسلوكةُ الغالبةُ، وهو قسمان:

رواية الابن عن أبيه دونَ جدّه، وهو كثيرٌ لا ينحصر.

وروايته عن أزيد منه، فروايته عن أبوين، أعني عن أبيه عن جدّه، وهو كثيرٌ أيضاً.

منه في رأس الإسناد: رواية زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي طريق الفقهاء: رواية الشيخ فخرِ الدين محمّدِ بن الحسنِ بن يوسفِ بنِ المطهّرِ عن أبيه الشيخ جمالِ الدين الحسنِ، عن جدّه سديد الدين يوسف.

ومثله، الشيخ المحقّق نجم الدين جعفربن الحسن بن يحيى بن سعيد، فإنّه يروي أيضاً عن أبيه: عن جدّه يحيى، وهو يروي، عن عربي بن مُسافر العبادي، عن إلياس بن هشام الحائري، عن أبي عليّ بن الشيخ، عن والده الشيخ أبي جعفرالطوسي.

وروايتُه عن ثلاثةٍ: كرواية محمّد بن الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى الأكبر بن سعيد، فإنّه يروي عن أبيه يحيى، عن أبيه أحمد، عن أبيه يحيى الأكبر.

وعن أربعة: وقد اتّفق منه روايةُ السيّد الزاهد رضيّ الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن زيد بن الداعي المعمّر الحسيني، عن أبيه محمّد، عن أبيه محمّد، عن أبيه زيد، عن أبيه الداعي، وهو يروي عن الشيخ أبي جعفر الطوسي والسيّد المرتضى وغيرهما.

والسيّد رضيّ الدين نروي عنه بإسنادنا إلى الشيخ أبي عبد الله الشهيد، عن الشيخ رضيّ الدين المزيدي، عن الشيخ محمّد بن أحمد بن صالح السيبي عنه.

ومثله في الرواية عن أربعة آباء: رواية الشيخ جلال الدين الحسن بن أحمد بن

١. رواه عن الخطيب في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٨٥؛ وتدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٥٤.

نجيب الدين محمّد بن جعفر بن هِبة الله بن نما عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه هِبة الله بن نما، وهو يروي عن الحسين بن طحّال المقدادي، عن الشيخ أبي عليّ، عن أبيه الشيخ أبي جعفر الطوسي.

وهذا الشيخ جلال الدين الحسن يروي عنه شيخُنا الشهيد بغيرِ واسطةٍ.

وعن خمسة آباء: وقد اتّفق لنا منه روايةُ الشيخ الجليل بابوَيْه بن سعد بن محمّد بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن بابوَيْه، عن أبيه سعد، عن أبيه محمّد، عن أبيه الحسن، عن أبيه الحسين ـ وهو أخو الشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد ـ عن أبيه عليّ بن بابوَيْه.

وعن ستّة آباء: وقد وقع لنا منه أيضاً روايةُ الشيخ منتجب الدين أبي الحسن عليّ بن عُبيدالله بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن بابوَيْه؛ فإنّه يروي أيضاً عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه عليّ بن الحسين الصدوق ابن بابوَيْه.

وهذا الشيخ منتجبُ الدين كثيرُ الرواية، واسع الطرق عن آبائه وأقاربه وأسلافه. ويروي عن ابن عمّه الشيخ بابوَيْه المتقدّم بغير واسطة.

وأنا لي رواية عن الشيخ منتجب الدين بعدّة طرقٍ مذكورةٍ فيما وضعتُه من الطُرُقِ في الإجازات.

وأكثر ما نرويه بتسعة آباء عن الأئمّة عليهم السلام: روايةُ «الحبّ في الله والبُغْض في الله» فإنّا نرويه بإسنادنا إلى مولانا أبي محمّد الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لبعض أصحابه ذاتَ يومٍ: «يا عبد الله، أحبِبْ في الله، وابغَضْ في الله، ووالِ في الله، وعادِ في الله، فإنّه لا تُنالُ ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد أحدٌ طعمَ

الإيمان وإن كثرَتْ صلاتُه وصيامُه حتّى يكون كذلك»[١]. الحديث.

ونروي عن تسعة آباء بغير طريقهم بإسنادنا إلى عبد الوهّاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أُكَيْنَة بن عبد الله التميمي من لفظه قال: سمعتُ أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعت أبي يقول، سمعتُ عليّ بن أبي طالب وقد سُئِلَ عن الحنّان المنّان فقال: «الحنّان هو الذي يقبل على مَنْ أعرض عنه، والمنّان هو الذي يبدأ بالنوال قبل السُؤال»[٢].

فبين عبد الوهّاب وبين عليّ عليه السلام في هذا الإسناد تسعة آباء، آخرهم أُكَيْنَة بن عبدالله الذي ذكر أنّه سمع عليّاً عليه السلام.

ونروي بهذا الطريق أيضاً حديثاً متسلسِلاً باثني عشر أباً: عن رزق الله بن عبدالوهّاب المذكور، عن أبيه عبد الوهّاب، عن آبائه المذكورين، إلى أبي أُكَيْنة، قال: سمعتُ أبا الهيثم يقول: سمعت أبا عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما اجتمع قومٌ على ذِكْرٍ إلّا حفّتْهم الملائكةُ وغشيتْهم الرحمةُ»[٣].

وأكثر ما وصل إلينا من الحديث المتسلسل بأربعةَ عشر أباً؛ وهو ما رواها الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في الذيل، قال: أخبرنا أبو شجاع، عمرِ بن أبي الحسن البسطامي الإمام بقرائتي قال: حدّثنا السيّد أبو محمّد الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ من لفظه ببلخٍ ـ حدّثني سيّدي ووالدي أبو الحسن عليّ بن أبي طالب، سنة ستّ وستّين وأربعمائة، حدّثني أبي أبوطالب الحسن بن عُبيدالله سنة أربع وثلاثين

١. علل الشرائع، ج ١، ص ١٦٩، الباب ١١٩، ح ١؛ الأمالي، الصدوق، ص ١٩ ـ ٢٠، المجلس الثالث، ح ٧.
٢. رواه في مقدّمة ابن الصلاح، ص ١٨٦؛ تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٦٠.
٣. رواه في تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٦١؛ وفتح المغيث، ج ٣، ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

وأربعمائة، حدّثني والدي أبو عليّ عُبيد الله بن محمّد، حدّثني أبي محمّد بن عُبيدالله، حدّثني أبي عُبيد الله بن عليّ، حدّثني أبي عليّ بن الحسن، حدّثني أبي الحسن بن الحسين، حدّثني أبي الحسين بن جعفر ـ وهو أوّل من دخل بَلخ من هذه الطائفة ـ حدّثني أبي جعفر الملقّب بالحجّة، حدّثني أبي عُبيد الله، حدّثني أبي الحسين الأصغر، حدّثني أبي عليّ بن الحسين بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس الخبر كالمعاينة»[1].

فهذا أكثر ما اتّفق لنا روايته من الأحاديث المسلسلة بالآباء.

[٤] (وإن اشترك اثنان عن شيخٍ وتقدّم موت أحدهما) على الآخر (فهو) النوع المسمّى: (السابِق واللاحق).

وأكثر ما وقفنا عليه في عصرنا من ذلك ستّ وثمانون سنة؛ فإنّ شيخنا المبرور نورالدين عليّ بن عبد العالي الميسي، والشيخ الفاضل ناصر بن إبراهيم البويهي الأحسائي، كلاهما يروي عن الشيخ ظهير الدين محمّد بن الحسام، وبين وفاتيهما ما ذكرناه، لأنّ الشيخ ناصر البويهي تُوفّي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وشيخنا تُوفّي سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة.

وأكثر ما بلغنا قبل ذلك من طرق الجمهور ما بين الراويين في الوفاة، مائة وخمسون سنة، فإنّ الحافظ السِلَفي سمع منه أبو عليّ البَرداني ـ أحد مشائخه ـ حديثاً، ورواه عنه ومات على رأس الخمسمائة، ثمّ كان آخر أصحاب السِلَفي بالسماع سبطُه أبو القاسم عبد الرحمن بن مكّي، وكانت وفاتُه سنة خمسين وستّمائة[2].

وغالب ما يقع من ذلك أنّ المسموعَ منه قد يتأخّر بعد أحد الراويين عنه زماناً حتّى

---

١. رواه السخاوي في فتح المغيث، ج ٣، ص ١٥٧.

٢. راجع فتح المغيث للسخاوي، ج ٣، ص ١٦٠؛ وتدريب الراوي، ج ٢، ص ٢٦٤.

يسمع منه بعضَ الأحداث، ويعيش بعد السَماع منه دهراً طويلاً فيحصل من مجموع ذلك نحو هذه المدَد.

[٥] (والرواة إن اتّفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم فصاعداً، واختلفت أشخاصهم) سواءٌ اتّفق في ذلك اثنان منهم، أو أكثر (فهو) النوع الذي يقال له: (المُتَّفِق والمُفْتَرِق) أي المتّفقُ في الاسم، المفترقُ في الشخص.

وفائدة معرفته خشية أنْ يُظَنَّ الشخصان شخصاً واحداً.

وذلك كرواية الشيخ ومَنْ سبقه من المشايخ، عن «أحمد بن محمّد» ويُطلق؛ فإنّ هذا الاسم مشترك بين جماعة، منهم: أحمد بن محمّد بن عيسى، وأحمد بن محمّد بن خالد، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر، وأحمد بن محمّد بن الوليد، وجماعة أُخرى من أفاضِل أصحابِنا في تلك الأعصار.

ويتميّز عند الإطلاق بقرائن الزمان، فإنّ المرويّ عنه إن كان من الشيخ في أوّل السند أو ما قاربه؛ فهو أحمد بن محمّد بن الوليد. وإن كان في آخره مقارناً للرضا عليه السلام؛ فهو أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي. وإن كان في الوسط، فالأغلبُ أن يريد به أحمد بن محمّد بن عيسى، وقد يُراد غيرُه.

ويحتاج في ذلك إلى فضلِ قوّةٍ وتمييزٍ، واطّلاعٍ على الرجال ومراتبهم، ولكنّه مع الجهل لا يضرّ؛ لأنّ جميعهم ثقاتٌ، فالأمرُ في الاحتجاج بالرواية سَهْلٌ.

وكروايتهم عن «محمّد بن يحيى» مطلقاً، فإنّه أيضاً مشتركٌ بين جماعةٍ، منهم محمّد بن يحيى العطّار القمّي. ومنهم محمّد بن يحيى الخزّاز ـ بالخاء المعجمة والزاي قبلَ الألِف وبعدَها ـ. ومحمّد بن يحيى بن سليمان الخثعمي الكوفي. والثلاثة ثقاتٌ.

وتميّزهم بالطبقة؛ فإنّ محمّد بن يحيى العطّار في طبقة مشايخ أبي جعفر الكُليني، فهو المراد عند إطلاقه في أوّل السند: «محمّد بن يحيى». والآخرانِ رويا عن الصادق فيُعرفان بذلك.

وكإطلاقهم الرواية عن «محمّد بن قَيسٍ» فإنّه مشترك بين أربعة: اثنان ثِقتان، وهما محمّد بن قيس الأسدي، أبو نصر، ومحمّد بن قيس البجلي، أبو عبد الله، وكلاهما رويا عن الباقر والصادق عليهما السلام.

وواحدٌ ممدوحٌ من غير توثيق، وهومحمّد بن قيس الأسدي مولى بني نصر، ولم يذكروا عمّن روى.

وواحدٌ ضعيفٌ، وهو محمّدُ بن قَيسٍ أبوأحمد، روى عن الباقر عليه السلام خاصّةً.

وأمرُ الحجيّة بما يُطلق فيه هذا الاسم مُشْكِلٌ. والمشهورُ بين أصحابنا ردُّ روايته حيثُ يُطلق مطلقاً؛ نظراً إلى احتمال كونه الضعيفَ.

ولكنّ الشيخ أبو جعفر الطوسي كثيراً مّا يعمل بالرواية من غير التفاتٍ إلى ذلك، وهو سَهْلٌ على ما عُلم من حاله؛ وقد يُوافقه على بعض الروايات بعضُ الأصحاب بزَعم الشهرةِ.

والتحقيق في ذلك أنّ الرواية إن كانت عن الباقر عليه السلام فهي مردودة؛ لاشتراكه حينئذٍ بين الثلاثةِ الذين أحدهم الضعيف، واحتمالِ كونه الرابعَ حيثُ لم يذكروا طبقته.

وإن كانت الرواية عن الصادق عليه السلام فالضعف منتفٍ عنها؛ لأنّ الضعيفَ لم يَرْوِ عن الصادق عليه السلام، كما عرفت.

ولكنّها محتملةٌ لأن تكون من الصحيح إن كان هو أحد الثقتين، وهو الظاهر؛ لأنّهما وجهان من وجوه الرواة، ولكلّ منهما أصل في الحديث؛ بخلاف الممدوحِ خاصّةً.

ويُحتمل على بُعْدٍ أن يكون هو الممدوحُ، فتكون الروايةُ من الحسن، فتُبنى على قبولِ الحسنِ في ذلك المقام وعدمه.

فتنبّه لذلك؛ فإنّه ممّا غفلَ عنه الجميعُ، وردّوا بسبب الغفلة عنه رواياتٍ، وجعلوها ضعيفةً، والأمرُ فيها ليس كذلك.

وكَروايتهم عن «محمّد بن سليمان» فإنّه أيضاً مشترك بين محمّد بن سليمان بن الحسن بن الجهم، الثِقة العين ومحمّد بن سليمان الأصفهاني، وهو ثقة أيضاً.

ومحمّد بن سليمان الديلمي، وهوضعيف جدّاً. لكنّ الأوّل متأخِّر عن عهد الأئمّة عليهم السلام والثاني روى عن الصادق عليه السلام، فيتميّزان بذلك، والثالث لم أقف على تقرير طبقته، فترُدّ الروايةُ عند الإطلاق؛ لذلك.

وبالجملة، فهذا باب واسع ونوع جليل كثير النفع في باب الرواية، ويحتاج إلى فضلِ تكلّفٍ، ويحتاج تتبّعُه إلى إطنابٍ يَخرج عن الفرض من الرسالة.

[٦] (وإن اتّفقت الأسماء خَطّاً واختلفت نطقاً) سواءٌ كان مَرجِعُ الاختلاف إلى النُقَطِ أم الشكل (فهو) النوع الذي يقال له: (المُؤتلَفِ والمُختلِف).

ومعرفتُه من مهمّات هذا الفنّ، حتّى أنّ أشدَّ التصحيف ما يقع في الأسماء؛ لأنّه شيء لا يدخله القياس، ولا قبلَه شيءٌ يدلّ عليه ولا بعدَه، بخلاف التصحيف الواقع في المتن.

وهذا النوعُ منتشرٌ جدّاً لا يضبط تفصيلاً إلّا بالحفظِ.

مثاله: جَرير، وحَريز. الأوّل بالجيم والراء، والثاني بالحاء والزاي.

فالأوّل جَرير بن عبد الله البجلي صحابيٌ. والثاني: حريز بن عبد الله السجستاني يروي عن الصادق عليه السلام. فاسم أبيهما واحد، واسمهما مؤتلف، والمائز بينهما الطبقة كما ذكرناه.

ومثل: بُرَيْد ويَزيد. الأوّل بالباء والراء، والثاني بالياء المثنّاة والزاي. وكلٌّ منهما يُطلق على جماعةٍ.

والمائز قد يكون من جهة الآباء؛ فإنّ «بُريد» بالباء الموحّدة ابن معاوية العجلي، وهو يروي عن الباقر والصادق عليهما السلام، وأكثر الإطلاقات محمولةٌ عليه. و«بُريد» أيضاً بالباء، الأسلمي، صحابي، فيتميّز عن الأوّل بالطبقة.

وأمّا «يَزيد» بالمثنّاة من تحتٍ، فمنه يزيد بن إسحاق شَعر، وما رأيتَه مطلقاً فالأب واللقب مميّزان. ويزيد أبو خالد القمّاط يتميّز بالكنية وإن شاركا الأوّلَ في الرواية عن الصادق عليه السلام. وهؤلاء كلُّهم ثقاتٌ.

وليس لنا «بُريد» بالموحّدة في باب الضعفاء، ولنا فيه «يزيد» متعدّداً، ولكن يتميّز بالطبقة والأب وغيرهما مثل: يزيد بن خليفة، ويزيد بن سليط، وكلاهما من أصحاب الكاظم عليه السلام.

ومثل: بُنان وبَيان. الأوّل بالنون بعد الباء، والثاني بالياء المثنّاة بعدها.

فالأوّلُ: غيرُ منسوبٍ، ولكنّه بضم الباء ضعيفٌ، لعنه الصادق عليه السلام.

والثاني بفتحها: الجزري كان خيّراً فاضِلاً. فمع الاشتباه توقف الرواية.

ومثل: حَنَان وحيّان. الأوّل بالنون، والثاني بالياء.

فالأوّل: حنَان بن سدير، من أصحاب الكاظم عليه السلام، واقفي.

والثاني: حيّان السرّاج، كيساني، غيرُ منسوبٍ إلى أبٍ، وحيّان العنزي[1] روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ثقةٌ.

ومثل: بَشّار ويَسَار. بالباء الموحّدة والشين المعجمة المشدّدة، أو بالياء المثنّاة من تحت والسين المهملة المخفّفة.

الأوّل: بَشّاربن يَسار الضبيعي،أخو سعيد بن يسار. والثاني: أبوهما.

ومثل: خُثَيْم وخَيْثَم. كلاهما بالخاء المعجمة، إلّا أنّ أحدَهما بضمّها وتقديم الثاء المثلّثة ثمّ الياء المثنّاة من تحتٍ، والآخر بفتحها ثمّ المثنّاة ثمّ المثلّثة.

فالأوّل: أبو الربيع بن خُثيم، أحدُ الزهّاد الثمانية[2]. والثاني: أبو سعيد بن خيثم الهلالي التابعي، وهو ضعيف.

---

١. في «ألف ، ب»: العبري، وفي حاشية «ألف» بالباء الموحّدة والراء، أو بالنون والزاي، اختلف النقل فيه. صحّ.

٢. راجع اختيار معرفة الرجال، ص ٩٧ ـ ٩٨، ح ١٥٤.

ومثل: أحمد بن ميثم[١]، بالياء المثنّاة، ثمّ الثاء المثلّثة، أو التاء المثنّاة.

الأوّل: ابن الفضل بن دُكَين. والثاني: مطلق. ذكره العلّامة في الإيضاح[٢].

وأمثال ذلك كثيرٌ.

وقد يحصل الائتلاف والاختلاف في النسبةِ والصنعةِ وغيرهما، كالهَمْداني، والهَمَذاني. الأوّل بسكون الميم والدال المهملةِ: نسبةً إلى هَمْدان، قبيلةٌ. والثاني بفتح الميم والذال المعجمة: اسمُ بلدٍ.

فمن الأوّل: محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، ومحمّد بن الأصبغ، وسندي بن عيسى، ومحفوظ بن نصر، وخلقٌ كثيرٌ؛ بل هم أكثر المنسوبين من الرواة إلى هذا الاسم، لأنّها قبيلةٌ صالحة مختصّة بنا من عهد أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها الحارث الهَمْداني صاحبُه.

ومن الثاني: محمّد بن عليّ الهَمَذاني، ومحمّد بن موسى، ومحمّد بن عليّ بن إبراهيم وكيل الناحية، وابنه القاسم، وأبوه عليّ، وجدّه إبراهيم، وإبراهيم بن محمّد، وعليّ بن المسيّب، وعليّ بن الحسين الهَمَذاني، كلّهم بالذال المعجمة.

ومثل: الخرّاز والخزّاز. الأوّل براء مهملة وزاي، والثاني بزائين معجمتين.

فالأوّل لجماعةٍ، منهم: إبراهيم بن عيسى أبو أيّوب، وإبراهيم بن زياد على ما ذكره ابن داود[٣].

ومن الثاني: محمّد بن يحيى، ومحمّد بن الوليد، وعليّ بن فُضَيل، وإبراهيم بن سليمان، وأحمد بن النضر، وعمرو بن عثمان، وعبدالكريم بن هليل الجعفي.

---

١. في هامش المخطوطة: بالياء المثنّاة تحت الساكنة بعدالميم المفتوحة، ثمّ الثاء المثلّثة. كذا في كتب الرجال. ونصّ عليه في الخلاصة. وفي الإيضاح: بكسر الميم وإسكان الياء، وفتح التاء المنقّطة فوقها نقطتين ابن أبي نعيم بضمّ النون. (منه رحمه الله).

٢. إيضاح الاشتباه، ص ١٠٥، الرقم ٧٠، وص ١١٣، الرقم ٩٣.

٣. رجال ابن داود، ص ١٤، الرقم ١٩.

ومثل: الحنّاط والخَيّاط. الأوّل بالحاء المهملة والنون، والثاني بالمعجمة والياء المثنّاة من تحتٍ.

والأوّل يُطلق على جماعةٍ، منهم: أبو وَلّاد الثقةِ الجليل، ومحمّدُ بنُ مروان، والحسنُ بن عطيّة، وعمرُ بن خالدٍ.

ومن الثاني: عليّ بن أبي صالح بُزُرْج ـ بالباء الموحّدة المضمومة والزاي المضمومةِ والراء الساكنة والجيم ـ على ماذكره بعضُهم[1]. والأصحّ أنّه بالحاء والنون كالأوّل.

[٧] (وإن اتّفقت الأسماءُ) خطّاً ونُطقاً (واختلفت الآباء) نُطقاً، مع ائتلافها خطّاً (أو بالعكس) كأنْ تختلف الأسماء نُطقاً وتأتلِف خطّاً، وتأتلف الآباء خطّاً ونُطقاً (فهو النوع الذي يقال له: (المُتشابِهُ).

فالأوّل: كبكر بن زيّاد، بتشديد الياء على ما ذكره العلّامة في الإيضاح[2]. وسهل بن زِياد، بتخفيف الياء، مع جماعةٍ آخرين. وكمحمّد بن عَقيل، بفتح العين؛ ومحمّد بن عُقَيْل، بضمّها. الأوّل نيسابوري، والثاني فرياني.

والثاني: كشُرَيْح بن النُعمان، وسُرَيْج بن النعمان. الأوّل بالشين المعجمة والحاء المهملة، وهو تابعي يروي عن عليّ عليه السلام، والثاني بالسين المهملة والجيم، وهو عامّي أحد رواتهم.

(ومن المهمّ في هذا الباب معرفة طبقاتِ الرواة)

وفائدته الأمن من تداخُل المشتبهين، وإمكان الاطّلاع على تبيّن التدليس، والوقوف على حقيقة المراد من العَنْعَنَةِ.

---

١. كالعلّامة في موضعٍ من إيضاح الاشتباه، ص ٢٢٢، الرقم ٤٠٥؛ وذكر أنّه بالحاء المهملة والنون في موضعٍ آخر، ص ٢٢٠، الرقم ٣٩٧.

٢. إيضاح الاشتباه، ص ١١٨، الرقم ١٠٦.

والطبقةُ في الاصطلاح: عبارةٌ عن جماعةٍ اشتركوا في السنّ ولقاء المشائخ، فهم طبقةٌ، ثمّ مَنْ بعدَهم طبقةٌ أُخرى، وهكذا.

(و) من المهمّ أيضاً معرفةُ (مواليدهم ووفياتهم، فبمعرفتها يحصل الأمن من دعوى) المدّعي (اللقاء) أي لقاء المرويّ عنه، والحال أنّه كاذب في دعواه (وأمره) في اللقاء (ليس كذلك).

وكم فتح الله علينا بواسطة معرفة ذلك بالعلمِ بكذب أخبار شائعة بين أهل العلم، فضلاً عن غيرهم، حتّى كادت أن تبلغَ مرتبةَ الاستفاضة، ولو ذكرناها لطال الخَطْبُ.

(ومعرفة الموالي منهم، من أعلى ومن أسفل بالرقّ) بأن يكونَ قد أعتقَ رجلاً فصار مولاه، أو أعتقه رجلٌ فصار مولاه. فالمعتِقُ ـ بالكسر ـ مولى من أعلى، والمعتَقُ ـ بالفتح ـ مولى من أسفل.

(أو بالحِلْف) بكسرالحاء، وأصله المعاقدة والمعاهَدةُ على التَعاضُدِ والتساعُدِ والاتّفاقِ، ومنه الحديث: «حالَفَ رسولُ اللهﷺ بين المهاجرين والأنصار مرّتين»[1] أي آخى بينَهم. فإذا حالَفَ أحدٌ آخر، صار كلٌّ منهما مولى الآخرِ بالحِلْف.

(أو بالإسلام) فمن أسلم على يد آخَرَ كان مولاه، يعني بالإسلام.

وفائدتُه: معرفة الموالي المنسوبين إلى القبائل بوصْفٍ مطلقٍ، فإنّ الظاهرَ في المنسوبِ إلى قبيلةٍ ـ كما إذا قيل: «فلانٌ القرشيُ» ـ أنّه منهم صليبةً، وقد تكون النسبةُ بسبب أنّه مولى لهم بأحدِ المعاني.

والأغلب مولى العتاقة.

وقد يُطلق المولى على معنى رابعٍ، وهو الملازمة، كما قيل: «مِقْسَم مولى ابن عبّاس» للزومه إيّاه.

---

١. سنن أبي داود، ج ٣، ص ١٢٩، ح ٢٩٢٦.

وخامس، وهو مَنْ ليس بعربي، فيقال: «فلانٌ مولى» و«فلان عربي صريح» وهذا النوع أيضاً كثير.

ومَرجِعُ الجميعِ إلى نصّ أهل المعرفةِ عليه. وفي كتب الرجال تنبيهٌ على بعضه.

(ومعرفةُ الإخوة والأخوات) من العلماء والرواة.

وفائدة معرفته: زيادةُ التوسّع في الاطّلاع على الرواة وأنسابهم. وقد أفردوه بالتصنيف؛ للاهتمام بشأنه لذلك.

فمثال الأخوين من الصحابة: عبد الله بن مسعود، وعتبة بن مسعود، أخوان. وزيد بن ثابت، ويزيد بن ثابت، أخوان.

ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: زيدٌ وصَعْصَعةُ، ابنا صُوحان. ورِبعي ومسعودٌ، ابنا حِراش العَبْسيّان.

ومن التابعين: عمرو بن شُرَحْبيل أبو ميسرة وأرقم بن شرحبيل، أخوان فاضلان من أصحاب ابن مسعود. وآخرون لا يحصى عددهم.

ومثال الثلاثة من الصحابة: سَهْل وعبّاد وعثمان، بنو حُنَيْف.

ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: سفيان بن يَزيد وأخواه، عبيد والحرث، كلّهم أخذ رايتَه وقُتِلَ في موقف واحد. وسالم وعبيدة وزياد، بنو الجعد الأشجعيّون.

ومن أصحاب الصادق عليه السلام: الحسن ومحمّد وعليّ، بنو عطية الدغْشي المحاربي.

ومحمّد، وعليّ، والحسين بنو أبي حمزة الثُمالي.

وعبد الله، وعبد الملك، وعريق بنو عطا بن أبي رباح، نجباء.

ومن أصحاب الرضا عليه السلام: حمّاد بن عثمان والحسين وجعفر أخواه. وغيرهم وهم كثيرون أيضاً.

ومثال الأربعة: عُبيد الله ومحمّد وعِمران وعبد الأعلى بنو عليّ بن أبي شُعْبة الحلبي، ثقاتٌ فاضِلون، وكذلك أبوهم وجدُّهم.

وبسطام، أبو الحسين الواسطي وزكريّا وزياد وحفص، بنو سابور، وكلّهم ثقاتٌ أيضاً.

ومحمّد وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، بنو الفضل بن يعقوب بن سعيد بن نوفل بن حارث بن عبد المطلّب. وكلّ هؤلاء ثقاتٌ من أصحاب الصادق عليه السلام.

وداود بن فرقد وإخوته: يزيد وعبد الرحمن وعبدالحميد.

وعبد الرحيم وعبد الخالق وشهاب ووهب بنو عبد ربّه. وكلّهم خيارٌ فاضلون.

ومحمّد وأحمد والحسين وجعفر، بنو عبد الله بن جعفر الحميري.

ومن غريب الإخوة الأربعة، بنو راشد أبي إسماعيل السلمي، وُلدوا في بطن واحد، وكانوا علماء، وهم: محمّد وعمر وإسماعيل، ورابع لم يسمّوه.

ومثال الخمسة: سفيان، ومحمّد، وآدم، وعمر، وإبراهيم، بنو عُيَيْنة، كلّهم حدّثوا.

ومثال الستّة من التابعين أولاد سيرين: محمّد المشهور وأنس ويحيى ومعبد وحفصة وكريمة.

ومن رواة الصادق عليه السلام: محمّد وعبد الله وعبيد وحسن وحسين ورومي بنو زُرارة بن أعْينَ.

ومثال السبعة من الصحابة، بنو مقرن المزني وهم: النعمان ومعقل وعقيل، وسُويد وسِنان وعبد الرحمن وعبد الله. وقيل: إنّ بني مقرن كانوا عشرةً.

ومثال الثمانية: زُرارة وبُكَيْر وحُمران وعبد الملك وعبد الرحمن ومالك وقَعْنَب وعبد الله، بنو أعْينَ، من رواة الصادق عليه السلام.

ويوجد في بعض الطرق: نَجْم بن أعْينَ، فيكون من أمثلة التسعة.

ولو أُضيف إليهم أُختُهم أمّ الأسود صاروا عشرة.

ومازاد على هذا العدد نادر، فلذا وقف عليه الأكثر.

وذكر بعضهم عشرة ومنهم: أولاد العبّاس بن عبد المطّلب؛ وهم: الفضل وعبدالله

وعبيدُ الله وعبد الرحمن وقُثَم ومعبد وعون والحرث وكثير وتَمام ـ بالتخفيف ـ وكان أصغرهم، وكان العبّاس يحمله ويقول:

تمّوا بتمام فصاروا عشـرة		يا ربّ فاجعلهم كراماً بررة

واجعل لهم خيراً ونم الثمرة

وكان له ثلاث أُناث: أُمّ كلثوم وأُمّ حبيب وأُميمة. والله تعالى أعلم.

(و) من المهمّ أيضاً (معرفة أوطانهم وبُلدانهم). فإنّ ذلك ربما يميّز بين الاسمين المتّفقين في اللفظ، وأيضاً ربما استدلّ بذكر وطن الشيخ، أو ذكرمكان السماع، على الإرسال بين الراويين، إذا لم يعرف لهما اجتماع عندَ مَنْ لا يكتفي بالمعاصرة.

(وقد كانت العربُ تنسب إلى القبائل) وإنّما حَدَثَ لهم الانتساب إلى البلاد والأوطان لمّا توطّنوا (فسكنواالقُرى) والمدائن (وضاعت الأنساب) فلم يبق لها غير الانتساب إلى البلدان والقرى (فانتسبوا إليها كالعجم، فاحتاجوا إلى ذكرها، فالساكن ببلدٍ) وإنْ قَلّ ـ (وقيل:) يُشترط سُكناه (أربع سنين ـ بعد) أن كان قد سكن بلداً (آخر يُنسبُ إلى أيّهما شاءَ، أو) يُنسب (إليهما) معاً (مقدّماً للأوّل) من البلدين سكنى (ويحسنُ) عندَ ذلك (ترتيب) البلد (الثاني بـ«ثُمّ») فيقول مثلاً: «البغدادي ثمّ الدمشقي».

(و) الساكن (بقريةِ بلدِ ناحيةِ إقليمٍ يُنسب إلى أيّها شاء) من القرية والبلدِ والناحيةِ والإقليم.

فمَنْ هومن أهل جُبع مثلاً له أن يقول في نسبته: «الجُبَعي»، أو «الصَيْداوي»، أو «الشامي». ولو أراد الجمع بينها فليبدأ بالأعمّ فيقول «الشامي الصيداوي الجُبَعي».

(فهذه جملةٌ موجزةٌ في الإشارة إلى مقاصد هذا العلم) أعني دراية الحديث وأنواعه (إجمالاً. ومَنْ أراد الاستقصاء فيها مع ذكر الأمثلة) الموضّحة لمطالبه (فعليه

بكتابنا غُنْية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدّثين [١] فإنّه قد بلغَ في ذلك الغاية، وفّق الله تعالى لإكماله بمحمّد وآله.

(والله) تعالى (الموفّق) للسداد (والهادي) إلى سبيل الرشاد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فرغ من تسويد هذا التعليق المنزّل منزلةَ الشرح للرسالة الموسومة بـالبداية في علم الدراية مؤلّفهما العبدُ الفقيرُ إلى عفو الله تعالى زينُ الدين بن عليّ بن أحمد الشامي العاملي (عامله الله تعالى بلطفه، وعفا عنهم بمنّه وفضله) هزيع [٢] ليلة الثلاثاء خامس شهر ذي الحجّة الحرام، عام تسع وخمسين وتسعمائة، حامداً مصلّياً مسلماً.

١. قد فقد ولم يصل إلينا.

٢. في حاشية «ب»: هزيع الشيء طائفة منه، نحو الثلث والربع. قاله الجوهري (منه رحمه الله). راجع الصحاح، ج ٣، ص ١٣٠٦، «هزع».